

تفسير سورة التوبة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

/ يقول الله (جل وعلا): ﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ۚ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ ۚ﴾ وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا لَبِئِهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مَدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٥﴾﴾ [التوبة: الآيات ١ - ٤].

نزلت هذه السورة الكريمة عام تسع، رجوع النبي ﷺ من غزوة تبوك، وكان بعض الصحابة يقول: آخر سورة نزلت بتمامها من القرآن براءة^(١).

واعلم أن الصحابة (رضي الله عنهم) لم يكتبوا في المصاحف العثمانية سطر ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ قبل هذه السورة الكريمة، مع أنهم كتبوه في كل سورة من سور القرآن غير

(١) البخاري عن البراء (رضي الله عنه)، كتاب التفسير، باب ﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ...﴾، حديث رقم: (٤٦٥٤)، (٣١٦/٨).

سورة التوبة هذه، والعلماء لهم أقوال معروفة في سبب [عدم]^(١) كتب ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾^(٢).

قال بعض العلماء: كانت سورة براءة طويلة قدر سورة البقرة، فنسخ الله أولها، فلما سقط أولها وكانت فيه البسمة سقطت البسمة مع المنسوخ الساقط منها.

وقال بعض العلماء: البسمة رحمة وأمان، وبراءة نزلت بالسيف والقتال ونقض العهود؛ فلذا لم تكتب فيها ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

وقال بعض العلماء: لما أرادوا كتب المصاحف العثمانية اختلفوا في براءة، فقال بعضهم: هي والأنفال سورة واحدة، وقال بعضهم: كلتاها سورة مستقلة، فلما اختلفوا جعلوا بياضاً بين السورتين ليبدل على قول من قال: إنهما سورتان، وتركوا سطر ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾^(٣) ليبدل على قول من قال: هما سورة واحدة، فرضي الفريقان، وقامت حجة كل منهما في المصحف الكريم.

وأظهر الأقوال هو ما روي عن عثمان بن عفان (رضي الله عنه) رواه بعض أصحاب السنن وغيرهم عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أنه قال: سألت عثمان بن عفان (رضي الله عنه) لمَ عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني، وإلى براءة وهي من المئين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ وجعلتموها في السبع الطوال؟!!!

(١) ما بين المعقوفين [زيادة يقتضيها السياق.

(٢) انظر: القرطبي (٨/٦١)، ابن كثير (٢/٣٣١)، الأضواء (٢/٤٢٦).

فأجابه عثمان (رضي الله عنه) بما معناه: أن النبي ﷺ كان ينزل عليه القرآن، تنزل عليه السور والآيات ذوات العدد فيأمر بعض من يكتب له ويقول: ضعوا هذا في السورة التي يذكر فيها كذا، وضعوا كذا في محل كذا، وكانت [«الأنفال من أوائل ما أنزل بالمدينة» وبراءة من آخر القرآن، فكانت قصتها شبيهة بقصتها، فقبض رسول الله ﷺ ولم يبين لنا أنها منها، وظننت أنها منها..] ^(١) كأنهما سورة واحدة، فمن ثم واليت بينهما وجعلت بينهما فصلاً، ولم أكتب بينهما ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ^(٢).

وهذه السورة الكريمة نزلت عام تسع [وكان النبي ﷺ قد بعث أبا بكر (رضي الله عنه) ليقوم للناس الحج] ^(٣) وأرسل في أثره علي بن

(١) في هذا الموضع انقطع التسجيل، وما بين المعقوفين [زيادة يتم بها الكلام نقلتها من بعض روايات الحديث.

(٢) أخرجه أحمد (٥٧/١، ٦٩)، وأبو عبيد في فضائل القرآن (١٠٠/٢)، وفي غريب الحديث (١٤٧/٣ - ١٤٨)، (١٠٤/٤)، وأبو داود في الصلاة، باب من جهر بها، رقم: (٧٧١)، (٤٩٥/٢)، والترمذي في التفسير، باب ومن سورة براءة، رقم: (٣٠٨٦)، (٢٧٢/٥)، وابن حبان (الإحسان ١/١٢٦)، والحاكم (٢/٢٢١، ٣٣٠)، والبيهقي في الكبرى (٢/٤٢)، والدلائل (٧/١٥٣)، وابن أبي داود في المصاحف ص ٣٩، وابن جرير (١/١٠٢)، والطحاوي في شرح المعاني (١/٢٠١ - ٢٠٢)، وفي مشكل الآثار (١/٣٨)، (٢/١٥١ - ١٥٦)، والنحاس في الناسخ والمنسوخ (٢/٣٩٦)، وأورده السيوطي في الدر (٣/٢٠٧)، وعزاه لابن أبي شيبة والنسائي وابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه، وضعفه أحمد شاكر في تعليقه على: المسند (١/٣٢٩)، ابن جرير (١/١٠٢).

(٣) في هذا الموضع انقطع التسجيل، وما بين المعقوفين [زيادة يتم بها الكلام.

أبي طالب (رضي الله عنه) على ناقته العضباء، وأمره أن يكون هو المتولي للأذان براءة في موسم الحج، وأن يقول للناس: لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان. فكان علي بن أبي طالب ذهب في أثر أبي بكر فأدركه، قال بعض العلماء: أدركه بالجحفة، فقال له: أأمير أم مأمور؟ فقال: بل مأمور. وأخبره أن النبي ﷺ أرسله بصدر هذه السورة الكريمة يُنادي به في الموسم^(١) — في موسم الحج — عام تسع من الهجرة، فكان أبو بكر هو أمير الحج الذي يُقيم للناس حجهم، وكان علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) يؤذن في الناس بأول هذه السورة الكريمة، بعضهم يقول: بأربعين آية منها.

(١) بعث النبي ﷺ علياً (رضي الله عنه) في حجة أبي بكر (رضي الله عنه)، رواه جماعة من الصحابة منهم:

١ — أبو هريرة (رضي الله عنه)، عند البخاري في الصلاة، باب ما يستر من العورة، حديث رقم: (٣٦٩)، (٤٧٧/١)، وأطرافه: (١٦٢٢)، (٣١٧٧)، (٤٣٦٣)، (٤٦٥٥)، (٤٦٥٦)، (٤٦٥٧)، ومسلم (من غير ذكر علي رضي الله عنه) في الحج، باب لا يحج البيت مشرك، حديث رقم: (١٣٤٧)، (٩٨٢/٢).

٢ — أنس (رضي الله عنه)، عند الترمذي في التفسير، باب ومن سورة براءة، حديث رقم: (٣٠٩٠)، (٢٧٥/٥).

٣ — ابن عباس (رضي الله عنه)، عند الترمذي في التفسير، باب (ومن سورة براءة)، حديث رقم: (٣٠٩١)، (٢٧٥/٥)، وانظر: الإرواء (٣٠٣/٤).

٤ — زيد بن أُنَيْع أنه سأل علياً (رضي الله عنه)... عند أحمد (٧٩/١)، والدارمي (٣٩٤/١)، والحميدي (٤٨)، والترمذي في التفسير، باب (ومن سورة براءة)، حديث رقم: (٣٠٩٢)، (٢٧٦/٥)، وانظر: الإرواء (٣٠١/٤).

وأخرجه أحمد (٣/١) عن زيد بن أُنَيْع عن أبي بكر (رضي الله عنه).
٥ — جابر (رضي الله عنه)، عند النسائي في الحج، باب الخطبة يوم التروية، حديث رقم: (٢٩٩٣)، (٢٤٧/٥).

وبعضهم ينقص، وبعضهم يزيد، والروايات متفقة على أنه أرسله بهذه السورة الكريمة، بشيء منها يؤذن بها في المواسم.

ومضمون ما كان يؤذن به علي (رضي الله عنه) راجع إلى أربع جمل: إحداها: أن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة، ومن كان له عهد فعده إلى مدته.

وكان يؤذن في الناس بهذا. فعلم الكفار أنه لا عهد بينهم وبين النبي ﷺ، ومن العام القابل وهو عام عشر لم يحج البيت كافر، ولم يطف بعدها عريان، فحج النبي ﷺ.

ومعنى قوله: ﴿بَرَاءَةٌ﴾ البراءة مصدر كالشناة والدناة. وإعرابه^(١) قال بعض العلماء: هو مبتدأ خبره محذوف، أي: هذه براءة من الله ورسوله.

وقال بعض العلماء: لا مانع من كون قوله: ﴿بَرَاءَةٌ﴾ مبتدأ، وسوغ الابتداء بالنكرة لأنها وُصفت بقوله: ﴿مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ كما قال^(٢):

وَرَجُلٌ مِنَ الْكِرَامِ عِنْدَنَا

وأن قوله: ﴿إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ﴾ خبر المبتدأ، والوجهان من الإعراب كلاهما صحيح، والمعنى: هذه براءة من الله. أو براءة من الله واصله إلى الذين عاهدتم من المشركين. ولفظة (من) في قوله:

(١) انظر: ابن جرير (٩٥/١٤)، الدر المصون (٥/٦).

(٢) هذا هو الشطر الثاني من أحد أبيات الخلاصة ص ١٧، وشطره الأول:

«وهل فتى فيكم فما خل لنا»

﴿مِنَ اللَّهِ﴾ هي المعروفة بابتداء الغاية، أي: ابتداء هذه الغاية ومنشؤها كائن من الله. ومعنى براءة الله منهم: أنه (جلّ وعلا) برئت ذمته من عهودهم فلا يلتزم لهم عهداً ولا ذمة؛ لأنهم نقضوا العهود أو كادوا.

واعلم أن النبي ﷺ لما غزا غزوة تبوك كان المنافقون يرجفون أراجيف كثيرة، فسمع بها الكفار فأرادوا نقض العهود وتغيروا؛ لأن النبي ﷺ كانت بينه وبين بعض القبائل عهود ومواثيق، مصالحات ومهادنات، فلما سمع الكفار بأراجيف المنافقين نقض بعضهم، وبعضهم خيف منه النقض، فأنزل الله براءته من جميع الكفار إلا ما سيأتي استثناءؤه إن شاء الله.

واعلم أن الكفار أقسام^(١): منهم من كان له عهد مؤجل بأجل، وهؤلاء قسمان: من عهده أقل من أربعة أشهر، ومن عهده أكثر من أربعة أشهر، ومنهم من لا عهد له أصلاً، ومن له عهد مطلق لم يقيد بزمان معين، فهذه فرق الكفار. وهذه الآية تضمنت نقض العهود في هذه كلها إلا في صورة واحدة على التحقيق.

أما من كان له عهد إلى مدة أقل من أربعة أشهر فالتحقيق عند جمهور العلماء أنه يرفع عهده إلى أربعة أشهر ثم بعد الأربعة أشهر هو حرب لله ولرسوله، ومن كان له عهد مطلق فله أربعة أشهر يسبح فيها ويذهب في الأرض مقبلاً ومدبراً آمناً، ثم بعد انتهاء تلك الأربعة الأشهر هو حرب لله ولرسوله.

ومن لم يكن عنده عهد أصلاً فقال بعض العلماء: له هذه الأربعة الأشهر. وهذا أظهر القولين، بناء على أن قوله: ﴿فَإِذَا أَنْسَلَخَ

(١) انظر: ابن جرير (٩٦/١٤)، القرطبي (٦٤/٨)، الأضواء (٤٢٨/٢).

الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ ﴿ [التوبة: آية ٥] أنها أشهر الإمهال هذه الأربعة،
لا الأشهر الحرم الأربعة.

وقال بعض العلماء: هي الأشهر الحرم الأربعة، وعلى ذلك لم يبق من عهده إلا خمسون يوماً، عشرون من ذي الحجة، والشهر الذي بعده الذي هو المحرم، فتتقضي عهودهم على خمسين يوماً على هذا القول.

فقوله: ﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ هذه البراءة كائنة من الله ﴿إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ﴾ يعني النبي وأصحابه. وإنما خاطبهم جميعاً وإن كان النبي ﷺ هو الذي يتولى عقد العهود لأنهم أتباعه وأعوانه، وهم معه في كل شيء من حلّ وعقد، فكل حلّ وعقد فعله النبي ﷺ فهم أصحابه وأعوانه وأتباعه، فهم معه فيه؛ ولذا قال: ﴿إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ الكفار الذين يعبدون الأصنام ويشركون بالله (جل وعلا).

والتحقيق: أن هذه ما نزلت إلا في غزوة تبوك، وما زعمه ابن إسحاق ومقاتل وغيرهما من أن صدر هذه السورة نزل قبل عام الفتح، بعد نقض قريش وبني بكر لمعاهدة صلح الحديبية؛ فهو خلاف الظاهر، مع أنه قال به ابن إسحاق ومقاتل وغيرهما^(١). قالوا: كان أول هذه السورة نزل قبل هذا؛ لأن النبي ﷺ لما عقد صلح الحديبية بينه وبين كفار قريش بواسطة سهيل بن عمرو العامري (رضي الله عنه) كان خزاعة دخلوا في حلف النبي ﷺ، ودخلت بنو بكر في حلف قريش، وكان ذلك الصلح دخلت فيه قبائل من بني

(١) انظر: القرطبي (٨/ ٦٤ - ٦٥).

كنانة منهم بنو الدليل ابن بكر بن عبد مناة بن كنانة، وبنو جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة، وبنو مدلج بن بكر بن كنانة، وبنو ضمرة بن بكر بن كنانة، فهي أربع قبائل من كنانة دخلوا في ذلك الصلح مع النبي ﷺ، وكان قبل ذلك بين كنانة وخزاعة دم، وكان الدم في خصوص بني الدليل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة من قبائل كنانة، فانتهزوا الفرصة وعدوا على خزاعة، وأعانهم قريش على خزاعة الإعانة المشهورة التي هي سبب غزوة الفتح؛ لأن بني الدليل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة لما عدوا على خزاعة ونقضوا عهد النبي ﷺ وصلحه الذي أبرمه معهم في الحديبية، وأعانتهم قريش على ذلك بالسلاح، بل بعض رجال قريش دخل معهم في قتالهم، كما قاله بعض العلماء، وأرسل خزاعة عمرو بن سالم (رضي الله عنه) إلى النبي ﷺ بالمدينة يستنصره، وجاءه هنا في المدينة - حرسها الله - وأنشده رجزه المشهور^(١):

يا رَبِّ إني ناشدُ محمدًا	حَلَفَ أبينا وأبيهِ الأثَلَدَا
كنتَ لنا أباً وكنّا ولدًا ^(٢)	ثُمّتَ أسلمنا ولم ننزغ يدا
إن قريشاً أخلفوك الموعدًا	ونقضُوا ميثاقَكَ المؤكدا
وزعموا أن لست تنجي أحداً	وهم أذلُّ وأقلُّ عددا
فادعُ عبادَ الله يأتُوا مددا	فيهم رسولُ الله قد تجرّدا
أبيض مثل الشمس يجري صُعداً	في فيلقٍ كالبحرِ يجري مُزبدا

(١) مضى عند تفسير الآية (٥٨) من سورة الأنفال، ووقع فيها هنا تقديم وتأخير كما وقع في الموضع السابق، وقد أثبتنا نص الأبيات هناك في الهامش فليراجع، وانظر: القرطبي (٦٥/٨).

(٢) في ابن هشام (١٢٣٥): «قد كنتم وُلدًا وكنّا والدًا».

إِنْ سِمْ خَسَفًا وَجْهَهُ تَرَبَّدًا هُمْ يَثُونَا بِالْوَيْثِرِ هُجْدًا
وَقَتْلُونَا رَكْعًا وَسُجْدًا فَاَنْصُرْ هَذَاكَ اللَّهُ نَصْرًا أَيْدًا
فَقَالَ ﷺ: «لَا نَصْرَ لِمَنْ أَنْصَرَكَم»^(١).

وكان ذلك سبب غزوة [الفتح]^(٢). هكذا قالوا إن هذا هو الذي جاءت فيه هذه الآيات، وأن قريشاً وبنو الدليل من بني بكر بن كنانة نقضوا وبقيت قبائل كنانة الآخرين، وهم: بنو جذيمة بن عامر بن عبد مناة، وبنو مدلج، وبنو ضمرة لم ينقضوا العهود كما سيأتي في قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا﴾ [التوبة: آية ٧] هكذا قالوا أنها نزلت قبل غزوة الفتح.

والتحقيق أنها ما نزلت إلا بعد غزوة تبوك، وأرسل النبي بها أبا بكر (رضي الله عنه) ينادي في الناس بها، ثم أتبعه علي بن أبي طالب (رضي الله عنه).

ومعنى الآية الكريمة: هذه براءة من الله، أو براءة من الله إلى الذين عاهدتم من المشركين جميعاً. يعني: من كان له منهم عهد أقل من أربعة أشهر، ومن لا عهد له أصلاً، ومن كان له عهد مطلق، ومن له عهد مؤقت إلا أنه خيف منه أن ينقض؛ لأن المعاهد من المشركين إذا خيف منه النقض وظهرت منه علامات ذلك وبوادره وجب إعلامه بنبد العهد إليه ونقض عهده، كما قدمناه في سورة الأنفال في قوله تعالى: ﴿وَمَا تَخَافُكَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٌ فَانْذِرْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ [الأنفال: آية ٥٨] فعرّفنا أن قوله: ﴿إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ

(١) مضى عند تفسير الآية (٥٨) من سورة الأنفال.

(٢) في الأصل: «بدر»، وهو سبق لسان.

الْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ [التوبة: آية ١] صادق بمن لهم عهد غير مؤقت، وعهد مؤقت بأقل من أربعة أشهر، وعهد مؤقت بأكثر منها إن خيفت منهم الخيانة، بقي قسم واحد هو الآتي استثنائه مرتين وهو من كان له عهد مؤقت معين محدد بوقت معين أكثر من أربعة أشهر، وهو ثابت على عهده لم ينقض ولم يُخف منه نقض لثبوتة على عهده، فهؤلاء باقون على عهدهم على التحقيق الذي لا شك فيه. وما قاله بعض العلماء من نقض عهودهم جميعاً؛ خلاف التحقيق؛ لأن الله يقول: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ﴾ [التوبة: آية ٤] ويقول: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقِيمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾ [التوبة: آية ٧] كما سيأتي إيضاحه؛ لأن المراد بالذين عاهدوه عند المسجد الحرام عند الحديبية وأطلق عليها: «المسجد الحرام» قال بعض العلماء: لأن بعضها الذي وقعت فيه المعاهدة كان من الحرم، والمسجد يطلق غالباً على جميع الحرم، وسيأتي هناك — إن شاء الله — أن هؤلاء الذين عاهدوا دخل فيهم قبائل من كنانة مع قريش، وأن الذي غدر: بنو الدليل من كنانة فقط وقريش، وبقية قبائل كنانة الأخرى ثابتة على عهدها. وهذا معنى قوله: ﴿إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: آية ١].

ثم هنا التفات من الغيبة إلى الخطاب، أي فقولوا للذين عاهدتم من المشركين: سيحوا في الأرض أربعة أشهر (سيحوا في الأرض) معناه: اذهبوا في أرض الله مقبلين ومدبرين حيث ما أردتم، وأين أحببتم أن تتوجهوا، آمنين لا خوف عليكم، لا ينالكم منا سوء؛ لأنها أشهر أمان وإمهال لا ينالكم منا فيها سوء.

والحكمة في أن الله (جل وعلا) أجّلهم هذه الأشهر الأربعة ليروا رأيهم، ويتأملوا في شأنهم لعل الله أن يهديهم إلى صوابهم. وهذا معنى قوله: ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: اذهبوا في جوانب أرض الله مقبلين ومدبرين آمنين، لا خوف عليكم في مدة هذه الأشهر الأربعة.

ثم قال: ﴿وَأَعْلَمُوا﴾ أي: أيقنوا علماً يقيناً لا يتطرق إليه الشك ﴿أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ﴾ ﴿مُعْجِزِي﴾ أصله: معجزين بالنون، فحذفت النون للإضافة. والمعجزون جمع المعجز، وهو اسم فاعل (أعجزه) العرب تقول: «أعجزه يُعجزه» إذا صار غير قادر عليه. أنكم لا تفوتونه ولا تتعدرون عليه، بل أنتم في قبضته وتحت سلطانه وقهره، هو قادر عليكم واعلموا أيضاً ﴿أَنَّ اللَّهَ﴾ جل وعلا ﴿مُخْزِي الْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: آية ٢] المخزي: اسم فاعل أخزي، ومعنى إخزائه للكافرين: أنه مذلهم ومهينهم، يذلهم في الدنيا بالقتل والأسر، ويهينهم بذلك وفي الآخرة بعذاب الله، كما سيأتي في قوله: ﴿قَتَلُوهُمْ يَعْذِبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيَضْرِكُّ عَلَيْهِمْ وَيُشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: آية ١٤] وهذا معنى قوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: آية ٢].

ثم قال تعالى: ﴿وَأَذِّنْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾ ﴿وَأَذِّنْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ﴾ جملة معطوفة على جملة؛ لأن جملة: ﴿وَأَذِّنْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ﴾ [التوبة: آية ٣] معطوفة على قوله: ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: آية ١] ويجوز في قوله: ﴿وَأَذِّنْ مِنَ اللَّهِ﴾ من

الإعراب الوجهان الجائزان في (براءة)^(١) يجوز أن يكون (أذان) خبر مبتدأ محذوف، أي: هذا أذان من الله. ويجوز أن يكون (أذان) مبتدأ سوغ الابتداء فيه بالنكرة كونها وُصفت بقوله: ﴿مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾.

والأذان معناه: الإعلام، وهو اسم مصدر (أَذَن) (يُؤَذِّن) (أَذَاناً)، (وَأَذَن) (يُؤَذِّن) (أَذَاناً) والعرب ربما جعلت (الْفَعَال) قائماً مقام «التفعيل»؛ لأن العرب تقول: أذنته أعلمته، وأذنت أعلمت. ومعروف في علم التصريف أن (فَعَّل) بالتضعيف ينقاس مصدرها على (التفعيل)، ولكنه يُسمع كثيراً إتيان المصدر منها على (الْفَعَال) كما قالوا: سلّم عليه سلاماً، أي: تسليماً. وكلّمه كلاماً، أي: تكليماً. وطلّقها طلاقاً، وبيّنه بياناً. إلى غير ذلك من الأوزان. وكذلك ربما جاء (الْفَعَال) في موضع (الإفْعَال) كقول العرب: آمنتُه أُوْمِنْتُه إيماناً. إذا جعلته في أمان. فإنهم يقولون: آمنه أماناً، وأذنه أذاناً، أي: أعلمه إعلاماً. والأذان في لغة العرب: الإعلام. قال بعض العلماء: هو الإعلام المقترن بنداء؛ لأن اشتقاقه من الأذن؛ لأن النداء يقع في الأذن فيحصل بذلك الفهم والإعلام، ومنه الأذان للصلاة؛ لأنه إعلام بها بنداء. وكون الأذان بمعنى الإعلام معنى معروف في كلام العرب، ومنه قول الحارث بن حلزة^(٢):

أَذَنْتَنَا بَيْنَهَا أَسْمَاءُ رَبِّ ثَاوِي مُلٍّ مِنْهُ الثَّوَاءُ

يعني أعلمتنا بينها.

(١) انظر: الدر المصون (٦/٦).

(٢) مضى عند تفسير الآية (١٢٨) من سورة الأنعام.

﴿وَأَذِّنْ مِنْ اللَّهِ﴾ هذا الأذان كائن مبدؤه من الله ورسوله ﴿إِلَى﴾ جميع ﴿النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾ [التوبة: آية ٣] أصل الحج في لغة العرب جرى على السنة العلماء أنهم يقولون: الحج في اللغة القصد^(١). والحج في لغة العرب أخص من مطلق القصد؛ لأن الحج في اللغة لا يكاد تطلقه العرب إلا على قصد متكرر لأهمية في المقصود. فكل حج قصد، وليس كل قصد حجاً؛ لأن الحج هو القصد المتكرر لأجل الأهمية الكائنة في المقصود. وهذا المعنى معروف في كلام العرب، ومنه قول المخبل السعدي حيث قال^(٢):

أَلَمْ تَعَلِّمِي يَا أُمَّ أَسْعِدَ أَنَّمَا تَخَطَّانِي رَيْبُ الْمَنُونِ لِأَكْبَرَا
وَأَشْهَدُ مِنْ عَوْفٍ حُلُولًا كَثِيرَةً يَحْجُونَ سَبَّ الزُّبَيْرِ قَانَ الْمُزْعَفَرَا

«سَبَّه» يعني به عمامته، أي: يقصدون عمامته — عبر بها عن شخصه — قصداً كثيراً متكرراً لأهمية ما يروونه عنده من النوال هذا أصل الحج.

ومعروف أن الحج في اصطلاح الشرع^(٣): هو الأفعال والأقوال التي تقال في المنسك المعروف.

قال بعض العلماء: وإنما قال له الأكبر؛ لأن العرب ربما كانوا

(١) انظر: القاموس (مادة: الحج) ص ٢٣٤، المفردات (مادة: حج) ص ٢١٨، المصباح المنير (مادة: حج) ص ٤٧.

(٢) البيتان في المشوف المعلم (١/ ٢٣١)، ولفظ البيت الأول فيه:

أَلَمْ تَعَلِّمِي يَا أُمَّ عَمْرَةَ أَنَّنِي تَخَطَّانِي رَيْبُ الزَّمَانِ لِأَكْبَرَا

(٣) انظر: القاموس الفقهي ص ٧٦ — ٧٧.

يقولون: حج أصغر، وحج أكبر، يعنون بالأصغر: العمرة لنقصان أعمالها عن أعمال الحج^(١).

واختلف العلماء في يوم الحج الأكبر^(٢) فذهبت جماعة من العلماء إلى أن المراد به يوم عرفة. وعليه فمبدأ النداء بالأربعة الأشهر كائن ابتداء تأجيله من يوم عرفة. وقالت جماعة آخرون: هو يوم النحر. وخلاف العلماء في يوم الحج الأكبر هل هو يوم عرفة أو يوم النحر مشهور معروف، وكان بعض المحققين يختار أنه يوم النحر لأمر، منها: أنه جاءت بذلك روايات صحيحة، كرواية أبي هريرة في صحيح البخاري^(٣). وقالوا: ولأن أكثر أفعال الحج إنما تكون يوم النحر؛ لأنه هو اليوم الذي يطاف فيه طواف الإفاضة، وينحر فيه، ويحلق فيه، ويقضى فيه التفث، وأن يوم عرفة لا يختص

(١) انظر: التمهيد (١/١٢٥)، ابن جرير (١٤/١٢٩)، وابن أبي حاتم (٦/١٧٤٧)، والبغوي (٢/٢٦٨)، وابن عطية (٨/١٢٨)، والمجموع (٨/٢٢٣)، وابن كثير (٢/٣٣٢)، والدر المنثور (٣/٢١١)، حصول الأجر في أحكام وفضل العمل في أيام العشر ص ١٢٢.

(٢) انظر: سنن سعيد بن منصور (٥/٢٣٦ - ٢٤١)، التمهيد (١/١٢٥)، ابن جرير (١٤/١١٣)، القرطبي (٨/٦٩)، المجموع (٨/٢٢٣)، تفسير البغوي (٢/٢٦٨)، تفسير ابن عطية (٨/١٢٧)، تهذيب السنن لابن القيم (٢/٤٠٦)، زاد المعاد (١/٥٤)، تفسير ابن كثير (٢/٣٣٢ - ٣٣٥)، فتح الباري (٨/٣٢١)، الدر المنثور (٣/٢١١)، حصول الأجر في أحكام وفضل العمل في أيام العشر ص ١١٦.

(٣) ولفظه: «بعثني أبو بكر في تلك الحجة في مؤذنين، بعثهم يوم النحر يؤذنون بمنى...» البخاري في التفسير، باب ﴿فَيَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا...﴾، حديث رقم: (٤٦٥٥)، (٨/٣١٧).

بشيء خاص من مناسك الحج؛ لأن الوقوف وإن كان ركناً من أركان الحج فنفس اليوم لا يختص به عن الليلة لإجماع العلماء على أن من وقف بعرفة ليلة النحر أن ذلك يجزئه، بعضهم يقول: يلزمه دم لفوات النهار، وبعضهم يقول: حجه كامل - كمالك وأصحابه - ولا دم عليه. وقولهم: «الحج عرفة»، قالوا: لا يرد على هذا؛ لأن عرفة شامل لليل والنهار، فالوقوف الذي هو الركن الأعظم في الحج يكون في الليل، ولا يشترط أن يكون في النهار، والكلام في خصوص اليوم.

وقال بعض العلماء: يوم الحج الأكبر هو جميع أيام الحج؛ لأن العرب تقول: يوم صفين، ويوم الجمل، ويوم بُعَاث، وهو زمن يتناول أياماً معدودة متعددة، وأنه يشمل الجميع. وهذا أيضاً لا بأس به.

وجمهور العلماء على أن ابتداء تأجيل هذه الأشهر الأربعة هي من يوم النحر، وأن انقضاءها في العاشر من ربيع الثاني؛ لأن هذه الأشهر الأربعة عشرون منها من ذي الحجة من يوم الحج الأكبر، ثم منها المحرم كاملاً، وصفر كاملاً، وربيع الأول كاملاً، وعشر من ربيع الثاني، فتم هنالك الأشهر الأربعة، وعلى هذا جماهير العلماء.

وقد اشتهر قول هنا عن الزهري لا شك في غلطه، وإن كان قائله جليلاً؛ لأنهم ذكروا عن الزهري (رحمه الله) أن أول هذه الأشهر الأربع أنه من ابتداء شوال، وأنها شوال، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، وتنتهي بانتهاء المحرم^(١). وهذا لا يتمشى مع أن ابتداء

(١) أخرجه ابن جرير (١٠١/١٤)، وابن أبي حاتم (١٧٤٧/٦)، والنحاس في =

الأذان صرح الله بأنه يوم الحج الأكبر. فالتحقيق هو ما قاله الجمهور لا ما قاله الزهري (رحمه الله)، إن صح عنه فهو غلط منه. وهذا معنى قوله: ﴿وَأَذِّنْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ﴾ عامة ﴿يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾ هذا الإعلام هو إعلام بأن الله بريء من المشركين، ورسوله بريء منهم أيضاً، فالله بريء من المشركين بريء من ذمتهم وعهدهم، لا عهد لهم عليه يأمر به، ولم يلتزم لهم بشيء، وكذلك رسوله ﷺ.

ثم قال لهم: ﴿فَإِنْ تَبَيَّنْتُمْ﴾ عن ذنوبكم وكفركم وشرككم ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ وصيغة التفضيل هنا ليست على بابها؛ لأن الكفر بالله لا خير فيه أصلاً، فلا معنى للتفضيل فيه ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أي: ثبتتم على كفركم وما أنتم عليه من الشرك.
﴿فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ﴾ فسرناه الآن.

﴿وَنَبِّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابِ اللَّهِ﴾ اعلم أن التحقيق أن (البشارة) في لغة العرب هي الإخبار بما يسر، والإخبار بما يسوء أيضاً. فمن أخبرته بما يسره فقد بشرته، ومن أخبرته بما يسوؤه فقد بشرته^(١)؛ ولذا قال: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: آية ٢١] والقرآن في غاية الفصاحة والإعجاز، وإطلاق البشارة على الإخبار بما يسر معنى معروف في كلام العرب، ومنه قول الشاعر^(٢):
أبشّرني يا سعدُ أن أحبتي جفوني وقالوا الودُ موعده الحشرُ

= الناسخ والمنسوخ (٤١٢/٢)، وذكره السيوطي في الدر (٢١١/٣)، وعزاه لعبد

الرزاق وابن أبي حاتم.

(١) مضى عند تفسير الآية (٤٨) من سورة الأنعام.

(٢) السابق.

وقول الثاني^(١):

يُشِّرْنِي الْغَرَابُ بَيْنَ أَهْلِي فقلتُ له ثَكَلْتُكَ مِنْ بَشِيرِ
هذا هو التحقيق أنها أساليب عربية، وأن البشارة تغلب للإخبار
بما يسر، وأنها تطلق على الإخبار بما يسوء، هذا هو الظاهر،
ومعلوم أن علماء البلاغة يقولون: إن البشارة حقيقة في الإخبار بما
يسر، وأما البشارة بما يسوء فهي مما يسمونه الاستعارة (العنادية)
المعروفة عندهم، وهي منقسمة إلى تهكمية وتمليحية كما هو معروف
مقرر في علم البيان عند أهله^(٢).

ونحن نقول دائماً: إن مثل هذا أساليب عربية نطقت بها
العرب، وكلها أسلوب عربي فصيح في محله، وهذا معنى قوله:
﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ﴾ [آل عمران: ٢١] الظاهر أن تنكير العذاب
هنا للتفخيم والتعظيم، ومن المعاني التي يستجلب لها التنكير:
التفخيم والتعظيم، ويدل على هذا قوله: ﴿أَلَيْمٌ﴾ والأليم: (فَعِيل)
بمعنى (مُفْعِل) أي: مؤلم. واعلم أن إتيان (الفعل) بمعنى (المُفْعِل)
واقع في القرآن وفي كلام العرب، فما ذكروا عن الأصمعي أن
(الفعل) لا يكون في اللغة بمعنى (المُفْعِل) فهو خلاف التحقيق^(٣).
فمعنى أليم: مؤلم، أي: شديد الألم، وإتيان (الفعل) بمعنى:
(المُفْعِل) أسلوب عربي معروف يكثر في كتاب الله وفي لغة العرب،
ومن إتيانه في القرآن قوله: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ
شَدِيدٍ﴾ [سبأ: ٤٦] وقوله: ﴿نَذِيرٌ﴾ أي: منذر فهو (فَعِيل)

(١) السابق.

(٢) مضى عند تفسير الآية (٤٨) من سورة الأنعام.

(٣) مضى عند تفسير الآية (٧٣) من سورة الأعراف.

بمعنى (مُفْعِل) ﴿أَلِيمٌ﴾. بمعنى مؤلم. وقوله: ضرب وجيع. بمعنى: موجه، وهذا معنى معروف في كلام العرب، وله أمثلة في القرآن كقوله: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ﴾ [البقرة: آية ١١٧] أي: مبدعهما ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ﴾ أي: منذر، ومن نظائره من كلام العرب قول غيلان بن عقبة ذي الرمة^(١):

ويرفع من صدر شَمَرْدَلَاتٍ يَصُكُّ وجوها وهَجُّ أَلِيمٍ
وقول عمرو بن معد يكرب الزبيدي (رضي الله عنه)^(٢):

أَمِنْ رِيحَانَةِ الدَّاعِي السَّمِيعِ يُورِّقُنِي وَأَصْحَابِي هُجُوعٌ
فقوله: «السميع» يعني: المسمع. وقوله في قصيدته هذه^(٣):

وخيلٍ قد دلفت لها بخيلٍ تحيةً بينهم ضربٌ وجيع
أي: ضرب موجه. وهذا معنى قوله: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: آية ٣].

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: آية ٤].

قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ﴾ استثناء من قوله: ﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(١) فسيحوا في الأرض أربعة أشهر [التوبة: الآيتان ١، ٢] هذه البراءة والتأجيل بخصوص أربعة أشهر لجميع الكفار المعاهدين وغيرهم ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ﴾ [التوبة: آية ٤] ثم وفوا لكم بالعهود ولم

(١) مضى عند تفسير الآية (٧٣) من سورة الأعراف.

(٢) السابق.

(٣) السابق.

ينقصوكم شيئاً، وكان بعض العلماء يقولون^(١): هؤلاء أهل مكة، ومعلوم أن أهل مكة نقضوا. والتحقيق أنها في قبائل من كنانة بقوا على عهدهم ولم ينكثوا فأمر النبي ﷺ بأن يفي لهم بعهدهم حتى تنتهي مدتهم، ومعلوم أن صلح الحديبية قد عاهد النبي فيه قبائل من كنانة، ذكرنا أن منهم بني الدليل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، وبني ضمرة، وبني مدلج، وبني جذيمة بن عامر، وقد قدمنا في تفسير سورة النساء في الكلام على قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَنَحَّضُوا مِنْهُمْ وَلَا يَصِيدًا﴾ (٨٩) إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ ﴿[النساء: الآيتان ٨٩، ٩٠] إِنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ الَّذِينَ كَحَكَمَهُمْ، مِنْهُمْ هَلَالُ بْنُ عُوَيْرٍ الْأَسْلَمِيِّ، وَسَرَّاقَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ جَعْشَمٍ حَيْثُ عَقَدَ الْعَهْدَ لِبَنِي مَدْلَجٍ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، وَبَنُو جَذِيمَةَ بْنِ عَامَرَ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ بْنِ كِنَانَةَ، فَهَؤُلَاءِ الْقَبَائِلُ كَانَتْ أَرْبَعُ قَبَائِلٍ مِنْ كِنَانَةَ، وَكَانَ غَيْرُهُمْ عَقَدَ ذَلِكَ، كَبَنِي أَسْلَمٍ عَقَدَ لَهُمُ الصَّلْحَ هَلَالُ بْنُ عُوَيْرٍ الْأَسْلَمِيِّ، فَهَؤُلَاءِ لَمْ يَنْقُضُوا.

وجرى على ألسنة علماء التفسير^(٢) أنه في هذه الآية الكريمة وهي قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ﴾ [التوبة: آية ٤] وفي الآية الآتية: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقِيمُوا لَكُمْ فَأَسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾ [التوبة: آية ٧] يقولون: هؤلاء الذين ثبتوا وأمر النبي أن يفي لهم بعهدهم حتى تنقضي مدتهم هم خصوص بني

(١) انظر: ابن جرير (١٣٣/١٤).

(٢) انظر: القرطبي (٧١/٨).

ضمرة من قبائل بكر بن عبد مناة بن كنانة، ومنهم عمرو بن أمية الضمري المشهور. والتحقيق أن قبائل كنانة لم يُعرف أنه نقض منهم العهد إلا بنو الدليل هم وقريش، أما قبائلهم الأخرى كبنو جذيمة بن عامر وبني مدلج وبني ضمرة فلا يعلم أنهم نقضوا عهد رسول الله ﷺ وإن جرى على ألسنة العلماء أنها في خصوص بني ضمرة دون غيرهم من قبائل كنانة، ومعنى الآية الكريمة: هذا الحكم الذي ذكرنا من نقض العهود وتأجيلهم أربعة أشهر فقط، كل هذا في جميع المعاهدين ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا﴾ ﴿لَمْ يَنْقُصُوكُمْ﴾ من الشروط التي اشترطتم عليهم شيئاً، ولم يخيسوا بشيء من عهدهم، ولم ينقصوكم مالاً ولا نفساً ولا دماً، بل ثبتوا على عهدهم ولم ينقضوا، ولم يظاهروا عليكم أحداً، ولم يعينوا عليكم أحداً كقريش الذين أعانوا بني الدليل بن بكر على خزاعة ﴿فَأَتَمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ﴾ ولا تعدوا عليهم حتى ينتهي عهدهم كاملاً إلى مدتهم التي اتفقتم أنتم وهم عليها أنها مدة الصلح والمهادنة بينكم حتى تنقضي.

قال بعض العلماء: كان وقت نزول هذه البراءة بقي من عهد هؤلاء تسعة أشهر فأمر النبي ﷺ أن يفي لهم بها^(١). وهذا معنى قوله: ﴿فَأَتَمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: آية ٤] ومن المتقين الذين يوفون بعهدهم ولا ينقضونه، فدلّت الآية على أن الوفاء بالعهود وعدم النكث والنقض أنه من تقوى الله (جل وعلا) وهو كذلك.

وقد قدمنا في هذه الدروس مراراً^(١) أن المتقين جمع تصحيح للمتقي، وأن أصل هذه المادة من (وقى)، ففاء هذه المادة واو، وعينها قاف، ولامها ياء. مادة التقوى فاؤها واو، وعينها قاف، ولامها ياء، فهي مما يسميه الصرفيون «اللفيف المفروق» هذا أصلها، إلا أنها دخلها تاء الافتعال كما تقول في قرب: اقترب، وفي كسب: اكتسب، وفي قطع: اقتطع، وفي «وقى» اوتقى.

والقاعدة المقررة في التصريف: أن كل فعل (مثال) — أعني معتل الفاء بالواو — إذا دخله تاء الافتعال وجب إبدال الواو تاء، وإدغام التاء في التاء، فقليل فيها: «اتقى». هكذا^(٢).

وأصل الالتقاء في لغة العرب^(٣): هو أن تتخذ وقاية تكون بينك وبين ما تكرهه فتقيه منه. تقول العرب: اتقيت الرمضاء بنعلي، واتقيت السيوف بمجني، ومنه قول نابغة ذبيان^(٤):

سَقَطَ النَّصِيفُ وَلَمْ تُرَدْ إِسْقَاطُهُ فَتَنَّاوَلْتُهُ وَاتَّقَنْتَا بِالْيَدِ

أي: جعلت يدها وقاية بيننا وبين وجهها. وتفسير من قال: اتقتنا: استقبلتنا. تفسير بالمعنى الإجمالي لا بالحقيقة. وهذا أصل معنى التقوى.

وهي في اصطلاح الشرع: أن يجعل العبد وقاية بينه وبين عذاب ربه، هذه الوقاية مركبة من شيئين هما: امتثال أمر الله،

(١) مضى عند تفسير الآية (٤٨) من سورة البقرة.

(٢) السابق.

(٣) السابق.

(٤) السابق.

واجتناب نهى الله^(١)، والوفاء بالعهود من ذلك؛ لأن الوفاء بالعهود امتثال لأمر الله، وترك النقص انتهاء عما نهى الله عنه. وهذا معنى قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: آية ٤].

قال تعالى: ﴿فَإِذَا أَنْسَلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَخْصِرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ إِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [٥] وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ ابْلِغْهُ مَا مَنَعَكَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [٦] كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَمُّوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [٧] كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [التوبة: الآيات ٥ - ٨].

يقول الله (جل وعلا): ﴿فَإِذَا أَنْسَلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَخْصِرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ إِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: آية ٥].

اختلف العلماء في المراد بهذه الأشهر الحرم^(٢): فقال بعض العلماء: المراد بها الأشهر الحرم المعروفة الآتي ذكرها في قوله في هذه السورة الكريمة: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ [التوبة: آية ٣٦] وهذه الأشهر الأربعة الحرم ثلاثة منها سرد وواحد منها فرد،

(١) مضى عند تفسير الآية (٤٨) من سورة البقرة.

(٢) انظر: ابن جرير (١٣٤/١٤)، القرطبي (٧٢/٨)، الأضواء (٤٣٠/٢).

فثلاثتها المتتابعة هي: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، وآخر: رجب الفرد. هذه هي الأشهر الحرم.

وقال بعض العلماء: هذه هي المراد هنا في قوله: ﴿فَإِذَا أَنْسَلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ﴾ وعلى هذا القول فالباقي عن انسلاخ الأشهر الحرم من يوم النداء بهذه الآيات من أول براءة في موسم الحج عام تسع، الباقي منها خمسون يوماً فقط، وهي العشرون الباقية من ذي الحجة وتمام المحرم، فبانقضاء الخمسين تنتهي على هذا القول. / وهذا [١/ب] القول قاله بعض العلماء، وهو مبني على أن تحريم الأشهر الحرم لم ينسخ، ومعلوم أن العلماء مختلفون في تحريم الأشهر الأربعة المذكورة هل هو باق إلى الآن أو نسخ^(١)؟ فكانت جماعة كثيرة من العلماء يقولون: إنه منسوخ. واستدلوا على ذلك بأن النبي ﷺ حاصر ثقيفاً في غزوة الطائف في ذي القعدة من عام ثمان، وهذا ثابت أن النبي ﷺ بعض الزمن الذي حاصر فيه ثقيفاً في غزوة الطائف كان من ذي القعدة^(٢). قالوا: فلو لم ينسخ تحريم الأشهر الحرم لكف وانصرف عنهم بإهلال ذي القعدة. وكنا نرى هذا القول أصوب، مكثنا كثيراً من الزمن ونحن ننصر هذا القول ونقرر أنه

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ لأبي عبيد ص ٢٠٦، الناسخ والمنسوخ للنحاس (٥٣٥/١)، ابن جرير (٣١٣/٤)، القرطبي (٤٣/٣)، (١٣٤/٨)، ابن كثير (٣٥٥/٢).

(٢) البخاري في المغازي، باب غزوة الطائف في شوال، حديث رقم: (٤٣٢٥)، (٤٤/٨)، ومسلم في الجهاد والسير، باب غزوة الطائف، حديث رقم: (١٧٧٨)، (١٤٠٢/٣)، وليس في رواية الصحيحين ما يدل على أن بعض الحصار وقع في ذي القعدة، ولكن أشار إلى ذلك الحافظ في الفتح (٤٤/٨).

الأصوب، ثم ظهر لنا بعد ذلك أن أصوب القولين وأولاهما بالصواب أن تحريم الأشهر الحرم باقي لم ينسخ. ومن أصرح الأدلة في ذلك: أنه دلت عليه الأحاديث الصحاح في حجة الوداع في آخر حياة النبي ﷺ؛ لأن قوله (صلوات الله وسلامه عليه) في حجة الوداع قبل موته بنحو ثمانين يوماً قوله: «إن الله حرم عليكم دماءكم وأموالكم وأعراضكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا»^(١) نص دال على أن تحريم الأشهر الحرم باقي لم ينسخ، وهذا هو الأظهر، والله أعلم.

(١) رواه عن النبي ﷺ جماعة من الصحابة (رضي الله عنهم)، منهم:

١ - ابن عباس، عند البخاري في الحج، باب الخطبة أيام منى، حديث رقم: (١٧٣٩)، (٥٧٣/٣)، وطرفه: (٧٠٧٩).

٢ - أبو بكرة (رضي الله عنه)، عند البخاري في الحج، باب الخطبة أيام منى، حديث رقم: (١٧٤١)، (٥٧٣/٣)، وأطرافه: (٦٧، ١٠٥، ٣١٩٧، ٤٤٠٦، ٥٥٥٠، ٧٠٧٨، ٧٤٤٧)، ومسلم في القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال، حديث رقم: (١٦٧٩)، (١٣٠٥/٣).

٣ - عبد الله بن عمرو، عند البخاري في الحدود، باب ظهر المؤمن حمى إلا في حد أو حق، حديث رقم: (٦٧٨٥)، (٨٥/١٢)، وأطرافه: (١٧٤٢، ٤٤٠٣، ٦٠٤٣، ٦١٦٦، ٦٨٦٨، ٧٠٧٧)، ومسلم في الإيمان، باب بيان معنى قول النبي ﷺ: «لا ترجعوا بعدي كفاراً...»، حديث رقم: (٦٦)، (٨٢/١).

٤ - سليمان بن عمرو بن الأحوص عن أبيه، عند الترمذي في التفسير، باب ومن سورة التوبة، حديث رقم: (٣٠٨٧)، (٢٧٣/٥)، وأخرجه في موضع آخر، حديث رقم: (٢١٥٩)، وقال: وفي الباب عن أبي بكرة وابن عباس وجابر وحذيم بن عمرو السعدي.

القول الثاني في هذه الآية الكريمة: أن المراد بقوله: ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ﴾ أنها أشهر الإمهال الأربعة التي قدمنا بالأمس أن التحقيق أن أولها من يوم النحر من ذي الحجة عام تسع، وأنها تنقضي بالعشر من ربيع الثاني من ذلك العام، وإنما قيل لها «حُرُم» لأن الله حرّم فيها قتال المشركين، وقال لهم فيها: سيحوا في الأرض أربعة أشهر، أي: آمين مدبرين ومقبلين، قتالكم والتعرض لكم حرام. وهذا أظهر القولين هنا؛ لأن اللام في قوله: ﴿الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ﴾ [التوبة: آية ٥] الألف واللام فيها للعهد، والأشهر الحرم المذكورة لم تكن معهودة هنا، والمعهود هنا هي الأربعة المذكورة في قوله: ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ [التوبة: آية ٢] وعلى هذا فانسلاخها هو ما قدمنا بعد انتهاء العشر الأول من ربيع الثاني كما لا يخفى. وقد بينّا أن قول الزهري (رحمه الله) أن ابتداء أشهر الإمهال من شوال^(١) [أنه إن صح عنه فهو غلط منه. والصحيح قول الجمهور، وهو أن ابتداء تأجيل هذه الأشهر الأربعة من يوم النحر، وتنقضي في اليوم العاشر من ربيع الثاني].

وانسلاخ الأشهر: معناه انقضاء مدتها، يقول العرب: انسلاخ الشهر، وانسلاخ العام إذا مضى زمانه، وسلخته: إذا كنت في آخر يوم من أيامه وقد مضى علي. وهذا معروف في كلام العرب^(٢)، ومنه قول لبيد في معلقته^(٣):

(١) في هذا الموضع انقطع التسجيل، وما بين المعقوفين [:] زيادة يتم بها الكلام.

(٢) انظر: ابن جرير (١٤/ ١٣٣ - ١٣٤)، القرطبي (٨/ ٧٣)، الدر المصون (١١/ ٦).

(٣) شرح القصائد المشهورات (١/ ١٤٤).

حَتَّى إِذَا سَلَخَا جُمَادَى سِتَّةَ جُزْءٍ أَفْطَالَ صِيَامِهِ وَصِيَامُهَا
وَالْأَشْهُرُ: جمع شهر. و «الأفْعُل» جمع قِلَّة؛ لأنها أربعة.
وَالْحُرْم: جمع حرام، وهو الصفة المشبهة من حُرْم الشيء فهو
حرام.

وإنما قيل للواحد منها «حرام» لأن الله حرّم فيه القتال^(١). وهذا
معنى قوله: ﴿فَإِذَا أَسْلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ﴾ على القولين المذكورين
﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ الذين يشركون بالله (جلّ وعلا)، اقتلوهم كلهم
﴿حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ (حيث): كلمة تدل على المكان، كما تدل
(حين) على الزمان، وربما ضُمّنت معنى الشرط، ويجوز فيها لغة
لا قراءة إبدال يائها واواً وتثليث ثائها^(٢).

ومعنى ﴿حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾: في أي مكان من أمكنة الأرض
وجدتموهم فاقتلوهم. وقال بعض العلماء: هذا ما لم يكونوا في
الحرم^(٣). وقال: عموم هذه الآية يخصه عموم قوله تعالى: ﴿وَلَا
تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يَقْتُلُوَكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ
الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: آية ١٩١]. وعلى هذا القول يكون القتال
لا يجوز في الحرم إلا إذا بدؤوا بالقتال. بهذا قال جماعة من
العلماء. وقال جماهير من أهل العلم: إنهم يقتلون في كل مكان،
كما دلّ عليه عموم (حيث) هنا، وإن كانوا في الحرم. قالوا: أمّا آية:
﴿وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يَقْتُلُوَكُمْ فِيهِ﴾ [البقرة: آية ١٩١] فإنها

(١) انظر: ابن جرير (١٣٦/١٤)، القرطبي (٧٢/٨).

(٢) مضى عند تفسير الآية (٥٨) من سورة البقرة.

(٣) انظر: القرطبي (٣٥١/٢، ٧٣/٨).

كانت من مراحل تشريع القتال. وإيضاح هذا المعنى: أنه جرت العادة في كتاب الله أن الله (تبارك وتعالى) إذا أراد أن يُشرّع أمراً عظيماً شاقاً تشريعه على النفوس إنما يُشرّعه على سبيل التدرّج لا مرة واحدة؛ لأنه حكيم عليم. وهذا أمثلته كثيرة: فمنها: أنه لما أراد تحريم الخمر وكانت - قبّحها الله - تصعب مفارقتها على من ألفها وتعهدّها حرّمها تدرّجاً، ذمّها أولاً فقال: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ [البقرة: آية ٢١٩] فبدأ بعييها، وأن فيها الإثم الكبير، وقال: ﴿وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ لتبتدىء نفس المؤمن تشمئز منها، ثم بعد ذلك حرّمها في أوقات الصلاة، يعني أنها حُرمت عليهم في بعض الأوقات دون بعض، فحرّم عليهم شربها في الوقت التي تقرب فيه أوقات الصلاة، وكانوا إذا لا يشربونها إلا من بعد صلاة الصبح؛ لأن من شربها بعد صلاة الصبح يصحو قبل صلاة الظهر، وكذلك بعد صلاة العشاء؛ لأن من شربها بعد صلاة العشاء يصحو عادة قبل صلاة الصبح، أمّا غير هذا من الأوقات فحرّم عليهم شربها، كما قال تعالى: ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: آية ٤٣]. ثم لما أنست نفوسهم بتحريمها في الجملة، وعييها أولاً، حرّمها تحريماً باتاً في سورة المائدة بقوله: ﴿رَجَسَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: آية ٩٠] وعلق الفلاح على اجتنابه، فكان هذا أسهل للتدرّج الذي وقع في تحريمها.

وكذلك لما أراد تشريع الصوم - والصوم عبادة شاقّة على النفوس؛ لأن فيها منع البطون والفروج عن شهواتهما - شرّعها تدرّجاً: كان أول ما بدىء: وجوب الصوم بثلاثة أيام من كل شهر

مثلاً، ثم لما فُرض رمضان فُرض أولاً على سبيل الخيار بين الصوم وبين الإطعام كما تقدّم في قوله: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [البقرة: آية ١٨٤] فلما أُنسِتْ النفوس بالصوم في الجملة وتمرنّت عليه أوجب الصوم إيجاباً تاماً بقوله: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: آية ١٨٥].

وكذلك القتال — وهو محل الشاهد — لما كان عظيماً شاقاً على النفوس؛ لما فيه من تعريض المُهْج والأموال للتلف أذن فيه أولاً من غير أمر به في قوله: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتِّلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: آية ٣٩]. أذن فيه أولاً ثم بعد ذلك أوجبه في حال دون حال، فأوجب عليهم قتال من قاتلهم دون من لم يقاتلهم — وهو محل الشاهد — في قوله: ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَتِّلُوكُم فِيهِ﴾ [البقرة: آية ١٩١] ثم لما استأنست النفوس بالقتال وتمرنّت عليه أوجبه إيجاباً باتاً عاماً بقوله هنا: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [التوبة: آية ٥].

فهذه الآية الكريمة قوله: ﴿الْمُشْرِكِينَ﴾ هو صيغة عموم، فالألف واللام فيه تدل على العموم؛ لأن (المشركين): جمع (المشرك)، وهو اسم فاعل، والألف واللام الداخلتان على اسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المشبهة — على أحد القولين — يقول علماء العربية: إنها موصولة، والموصولات من صيغ العموم كما تقرر في الأصول^(١). وعلى القول بأن هذا اللفظ قد تُتناسى وصفيته فتكون الصفة غير صريحة فيؤول إلى الأسماء — أسماء الأجناس الجامدة —

(١) مضى عند تفسير الآية (١٣١) من سورة الأنعام.

فيكون عموماً. فهو لفظ عام على كلا التقديرين يصدق بكل مشرك، إلا أن النبي ﷺ بين تخصيص هذا العموم بنهيه عن بعض من يتصف بالشرك، من ذلك: النساء والصبيان من الكفار فإنهم من المشركين، وقد نهى ﷺ عن قتلهم، وكذلك الرهبان في الصوامع نهى عن قتلهم، وكذلك الشيوخ الفانية نهى عن قتلهم، إلا إذا كان الشيخ الفاني يُستعان برأيه فإنه يُقتل؛ لأن رأيه عظيم على المسلمين؛ ولأجل ذلك قتل الصحابة دُرَيْد بن الصمة يوم حنين، وكان ذا شية أعمى للاستعانة برأيه؛ لأنه وضع لهم الرأي الحكيم السديد، وخالفه مالك بن عوف النصري كما سيأتي إيضاحه في غزوة حنين في هذه السورة الكريمة. وكذلك المُعاهدون.

وهذه الآية الكريمة قال بعض العلماء^(١): قد لا تتناول أهل الكتاب؛ لأن آيتهم مذكورة في هذه السورة؛ لأن الله يقول: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: آية ٢٩] فالكتابي إذا أعطى الجزية يخرج من عموم هذه الآية.

واعلم أن بعض العلماء^(٢) قالوا: إن الكتابي لا يدخل في اسم المشركين. قالوا: لأن الله غاير بينهما في آيات كثيرة كقوله: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ﴾ [البينة: آية ١] فعطف المشركين على أهل الكتاب، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ

(١) انظر: القرطبي (٧٢/٨).

(٢) السابق.

وَالْمُشْرِكِينَ ﴿البينة: آية ٦﴾ وقال: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [آل عمران: آية ١٨٦]. وقال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدُوًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَيْهِمْ﴾ الآية [المائدة: آية ٨٢] فَدَلَّتْ هذه الآية على المغايرة بين المشركين وأهل الكتاب، والتحقيق أَنَّ الكتابيين نوعٌ من المشركين، وقد أوضح الله في هذه السورة الكريمة أَنَّ أهل الكتاب من المشركين حيث قال فيهم: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة: آية ٣١] فَصَرَّحَ تعالى بأنهم مشركون إلا أَنَّهُمْ نوعٌ خاصٌّ من المشركين، ربما أُدْخِلَ في عمومهم، وربما أُفْرِدَ منهم، كَأَنَّهُ غيرُ داخلٍ فيهم؛ للفوارق التي بين الكتابيين وعبدة الأصنام كما هو معروف، وهذا معنى قوله: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [التوبة: آية ٥].

قال بعض العلماء: يؤخذ من عموم هذه الآية أَنَّ المسلم لو قدر على اغتيال الحربي لجاز له أن يغتاله.

وأخذ بعض العلماء من هذا قالوا: إذا لم يُقَدَّرَ عليهم إلا بالقتل بالنار كالضرب بمنجنيق من بعيدٍ ونحو ذلك، أَنَّ هذا يتناوله العموم^(١). وبعض العلماء يقول: هذا مثلة، وقد نهى ﷺ عن المثلة^(٢). وهذا معنى قوله: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾

(١) انظر: السابق (٧٢/٨).

(٢) أخرجه البخاري في الذبائح والصيد، باب ما يكره من المثلة والمصورة والمُجَمَّة، حديث رقم: (٥٥١٦)، (٦٤٣/٩) من حديث عبد الله بن يزيد (رضي الله عنه).

أي: في أي مكانٍ من أمكنة الأرض وجدتموهم.

وقوله: ﴿وَحْذُوهُمْ﴾ يعني: بالأسر، فمعنى ﴿وَحْذُوهُمْ﴾: أؤسروهم.

وهذه الآية الكريمة من براءة — وهي من آخر ما نزل من القرآن — تدل على أنه يجوز قتل المشركين وأخذهم بالأسر. وقال بعض العلماء: هذه الآية من سورة براءة نسخت قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ بَدَأَ وَإِمَّا فِدَاءً﴾ [محمد: آية ٤] فليس هناك إلا القتل^(١). وقال بعض العلماء: بل آية القتال هي التي نسخت آية براءة، فلا يقتل الأسير، إما أن يُمنَّ عليه وإما أن يُفدى^(٢).

والتحقيق: أن كل هذه الآيات محكم، وأنها لا ينسخ بعضها بعضاً؛ لأن النبي ﷺ منذ قاتل الكفار، ربما قتل الأسير، وربما فدى الأسير، وربما منَّ على الأسير، كل هذا يفعله ﷺ، فمعلوم أنه قتل بعض الأسارى يوم بدر، قتل النضر بن الحارث يوم بدر أسيراً^(٣)،

= وأخرجه في المغازي (باب قصة عكل وعرينة) عن قتادة — بلاغاً — «بلغنا أن النبي ﷺ بعد ذلك كان يحث على الصدقة وينهى عن المثلة»، وقد وصله الحافظ (رحمه الله) في الفتح (٤٥٩/٧).

وفي الباب أحاديث كثيرة رواها جماعة من الصحابة منهم: يعلى بن مرة، والمغيرة بن شعبة، وعمران بن حصين، والحكم بن عمير، وعابد بن قرط، وعلي بن أبي طالب، وأبو أيوب الأنصاري، وابن عمر، وزيد بن خالد، وأسماء بنت أبي بكر، وعمر بن الخطاب، وغيرهم (رضي الله عنهم أجمعين).

(١) انظر: القرطبي (٧٢/٨).

(٢) انظر: القرطبي (٧٢/٨).

(٣) راجع ما سبق عند تفسير الآية (١٢) من سورة الأنفال.

وقتل عقبة بن أبي معيط يوم بدر أسيراً^(١)، وقد دلت القصة التي ذكرناها في غزاة بدر في سورة الأنفال على أن قتله للنضر بن الحارث لم يكن عن وحي^(٢)، ولذا لما جاءه شعر أخته — أو ابنته — قتيلة بنت الحارث — أو قتيلة بنت النضر بن الحارث — لما أرسلت شعرها المشهور إلى النبي ﷺ الذي أبكاه حتى أخضل الدمع لحيته، وقال فيه: «لو بلغني شعرها قبل أن أقتله لعفوت عنه»^(٣) فدلّ على أنه لم يقتله بوحي من الله. وشعرها مشهورٌ قدمناه برمته في سورة الأنفال^(٤)، تقول فيه:

يا راكباً إن الأثيل مظنةٌ	من صُبح خامسةٍ وأنت موفّق
أبلغُ بهاميتاً بأن تحيةً	ما إن تزال بها النجائبُ تخفقُ
مني إليك وعبرةٌ مسفوحةٌ	جاءت بواكِفها وأخرى تخنقُ
هل يسمعنَ نضرٌ إن ناديتُه	أم كيف يسمعُ ميّتٌ لا ينطقُ
أحمدٌ يا خيرَ ضنٍّ كريمة	في قومها والفحلُ فحلٌ مُغرقُ
ما كان شركٌ لو مننتَ ورُبّما	منّ الفتى وهو المغيظُ المُحنقُ
فالنضرُ أقربُ من أسرتَ قرابةً	وأحقُّهم إن كان عتقٌ يُعتقُ
ظلتُ سيوفُ بني أبيه تنوشُه	لله أرحامٌ هناك تُشَقُّ
صبراً يُقَادُ إلى المنيةِ مُتعباً	رسفُ المقيّدِ وهو عانٍ مُوثقُ

فهذا يدل على أن الأمر في ذلك إلى الإمام، إن رأى المصلحة

(١) السابق.

(٢) السابق.

(٣) السابق.

(٤) السابق، وقد سقط بعد البيت الخامس بيت من القصيدة، وهو قولها:
أو كنتَ قاتلاً فديّةً فليُنْفَقَنَّ بأعزّ ما يغلوبه ما يُنْفَقُ

للمسلمين القتل قتل، وإن رأى أنها الفداء فدى، وإن رأى أنها المنُّ مَنْ، وهذا هو التحقيق - إن شاء الله - وأن الآيات كلها محكمة لم ينسخ بعضها بعضاً، والنبى ﷺ قد فعل كل ذلك، أطلق أبا عزة في غزاة بدر لما قال له: إنه ذو بنات. ولما أمسكه بحمراء الأسد من صبيحة أحد بعد أن اشترط عليه ألا يعين عليه المشركين وقال له: يا محمد، عفوك مرة أخرى. فقال له: لا والله، لا تحك عارضيك بين نساء مكة وتقول: غررت محمداً مرتين!! فقتله (صلوات الله وسلامه عليه)^(١). وهذا معنى قوله: ﴿فَأَقْضُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ﴾ [التوبة: آية ٥] بالأسر ﴿وَاحْضَرُوهُمْ﴾ معناه: ضيقوا عليهم واحصروهم في معاقلهم حتى لا يستطيعوا أن يخرجوا وينتشروا في الأرض، فضلاً عن أن يصلوا إليكم، فالمراد بالحصر هنا: حصرهم في أماكنهم وفي معاقلهم، والتضييق عليهم ومنعهم من الانتشار في الأرض. هذا معنى قوله: ﴿وَاحْضَرُوهُمْ﴾.

﴿وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ﴾: المراد بالمرصد هنا: اسم مكان، وقد تقرر في فن التصريف: أن جميع المصادر الميمية، وأسماء الأمكنة، وأسماء الأزمنة إذا لم تكن يعني: من واوي الفاء كانت كلها على (مَفْعَل)، إلا اسمُ الزمان والمكان خاصة إذا كان من (فَعَل) بالفتح (يَفْعَل) بالكسر^(٢). والمرصد هنا: القياس فيه:

(١) أخرجه البيهقي في السنن (٣٢٠/٦)، (٦٥/٩)، وأورده الشافعي في الأم

(٢٣٨/٤)، وابن سعد في الطبقات (٣٠/٢)، والطبري في تاريخه (١٠/٣)،

وابن هشام في سياقه لغزوة أحد.

(٢) انظر: التوضيح والتكميل (٨٣/٢ - ٨٤).

(المَفْعَل) وهو اسم مكان. معناه: مكان الرصد. والرصد: هو مراقبة الشيء ليتمكن منه في حالة غرته.

﴿وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ أي: في كل مكان ترصدونهم وترقبونهم فيه، حتى يمروا عليكم فتأخذوهم، فكل شيء هو في طريق شيء مختلفاً عنه لتمكنه غرته فهو رصد له. وهذا معنى معروف في كلام العرب، ومنه قول عامر بن الطفيل^(١):

ولقد علمت وما إخالك ناسياً
أنَّ المنيّة للفتى بالمرصد
ومن هذا قول الآخر، وهو عدي بن زيد حيث قال^(٢):

أعاذل إن الجهل من لذة الفتى
وإن المنايا للنفوس بمرصد
ومن هذا معنى قوله: ﴿يَجِدْ لَهُ سَهَابًا رَصَدًا﴾ [الجن: آية ٩]
﴿إِنَّ رَبَّكَ لِيَالْمَرَّصَادِ﴾ [الفجر: آية ١٤] فمعنى: ﴿وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾: اقعّدوا لهم في جميع الطرق التي ترصدونهم فيها ليمروا عليكم في حال غرتهم فتتمكنوا منهم. والعرب تقول للإنسان الذي يختفي عند الماء لترد عليه الوحش في الليل فيرميها: هذا راصد لها، ومكانه الذي هو فيه: مرصد لها، وهذا معنى معروف.

وقوله: ﴿كُلَّ مَرْصَدٍ﴾: قال بعض العلماء: هو منصوب على أنه ظرف، ولمّا قاله الزجاج^(٣) غلّطه فيه أبو عليّ الفارسي^(٤) وقال: إن مثل هذا لا ينصب على الظرف؛ لأنّ الطريق مكان محصور

(١) البيت في القرطبي (٧٣/٨).

(٢) السابق.

(٣) معاني القرآن (٤٣١/٢).

(٤) انظر: الدر المصون (١١/٦).

كالمسجد والبيت، فلا يكون ظرفاً، وإنما هو منصوبٌ بنزع الخافض، ويدل على أنه منصوبٌ بنزع الخافض: هو ما قدمنا في سورة الأعراف في قوله: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ﴾ [الأعراف: آية ٨٦] فعذاهُ بالباء التي هي حَرْفُ الجر، ومعلومٌ عند علماء العربية أنَّ النصب بنزع الخافض لا يكون على المشهور قياساً مطرداً، يُحفظ ما سُمع منه ولا يقاس عليه، خلافاً للأخفش الصغير، وهو علي بن سليمان؛ لأنه يقول: إنَّ النزع بالخافض مطردٌ في كل ما أُمنَ فيه اللبس، وقد عقد مذهبه ابن مالك في الكافية فقال^(١):

وابنُ سليمانَ اطراده رأى إن لم يُخَفْ لَبْسٌ ك (مَنْ زَيْدًا نَأَى)

وعلى هذا فمعنى ﴿وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾: اقعِدوا لهم في كل طريق ترقبونهم وترصدونهم فيها حتى تأخذوهم في غرتهم، وعلى هذا فهو منصوبٌ بنزع الخافض. ونظيره من كلام العرب - في نصب الطريق، المرصد: هو الطريق، في نصبه وتقدير حرف الجر الذي هو منصوبٌ بنزعه - قول ساعدة بن جُؤَيَّة الهذلي في بيته المشهور الذي هو من شواهد سيبويه في كتابه^(٢):

لَدُنْ بِهِزْ الْكَفِّ يَعْسِلُ مَثْنُهُ فِيهِ كَمَا عَسَلَ الطَّرِيقَ الثَّلْبُ

يعني: كما عسل - أي: جرى العسلان - الثعلبُ في الطريق.

وقال بعضُ العلماء: اختار بعض المتأخرين أنه ظرف، وإن كان محصوراً^(٣)، وبذلك أعرب قوله: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ

(١) شرح الكافية (٢/٦٣٣).

(٢) الكتاب (١/٣٦، ٢١٤).

(٣) انظر: البحر (٥/١٠)، الدر المصون (٦/١٢).

الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ [الأعراف: آية ١٦] وهذا معنى: ﴿وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ﴾: اقتلوهم أولاً، وأسرهم، وحاصروهم في معاقلم وأماكنهم، وخذوا عليهم الطرق، وارصدوا لهم فيها لتأخذوهم.

وهذه أوامر من الله بأنه يُبذل في التضييق على المشركين وقتلهم وأخذهم كل غاية المجهود. وهذا معنى قوله: ﴿وَحْذُوهُمْ وَأَخْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ﴾.

﴿إِنْ تَابُوا﴾ من كفرهم ورجعوا عن شركهم ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ﴾ أقاموا صلاة المسلمين ﴿وَأَتَوُا الزَّكَاةَ﴾ وهي الحقوق الواجبة عليهم في الأموال، فالصلاة والزكاة معروفتان، وإقامة الصلاة: هي الإتيان بها على وجهها الأكمل من مراعاة أركانها، وشروطها، وسننها، وصلاتها في الجماعات، وأوقاتها، إلى غير ذلك. وإقامة الزكاة: هي إعطاء الواجب من الأنصباء التي بينها النبي ﷺ. إذا فعلوا هذا كله، بأن تابوا من شركهم، وأقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة ﴿فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ السبيل^(١) في اللغة: الطريق. والتخلية: معناه الترك. فمعنى ﴿فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ اتركوا طريقهم لا تقعدوا عليها، والعرب تقول: خَلَّ سَبِيلَ فلان. أي: اترك له الطريق، ولا تقعد له في طريقه، ولا تتعرض له. فإذا خَلَّيت له طريقه يمر ويذهب بها كيف شاء، معناه: أنك لم تتعرض له، وهذا معروف في كلام العرب كثيرٌ مبتذل، يقولون: خَلَّ سَبِيلَهُ، أي: اتركه ولا تتعرض له؛ لأن سبيله: طريقه الذي يمشي بها، فإذا لم تقعد له فيها ولم تتعرض له فقد تركته يذهب ويقبل ويدبر من غير أن تتعرض له،

(١) مضى عند تفسير الآية (١١٦) من سورة الأنعام.

وهو المعروف، ومن هذا المعنى قول ربيعة بن مكرم في رجزه المشهور في قصته مع دريد بن الصمة وأصحابه^(١):

خَلَّ سَبِيلَ الْحَرَّةِ الْمَنِيعَةِ إِنَّكَ لَاقٍ دُونَهَا رِبِيعَهُ
فِي كَفِّهِ خَطِيئَةٌ مَطِيعَةٌ أَوْ لَا فَخْذَهَا طَعْنَةٌ سَرِيعَةٌ
وَالطَّعْنُ مِنِّي فِي الْوَرَى شَرِيعَةٌ

معنى: «خَلَّ سَبِيلَهَا» لا تتعرض لها واترك طريقها تذهب فيها وتتوجه كيف شاءت. ومن هذا المعنى قول كعب بن زهير^(٢):

فَقُلْتُ خَلُّوا سَبِيلِي لَا أَبَا لَكُمْ فَكُلُّ مَا قَدَّرَ الرَّحْمَنُ مَفْعُولٌ
وقوله: (خَلَّ سَبِيلَهَا) من كنايات الطلاق المعروفة عند الفقهاء في المذاهب. هذا معروف في كلام العرب، فكلُّ من تركته، وتركت له طريقه يذهب معها ويمر مقبلاً ومدبراً حيث شاء، فقد خلّيت سبيله، أي: تركته ولم تتعرض له، ومن هذا قول جرير يهجو عمر بن لحيء التميمي^(٣):

خَلَّ السَّبِيلَ لِمَنْ يَبْنِي الْمَنَارَ بِهِ وَابْرَزَ بَبْرَزةً حَيْثُ اضْطَرَّكَ الْقَدَرُ
قَدْ خَفْتُ يَا ابْنَ الْتِي مَاتَتْ مَنَافَقَةٌ مِنْ خَبْثِ بَرَزَةٍ أَنْ لَا يَنْزِلَ الْمَطَرُ

وهذا معنى: ﴿فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾.

(١) هذا الرجز في الأمالي (٢/ ٢٧١).

(٢) شرح قصيدة بانث سعاد للتبريزي ص ٣١.

(٣) البيتان في ديوانه ص ٢١١، شواهد الكشاف ص ٤٧، وبين البيتين سبعة عشر بيتاً، ولفظ الشطر الأول من البيت الأول:

(خل الطريق...)

وهذه الآية وأمثالها في القرآن هي التي تمسك بها الصديق أبو بكر (رضي الله عنه) في قتال أهل الردة، لما منعوا الزكاة، فإن الصحابة أولاً قالوا: كيف نقاتلهم وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله؟! ومن مثل هذه الآية استدلك أبو بكر (رضي الله عنه) لأن الله قال: ﴿فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ بعد ثلاثة شروط، وهي: توبتهم من الشرك، وإقامتهم الصلاة، وإيتاؤهم الزكاة. وقد تقرر في علم الأصول، أن الشرط المشروط بشروط متعددة لا يحصل المشروط إلا بجميعها. فلو قلت لعبدك: إن صام زيد، وصلى، وقام وقعد فأعطه ديناراً، فإنه لا يستحق الدينار إلا إذا فعل جميع الشروط كلها، ولذا تخلية سبيلهم مشروطة بهذه الشروط كلها؛ لأن ما عُلّق على شرطين أو شروط لا يتحصل إلا بجميع تلك الشروط، كما هو مقرر في الأصول. وأخت هذه الآية آية قريباً في قوله: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ [التوبة: آية ١١] مفهومه: أنهم إن لم يتوبوا، أو لم يقيموا الصلاة، أو لم يؤتوا الزكاة فلا تخلوا سبيلهم، وليسوا إخوانكم في الدين، أي: وهو كذلك.

وهذه الآية الكريمة قال بعض العلماء: يؤخذ منها أن من قال: «تُبْتُ» فقط لا يجتزىء بذلك حتى يفعل أفعالاً تدل على صحة ما يقول؛ لأن إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة براهين وأدلة على صدقه في توبته التي قال. وهذا معنى قوله: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: آية ٥] كثير المغفرة والرحمة، ومن رحمته ومغفرته الكثيرة توبته ورحمته للذين تابوا من شركهم، وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة، فهو كثير المغفرة والرحمة، يرحم هؤلاء ويغفر لهم؛ لأن من تاب تاب الله

عليه ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: آية ٣٨].

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ ابْلِغْهُ مَا مَنَّكَ ذَلِكَ بِهِمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: آية ٦].

(إن) هي الشرطية. وقوله: ﴿أَحَدٌ﴾: يقول علماء العربية: إنه مرفوعٌ بفعلٍ محذوف يفسره ما بعده. أي: وإن استجاركَ أحدٌ من المشركين؛ لأن ﴿إِنْ﴾ أداة شرط لا تتولى إلا الجمل الفعلية، فلا تتولى الجمل الاسمية؛ ولذا يقدر فعل بعدها. ف ﴿أَحَدٌ﴾ عند علماء العربية فاعلٌ فعلٍ محذوف يفسره ما بعده^(١).

والأحد معناه: الواحد، وأصل همزته مبدلة من واو، أصل الأحد: (وَحَد) بواو؛ لأنَّ هذه المادَّة أصلها واوية الفاء، وكثيراً ما تقول العرب في الوَحْدِ: الأحد، وربما نطقت بلفظ الوَحْد على أصله^(٢). ومن ذلك قول نابغة ذبيان^(٣):

كَأَن رَحْلِي وَقَدْ زَالَ النَّهَارُ بِنَا بَذِي الْجَلِيلِ عَلَى مُسْتَأْنَسٍ وَحِدٍ
وقوله: ﴿اسْتَجَارَكَ﴾ قد قَدَّمْنَا أَنَّ السَّيْنَ والتَّاءَ لِلطَّلَبِ فَمِنْ
معاني (استفعل) أَنَّ السَّيْنَ والتَّاءَ لِلطَّلَبِ، كقولهم: «استغفر ربه»
أي: طلبه المغفرة. و «استطعم» طلب الطعام، و «استسقى» طلب
السقيا، و «استنجد» طلب النجدة. وهكذا. فقوله: ﴿اسْتَجَارَكَ﴾
طلب الإجارة منك. والإجارة: هي الأمان. أن تجيره وتؤمنه من أذى

(١) انظر: القرطبي (٧٧/٨).

(٢) انظر: معجم مفردات الإبدال والإعلال ص ٢٧٥.

(٣) مضى عند تفسير الآية (٧١) من سورة البقرة.

قومك حتى يسمع ما أنزل إليك. وهذا معنى قوله: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ﴾ قال بعض العلماء: لما نادى علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) في الموسم بهذه الآية من سورة براءة، أتاه قوم فقالوا: إن انتهت هذه الأشهر الأربعة وانقضت أشهر الإمهال، وكان الواحد منا يريد أن يسمع من محمد ما يقول لينظر هل يتبعه أو لا، يُقتل؟! فقال لهم علي: لا يُقتل؛ لأن الله يقول: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ﴾^(١).

معنى هذه الآية الكريمة بإيضاح: أن بعض المشركين إذا أراد أن يسمع ما يقوله رسول الله ﷺ ليفهم معنى ما ينزل عليه ويعرف الأوامر التي يأمر بها، والنواهي التي ينهى عنها، والأشياء التي يدعو إليها، ليستيقن في قرارة نفسه أهو حق فيتبعه أو يعلم أنه ليس بحق فيصد عنه، وطلب أن يجار، أن يؤمّن، وألا يصل إليه أذى حتى يسمع القرآن، ويفهم ما أنزل على النبي؛ ليكون على بصيرة من أمره في الأخذ والترك، فإنه يجب أن يعطى ذلك الأمان حتى يسمع ويُتلى عليه القرآن، ويُفهم بما فيه من الزواجر والمواعظ، ثم بعد ذلك إن أسلم فيها ونعمت، وإن أصرّ على كفره وجب أن يرد إلى مأمّنه وهو محل داره التي يأمن فيها. هذا معنى قوله: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ﴾ طلبك أن تجيره وتؤمّنه.

﴿حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ هو هذا القرآن العظيم. وهذه الآية الكريمة من سورة براءة نص صريح في أن هذا الذي نقرؤه ونتلوه هو

(١) هذا الأثر ذكره القرطبي في التفسير عن سعيد بن جبير مرسلًا (٧٦/٨)، وأبو السعود (٤/٤٤)، والألوسي (١٠/٥٣).

بعينه كلامُ الله، فالصوت صوت القارئ، والكلام كلام الباري؛ لأنَّ الله صرَّح بأنَّ هذا المشرك المستجير يسمع كلام الله يتلوه عليه نبي الله ﷺ. فهذا المحفوظ في الصدور، المقروء في الألسنة، المكتوب في المصاحف، هو كلام الله (جَلَّ وعلا) بمعانيه وألفاظه. ولا شكَّ أنَّ أصل الكلام صفة الله (جَلَّ وعلا).

ونحن لا نحب إكثار الخوض فيه؛ لأنَّ هذه الصفة هي منشأ البلايا والمحن^(١)، ولكن نقول: إنَّ الكلام صفة الله التي لم يزل متصفاً بها، فلم يتجرد يوماً عن كونه متكلماً، فالكلام صفته المتصف بها أزلاً لم يتجرد، ومع كونه متكلماً فهو في كل وقت يتكلم بما شاء كيف شاء، على الوجه اللائق بكماله وجلاله، فكلامه صفته ليس بمخلوق.

وقد أشرنا - مراراً - إلى المحنة التي ابتلى الله بها المسلمين في أيام الدولة العباسية بالامتحان بالقول بخلق القرآن؛ لأنَّ محنة القول بخلق القرآن نشأت في أيام المأمون، ولم تزل في أيام المأمون حتى مات، واستفحلت في أيام المعتصم واستحكمت، وفي أيامه ضُرب سيد المسلمين في زمانه أحمد بن حنبل (رضي الله عنه وأرضاه)، يُضرب حتى يُرفع من محل الضرب لا يعرف ليلاً من نهار، وإذا أفاق قالوا له: قل: القرآن مخلوق. فيقول: لا، القرآن كلام الله، منه بدأ وإليه يعود. وكذلك مضى زمن الوثائق والمحنة قائمة على ساق وقدم، وقد أزالها الله على يد المتوكل غفر الله له وعفا عنه؛ لأنَّ محنة القول بخلق القرآن أزالها المتوكل على الله بعد

(١) يريد (رحمه الله) ما نشأ بسبب الاختلاف في هذه الصفة، وإلا فهي صفة كمال من كل وجه.

أن مضت في زمن المأمون والمعتصم والوائق. وكان بعض المؤرخين يقولون: إنها في أخريات أيام الواثق أنها بردت وانكسرت شوكتها وضعف شرها. وقد قدمنا في هذه الدروس السابقة^(١) أن ذلك على يد ذلك الشيخ الشامي، صاحب القصة المشهورة، وأنه شيخ جيء به من الشام أيام الواثق بالله، جيء به مكبلاً بالحديد ليمتحن ويقتل في محنة القول بخلق القرآن، وجيء به، وجلس الواثق يوماً – والرواية رواها الخطيب البغدادي عن ابن الواثق محمد من طرق أسانيد فيها ما يُنكر، ولكنها قصةٌ معناها صحيح، تلقاها العلماء بالقبول – وذلك أن الواثق لما أراد قتل ذلك الشيخ الشامي (رحمه الله) كان إذا أراد قتل أحد أحضر ولده محمداً – وهو الذي روى الخطيب هذه القصة من طريقه – فجيء بالرجل مقيداً بالحديد، فقال للواثق: السلام عليك يا أمير المؤمنين!! قال: لا سلمك الله. فقال الشيخ: بئس ما أدبك مؤدبك يا أمير المؤمنين!! الله يقول: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِخِطَابٍ فَحِيَّوْا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ [النساء: آية ٨٦] والله ما حييت بأحسن منها ولا رددتها. فقال الواثق: ائذنوا لأبي عبد الله – يعني الخبيث أحمد بن أبي دؤاد، عامله الله بما هو أهله؛ لأنه سبب هذه البلايا والمحن – وأحضره، فقال له ابن أبي دؤاد: الرجل متكلم!! فقال الواثق لابن أبي دؤاد: ناظر هذا الرجل. فقال الشيخ الشامي: ابن أبي دؤاد أحقر من أن يناظرني – كما جاء في بعض روايات قصته – فقال له ابن أبي دؤاد: ما تقول في القرآن؟ فقال الشيخ: يا ابن أبي دؤاد: ما أنصفتني. يعني: أن الذي يراد أن يقدم للقتل أحق بأن يكون هو السائل. فقال له: سل. فقال: ما تقول يا ابن أبي دؤاد

(١) مضى عند تفسير الآية (١١٤) من سورة الأنعام.

في القرآن؟ قال: أقول إنه مخلوق. قال: مقالتك هذه التي تدعو الناس إليها، وتأمروهم بها، ويفتن الخلفاء فيها يمتحنون فيها الناس بفتياك ورأيك، هل كان رسول الله ﷺ وخلفاؤه الراشدون — أبو بكر وعمر وعثمان وعلي — هل كانوا عالمين بها أو لا؟ فقال ابن أبي دؤاد: ما كانوا عالمين بها. فقال الشيخ الشامي: ما شاء الله!! ما شاء الله!! جهلها رسول الله وخلفاؤه الراشدون وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعلمها ابن أبي دؤاد!!، فقال ابن أبي دؤاد: أقلني، والمناظرة على بابها. فقال له: ذلك لك. ثم قال له: ما تقول في القرآن؟ قال: مخلوق. قال: مقالتك هذه التي تدعو الناس إليها هل كان رسول الله وخلفاؤه الراشدون عالمين بها أو لا؟ قال: كانوا عالمين بها، ولكنهم لم يدعوا الناس إليها. فقال له الشيخ الشامي: يا ابن أبي دؤاد: ألم يسعك في أمة محمد ﷺ ما وسع رسول الله في أمته، ووسع خلفاء الراشدين في رعاياهم؟! فألقمه حجراً وسكت، وقام الواثق وجلس في محل خلوته واضطجع، وجعل رجله على ركبته وقال: جهلها رسول الله ﷺ وخلفاؤه الراشدون وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعلمها ابن أبي دؤاد؟ ما شاء الله!! ما شاء الله!! ثم قال: علمها رسول الله ﷺ وخلفاؤه الراشدون ولم يدعوا الناس إليها، ألم يسعك يا ابن أبي دؤاد ما وسع رسول الله وخلفاء الراشدين في أمة محمد ﷺ؟ ثم دعا بالحداد وقال له: اذهب وفكّ قيد هذا الشيخ الشامي. وأعطاه أربعمئة دينار، وقال له: انصرف راشداً إلى أهلِكَ. وذكر الخطيب في بعض روايات هذه القصة بأسانيد ليست قائمة أنه بعد ذلك لم يمتحن أحداً. بل روى — أيضاً — عنه أن الواثق رجع عنها في أخريات حياته.

وعلى كل حال فالقرآن كلام الله وصفته الأزلية، ليس بمخلوق، منه بدأ وإليه يعود، وهو صفته الأزلية لم يتجرد عن كونه متكلماً يوماً ما، وهو في كل يوم يتكلم بما شاء، كيف شاء، على الوجه اللائق بكماله وجلاله (جَلَّ وعلا) من غير مشابهة للخلق، ومن غير تعطيل له من صفته (جَلَّ وعلا). وهذا معنى قوله: ﴿فَاجِرُهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾.

﴿ثُمَّ أبلغه مَأْمَنُ﴾ [التوبة: آية ٦] أبلغه إياه: أوصله إليه. والمأمن هنا: اسم مكان - أيضاً - كالمرصد، فالمأمن والمرصد كلاهما اسم مكان، فالمرصد مكان الرصد، والمأمن: مكان الأمن، أي: أبلغه مكان أمنه، وهو داره الذي جاء منها، وأهله الذي جاء من قبلهم. وهذا معنى قوله: ﴿أبلغه مَأْمَنُ﴾ ثم قال: ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور من الأمر بإجارة المشرك المستجير حتى يسمع كلام الله ويتفهمه واقع بسبب أنهم ﴿قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ لا يعلمون الوحي، ولا يفهمون عن الله، فإذا طلبوا أن يعلموا ويتعلموا ويسمعوا ما جاء عن الله فلا تمنعوه من ذلك، فأمنوهم حتى يسمعوا ويتفهموا ويعرفوا الحق لعل الله يهديهم، وهذا معنى قوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

قال تعالى: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَمُّوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ ﴿٧﴾ كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا ذِمَّةً يَرْضَوْنَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَأَتَانِ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨﴾ اشْتَرَوْا بِعَاقِبَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿١٥﴾ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا

الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَخِوْا نَفْسَكُمْ فِي الدِّينِ وَفَصِّلُوا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾
[التوبة: الآيات ٧ - ١١].

﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقْتُمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: آية ٧].

لما أنزل الله أول هذه السورة ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: آية ١] فنبد العهد إلى كل المعاهدين، وأعلمهم بأنهم حرب بعد مضي أربعة أشهر، ولم يستثن من ذلك إلا القوم الذين ثبتوا على عهدهم ولم ينقضوه، ولم يظاهروا أحداً على المؤمنين، بيّن في هذه الآية الكريمة أنّ ذلك الحكم المذكور في أول هذه السورة أنّه حكم واقع في محله، وأنّ نبذ العهود إلى المشركين أمرٌ في غاية الإحكام والصواب؛ لأنه قال: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ (كيف) هنا حرف يدل على الاستبعاد، يُستبعد جداً أن يكون للمشركين عهد يُحفظون به ويأمنون به على أنفسهم وأموالهم، مع خبث ما يبيطنونه من العداوة للمسلمين.

/والمعنى: أنّ نبذ عهودهم إليهم حكم في غاية الصواب واقع [١/٢]

في موقعه، موضوع في موضعه؛ لأنهم أهل خبث وأهل عداوة ومكر للإسلام، يستحقون بنذ عهودهم إليهم، وأن يكونوا حرباً، إلا الطائفة الذين ثبتوا. وهذا معنى قوله: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ﴾ يأمنون به على أنفسهم وأموالهم ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ يأمر نبيه بالوفاء به ﴿وَعِنْدَ رَسُولِهِ﴾ ﷺ يعمل لهم بمقتضاه ﴿إِلَّا﴾ الطائفة الثابتة التي لم يوجد منها غدر ولا مكر فهؤلاء مستثنون كما تقدم.

﴿إِلَّا الَّذِينَ﴾^(١) [عَهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقِيمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾] [التوبة: آية ٧] لأن صلح الحديبية الذي عقده النبي ﷺ مع قريش بواسطة سهيل بن عمرو العامري (رضي الله عنه) دخل في حلف قريش ودخل في صلحهم معهم قبائل من كنانة بن مدركة، منهم: بنو الدليل، وبنو ضمرة، وبنو مدلج أولاد بكر بن عبد مناة بن كنانة، وبنو جذيمة بن عامر، عامر هو ابن عبد مناة بن كنانة أخو بكر. فهم أربع قبائل من كنانة، هؤلاء القبائل الأربع من كنانة بن مدركة كانوا أهل عهد مع النبي ﷺ مع قريش، ثم نقض العهد منهم بنو الدليل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بأن عَدَوْا على خزاعة، ونقض معهم قريش حيث أعانوهم على الخزاعيين، وبقي بنو ضمرة وبنو جذيمة بن عامر وبنو مدلج على عهدهم لم ينقضوا، وهم الذين استثناهم الله^(٢).

وهذه المعاهدة وقع عهدها في الحديبية كما عليه جميع المؤرخين. والله (جلّ وعلا) ذكر أنها في المسجد الحرام، والتحقيق أن الحديبية بعضها في الحلّ وبعضها في الحرم. وهذه الآية تدل على أن معاهدة الحديبية وقعت في الطرف منها الذي هو من الحرم؛ لأنه جرت العادة أن الله ربّما أطلق المسجد الحرام وأراد به جميع الحرم، فالمراد به هنا: إلا الذين عاهدتم في حرم الله عند الحديبية.

(١) في هذا الموضع انقطع التسجيل، وقد أكملت بقية الآية وجعلت ذلك بين معقوفين.

(٢) مضى عند تفسير الآية (٩٦) من سورة الأنعام.

وأطلق على اسم الحرم «المسجد الحرام» لأنه من أهم أجزائه، وهو أسلوبٌ عربي معروف^(١)، ومن إطلاق المسجد الحرام على جميع الحرم: ﴿وَلَا تُقْبِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقْبِلُوكُمْ فِيهِ﴾ [البقرة: آية ١٩١] أي: لا تقابلوهم في جميع الحرم؛ ولأجل هذه الإطلاقات سيأتيكم أن قوله: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ [التوبة: آية ٢٨] أن المراد به لا يقربوا الحرم كله بعد هذا العام. وهذا معنى قوله: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ﴾ في صلح الحديبية ﴿عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾.

﴿فَمَا اسْتَقِمُوا لَكُمْ﴾ (ما) مصدرية ظرفية، وهي منصوبة بـ «استقيموا»^(٢)، أي: استقيموا لهم وأوفوا لهم بالعهد إلى تمام مدتهم في جميع المدة التي استقاموا فيها لكم، ولا تبدؤوهم بنقض العهد. وهذا معنى قوله: ﴿فَمَا اسْتَقِمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾ كما تقدم في قوله: ﴿فَاتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ﴾ [التوبة: آية ٤] هذا معنى قوله: ﴿فَمَا اسْتَقِمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾. والذين قالوا: إنها نزلت في قريش^(٣). يظهر أن قولهم خلاف التحقيق؛ لأن قريشاً نقضوا العهد وحاربهم النبي ﷺ في فتح مكة قبل نزول هذه الآيات من براءة؛ لأنها نزلت عام تسع، وأرسل النبي بها علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) بعد أبي بكر ينادي بها في الموسم عام تسع. وفي ذلك الوقت أهل مكة قد نقضوا قبل هذا بزمان، وغزاهم النبي ﷺ

(١) سيأتي عند تفسير الآية (٢٨) من هذه السورة.

(٢) انظر: الدر المصون (١٥/٦).

(٣) انظر: ابن جرير (١٤٣/١٤).

وفتح مكة عنوة على التحقيق، وظفر بهم، وسمّوا الطلقاء، وأعطى عهداً لمن أراد منهم أن يتربّص كصفوان بن أمية ومن في معناه. وهذا معنى قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقِمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ ويدخل في المتقين دخولاً أولياً: الذين لا ينقضون العهود ويوفون بالعهود؛ لأن الوفاء بالعهد وعدم نقضه ونكثه من تقوى الله (جلّ وعلا)، والمتصف بالتقوى يحبه الله. وهذا معنى قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾.

﴿كَيفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [التوبة: آية ٨].

هذا تأكيد بعد تأكيد؛ لأن حكم الله بنبذ العهود إلى الكفار أمرٌ في غاية الإحكام والصواب، واقعٌ في موقعه، موضوعٌ في موضعه، والفعل هنا محذوف دلّ ما قبله عليه^(١). أي: كيف يكون لهم عهدٌ عند الله وعند رسوله وحالهم أنهم ﴿إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾ أي: إن يغلبوكم ويقهروكم ويجدوا فرصة يهينونكم بها لا يراعون فيكم العهود ولا الذمم، ولا يراعون شيئاً، بل يقتلونكم، فمن كانوا بهذه المثابة من الغدر والمكر والخيانة وسوء الطوايا والنيات، نبذ عهودهم إليهم هو أمرٌ في غاية الحكمة والإصابة. وهذا معنى قوله: ﴿كَيفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا﴾ كيف يكون لهم — للمشركين — عهد والحال أنهم إن يظهروا، وقد علّم من اللغة العربية أن العرب ربّما تحذف الفعل بعد (كيف) إذا تقدم ما يدلّ عليه؛ لأن (كيف) هنا حُذف بعدها

(١) انظر: ابن جرير (١٤/١٤٥)، القرطبي (٨/٧٨).

قوله: ﴿كَيْفَ﴾ يكون لهم عهدٌ عند الله وعند رسوله والحال أنهم وِغْرَةٌ صدورهم، حرب أضداد ﴿وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً﴾ ونظير هذا من كلام العرب في حذف الفعل بعد كيف إذا دلّ المقام عليه قول الشاعر^(١):

وَحَبَّرْتُ مَانِي أُنْمَا المَوْتُ بِالقُرَى فكيف وهاتَا هَضْبَةٌ وَقَلِيبُ

ويروى: «فكيف وهاتَا هَضْبَةٌ وكثيب»، هذا قاله بدويّ أعرابي قال له قوم: إن القرى والمدن والحضر فيها الوباء، يموت الناس فيها غالباً. والصحة أجود في الصحاري؛ لأن أهلها أقلّ موتاً!! فخرج إلى الصحراء، فلما خرج إلى الصحراء فإذا قبر في الصحراء بجانب كثيب وهضبة فقال:

وَحَبَّرْتُ مَانِي أُنْمَا المَوْتُ بِالقُرَى فكيف وهاتَا هَضْبَةٌ وَقَلِيبُ

أي: فكيف مات هذا وهو في البادية وليس في القرى؟ وهذا معنى قوله: ﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾ ﴿يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾ معناه: يغلبوكم ويتصروا عليكم، تقول العرب: ظهروا عليهم: إذا غلبوهم وانتصروا عليهم. ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَيُّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَاصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ [الصف: آية ١٤] أي غاليين منتصرين؛ لأن أصل (ظَهَرَ): علاه فطلع على ظهره، والغالب كأنه يعلو المغلوب حتى يقف على ظهره، ومنه قوله: ﴿فَمَا اسْتَطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾ أي: يعلوا ظهره^(٢) ﴿وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُمْ نَقْبًا﴾ [الكهف: آية ٩٧]. كيف يكون

(١) البيت لكعب بن سعد الغنوي، وهو في ابن جرير (١٤/١٤٥)، القرطبي (٧٨/٨).

(٢) انظر: القرطبي (٧٨/٨).

لهم عهد وهم بهذه المثابة من خبث النِّيَّات والطَوِّيَّات، وشدة العداوة، وِغْرَةً صدورهم، والحال ﴿إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾ أي: يغلبوكم ويقهروكم وينتصروا عليكم ﴿لَا يَرْقُبُوا﴾ أي: لا يراعوا فيكم.

﴿إِلَّا وَلَا ذِمَّةٌ﴾ ولا يحفظوا لكم ﴿إِلَّا وَلَا ذِمَّةٌ﴾ اعلموا أن المراد بـ (الإلّ) هنا فيه لعلماء التفسير أقوالٌ متقاربة^(١):

قال بعض العلماء: (الإلّ) اسم الله بالعبرانية. واستأنسوا لهذا ببعض القراءات الشاذة: (لا يرقبوا فيكم إيلًا ولا ذمة)^(٢) والإيل من أسماء الله بالعبرية. فجبرائيل معناه: عبد الله، وإسرافيل: عبد الله، وإسرائيل: عبد الله. وهذا القول قال به جماعة من العلماء، أن (الإيل والإلّ) تطلق على الله، ومعروفٌ في قصة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) أنه لما جاءه قوم من أصحاب مسيلمة الكذاب وقال لهم: اقرؤوا علي مما يدّعي أنه ينزل عليه. فقرؤوا عليه شيئاً من ترّهات مسيلمة الكذاب، فقال: أنتم تعلمون أن هذا لم يخرج من إلّ؛ أن هذا كلام لم يصدر من الله. وعلى هذا القول فالمراد: إن يظهروا عليكم ويغلبوكم لا يراقبوا فيكم الله، ولا يراعوا فيكم الله، ولا العهود. هذا قال به قوم.

وقالت جماعات من العلماء: (الإلّ) هنا المراد به القربة، أي: لا يراعون فيكم قربة، بل يقتلونكم وإن كنتم من قرابتهم. وبهذا قال جماعات من علماء التفسير، وإطلاق الإلّ على القربة

(١) انظر: ابن جرير (١٤٦/١٤ - ١٤٩)، القرطبي (٧٩/٨)، الدر المصون (١٧/٦ - ٢٠).

(٢) انظر: المحتسب (٢٨٣/١).

معنى معروف في كلام العرب مشهور، ومنه قول تميم بن مقبل^(١) :
 أَفْسَدَ النَّاسَ خُلُوفٌ خَلَفُوا قَطَّعُوا الْإِلَّاءَ وَأَعْرَاقَ الرَّحِمِ
 أي: قطعوا القربات ولم يصلوها، ومنه بهذا المعنى قول
 حسان بن ثابت رضي الله عنه^(٢) :

لَعَمْرُكَ إِنَّ إِلَّكَ فِي قُرَيْشٍ كَيْلَ السَّقْبِ مِنْ رَأْلِ النَّعَامِ
 يعني: إن قرابتك في قريش كذب كقراة السقب الذي هو
 الحوار - أعني ولد الناقة - من رأل النعام، ولا قرابة بين أولاد الإبل
 وأولاد النعام، ومن هذا المعنى قول يزيد بن مفرغ الحميري في شعره
 الذي ينفي به نسب زياد بن أبيه عن قريش، ويعاتب معاوية في
 استلحاقه له؛ لما كان بينه وبين عبّاد بن زياد من العداوة، وما أهانه
 به عبّاد بن زياد كما هو معروف، قال يزيد بن مفرغ الحميري في ذلك
 أبياته المشهورة التي يقول فيها^(٣) :

أَلَا أُبْلِغُ مُعَاوِيَةَ بْنَ حَرْبٍ مَغْلَغَلَةً مِنَ الرَّجْلِ الْيَمَانِي
 أَتَغْضَبُ أَنْ يُقَالَ أَبُوكَ عَطَفٌ وَتَرْضَى أَنْ يُقَالَ أَبُوكَ زَانِي
 إلى أن قال في ابن زياد:

فَأَشْهَدُ أَنَّ إِلَّكَ مِنْ قُرَيْشٍ كَيْلَ الْجِلِّ مِنَ وَلَدِ الْأَتَانِ

أي: إن قرابتك في قريش، وهذا معنى معروف في كلام
 العرب، وعلى هذا القول ﴿لَا يَرْقُبُونَ﴾ أي: لا يراعون ولا يحفظون

(١) البيت في ابن جرير (١٤٨/١٤).

(٢) ديوانه ص ٢٤٢، والسقب: ولد الناقة، والرأل: ولد النعام.

(٣) الأبيات في تاريخ دمشق (١٨٠/٦٥ - ١٨١) ولفظ البيت الثالث فيه:

فَأَشْهَدُ أَنَّ رَحِمَكَ مِنْ زِيَادٍ كَرَحِمِ الْفِيلِ مِنْ وَلَدِ الْأَتَانِ

فيكم ﴿إِلَّا﴾ أي: قرابة ﴿وَلَا ذِمَّةٌ﴾ أي: لا قرابة ولا عهداً، وقال بعض العلماء: الإلّ هو الحلف، فالعرب تقول: بيني وبين فلان إلّ. إذا كان بينكما حلف. قالوا: واشتقاق (الإلّ) أنهم كانوا إذا تحالفوا وتماسحوا بالأيدي عند الحلف رفعوا أصواتهم، والعرب تقول: «ألّ، يؤلّ» إذا صرخ ورفع صوته، ومنه: «أليل المريض» أي: أنين المريض المرتفع، والعرب تقول: «دعت الجارية أَلَّيْهَا» إذا ولولت؛ لأن الأليل صراخٌ وصوت. ومن قولهم: «دعت الجارية أَلَّيْهَا» إذا ولولت قول الكميت^(١):

وَأَنْتَ مَا أَنْتَ فِي غَبْرَاءٍ مُّظْلَمَةٍ إِذَا دَعَتْ أَلَّيْهَا الْكَاعِبُ الْفُضْلُ

وقال قومٌ آخرون: إن (الإلّ) معناه العهد. وعلى هذا القول فهو شيءٌ معطوفٌ على نفسه باختلاف اللفظين، وقد قدّمنا في هذه الدروس مراراً^(٢) أن عطف الشيء على نفسه بلفظين مختلفين أنه أسلوبٌ عربيٌّ معروف؛ لأن المغايرة في اللفظ ربما نزلتها العرب كمغايرة المعنى. وهذا الأسلوب في اللغة العربية وفي القرآن، فمن أشهر أمثله في القرآن قوله تعالى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى^(٣) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى^(٤) وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى^(٥)] [الأعلى: الآيات ١ - ٤] لأن (الذي) و (الذي) كلها واقعة على شيء واحد هو الله (جلّ وعلا)، إلا أنه لما اختلفت الألفاظ صار العطف بسبب اختلافها، وهو أسلوب معروف في العربية، ومن شواهد المشهورة قول الشاعر^(٣):

(١) البيت في اللسان (مادة: أَلّ) (٨٦/١)، الدر المصون (٢٠/٦).

(٢) مضى عند تفسير الآية (٥٤) من سورة البقرة.

(٣) السابق.

إلى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتبية في المزدحم
وهو كثير في كلام العرب، ومما أنشده له صاحب اللسان قول
الشاعر^(١):

إني لأعظم في صدر الكمّي على ما كان في زمن التجدير والقصر
وقول عنتره في معلقته^(٢):

حييت من طلل تقادم عهده أقوى وأقفر بعد أم الهيثم
لأن (الإقواء) و (الإقفار) معناهما واحد. و (التجدير)
و (القصر) معناهما واحد.

واختار كبير المفسرين أبو جعفر بن جرير الطبري
— رحمه الله — أن هذه المعاني كلها يجب حمل (الإلّ) عليها؛ لأنه
شامل للعهد والقراية، والحلف^(٣)، أي: لا يراعون فيكم عهداً،
ولا قراية، ولا حلفاً، ولا يراعون الله فيكم. وهذا الذي ذهب إليه هو
من حمل المشترك على معانيه، وحمل المشترك على معانيه أو معانيه
مما اختلف فيه علماء الأصول، والذي حرره المحققون من أصولي
أصحاب المذاهب الأربعة هو جواز حمل المشترك على معانيه
أو على معانيه^(٤)، فيجوز أن تقول مثلاً: عدا للصوص البارحة على

(١) البيت في اللسان (مادة: جدر) (١/٤١٧).

(٢) البيت في ديوانه ص ١١٨.

(٣) تفسير ابن جرير (١٤/١٤٨).

(٤) انظر: شرح الكوكب المنير (٣/١٨٩ — ١٩٥)، البحر المحيط في أصول الفقه
(٢/١٢٦ — ١٤٨، ٣/١٦٦ — ٤٧٢)، مجموع الفتاوى (١٣/٣٤٠ — ٣٤١)،
زاد المعاد (٥/٦٠٦)، قواعد التفسير (٢/٨١٩).

عين زيد. تعني: أنه عَوَّروا عينه الباصرة، وغَوَّروا عينه الجارية، وسرقوا عينه التي هي ذهبه وفضته فتحمله على الجميع إذا قصدت ذلك وكان في كلامك ما يدل عليه، وهذا معنى قوله: ﴿لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً﴾.

﴿يَرْقُبُوا﴾ معناه: يحفظوا ويراقبوا ويراعوا. والذمة: معناه العهد، وكل ما تجب المحافظة عليه ويؤاخذ بنكته تسميه العرب (ذمة). وهو هنا: العهد، وهذا معنى قوله: ﴿لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً﴾ ﴿يَرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ يعني: يبذلون لكم الكلام الطيب الحلو باللسان دون ما في القلوب؛ لأن ما في قلوبهم من البغض وإضرار العداوة والشحناء لا يساعد وما تجري به ألسنتهم، فالألسنة تقول شيئاً وما تنطوي عليه الصدور شيء آخر. وهذا معنى قوله: ﴿يَرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ﴾ أن توافق ما ينطقون به بأفواههم لما هي منظوية عليه من الكفر والبغض وشدة العداوة لكم. وهذا معنى قوله: ﴿وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾ والقلوب هنا جمع قلب. وهذه الآيات وأمثالها تدلُّ على أن الذي يدرك ويقع فيه الإباء والانقياد وجميع أنواع الإدراك كله القلب^(١). وذلك أمرٌ لا شك فيه؛ لأن الذي خلق العقل ومنّ بالعقل أعلم حيث وضع العقل، فالله (جلّ وعلا) في آيات كتابه يبيّن دائماً أنه جعله في القلب كقوله: ﴿قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: آية ١٧٩] وقوله: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: آية ٤٦] ولم يقل الله يوماً ما: «ولكن تعمي الأدمغة التي في

(١) مضى عند تفسير الآية (٧٥) من سورة البقرة.

الرؤوس». ولم يقل: «فإنها لا تعمى الأدمغة» أبداً؛ لأن العقل محلُّ القلب هذا جاء به الوحي الصحيح وكلام من خلق القلب وتفضل بالقلب، فلم يأت في آية واحدة ولا في حديث واحد أن مركز العقل في الدماغ أبداً، لم يقل الله: «لهم أدمغة يفقهون بها» أبداً، ولكن يقول: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ﴾، و﴿وَتَأْتِي قُلُوبُهُمْ﴾ ولم يقل: «وتأبى أدمغتهم» أبداً، والذي خلق القلب ومن به ووضعه لا شك أنه أعلم بالمحل الذي وضع به من فلسفات الكفرة الفجرة الجهلة وأذنانهم، وهذا معنى قوله: ﴿وَتَأْتِي قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [٨] الفسق: الخروج عن طاعة الله، فكل خارج عن طاعة الله فهو فاسق، ومنه قوله: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [الكهف: آية ٥٠] أي خرج عن طاعة ربه، والعرب تقول: «فسق عن الطريق» إذا خرج منها. ومنه قول الراجز^(١):

يَهْوَيْنَ فِي نَجْدٍ وَغَوْرًا غَائِرًا فَوَاسِقًا عَنْ قَصْدِهَا جَوَائِرًا
فوَاسِقًا: أي: خارجات عن طريقهن.

والمراد بالفسق شرعاً: هو الخروج عن طاعة الله. والخروج عن طاعة الله قد يعظم، وقد يكون بعضه أعظم من بعض، فالخروج الأكبر هو الكفر بالله، والمعاصي والكبائر خروج دون خروج؛ ولذا سُمِّي الكافر فاسقاً؛ لأنه خارج عن طاعة الله الخروج الأعظم، كقوله جل وعلا: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ [البقرة: آية ٢٦] وقد يطلق الفسق على خروج دون خروج، كالمرتكب لبعض الذنوب، كقوله: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ﴾ [الحجرات: آية ٦].

(١) مضى عند تفسير الآية (٥٩) من سورة البقرة.

وفي هذه الآية الكريمة سؤال معروف، وهو أن يقال: لِمَ قال: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾ وهم جميعهم فاسقون، أكثرهم وأقلهم، كلهم فاسقون، فما وجه التعبير بقوله: ﴿أَكْثَرُهُمْ؟﴾.

أجاب جماعة من العلماء عن هذا السؤال بأن المراد بالفسق هنا فسق خاص، وهو فسق نقض العقود وعدم الوفاء بها^(١)، أي: وأكثرهم ناكثون، ناقضون للعهود، فاسقون هذا النوع الخاص من الفسق. وإن كان الجميع مشتركين في أنواع الفسق والكفر. وهذا معنى قوله: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾.

﴿أَشْتَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: آية ٩].

﴿أَشْتَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ الاشتراء في لغة العرب التي نزل بها القرآن معناه: الاستبدال، فكل أحد استبدل شيئاً من شيء تقول العرب: اشتراه، فلاشتراء في لسانها يتناول كل استبدال كائناً ما كان، ومن هذا المعنى قول الراجز^(٢):

بُذِّلْتُ بِالْجُمَّةِ رَأْساً أَزْعَرَا وبالثَّنَايَا الواضِحَاتِ الدَّرْدَرَا
كما اشترى المسلمُ إذ تنصَّرا

أي: كما تبدل المسلم، إذا أخذ النصرانية بدل الدين.

والثمن في لغة العرب: تطلقه على كل عوض كائناً ما كان، تسميه العرب ثمناً. أما إطلاق (الشراء) على الثمن والمثمن، وتسمية المبيع (مُثْمَنًا)، والمدفوع فيه (ثمنًا) فهو اصطلاح خاص للفقهاء في

(١) انظر: ابن جرير (١٤/ ١٥٠)، البغوي (٢/ ٢٧١)، القرطبي (٨/ ٨٠).

(٢) مضى عند تفسير الآية (٧٩) من سورة البقرة.

البيوع. ومن إطلاق (الشراء) على الاستبدال و(الثلث) على كل عوض في اللغة العربية قول علقمة بن عبدة التميمي^(١):
والْحَمْدُ لَا يُشْتَرَى إِلَّا لَهُ ثَمَنٌ مما تَضِنُّ به النفوسُ معلومٌ
ومن هذا المعنى قول ابن أبي ربيعة المخزومي^(٢):

إِنْ كُنْتَ حَاوَلْتَ دُنْيَا أَوْ أَقَمْتَ لَهَا ماذا أَخَذْتَ بتركِ الْحَجِّ مِنْ ثَمَنِ
أي: من عوض يخلفه لك. وهذا معنى ﴿أَشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾
استبدلوا بآيات الله الشرعية — التي هي هذا القرآن العظيم — تركوها
وتعوضوا منها ثمناً قليلاً. واختلف العلماء بالمراد بهذا الثمن
القليل^(٣)، فقال جماعة من العلماء: هي نزلت في قوم من الأعراب
الذين كانوا عاهدوا النبي ﷺ فدعاهم أبو سفيان بن حرب،
وأطعمهم أَكْلَةً، ونقضوا العهد بسبب ذلك. وهذا قاله جماعة كثيرة
من المفسرين في هذه الآية. وهو مستبعد جداً؛ لأن هذه الآية من
براءة نزلت بعد إسلام أبي سفيان؛ لأن أبا سفيان أسلم عام الفتح عام
ثمان، وهذه نزلت عام تسع.

وقال بعض العلماء: هي في اليهود؛ لأنهم هم الذين تبدلوا
الرُّشَا من بيان الحق، وهو ضعيف أيضاً.

والتحقيق — إن شاء الله — أن المعنى: أن الكفار تبدلوا من
آيات الله والعمل بما جاء عن الله ثمناً قليلاً من متاع الحياة الدنيا،
وهو — مثلاً — عدم التقيد بالشرع، وبقاؤهم على ما كانوا عليه،

(١) مضى عند تفسير الآية (٧٩) من سورة البقرة.

(٢) السابق.

(٣) انظر: ابن جرير (١٤/ ١٥٠)، البغوي (٢/ ٢٧١)، القرطبي (٨/ ٨٠).

واتباعهم أهواءهم، كما قال (جل وعلا): ﴿يَشْكِمَا آسْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ [البقرة: آية ٩٠] فتعوضوا من هذا اتباعهم هواهم، وبقاءهم على ما كانوا عليه؛ لأنه أحب إليهم. وهذا شيء تافه تعوضوا منه سعادة الدنيا والآخرة. وهذا معنى قوله: ﴿أَشْتَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾.

﴿فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ﴾ الظاهر أن (صد)^(١) هنا هي المتعدية، والمفعول محذوف. أي: فصدوا الناس عن سبيله؛ لأن صدودهم في أنفسهم معلوم من قوله: ﴿أَشْتَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ لأن من اشترى بآيات الله ثمناً قليلاً فهو صادم عن سبيل الله، فبين أنهم ضلّال بقوله: ﴿أَشْتَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا﴾ وبين أنهم مضلون بقوله: ﴿فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ﴾ أي: صدوا غيرهم عن سبيل الله (جل وعلا).

والسبيل: معناه الطريق. وسبيل الله: دين الإسلام؛ لأنه طريق الله التي أمر بها ووعد الجزاء الحسن لمن اتبعها؛ ولذا سُميت: (سبيل الله) أي: طريقه التي يدعو إليها، والتي توصل إلى رضاه، وإلى نيل ما عنده من الكرامة.

وقد قدمنا أن (السبيل) تُذَكَّر وتؤنث^(٢)، فمن تذكيرها في القرآن: قوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْوُا سَبِيلَ الرَّشِدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَكْرُوا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ﴾ [الأعراف: آية ١٤٦] برجوع الضمير مذكراً على السبيل. ومن تأنيث السبيل: ﴿هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف: آية ١٠٨] ولم يقل: «هذا سبيلي أدعو إلى الله».

(١) مضى عند تفسير الآية (٤٥) من سورة الأعراف.

(٢) مضى عند تفسير الآية (٥٥، ١١٦) من سورة الأنعام.

وهذا معنى قوله: ﴿فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: آية ٩].

﴿سَاءَ﴾: فعل جامد لإنشاء الذم. هو بمعنى (بئس)؛ لأن (سَاء) بمعنى (بئس) وتعمل عمل (بئس) (...).^(١)

و (ما) إذا جاءت بعد (بئس) أو (نعم) قال بعض العلماء: يجوز أن تكون نكرة مميزة للفاعل الذي هو الضمير المحذوف، ويجوز أن تكون هي فاعل (بئس) و (سَاء) و (نعم)^(٢). وهذا معنى قوله: ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ فعلى أنها مميزة فالتقدير: (سَاء هو) أي: بئس هو شيئاً كانوا يعملونه. وعلى أنه فاعل فالأمر واضح. وهذا معنى قوله: ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ﴾ [التوبة: آية ١٠] كائناً من كان ﴿إِلَّا وَلَا ذِمَّةً﴾ أي: قرابة ولا عهداً. أو: لا يرقبون في مؤمن الله، لا يرقبون الله ولا يخافونه في المؤمنين فيتقون الله فيهم.

ثم قال: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾ [المعتدي: (مُفْتَعِل)] من العدوان، والعدوان: مجاوزة الحد. والمراد بالمعتدين: الذين يجاوزون ما أحل الله إلى ما حرم. وهذا معنى قوله: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾.

ثم قال: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ﴾ [التوبة: آية ١١] فسرناها بالأمس.

﴿فَإِخْوَانُكُمْ﴾ أي: فهم إخوانكم في الدين. مفهومه: أنهم إن

(١) في هذا الموضع كلمة غير واضحة.

(٢) انظر: التوضيح والتكميل (١١٧/٢).

لم يتوبوا من الشرك، أو لم يقيموا الصلاة، أو لم يؤتوا الزكاة لا يكونون إخواننا في الدين. وهذا معنى قوله: ﴿فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾.

ثم قال تعالى: ﴿وَفُصِّلَ الْآيَاتِ﴾ آيات هذا القرآن العظيم، نفصلها معناه: نبينها ونوضحها، ولا نترك بها إجمالاً.

﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (١١) إنما خص القوم الذين يعلمون لأنهم هم المنتفعون بها؛ لأن من لم يرزقهم الله علماً لا ينتفعون بها. وجرت العادة في القرآن أنه يخص بالشيء العام المنتفعين به دون غيرهم، كقوله: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَّنْ يَخْشَاهَا﴾ (١٥) [النازعات: آية ٤٥] لأنه المنتفع بالإنذار، وإن كان منذاراً للأسود والأحمر ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ﴾ [يس: آية ١١] لأنه المنتفع مع أنه منذر للأسود والأحمر ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ (١٥) [ق: آية ٤٥] لأنه هو المنتفع، وإن كان يُذكر جميع الخلق بالقرآن^(١). إلى غير ذلك من الآيات الدالة على هذا المعنى. ونرجو الله (جلّ وعلا) أن نكون ممن يفهم عن الله تفصيله لآياته؛ لأن هذا القرآن العظيم فصل الله فيه كل شيء، وأوضح فيه كل شيء ﴿وَلَقَدْ جِئْتَهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عَلَيْهِمْ هُدًى وَرَحْمَةً﴾ الآية [الأعراف: آية ٥٢].

﴿وَإِنْ تَكْفُرُوا أَتَمْنَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَتَلُوا أَبْنَاءَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُوْنَ﴾ (١٧) ﴿أَلَا تَقْتُلُونَ قَوْمًا نَّكَرُوا أَيْمَنَهُمْ وَهَكُمُوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أُولَٰئِكَ مَرَّةٌ كَانُوا فِيهَا يَخْتَفُونَ﴾ (١٧) ﴿قَتَلُوهُمْ يَعَذِّبُهُمُ اللَّهُ﴾

(١) مضى عند تفسير الآية (٥١) من سورة الأنعام.

بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْرِجُهُمْ وَيَضْرِبُكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾
وَيَذْهَبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ أَمْ
حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا
رُسُلِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ [التوبة: الآيات
١٢ - ١٦].

[هذه] ^(١) الآيات من سورة براءة يكاد المفسرون من الصحابة
فمن بعدهم يُجمعون على أنها نازلة في نقض أهل مكة للعهد الذين
عقدوه مع النبي ﷺ بالحديبية ^(٢)، وذلك يدل على أن بعض هذه
الآيات من سورة براءة نزلت قبل التاريخ الذي كنا نقول؛ لأن هذا
نازل قبل عام تسع على القول بأنها في أهل مكة، وعامة المفسرين
يقولون: إنها فيهم، ولا نعلم أحداً ممن اشتهر عنهم أخذ العلم يقول
في غيرهم إلا القول المروي عن حذيفة بن اليمان (رضي الله عنه) أن
هذه في قوم لم يقاتلوا بعد وقت نزولها ^(٣). وعلى هذا القول فلا
تُحفظ تفاصيل لهذا النكت والنقض، بل الظاهر والسياق يقتضي أنها
في أهل مكة؛ لأن قوله: ﴿وَهَكُمُوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ﴾ [التوبة:
آية ١٣] الذين هموا بإخراجه هم أهل مكة، وعلى هذا عامة
المفسرين.

ومعنى الآية الكريمة: ﴿وَأِنْ كَثُرُوا أَتَمَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ﴾

(١) في هذا الموضع وُجد انقطاع يسير في التسجيل، وما بين المعقوفين [] زيادة
يتم بها الكلام.

(٢) انظر: ابن جرير (١٤/١٥٤)، القرطبي (٨/٨٤).

(٣) أخرجه ابن جرير (١٤/١٥٦)، وابن أبي حاتم (٦/١٧٦١)، وأورد البغوي

(٢/٢٧٢) عن مجاهد قوله: «هم أهل فارس والروم».

[التوبة: آية ١٢] النكث في لغة العرب: هو تفكيك طاقات الشيء المفتول، فالحبل المفتول - مثلاً - إذا فككت طاقاته، وجعلت كل واحدة منها على حدة فقد نكثته، وقد نقضته، كما في قوله: ﴿كَأَلَيْكَ نَقَضَتْ غَزَلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَا﴾ [النحل: آية ٩٢] جمع نكث. وعلماء البلاغة يقولون: إن النكث والنقض حقيقة في الحسيات، كل مفتول فككت بين طاقاته فقد نقضته وقد نكثته، وأنها في المعنويات كالعهود مستعارة^(١). ونحن دائماً نقول: إنها أساليب عربية نطقت بها العرب منذ تكلمت بلغتها، ونزل بها القرآن، يطلق النكث على تفكيك طاقات الحبل، ويطلقه أيضاً على الإخلال بالعهود ونقضها وإبطالها.

﴿وَإِنْ تَكُونُوا آمِنًا﴾ الأيمان: جمع يمين. قال بعض العلماء: هي العهود^(٢). وقال بعض العلماء: هي الأيمان التي تؤكد بها العهود؛ لأنهم إذا أخذت عليهم العهود أكدوها بالأيمان.

وقوله: ﴿مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ﴾ أي: من بعد العهد الذي عقده مع النبي ﷺ.

﴿وَإِنْ تَكُونُوا آمِنًا مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ﴾ الطعن في الدين معناه: استنقاصه وثلبه بالمعائب. يقولون: إن دين الإسلام ليس بشيء، وأنهم يعيبونه إذا نقضوا العهد وعابوا الدين وثلبوه.

(١) انظر: المفردات (مادة: نكث) (٨٢٢)، القرطبي (٨/٨١)، فتح القدير

(٢/٣٤١)، التحرير والتنوير (٩/٧٣).

(٢) انظر: ابن جرير (١٤/١٥٦).

﴿فَقَلِيلُوا أَيْمَةً الْكُفْرِ﴾ الأصل: فقاتلوهم، إلا أن هؤلاء الذين ينقضون العهود ويسبون الدين أجرى الله العادة أنهم الرؤساء المتبوعون؛ لأن الله أجرى عادته بأن الذين يناصرون الرسل بالعداوة هم القادة المتبوعون المترفون، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا﴾ [الزخرف: آية ٢٣] المتنعمون الكبار منها. وهذه سنة الله في خلقه؛ ولذلك لما سأل هرقل أبا سفيان في حديثه الصحيح المشهور: أشراف الناس يتبعونه أم ضعافهم؟ فقال: بل ضعافهم. قال: أولئك أتباع الأنبياء^(١). وهذه سنة الله في كونه؛ ولذا قال: ﴿فَقَلِيلُوا أَيْمَةً الْكُفْرِ﴾.

قرأ هذا الحرف من السبعة نافع وابن كثير وابن عامر: ﴿أَيْمَةً الْكُفْرِ﴾ بجعل الهمزة الأخيرة بين بين^(٢)، وقرأه عامة الباقيين من السبعة: ﴿أَيْمَةً﴾ بتحقيق الهمزتين.

والأئمة جمع إمام، وأصله: أئمة وزنه: (أَفْعَلَة) جمع (فَعَال) كمثال وأمثلة. توصل فيه إلى الإدغام بتسكين الميم الأولى، ونقلت حركتها إلى الهمزة فقليل فيه: (أئمة)^(٣) والأئمة جمع الإمام، والإمام

(١) مضى عند تفسير الآية (٩٣) من سورة الأنعام.

(٢) قال ابن مجاهد في كتاب السبعة ص ٣١٢: «قرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع: (أَيْمَةً) بهمز الألف وبعدها ياء ساكنة، غير أن نافعاً يُختلف عنه في ذلك... وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي: (أئمة) بهمزتين». اهـ، وانظر: المبسوط لابن مهران ص ٢٢٥، النشر (١/ ٣٧٨ - ٣٧٩)، وقد فصل في كيفية تسهيل الهمزة الثانية، ونقل مذاهب القراء في ذلك.

(٣) انظر: القرطبي (٨/ ٨٤)، حجة القراءات ص ٣١٥، الدر المصون (٦/ ٢٥)،

معجم مفردات الإبدال والإعلال ص ٢٧.

هو: المقتدى به. وللکفر أئمة يقتدى بهم فيه — والعياذ بالله — كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَكْذُبُونَ إِلَى الْكَارِ﴾ الآية [القصص: آية ٤١].

﴿فَقَالُوا أَيْمَةً الْكُفْرِ﴾ أي: رؤساء الكفر وعظماءه الذين عابوا دينكم ونقضوا عهودكم. والعادة أن الذي يتصدى لتكذيب الرسل وعنادهم وعداوتهم الرؤساء المتبوعون، شياطين الإنس. وما جرى على ألسنة كثير من العلماء هنا أنهم: أبو جهل وأمية بن خلف وسهيل بن عمرو إلى أشراف المذكورين في غزوة بدر، فهو خلاف الظاهر^(١) للإجماع على تأخر هذه الآيات كثيراً إلى عام تسع، أو إلى أنها نزلت قبل الفتح عام ثمان، وهذا معنى قوله: ﴿إِنَّهُمْ لَا أَيْمَنَ لَهُمْ﴾.

قرأ هذا الحرف عامة السبعة غير ابن عامر: ﴿إِنَّهُمْ لَا أَيْمَنَ لَهُمْ﴾ بفتح الهمزة. وهو جمع يمين، وقرأه ابن عامر من السبعة: ﴿إِنَّهُمْ لَا إِيْمَانَ لَهُمْ﴾ ليتنهون^(٢).

فعلى قراءة الجمهور^(٣): ﴿لَا أَيْمَنَ لَهُمْ﴾ جمع يمين، التحقيق فيها: أن نفي إيمانهم على قراءة الجمهور إنما يراد به أنهم لا يوفون بها وهي عندهم كلاً إيمان؛ لأنهم ينقضونها، وهذا أسلوب عربي معروف؛ تقول العرب لمن يكذب وينقض العهود: لا تغتر بيمين هذا

(١) انظر: ابن جرير (١٥٤/١٤)، ابن عطية (١٤١/٨)، القرطبي (٨٤/٨)، فتح القدير (٣٤١/٢).

(٢) انظر: السبعة ص ٣١٢، المبسوط لابن مهران ص ٢٢٥.

(٣) في توجيه القراءتين انظر: ابن جرير (١٥٧/١٤)، القرطبي (٨٥/٨)، حجة القراءات ص ٣١٥، الدر المصون (٢٥/٦).

فلا يمين له، يعني: لا يفي بها ولا يبرّها ولا يوفي بعهد، وهذا المعنى مشهور في كلام العرب، ومنه قول الحماسي^(١):

وإن حلفت لا ينقضُ البينُ عهدَها فليسَ لمخضوبِ البنانِ يمينُ
يعني ليس للنساء أيمان؛ لأنهن ينقضنها غالباً. هذا مراده.

وقد تمسك الإمام أبو حنيفة — رحمه الله — بظاهر هذه الآية فقال: لا تقبل يمين من كافر، ويمين الكافر كلا شيء، فلا يمين له، لأن الله يقول: ﴿إِنَّهُمْ لَا أَيْمَنَ لَهُمْ﴾^(٢).

وعلى قراءة ابن عامر: ﴿إِنَّهُمْ لَا إِيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾ ففي معنى الآية الكريمة وجهان واضحان معروفان من التفسير:

أحدهما: أن المراد بالإيمان المنفي عنهم هو الإيمان الذي هو دين الإسلام، يعني: لا إسلام لهم ولا دين.

القول الثاني: — وهو أظهرهما — أنه مصدر: (آمَنَ يَوْمُهُ إِيْمَانًا) إذا آمَنَ وجعله في مأمن. فالعرب تقول: «آمَنت فلاناً أو منهُ» معناه: آمنته وجعلت له الأمان، وهو معنى مشهور في كلام العرب؛ منه قول الشاعر^(٣):

أَيَّانَ نُؤْمِنُكَ تُؤْمِنُ غَيْرَنَا وَإِذَا لَمْ تُدْرِكِ الْأَمْنَ مِنَّا لَمْ تَزَلْ حَذِرًا
وهذا أظهر القولين؛ لأن نفي الإيمان عن أئمة الكفر معروف واضح. وهذا معنى قوله: ﴿إِنَّهُمْ لَا أَيْمَنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾^(٤).

(١) البيت في القرطبي (٨/٨١)، الدر المصون (٦/٢٦) وفي القرطبي: «لا يَنْقُضُ النَّائِي» وفي الدر المصون: «لا تَنْقُضُ الدَّهْرَ».

(٢) انظر: المبسوط للسرخسي (٨/١٤٧).

(٣) البيت في البحر المحيط (٤/٤١٩)، الدر المصون (٥/٥٢٩).

قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُوْنَ﴾ ﴿١٧﴾ متعلق بقوله: ﴿فَقَتِّلُوا آيِمَةً الْكُفْرَ﴾ فقاتلوهم لأجل أن يكون قتالكم لهم رادعاً وسبباً لانتهاهم.

وقد قدمنا في هذه الدروس مراراً^(١) أن من أشهر معاني (لعل) في القرآن معنيان:

أحدهما: أنها على معناها الظاهر من الترجي، والمعنى: قاتلوهم على رجائكم أن ذلك القتال يكون موجباً لانتهاهم عن الكفر والطعن في الدين، وهذا بحسب ما يظهر للناس الذين يجهلون العواقب، أما الله (جلّ وعلا) فهو عالم بما كان وما يكون، وعلى هذا المعنى فقوله: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئَلَّا يَعْلَمَ يَتَذَكَّرُ﴾ [طه: آية ٤٤] أي: على رجائكما بقدر علمكما أن يكون ذلك سبباً لأن يتذكر أو يخشى.

الوجه الثاني: هو ما قاله بعض علماء التفسير من أن كل (لعل) في القرآن فهي بمعنى: التعليل، إلا التي في الشعراء ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ ﴿١٢٩﴾ [الشعراء: آية ١٢٩] قالوا: هي بمعنى كأنكم تخلدون. وإتيان «لعل» بمعنى التعليل معنى معروف في كلام العرب، ومنه قول الشاعر^(٢):

فَقُلْتُمْ لَنَا كُفُّوا الْحُرُوبَ لَعَلَّنَا نَكْفُ وَوُثِّقْتُمْ لَنَا كُلَّ مَوْثِقٍ
فقوله: «كفوا الحروب لعلنا نكف» أي: كفوا لأجل أن نكف عنكم.

(١) راجع ما سبق عند تفسير الآية (٥٢) من سورة البقرة.

(٢) السابق.

وقوله: ﴿يَنْتَهُوْنَ﴾ (١١) أي: يرتدعون ويكفون وينزجرون عما هم عليه من الكفر والطعن في الدين.

وقد أخذ العلماء من هذه الآية الكريمة من سورة براءة: أن الذي يطعن في دين الإسلام بلسانه ويستخف به أنه يُقتل^(١)، أما إذا كان ذمياً عُقِدَتْ له ذمة المسلمین فطعن في الإسلام أو سب النبي ﷺ فالجمهور على أنه يُقتل^(٢)؛ لأن ذلك ينتقض به عهده ويبطل به عهده. وقال بعض العلماء: إنه لا يقتل ولكنه يُؤدَّب ويُعزَّر؛ لأنه أُعطي له الأمان وهو على كفره. والأول أظهر. وهذا معنى قوله: ﴿إِنَّهُمْ لَا أَيْمَنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُوْنَ﴾ (١٢) أي: قاتلوهم لعلهم ينتهون عن كفرهم.

/ قال تعالى: ﴿أَلَا تُقْنِلُون قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَنَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: آية ١٣].

(ألا) هنا حرف تحضيض، والتحضيض معناه الطلب بِحَثٍّ وشدة. والمعنى: إن الله هنا طلب منهم بِحَثٍّ وشدة أن يقاتلوا هؤلاء الكفرة أئمة الكفر، وبين لهم أن قتالهم إياهم الذي حَضَّض عليهم فيه أن له أسباباً متعددة، كل واحد منها يستوجبه بانفراده فكيف بها مجموعة؟

الأول منها: أنهم نكثوا أيمانهم.

الثاني: أنهم هموا بإخراج الرسول (صلوات الله وسلامه عليه).

(١) انظر: القرطبي (٨٢/٨).

(٢) السابق (٨٣/٨).

الثالث: أنهم بدؤوكم بالقتال.

فهذه الأسباب حرية بأن يُقاتل الذين اقترفوها وجأؤوا بها. وهذا معنى قوله: ﴿أَلَا تَقْنَلُونَ قَوْمًا﴾.

قد قدمنا مراراً^(١) أن (القوم) اسم جمع لا واحد له من لفظه، وأنه في الوضع العربي يختص بالذكور دون الإناث، بدليل قوله: ﴿لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ﴾ ثم قال: ﴿وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ﴾ [الحجرات: آية ١١] وأن المرأة ربما دخلت في اسم (القوم) بحكم التبع إذا اقترن بما يدل عليه، كقوله: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ [النمل: آية ٤٣].

قال بعض العلماء: سمي قوم الرجل قوماً لأنه لا قوام للإنسان إلا بجماعة ينضم إليها ويدخل في جملتها. وهذا معنى قوله: ﴿قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَنَهُمْ﴾ أي: نقضوا عهودهم، أو نقضوا العهود وأخلوا بالآيمان التي حلفوها توكيداً للعهود.

﴿نَّكَثُوا أَيْمَنَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ﴾ [التوبة: آية ١٣] الجماهير على أن هؤلاء الذين هموا بإخراج الرسول هم كفار مكة^(٢) حين دبروا له المكيدة التي قدمناها موضحة في سورة الأنفال^(٣) في قوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ [الأنفال: آية ٣٠] والله (جل وعلا) نص في بعض الآيات أنهم أخرجوه بالفعل؛ لأنهم في الحقيقة اضطروه وألجؤوه (صلوات الله وسلامه عليه) إلى

(١) مضى عند تفسير الآية (٨٠) من سورة الأنعام.

(٢) انظر: القرطبي (٨٦/٨)، الأضواء (٤٣٠/٢).

(٣) مضى عند تفسير الآية (٣٠) من سورة الأنفال.

الخروج؛ لأن عمه أبا طالب ما دام حياً كان يكفهم عنه، ويردعهم عنه، ولا يقدرّون أن يبلغوا منه المبلغ الذي بلغوا بعد أن مات، وكان يقول له^(١):

وَاللّٰهُ لَنْ يَصِلُوْا إِلَيْكَ بِجَمْعِهِمْ حَتَّى أَوْسَدَ فِي التَّرَابِ دَفِينًا
اصدع بأمرِكَ ما عليك غضاضةً

فلما توفي أبو طالب ضيقوا عليه حتى خرج (صلوات الله وسلامه عليه) ودخل هو وصاحبه الصديق في الغار كما ستأتي قصة ذلك مفصلة في هذه السورة الكريمة - سورة براءة - حيث نصّ الله عليه فيها. وقد قال جل وعلا: ﴿وَكَايْنِ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ﴾ [محمد: آية ١٣] فصّرّح بأنهم أخرجوه. وقال (جلّ وعلا): ﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِنَّا كُنَّا أَنْ تَوَمَّنُوا بِاللّٰهِ رَبِّكُمْ﴾ [المتحنة: آية ١] وقال: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ [الحج: آية ٤٠] وقال تعالى: ﴿وَلِنْ كَادُوا لَيْسَتِفِرُّوْنَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوْكَ مِنْهَا﴾ الآية [الإسراء: آية ٧٦] إلى غير ذلك من الآيات.

والرسول هو سيدنا محمد (صلوات الله وسلامه عليه). وأصل الرسول (فَعُول) بمعنى (مُفْعَل) رسول بمعنى مُرسل. وأصل الرسول مصدر، وإتيان المصادر على وزن (الفعول) مسموع بقلّة، كرسول بمعنى الرسالة، وقبول، وولوع، في أوزان قليلة^(٢). والتحقيق أن أصل الرسول مصدر، ومن إطلاقه مصدراً قول الشاعر^(٣):

(١) الأبيات في البداية والنهاية (٤٢/٣)، ولفظ البيت الثاني هناك:

فامض لأمرِكَ ما عليك غضاضة أَبْشِرْ وَقَرِّ بِذَاكَ مِنْكَ عِيُونَا

(٢) مضى عند تفسير الآية (١٣٠) من سورة الأنعام.

(٣) السابق.

لَقَدْ كَذَبَ الْوَاشُونَ مَا فَهْتُ عَنْهُمْ بِقَوْلٍ وَلَا أَرْسَلْتُهُمْ بِرَسُولٍ

يعني: ما أرسلتهم برسالة. ومن فوائد كون أصل الرسول مصدراً؛ لأن هذا الأصل يُحل به بعض الإشكالات في القرآن؛ لأن من المقرر في علم العربية أن المصدر إذا نُعت به ألزم الأفراد والتذكير، وربما تنوسي كونه مصدراً فجُمع^(١)، وقد جاء (الرسول) مجموعاً بلفظ المفرد، وقد جاء مثني بلفظ المفرد؛ لأن الله قال في سورة طه: ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا﴾ [طه: آية ٤٧] فثنى، وقال في سورة الشعراء: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٢) بالافراد. ووجه الافراد في آية الشعراء: أن أصل الرسول مصدر، والمصادر إذا نُزلت منزلة الأوصاف أفردت وذُكرت، ويدل لهذا أنه سُمع في لغة العرب إطلاق الرسول مراداً به الجمع؛ لأن أصله مصدر، ومنه بذلك المعنى قول أبي ذؤيب الهذلي^(٣):

أَلَكْنِي إِلَيْهَا وَخَيْرُ الرُّسُولِ أَعْلَمُهُمْ بَنَوَاحِي الْخَبَرِ

يعني: وخير الرسل. وهذا معنى قوله: ﴿وَهَكُمُوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ﴾.

ثم قال: ﴿وَهُمْ بِكَذُّوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [التوبة: آية ١٣] حذف المتعلق لقوله: ﴿بِكَذُّوكُمْ﴾ والظاهر أن المعنى: بدؤوكم بالقتال والعدوان عليكم أول مرة، واختلف العلماء في وجه ذلك على قولين^(٣):

(١) مضى عند تفسير الآية (٤٦) من سورة الأنعام.

(٢) مضى عند تفسير الآية (٥٠) من سورة الأنعام.

(٣) انظر: القرطبي (٨/٨٦).

أحدهما: أن ابتداءهم للقتال هو ما قدمناه مفصلاً في سورة الأنفال في غزاة بدر؛ لأن النبي ﷺ خرج فيها للعرير خاصة ولم يخرج للقتال، فلما سَاحَلَ أبو سفيان بالعرير، ونجت العير، واستنفر النفير، وجاءهم الخبر أن عيرهم قد سلمت، كان من حقهم في ذلك الوقت أن يرجعوا، كما أشار عليهم به عمير بن وهب وعتبة بن ربيعة وحكيم بن حزام، ولكن الخبيث أبا جهل قال: والله لا نرجع حتى نرد بدرًا - وكانت من مواسم العرب - وتعزف علينا الغواني، ونشرب الخمر. وفي بعض الروايات أنه قال: لا نرجع حتى نستأصل محمداً وأصحابه^(١). فلما نجت عيرهم وجأؤوا بعد ذلك إلى بدر معناه أنهم يريدون الشر، فكان هذا ابتداءؤهم بالشر.

وقال بعض العلماء: - وهو أظهرهما - أن معنى: ﴿وَهُمْ بَدَءُوكُمْ﴾ أي: بدؤوكم بنقض العهود وقتل من كان داخلاً في حلفكم كما وقع من قريش في إعاتتهم لبني الدليل بن بكر على خزاعة فقتلوهم، كما قال راجزهم^(٢):

هَمْ يَبْئُونَا بِالْوَتِيرِ هُجَّدًا وَقَتْلُونَا رُكْعًا وَسُجَّدًا

فابتداء هذا القتل كأنهم بدؤوا بالقتل ونقض العهود، وخرافة في ذلك الوقت لهم حكم أصحاب النبي ﷺ لدخولهم في عهده. وهذا معنى قوله: ﴿وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أُولَِّ مَرَّةً﴾ كان في المرة الأولى ابتداء السوء حاصلاً منهم. وهذا معنى قوله: ﴿وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أُولَِّ مَرَّةً﴾ [التوبة: آية ١٣].

(١) مضى عند تفسير الآية (٥) من سورة الأنفال.

(٢) مضى عند تفسير الآية (٥٨) من سورة الأنفال.

ثم إن الله لما أمر النبي ﷺ وأصحابه بقتال الكفار أنكر عليهم أن يخافوا الكفار، قال: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ﴾ بهمزة الإنكار. يعني: لا تخشوا هؤلاء أبداً فإنهم كفرّة فجرة، والله (جل وعلا) أحق أن تخشوه فتمثلوا أمره، وتقاتلوا أئمة الكفر الذين همّوا بإخراج الرسول، وبدؤوا بالشر أول مرة. وهذا معنى قوله: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ﴾.

﴿قَالَ اللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٦) (إن) في قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ تشكل دائماً على المتعلمين وبعض العلماء^(١)، و«إن» هذه هي التي اختلف فيها البصريون والكوفيون، وهي كثيرة في القرآن، فالبصريون يقولون: إن (إن) هذه أنها صيغة شرط جيء بها مراداً بها التهيج وقوة الحمل على الامتثال، وهو أسلوب عربي معروف، أن العرب تنطق بأداة الشرط ولا تريد به حقيقة تعليق جزاء على شرط، وإنما تريد به التهيج والدعوة الصارمة إلى الامتثال، كما تقول للرجل: «إن كنت ابن فلان فافعل لي كذا» وأنت تعلم أنه ابن فلان، إلا أنك تستنهضه وتستحثه، ومن هذا المعنى قول واحد من أولاد الخنساء لما أوصتهم بالجهاد في سبيل الله^(٢):

لَسْتُ لَخْنَسَاءَ وَلَا لَلْأَخْزَمِ وَلَا لَعَمْرُو ذِي السَّنَاءِ الْأَقْدَمِ
إِنْ لَمْ أَرِدْ فِي الْجَيْشِ جَيْشَ الْأَعْجَمِ ماضٍ عَلَى الْهَوْلِ خِصَمَ خِضْرِمِ
يعني: إن لم أرد في الجيش فلست ابناً لأبي ولا لأمي.

لا يقصد التعليق وإنما يقصد تحريض نفسه على هذا. هذا معناها عند البصريين فيما يصح فيه هذا وفيما لا يصح فيه هذا كقوله: ﴿لَتَنخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [الفتح: آية ٢٧] وهم داخلوه قطعاً.

(١) مضى عند تفسير الآية (١١٨) من سورة الأنعام.

(٢) هذان البيتان سبق ذكرهما عند تفسير الآية (١١٨) من سورة الأنعام.

وقوله ﷺ في أحاديث الزيارة: «وإنا إن شاء الله بكم لاحقون»^(١) وهم لاحقون بهم قطعاً، قالوا: السر في هذا التعليق ليعلم الله خلقه أنهم لا يتكلمون عن مستقبل إلا بتعليقه على مشيئة من له المشيئة، ولو كان أمراً واقعاً لا محالة فكيف بغيره.

أما الكوفيون فإنهم يقولون: إن (إن) هذه بمعنى (إذ) وأنها تعليلية، ويقولون: «فالله أحق أن تخشوه إذ كنتم مؤمنين» أي: لأجل كونكم كنتم مؤمنين فذلك يستوجب منكم الخشية، وإطلاق (إن) بمعنى (إذ) ربما سمع في كلام العرب، وأنشد له بعض علماء العربية قول الفرزدق^(٢):

أَتَغْضَبُ إِنْ أَذْنَا قُتَيْبَةَ حُزَّتَا جِهَاراً وَلَمْ تَغْضَبْ لِقَتْلِ ابْنِ خَازِمٍ
يعني: أتغضب لأجل «إذ حُزَّتْ أَذْنَا قُتَيْبَةَ؛ لأجل أن حُزَّتَا»
وهذان الوجهان في قوله: ﴿فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(١٣)
[التوبة: آية ١٣].

قال تعالى: ﴿قَتَلُوهُمْ يَعْذِبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْرِجُهُمْ وَيَضْرِكُّمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾^(١٤) وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ^(١٥) [التوبة: الآيتان ١٤، ١٥].

[﴿قَتَلُوهُمْ يَعْذِبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْرِجُهُمْ﴾^(٣) وَيَضْرِكُّمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ^(١٤)].

(١) السابق.

(٢) السابق.

(٣) أول الآية ذهب من التسجيل، وقد أثبت أولها وجعلته بين معقوفين.

لما أمر الله النبي ﷺ وأصحابه بمقاتلة أئمة الكفر وعدهم وعده الجميل - وهو لا يخلف الميعاد - ليستنشط همهم بهذا الوعد على امتثال الأمر ﴿قَتِلُوهُمْ﴾ أي: قاتلوا الكفرة وأئمة الكفر ﴿قَتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ «يعذب» فعل مضارع مجزوم بجزاء الطلب، وجماهير من علماء العربية يقولون: إن جزم المضارع في جزاء الطلب أن أصله مجزوم بشرط مقدر دل الأمر عليه، وتقديره: إن تقاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم. وهو جائز^(١)، فالجزم يجوز، ولو لم يجزم لكان جائزاً؛ لأن الجزم في جزاء الطلب لم يتعين. ﴿قَتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ هذا التعذيب الذي يعذبهم الله بأيديهم هو القتل بالضرب الوجيع الذي يصل به صاحبه إلى النار.

﴿وَيُخْزِيهِمْ﴾ أي: يذلهم ويهينهم بالأسر، فإن القتل تعذيب، والأسر خزي وإهانة وإذلال، وهذا معنى قوله: ﴿يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ﴾.

﴿وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ أي: ويعنكم عليهم حتى تقتلوا منهم وتأسروا.

﴿وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: آية ١٤] (يشف) معناه: يداوي داء قلوبهم؛ لأن المؤمن يكون وغير الصدر حائقه على الكافر، كأن قلبه مريض لما فيه من شدة الغضب، وكون صدره وغيراً على الكفار لكفرهم بالله وقتلهم للمسلمين فإذا أمكنه الله منهم وقتلهم وأسره شفى ذلك صدره لأن الغيظ كأنه داء

(١) مضى عند تفسير الآية (٦٩) من سورة البقرة.

كامن في صدره، والتمكن من الأعداء والتسليط عليهم وقتلهم وأسرهم يشفي ذلك الداء الكامن في الصدر، فينشرح الصدر، ويزول ما كان فيه من كامن المرض الدفين والحقد على الكفار. وهذا معنى معروف في كلام العرب مشهور مبتذل جداً، ومنه قول مهلهل بن ربعة^(١):

وَكُنَّا قَدْ نَهَكْنَا الْقَوْمَ ضَرْباً عَلَى الْأَثْبَاجِ مِنْهُمْ وَالنَّحُورِ
هَتَكْتُ بِهِ بِيوتَ بَنِي عُبادٍ وَبَعْضُ الْقَتْلِ أَشْفَى لِلصُّدُورِ

لأن طالب الثأر كأنه وَغِر الضمير حران فإذا قتل صاحبه بردت غلته وَشُفِيَ ما في صدره. وهذا كثير معروف في كلام العرب مشهور. وهذا معنى قوله: ﴿وَيَشْفِ صُدُورٌ قَوِّمٌ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٤﴾ [التوبة: آية ١٤] قال جماهير من أهل التفسير: إن المراد بالقوم المؤمنين أنهم خزاعة^(٢) حيث تمالأ عليهم البكريون وقريش وقتلوهم في الحرم، واستنجدوا بالنبي ﷺ لما أرسلوا عمرو بن سالم في قوم منهم بديل بن ورقاء، وقال عمرو رجزه الذي ذكرنا قبل هذا. وعن النبي ﷺ أنه قال: «لا نصرت إن لم أنصر بني كعب»^(٣) يعني من خزاعة، وقد كان ذلك سبباً لغزاة الفتح، وقد قتل جماعة من المشركين يوم الفتح، قال بعض المؤرخين: قتل منهم اثنا عشر رجلاً يوم فتح مكة، والأظهر كما قدمنا مراراً أن أهل مكة قُتِلَتْ منهم جماعات. وقد جاء في صحيح مسلم ما يدل على ذلك^(٤)، ويدل

(١) مضى عند تفسير الآية (٤١) من سورة الأنفال.

(٢) انظر: ابن جرير (١٤٠/١٤)، القرطبي (٨٧/٨).

(٣) تقدم تخريجه عند تفسير الآية (٥٨) من سورة الأنفال.

(٤) تقدم تخريجه عند تفسير الآية (٤١) من سورة الأنفال.

على ذلك رجز حماس بن قيس المشهور الذي هو مشهور عند العلماء؛ لأن حماس بن قيس كان في مكة، وكان يقول لامرأته: لأخدمك نساء محمد ﷺ، ولأجعلن لك خدماً. وكان يقول لها: إذا جئتك منهزماً فأغلقي الباب دوني. فكان في ذلك اليوم في الطائفة التي وقع فيها القتل والقتال فجاءها مذعوراً منهزماً، وكان يقول قبل يوم الفتح^(١):

إِنْ يُقْبِلُوا الْيَوْمَ فَمَا لِي عَلَّةٌ هَذَا سِلَاحٌ كَامِلٌ وَأَلَّهُ
وَذُو غِرَارَيْنِ سَرِيعُ السَّلَّةِ

فلما جاء زوجته ووجهه كأنه زعفران من الخوف، وقال لها تفتح له الباب، فقالت له: أين الذي كنت تقول؟ فقال^(٢):

إِنَّكَ لَوْ شِهِدْتَ يَوْمَ الْخَنْدَمَةِ إِذْ فَرَّ صَفْوَانٌ وَفَرَّ عِكْرَمَةُ
وَاسْتَقْبَلْتَنَا بِالسُّيُوفِ الْمُسْلِمَةِ لَهُمْ نَهْيَةٌ خَلْفَنَا وَهُمْ هَمَّةٌ
يَقْطَعْنَ كُلَّ سَاعِدٍ وَجُمْجُمَةٌ ضَرْباً فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا غَمْغَمَةً
لَمْ تَنْطَقِي بِاللُّومِ أَدْنَى كَلِمَةٍ

وهذا صريح في أنهم قاتلوا وقتلوا. وفي صحيح مسلم: أنهم لم يتعرض لهم ذلك اليوم أحد إلا أناموه^(٣) كما هو معروف. وقد ذكرناه مفصلاً في سورة الأنفال^(٤). فهذا القتل قتل قريش وإذلالهم

(١) تقدمت هذه الآيات عند تفسير الآية (٤١) من سورة الأنفال، وقد أثبتنا نصها هناك من بعض المصادر.

(٢) تقدمت هذه الآيات عند تفسير الآية (١٥١) من سورة الأنعام، وقد أثبتنا نصها هناك من بعض المصادر.

(٣) مضى عند تفسير الآية (٤١) من سورة الأنفال.

(٤) السابق.

وقهرهم، شفى صدور الخزاعيين حيث أخذوا بثأرهم وأذل الله عدوهم. وهذا معنى قوله: ﴿وَيُخْزِهِمْ وَيَبْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ (١٤) وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ﴿[التوبة: الآيتان ١٤، ١٥] لِمَا نَالُوا مِنْ شِفَاءٍ غَلِيلٍ صَدُورِهِمْ مِنْ قَهَرِ أَعْدَائِهِمْ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ^(١):

تَعَلَّمَ شِفَاءَ النَّفْسِ قَهْرَ عَدُوِّهَا فَبَالِغَ بَلَطْفٍ فِي التَّحِيلِ وَالْمَكْرِ
وهذا معنى ﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾.

﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ قراءة الجمهور: ﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ لأنها ليست معطوفاً على الجزاء، والأفعال المعطوفة على الجزاء جُزمت، والقراءة هنا هي الجزم.

أما اللغة فيجوز في الأفعال المعطوفة على الشرط والجزاء معاً بعد أن تستكمل أداة الشرط شرطها وجزاءها، فالأفعال المعطوفة عليها معلوم أنها يجوز فيها ثلاث لغات: الجزم كما في قراءة هذه الآيات، والرفع، والنصب، وهو معنى معروف في كلامهم، وفي أوجه العربية الثلاثة يروى قول نابغة ذبيان^(٢):

فَإِنْ يَهْلِكُ أَبُو قَابُوسَ يَهْلِكُ ربيعُ الناسِ والشَّهْرُ الحَرَامُ
وَنَأْخُذُ بَعْدَهُ بِذَنْبِ عَيْشٍ أَجَبَ الظَّهْرَ لَيْسَ لَهُ سَنَامُ
فيه: «ونأخذُ»، «ونأخذُ»، «ونأخذُ» بالجزم، والنصب، والفتح. وهذا معنى قوله: ﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ بعد ذلك يتوب الله على من يشاء أن يتوب عليه، قد يوفق بعض المشركين فيتوبون

(١) البيت في أوضح المسالك (٢٩٥/١)، شذور الذهب ص ٣٦٢.

(٢) ديوان النابغة ص ١٥٧.

إلى الله ويتوب عليهم. وتوبة الله على عبده هي أن يقلل عثرته، ويقبل منه رجوعه حتى يكون الذي صدر منه كأنه لم يكن.

﴿عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ﴾ أن يتوب عليه، فمفعول المشيئة محذوف.

﴿وَاللَّهُ عَلَيْهِ حَكِيمٌ﴾ كثير العلم يبالغ في علم نفسه لإحاطة علمه بكل شيء ﴿حَكِيمٌ﴾ لأنه حكيم في شرعه وفي أقواله وأفعاله وتدبيره وجزائه، فهو حكيم في كل شيء، وله الحكمة البالغة (جلّ وعلا).

قال الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَةً وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (١٦) مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوْنَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ [التوبة: الآيات ١٦ - ١٩].

يقول الله (جلّ وعلا): ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَةً وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (١٦) [التوبة: آية ١٦].

(أم) هنا هي المنقطعة. ومعنى (أم) المنقطعة عند علماء العربية: أنها تأتي بمعنى استفهام الإنكار، وبمعنى (بل) الإضرابية، وتأتي بمعناها معاً، وهو أجودها^(١).

(١) انظر: الكليات ص ١٨٢، معجم الإعراب والإملاء ص ٧٨.

و (حسبتم) معناه ظننتم. والإنكار الذي في قوله: «أم» يتوجه إلى من ظن أنه يدخل الجنة من غير ابتلاء ولا امتحان. والمعنى: أحسبتم، أي: أظننتم أن الله يترككم من غير أن يختبركم بالمشاق التي يظهر بالاختبار بها المطيع من العاصي، والمحق من المبطل، والصادق من الكاذب؟ والمعنى: لا بد أن يتليكم الله ويمتحنكم بأنواع الابتلاء، ومن أعظمها: الأمر بالجهد في سبيل الله الذي فيه تعريض المهج والأموال للتلف والضياع؛ لأن ذلك يظهر به الزائف من الخالص، ويتبين به الصادق من الكاذب، وهذا معنى قوله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ يعني أظننتم؟ الحسبان معناه الظن ﴿أَنْ تَتْرَكُوا﴾ أن يترككم الله من غير اختبار ولا امتحان ولا ابتلاء؟ لا. لا يكون ذلك أبداً ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ﴾ هي (لم) النافية دخلت عليها (ما) المزيعة لتوكيد النفي، وهي تدل على توقع حصول الأمر ولم يحصل بالفعل. وقوله: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ﴾ أي: يترككم الله ولم يختبركم اختباراً يُعلم به من هو الصادق منكم ومن هو الكاذب، ومن هو المخلص وغيره.

وهذه الآيات وأمثالها في القرآن التي ربما يفهم الجاهل منها أن الله يختبرهم ليطراً له علم بذلك الاختبار، هذا لا يُراد؛ لأن عالم الغيب والشهادة، عالم بما كان، وما سيكون، وما يقع، وعالم بالمعدومات والموجودات، والجائزات والمستحيلات، حتى إنه من إحاطة علمه ليعلم المعدوم الذي سبق في علمه أنه لا يوجد وأنه لا يكون يعلم أن لو كان كيف يكون، كما أوضحناه مراراً^(١).

(١) راجع ما سبق عند تفسير الآية (٥٩) من سورة الأنعام.

وجرت العادة في القرآن أن الله تبارك وتعالى إذا جاء عنه بعض الآيات التي فيها شبه خفاء لا بد أن يبيّنه ويوضحه في بعض المواضع، وقد أوضح هذا في آية من سورة آل عمران قدمناها مراراً، أوضح فيها أنه يختبر ويبتلي ليُظهر للناس حقيقة الناس، ويعلموا المخلص من الزائف، والصادق من الكاذب، وتلك الآية هي قوله تعالى: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [آل عمران: آية ١٥٤] يبين أن ما أوقع بهم يوم أحد من تسليط المشركين عليهم وقتل سبعين منهم أنه فعل ذلك لأجل أن يبتليهم ويختبرهم ويمحص ما في قلوبهم، فظهر المنافقون من الصادقين، ومع هذا قال بعد قوله: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ﴾ قال: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران: آية ١٥٤] ومن هو عالم بما يخطر في الضمائر لا يستفيد بالاختبار علماً سبحانه (جلّ وعلا) عن ذلك. فالمراد بـ ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ﴾ هنا إظهار معلومه للناس، أو العلم الذي يترتب عليه الثواب والجزاء؛ لأن الله عالم بأفعالهم قبل أن يفعلوها، وعلمه بها أولاً لا يترتب عليه ثواب ولا عقاب، وعالم أيضاً بها وقت فعلها وذلك العلم الذي يترتب عليه الثواب والعقاب. وقال البغوي (رحمه الله) في تفسير هذه الآية الكريمة: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ﴾ يعني: أحسبتم أن يترككم الله ولم ير الله عملكم حتى يتبين للناس المخلص من غيره^(١).

وعلى هذا التفسير الذي فسرنا به فالمعنى يشبه قوله: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة: آية ١٠٥] وعلى كل حال فيجب على كل مسلم أن يعتقد أن علم الله محيط بكل شيء،

لا يخفى عليه شيء، يعلم ما كان، وما سيكون، وما سبق في علمه أنه لا يكون يعلم أن لو كان كيف يكون. وقد قدمنا في هذه الدروس مراراً^(١) الآيات الكثيرة الدالة على إحاطة علمه حتى بالمعدومات الذي سبق في علمه أنها لا توجد، وأنه عالم بأنها لو وجدت أنها لا تكون، وأنها لو كانت يعلم كيف تكون، دلت على هذا آيات كثيرة من كتاب الله، كقوله في سورة الأنعام: ﴿فَقَالُوا يَلَيْلًا نَرُدُّ وَلَا نَكْذِبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام: آية ٢٧] إذا رأى الكفار الحقائق يوم القيامة ندموا على تكذيب الرسل وتمنوا أن يُردوا إلى الدنيا مرة أخرى ليؤمنوا ويصدقوا الرسل، وهذا الرد الذي تمنوه الله عالم بأنه لا يكون، ومع ذلك فقد صرح بأن هذا الرد الذي لا يكون هو عالم أن لو كان كيف يكون، كما صرح به في قوله: ﴿وَلَوْ رُدُّوْا لَعَادُوا لِمَآ نُهُوْا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الأنعام: آية ٢٨] والمتخلفون عن غزوة تبوك لا يحضرونها أبداً؛ لأن الله ثبطهم عنها لحكمة وإرادة كما صرح به في قوله: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُمْ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾ [التوبة: آية ٤٦] وخروجهم هذا الذي لا يكون صرح بعلمه أن لو كان كيف يكون حيث قال: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا وُضْعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ...﴾ [التوبة: آية ٤٧].

ونظائر هذا كثيرة في كتاب الله (جلّ وعلا) وهذا معنى قوله: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾ [التوبة: آية ١٦] يعني: يعلمهم علماً يظهرهم به للناس حتى يتميزوا به، أما هو فهو عالم بكل ما يصنعون وما يؤولون إليه، كما قال تعالى: ﴿وَهُمْ أَعْمَلُ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ

(١) راجع ما سبق عند تفسير الآية (٥٩) من سورة الأنعام.

لَهَا عَمِلُونَ ﴿٦٣﴾ [المؤمنون: آية ٦٣] يعلمها قبل أن يعملوها. وهذه الآية نص الله على ما دلت عليه هنا في آيات كثيرة كقوله: ﴿الْمَعْمُورُونَ﴾ [العنكبوت: الآية ١، ٢] لا يكون ذلك ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [٢] ومن نظائرها قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّادِقِينَ﴾ [١٤٢] [آل عمران: آية ١٤٢] وقوله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزَلُوا﴾ [البقرة: آية ٢١٤]. وقوله: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ فِإِذَنْ اللَّهُ وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [١٦٦] [آل عمران: الآية ١٦٦، ١٦٧] أي: يميز بينهم بما يعمل به من الاختبار ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ [آل عمران: آية ١٧٩]، ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّادِقِينَ وَنَبْلُوَنَّكُمْ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: آية ٣١] إلى غير ذلك من الآيات القرآنية المصرحة بأنه قد اقتضت حكمة الله أن لا يترك خلقه من غير ابتلاء وامتحان بل لا بد أن يمتحنهم ويبتليهم بالشدائد والعظائم ليظهر الذي هو على الحق من الذي هو على الباطل، ويتبين الصادق من الكاذب. وهذا معنى قوله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ﴾ [التوبة: آية ١٦].

﴿وَلَمْ يَتَّخِذُوا﴾ معطوف على فعل الصلة، والمعنى: ولما يعلم الله الذين جاهدوا ويعلم الذين لم يتخذوا من دون الله وليجة. والمعنى: لا بد أن يمتحنكم حتى يُعلم المجاهد في سبيل الله

والمخلص الذي لم يتخذ وليجة من دون الله ولا رسوله؛ لأن بعض الناس ظهر نفاقهم وبعضهم ظهر اتخاذهم الوليجة من دون الله.

واعلم أن الوليجة في لغة العرب: كل شيء أدخلته في شيء فهو وليجة^(١). والمراد بها هنا: بطانة السوء؛ لأنهم يدخلون في المسلمين وليسوا منهم؛ لأن كثيراً من غير المخلصين يتخذون أعداء الله أولياء، ويفشون إليهم أسرار المسلمين، ويطلعونهم على حقائقهم، وهم أعداء للمسلمين، كما كان عبد الله بن أبي وأصحابه يفعلون، هم مع الكفار واليهود، والمعنى: ﴿وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيَّةً﴾ ولم يتخذوا من دون رسول الله، ولم يتخذوا من دون المؤمنين وليجة، أي: أولياء وبنات سوء يوالونهم دون المسلمين؛ لأن الأعداء خارجون عن المسلمين، فإدخالهم فيهم كأنه وليجة لهم وإدخال لمن ليس منهم فيهم.

فالوليجة هنا: بطناء السوء، وأولياء السوء، يتخذهم بعض غير الصادقين في إيمانهم أولياء، كما تقدم في قوله: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٢٨] فاتخاذ هذه الأولياء هو الوليجة؛ لأن العدو الموالي من المسلمين المُدخل فيهم وليجة فيهم وليس منهم، والعرب تقول للرجل في القوم ليس منهم: هو وليجة. يعني داخل فيهم وليس منهم. ووليجة الأمر: دخيلته، وهؤلاء وليجة فلان، معناه: أصحاب سره وداخله، وتطلق على المفرد والجمع. وهذا معنى ﴿وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيَّةً﴾ [التوبة: ١٦] أي: دخيلة من الأعداء يتخذونهم

(١) انظر: المقاييس في اللغة، كتاب الواو، باب الواو واللام وما يثلثهما، (مادة:

أولياء، ويوالونهم، ويفشون إليهم أسرار المسلمين، كما كان يفعله المنافقون، وهذا المعنى معروف في كلام العرب، ومنه قول أبان بن تغلب:

فبئس الوليجة للهاربين والمعتدين وأهل الرِّيب^(١)

وهذا معنى قوله: ﴿وَلَزَيْتَخْذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ﴾ أي: بطانة سوء وأولياء يدخلونهم ويولجونهم في المسلمين وليسوا من المسلمين، بل هم أعداء المسلمين، يفشون إليهم أسرار المسلمين، كما قال: ﴿لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ [آل عمران: ١١٨].

﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ يعني: الخبير أخص من العالم، والخبرة أخص من العلم؛ لأن العلم يطلق على كل علم، والخبرة لا تطلق في اللغة إلا على علم خاص، وهو علم الشيء الذي من شأنه أن يخفى، فالعرب تقول في الشيء الذي شأنه أن يخفى: على الخبير سقط، وأنا خبير بهذا. فلو قلت مثلاً: أنا عالم بأن الواحد نصف الاثنين، وأن الكل أكبر من الجزء، كان هذا كلاماً عربياً، ولو قلت: أنا خبير بأن الواحد نصف الاثنين، وأن الكل أكبر من الجزء، لما كان هذا كما ينبغي؛ لأن العرب لا تكاد تطلق الخبرة إلا على المعرفة بما من شأنه أن يخفى، كما قال الشاعر في العيافة^(٢):

خبير بنو لهبٍ فلا تكُ مُلغياً مَقَالَةٌ لهبٍ إذا الطيرُ مَرَّتِ

(١) البيت في القرطبي (٨/٨٨).

(٢) مضى عند تفسير الآية (٥٨) من سورة الأنعام.

ومعنى خبرته (جلّ وعلا): أنه يعلم الخفايا والخبايا كما يعلم الظاهر، فلا تخفى عليه خافية. وهذا الواعظ الأكبر والزاجر الأعظم الذي نوهنا عنه مراراً كثيرة ولا نزال ننوه عنه. وهذا معنى قوله: ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (١٦).

قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِم بِالْكَفْرِ أُولَئِكَ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ (١٧) [التوبة: آية ١٧] ﴿مَسْجِدَ اللَّهِ﴾ مساجد هنا ذكرت مرتين: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ﴾ والثانية في قوله: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ﴾. أما الأولى منهما وهي قوله: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ﴾، فقد قرأه عامة السبعة غير ابن كثير وأبي عمرو: ﴿أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ﴾ بصيغة جمع التكسير. وقرأه ابن كثير وأبو عمرو: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِم بِالْكَفْرِ﴾ (١).

أما مساجد الثانية وهي قوله: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ﴾ فقد أجمع جميع القراء على قراءتها بصيغة الجمع ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ﴾ ولم يقرأها أحد بالافراد كما هو معروف.

وقوله: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ سبب نزولها أن كفار قريش صدوا النبي ﷺ عن البيت الحرام، وقالوا: هو بيتنا ونحن أولياؤه، وافتخروا بعمارة المسجد الحرام، كما يأتي. يفتخرون دائماً ببيت الله الحرام وأنهم عمّاره وأهله، كما سيأتي في قوله: ﴿فَكَتُفِّرْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ نَكِصُونَ﴾ (٦٦) مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سِمِرًا تَهْجُرُونَ (٦٧) [المؤمنون: الآيتان ٦٦،

٦٧] وفي القراءة الأخرى: ﴿تَهْجُرُونَ﴾^(١). ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ﴾ أي: بالبيت، على أظهر التفسيرين؛ لأنهم يتكبرون به بأنهم قطانه وعماره وأولياؤه، فردّ الله عليهم في هذه الآية الكريمة. وقد قدمنا طرفاً من ذلك في سورة الأنفال في قوله: ﴿وَمَا لَهُمْ آلَا يَعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَائُهُ إِلَّا الْمُنْفِقُونَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: آية ٣٤]. وقال هنا: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ ما يصح ولا ينبغي ولا يمكن هذا التناقض؛ لأن المساجد بيوت الله، أُسِّسَتْ على طاعته والتقرب إليه بما يرضيه، والمشركون كفرّة فجرة، أعمالهم في المساجد كلها كفر وتمرد على الله وعدوان، كيف يكون هذا يجتمع مع هذا؟! لأن المساجد إنما بُنيت لطاعة الله، وتؤسس على ما يرضي الله (جلّ وعلا) وهؤلاء كفرّة أعمالهم كلها كفر وصد عن سبيل الله، فهذا من الشيء الذي لا يمكن أن يجتمع؛ لأن فيه اجتماع النقيضين. وهذا معنى قوله: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ﴾ [التوبة: آية ١٧] وفي قراءة ابن كثير وأبي عمرو: ﴿يعمروا مسجد الله﴾ هو المسجد الحرام، مسجد مكة حرسها الله.

وقوله: ﴿شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِم بِالْكَفْرِ﴾ هذا محل التناقض؛ لأن عمارة المسجد الحرام فعل المطيعين والمتقربين إلى الله، كيف يفعلون هذا في وقت الحال التي هم شاهدون فيها على أنفسهم بالكفر؟

وقوله: ﴿شَاهِدِينَ﴾ حال من واو الفاعل في قوله: ﴿يَعْمُرُوا﴾ أي: يعمروها في حال كونهم شاهدين على أنفسهم بالكفر.

قال بعض العلماء^(١): شهادتهم على أنفسهم بالكفر إنما هي بأفعالهم؛ لأن من سجد ووضع جبهته للصنم فقد شهد على نفسه ونادى بأعظم الكفر وأفظعه. وعلى هذا فهي شهادة حال.

/ وقال بعض العلماء: هي شهادة مقال أيضاً، فهم شاهدون [١/٣] بالحال والمقال. قالوا: يُراد بذلك أنهم في تلبيتهم وطوافهم بالبيت في المسجد الحرام يقولون: لبيك لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك [وقال بعض العلماء: شهادتهم على أنفسهم بالكفر هو أن الكافر إذا قلت له: ما دينك؟ فيقول: ^(٢) النصراني نصراني، والصابىء صابىء، والمشرک يقول: مشرك؛ لأنه يعبد مع الله غيره. والله (جلّ وعلا) ذكر مثل هذا من شهادتهم على أنفسهم في غير هذا الموضع كقوله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ ^(٦) وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ^(٧) [العاديات: الآيتان ٦، ٧] أي: الإنسان، وفيه الأقوال المذكورة هنا. وهذا معنى قوله: ﴿شَٰهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكَفْرِ﴾ لأن عمارة مساجد الله هي من القربة والطاعة لله لا تمكن من أحد هو في حال وقت فعله إيّاها شاهد على نفسه بأنه كافر.

وعمارة المسجد الحرام تشمل أمرين:

أحدهما: العمارة الحسية، وهي مَرَمَّتُهُ وبنائُهُ وتزيين بنائه.

(١) في معنى شهادتهم على أنفسهم بالكفر. انظر: ابن جرير (١٦٥/١٤)، القرطبي (٨٩/٨)، ابن كثير (٣٤٠/٢).

(٢) في هذا الموضع وُجد انقطاع في التسجيل، وما بين المعقوفين [] زيادة يتم بها الكلام.

انظر: ابن جرير (١٦٥/١٤)، ابن أبي حاتم (١٧٦٥/٦)، القرطبي (٩٠/٨).

والثانية: عمارته المعنوية، وهي عبادة الله وطاعته فيه، واللائق بالكفار هنا هو الأول؛ لأنهم كانوا يسدون البيت وقد بنوه، كما قال زهير^(١):

وَأَقْسَمْتُ بِالْبَيْتِ الَّذِي طَافَ حَوْلُهُ رَجَالٌ بَنَوْهُ مِنْ قَرِيشٍ وَجُرْهُمِ

وبناء قريش له معروف، حضره النبي ﷺ في صغره كما هو معروف. وهذا معنى قوله: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ﴾ [التوبة: آية ١٧].

﴿أُولَئِكَ﴾ الكفرة الشاهدون على أنفسهم بالكفر ﴿حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ﴾ ومنها عمارتهم للبيت الحرام؛ لأن الكفر يحبط جميع الأعمال. ومعنى ﴿حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ﴾ اضمحلت وكانت لا فائدة فيها؛ لأن أفعال الكفار تضحل ولا تنفعهم يوم القيامة؛ لأن الله يقول: ﴿وَقَدْ مَنَّا عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]، ويقول تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ [١٥] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطِلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥]، [١٦] أما أفعال الكافر من قُرْبِهِ فإنها تنفعه في الدنيا؛ لأن الكافر إذا أطاع الله في الدنيا مخلصاً في طاعته لوجه الله كأن يبر والديه، ويصل الرحم، ويقري الضيف، وينفس عن المكروب، ويعين [المظلوم]^(٢)، فإذا فعل الكافر هذه القرب يقصد بها وجه الله فإن الله يعاوضه في الدنيا ويعطيه ثوابه في الدنيا من الصحة والرزق

(١) مضى عند تفسير الآية (٧٢) من سورة الأعراف.

(٢) في الأصل: «الظالم»، وهو سبق لسان.

والمال، ولا شيء له يوم القيامة، كما دلت على هذا آيات من كتاب الله، كقوله: ﴿تُوفِ إِلَهُهُمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ (١٥)، ﴿وَمَنْ كَانَتْ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ (٢٠) [الشورى: آية ٢٠]. وثبت معناه في صحيح مسلم من حديث أنس رضي الله عنه (١). وهذا معنى قوله: ﴿أُولَئِكَ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ [التوبة: آية ١٧] النار – والعياذ بالله – هي دار الخزي التي أعد الله لأعدائه يوم القيامة. والألف التي بين النون والراء منقلبة عن واو، فأصلها من مادة الأجوف واوي العين، أصلها (نَوَزَ) ولذا يقولون في النظر من بعيد إلى النار: تنورتها. فلو كانت يائية العين لقالوا: تنيرتها. قالوا واشتقاقها من: نارت الظبية. إذا ارتفعت جافلة؛ لأن طبيعة النار الارتفاع (٢).

﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ خلود الكفار في النار خلود أبدي سرمدي لا انقطاع له، كما قال تعالى: ﴿كُلَّمَا حَبَّتْ زِدَّتْهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: آية ٩٧]، ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النبا: آية ٣٠]، ﴿لَا يَخَفُّ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ [البقرة: آية ١٦٢].

ومعروف في هذا إيراد يورده الكفرة الملاحدة وأذئابهم ومن تعلق بهم يقولون: إن الله (جلّ وعلا) في غاية الحكمة والعدالة، وهو العدل الحكيم (جلّ وعلا) والكافر إنما عصى في الدنيا أياماً معدودة، قالوا: فكيف يكون العمل في أيام معدودة محدودة والجزاء دائم لا ينقطع أبداً؟ وأين الحكمة والإنصاف في هذا؟ قبح الله من يقول

(١) تقدم تخريجه عند تفسير الآية (٤٢) من سورة الأعراف.

(٢) مضى عند تفسير الآية (١٢٨) من سورة الأنعام.

هذا!! وهذا يتمسك به الملاحدة وأذئاب الكفرة^(١).

والجواب عن هذا أن الكافر — قبحه الله — خبثه الذي ينطوي عليه الذي هو سبب كل ما جاءه من البلايا هو دائم أبداً لا يزول ولا ينقطع، فكان جزاؤه دائماً لا يزول ولا ينقطع، والله (جلّ وعلا) يقول: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ [الأنفال: آية ٢١] (خيراً) نكرة في سياق الشرط فهي تعم، فلا يكون في قلوبهم خير أبداً في وقت ما كائناً ما كان. ومما يوضح ذلك: أنهم لما عاينوا النار، وشاهدوا الحقائق، وكشف الله غطاءهم عنهم، وعاينوا كل شيء، وتمنوا الرد إلى الدنيا مرة أخرى، صرّح الله بأن ما طبعوا عليه وما جُبلوا عليه من الكفر لا يزول أبداً، وأنه لو ردهم إلى الدنيا لرجعوا إلى كفرهم؛ لأنهم منطوون عليه لا يفارقهم أبداً، كما قال: ﴿وَلَوْ رَدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الأنعام: آية ٢٨] فهذا يدل على أنهم لا ينفكون عن كفرهم، وأنهم دائمون عليه أبداً، فكان جزاؤه دائماً عليهم أبداً، جزاءً وفاقاً، والله (جلّ وعلا) الحكمة في كل ما يفعله، وهو الحكم العدل اللطيف الخبير. وهذا معنى قوله: ﴿وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ ءَامِنٍ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة: آية ١٨].

[المقرر]^(٢) عند علماء العربية أن (إنما) أداة حصر وإثبات.

(١) راجع هذه الشبهة والجواب عنها، عند تفسير الآية (١٢٨) من سورة الأنعام.

(٢) في هذا الموضع انقطاع في التسجيل، وما بين المعقوفين [] زيادة يتم بها الكلام.

يعني: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ﴾ العماره المعنوية بالعبادات وذكر اسم الله فيها، والعماره الحسية، من بنائها وترميمها، هذا كله من شأن المؤمنين، لا من شأن الكفار، وهذا قوله: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ﴾. (من) فاعل قوله ﴿يَعْمُرُ﴾ الذي آمن بالله هو الذي يعمر مساجد الله، لا الكافر الذي عمله ضد لما بنيت له المساجد، فهذا تناقض لا يمكن أن يكون عامراً للمساجد، وعمله ضد ما بُنيت له المساجد، وهذا معنى قوله: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ﴾ أي: صدق به (جلّ وعلا) وبكل ما يجب التصديق به.

﴿وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ هو يوم القيامة. وجرت العادة أن الله يذكر الإيمان باليوم الآخر مع الإيمان به؛ لأن الكفر باليوم الآخر سبب لكل البلايا وأنواع الكفر والجحود؛ لأن مطامع العقلاء محصورة في أمرين: هما: جلب النفع، ودفع الضرر، والذي لا يصدق بيوم القيامة لا يرغب في خير في ذلك اليوم، ولا يخاف من شر في ذلك اليوم، فلا ينزجر عن شيء، ولا يرعوي عن شيء؛ ولذا كان التكذيب بالبعث من أشنع أنواع الكفر بالله (جلّ وعلا) وقد صرح الله بأن المكذبين بالبعث والشاكّين فيه من حطب جهنم في آيات كثيرة كقوله: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ۝١١﴾ [الفرقان: آية ١١] وقوله في المنكرين للبعث: ﴿وَإِنْ تَعْجَبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أْنَا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ استفهام إنكار منهم في الخلق الجديد بعد الموت الأولى، قال الله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلُلُ فِيْ أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝٥﴾ [الرعد: آية ٥]. وهذا معنى قوله: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ﴾ يعني: الصلوات المكتوبات الخمس. ﴿وَأَتَى الزَّكَاةَ﴾

الحقوق الواجبة في الأموال كما بيّناه مراراً.

﴿فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ﴾ جماهير العلماء يقولون: (عسى) من الله واجبة^(١) لأن الله كريم لا يُطمع في شيء إلا هو فاعله لشدة كرمه (جلّ وعلا) وفضله.

﴿أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ (١٨) أي: السالكين طريق النجاة والصواب الموصلة إلى الجنة، وقد جاء عن النبي ﷺ من حديث أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) أنه (صلوات الله وسلامه عليه) قال: «إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان»^(٢) لأن الله يقول: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَن ءَامَنَ بِاللَّهِ﴾ [التوبة: آية ١٨] وقال أبو بكر بن العربي في الكلام على هذا الحديث في قوله: «فاشهدوا له بالإيمان» اشهدوا له شهادة ظاهرة؛ لأن فعله يدل عليها، وتعاهد المساجد يدل على إيمانه ظاهراً كما دل عليه قوله: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَن ءَامَنَ بِاللَّهِ﴾ أما حقيقة الباطن فهي عند الله جلّ وعلا. وهذا معنى قوله: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَن ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ﴾.

(١) مضى عند تفسير الآية (١٢٩) من سورة الأنعام.

(٢) أخرجه أحمد (٦٨/٣)، والدارمي (٢٢٢/١)، والترمذي في التفسير، باب ومن سورة التوبة، حديث رقم: (٣٠٩٣)، (٢٧٧/٥)، وابن ماجه في المساجد والجماعات، باب لزوم المساجد وانتظار الصلاة، حديث رقم: (٨٠٢)، (٢٦٣/١)، والبيهقي (٦٦/٣)، والحاكم (٢١٢/١)، (٣٣٢/٢)، وابن حبان (الإحسان ١١٠/٣)، وابن أبي حاتم في التفسير (١٧٦٦/٦)، وانظر: ضعيف ابن ماجه ص ٦٢، المشكاة ص ٧٢٣، ضعيف الجامع (١٨٤/١).

وقوله: ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ﴾ لم يخف أحداً إلا الله. وفي هذه الآية الكريمة وأمثالها في القرآن سؤال معروف، وهو أن يقال: لا يوجد أحد إلا هو يخشى من غير الله، ويخاف من غير الله؛ لأن كل المخاوف والمحاذير جُبلت طبائع البشر على الخوف والخشية منها، والذي لم يخش شيئاً من المخاوف والمحاذير هذا أمر صعب.

والعلماء يجيبون عن هذا بجوابين^(١):

بعضهم يقول: الخشية التي هي شرك بالله التي يحذر الله منها هي خشية الأصنام، والخوف من المعبودات من دون الله، وهذا النوع دلت عليه آيات كثيرة؛ لأن عبدة الأصنام يخوفون من يسب الأصنام بأن الأصنام ستفعل له وتفعل، كما قالوا لنبي الله هود: ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا أَعْرَضَكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوْرٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدْ وَأَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾^(٢) من دُونِهِ فَيَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظَرُونَ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ ﴿٥٦﴾ الآية [هود: الآيات ٥٤ - ٥٦] وكذلك لما خوفوا منها نبي الله إبراهيم (عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام) وقالوا له: سوف تفعل بك أصنامنا وتفعل، قال لهم: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٣) [الأنعام: آية ٨١] وخوفوا بها نبي الله (صلوات الله وسلامه عليه)، كما نص الله عليه في سورة الزمر في قوله: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ ثم قال رداً عليهم: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: آية ٣٦] وفي القراءة الأخرى^(٤): ﴿بكاف عباده﴾ وهذا كثير في

(١) انظر: القرطبي (٩٠/٨).

(٢) انظر: المبسوط لابن مهران ص ٣٨٤.

القرآن، فهذه الخشية التي يخاف صاحبها من عاقبة الأصنام هذا كفر بالله وشرك به.

وقال بعض العلماء: هي الخشية الدنيوية من الناس إذا كانت تحمل الإنسان على أن يعصي الله، كالذي يخشى من الكفار ويجنب عن الجهاد في سبيل الله، كما تقدّم في قوله: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَأَلَّهَ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: آية ١٣] أما ما يعرض للإنسان من الخوف من الأشياء والمحاذير بجبلته فهذا أمر لا مؤاخذه به؛ لأن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها كما هو معلوم، وهذا معنى قوله: ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة: آية ١٨].

﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: آية ١٩].

قال بعض العلماء: نزلت هذه الآية الكريمة في العباس بن عبد المطلب، ذلك أنه لما أُسر يوم بدر كان علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) يلومه ويشدد عليه في قتاله للنبي ﷺ، وكان الصحابة يعيرونه وأصحابه بالشرك بالله، فقال لهم: تذكرون مساوئنا ولا تذكرون محاسننا!! فقال له علي: ألكم محاسن؟ قال: نعم، نحن نعمر بيت الله الحرام، ونسقي الحاج، ونفك العاني، ونفعل ونفعل^(١).

(١) أخرج نحوه ابن جرير (١٧٠/١٤)، وابن أبي حاتم (١٧٦٨/٦) وإسناده صحيح، والواحدي في أسباب النزول ص ٢٤٤، وأورده السيوطي في الدر =

وقال بعض العلماء: نزلت في عثمان بن طلحة، أو شيبة بن طلحة، وعلي بن أبي طالب، والعباس بن عبد المطلب. قال العباس: أنا صاحب السقاية. وقال صاحب بني عبد الدار: أنا سادن البيت، عندي مفتاح الكعبة، لو أشاء لبت فيها. وقال علي بن أبي طالب: صليت إلى القبلة قبل أن يصلي الناس إليها، وذكر الجهاد ونحو ذلك، فأنزل الله: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ﴾ (١).

= (٢١٨/٣)، وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم من حديث ابن عباس (رضي الله عنهما)، كما أورده عنه مختصراً وعزاه لابن مردويه.

وقد جاء في هذا المعنى جملة من الآثار منها:

١ - الشعبي: أخرجه ابن جرير (١٧١/١٤)، وابن أبي حاتم (١٧٦٨/٦)، وأورده السيوطي في الدر (٢١٨/٣)، وعزاه لابن مردويه وعبد الرزاق وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

٢ - عبد الله بن عبيدة: أورده السيوطي في الدر (٢١٨/٣)، وعزاه لابن أبي شيبة وابن مردويه وأبي الشيخ.

٣ - ابن سيرين: أخرجه الواحدي في أسباب النزول ص ٢٤٤، وعزاه في الدر (٢١٨/٣) للفريابي.

٤ - الضحاك: أخرجه ابن جرير (١٧٢/١٤).

(١) أخرجه ابن جرير (١٧١/١٤)، والواحدي في أسباب النزول ص ٢٤٤، عن محمد بن كعب القرظي مرسلًا، وقد جاء بمعناه عدة آثار منها:

١ - عن الحسن البصري: أخرجه الواحدي في أسباب النزول ص ٢٤٤، وعزاه في الدر (٢١٩/٣) لعبد الرزاق.

٢ - أنس بن مالك (رضي الله عنه): أورده السيوطي في الدر (٢١٩/٣)، وعزاه لأبي نعيم في فضائل الصحابة، وابن عساكر.

٣ - السدي: أخرجه ابن جرير (١٧٢/١٤).

٤ - الشعبي: أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٦٧/٦).

وأكثر المفسرين أن سبب نزولها هو افتخار الكفار بسقائتهم الحاج، وعمارتهم المسجد الحرام، وجعلهم ذلك مثل إيمان المؤمنين، وأن لهم من الأجر مثل ما للمؤمنين، فأنكر الله عليهم.

وقد جاء في سبب نزول هذه الآية الكريمة حديث مشكل، لأنه خرّج جماعة عن النعمان بن بشير (رضي الله عنه)، ومن جملة من خرّج حديثه مسلم بن الحجاج (رحمه الله) في صحيحه، أن سبب نزولها أن النبي ﷺ كان يوم الجمعة وعند منبر النبي ﷺ رجال، فقال واحد منهم: لا أبالي أن أفعل شيئاً بعد الإسلام إلا أن أسقي الحاج. وقال الثاني: لا أبالي أن أفعل شيئاً بعد الإسلام إلا أن أعمر المسجد الحرام. وقال الثالث: الجهاد في سبيل الله أفضل من هذا كله. فزجرهما عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ. وكان هذا يوم الجمعة. فإذا صلى الجمعة استفتيت رسول الله ﷺ فيم اختلفتم فيه. وأنه استفتى النبي ﷺ فأنزل الله: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ سبب نزول هذه الآية على هذا السياق أخرجه مسلم في صحيحه وجماعة^(١)، وهو مشكل جداً؛ لأننا لو فرضنا أن نزولها في المؤمنين لا يناسب قوله في آخرها: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: آية ١٩] فدل على أن الصحيح أنها في الكفار، وهذا الحديث أصله فيه إشكال معروف في سبب نزول هذه الآية الكريمة، وقد أورد أبو عبد الله القرطبي (رحمه الله) في تفسير هذه الآية إزالة هذا الإشكال^(٢)،

(١) مسلم في الإمارة، باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله، حديث رقم:

(١٨٧٩)، (١٤٩٩/٣).

(٢) تفسير القرطبي (٩٢/٨).

وكلامه فيه أجود ما وقفت عليه في إزالة إشكاله، قال: إنهم لما اختلفوا وذكر واحد منهم عمارة المسجد، وذكر الثاني سقاية الحاج، وذكر الثالث الجهاد، وسأل عمر بن الخطاب النبي ﷺ، أن النبي إنما قرأ الآية - وكانت نازلة قبل - مستدلاً بها لحكم ما اختلفوا فيه، وهي قوله: ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ ﴾ فظن الراوي أن قراءة النبي لها أن ذلك وقت نزولها، وذلك ليس بوقت نزولها، فهي نازلة قبل ولكنه ذكرها استشهاداً واستدلالاً لما اختلفوا فيه. وهذا هو الأظهر والله تعالى أعلم.

وقوله: ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ ﴾ الظاهر أن (جعل) هنا هي التي بمعنى اعتقد، وأنه أنكر عليهم اعتقادهم تساوي هذين الأمرين وهما بعيد من المساواة، بينهما بون عظيم، وبون شاسع. وكان بعضهم يقول: لا يبعد أن تكون هي التي بمعنى (صير) أي: صيرتم هذا كهذا وادعيتم أنه مثله.

وقد ذكرنا في هذه الدروس مراراً^(١) أن لفظة (جعل) تأتي في اللغة العربية لأربعة معان، ثلاثة منها موجودة في كتاب الله، ورابعها موجود في اللغة العربية ولم يوجد في كتاب الله، من هذه المعاني الأربعة: كون (جعل) بمعنى (اعتقد) وجعل التي بمعنى اعتقد أصلها تنصب المبتدأ والخبر مفعولين، ومنها قوله: ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنِشَاءً ﴾ [الزخرف: آية ١٩] وفي القراءة الأخرى^(٢): ﴿ الَّذِينَ هُمْ عِنْدَ الرَّحْمَنِ إِنِثَاءً ﴾ والمعنى جعلوا الملائكة إنثاءً، أي:

(١) مضى عند تفسير الآية (١٠٠، ١١٢) من سورة الأنعام والآية (١٨٩) من سورة الأعراف.

(٢) مضت عند تفسير الآية (١١٢) من سورة الأنعام.

اعتقدوهم إنائاً؛ لأنهم لم يصيروهم إنائاً ولا يقدرُون، فهي (جعل) بمعنى (اعتقد).

والثانية (جعل) بمعنى (صَيَّر) ومنه قوله: ﴿جَعَلْنَهُمْ حَصِيدًا خَمِدِينَ﴾ [الأنبياء: آية ١٥] أي: صيرناهم. وهذه أيضاً تنصب المبتدأ والخبر مفعولين.

والثالثة (جعل) بمعنى (خلق) وهي تتعدى إلى مفعول واحد، ومن هذا قوله في أول سورة الأنعام: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام: آية ١] أي: خلق الظلمات والنور، بدليل عطفه على قوله: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾.

هذه ثلاثة معاني كلها في القرآن: (جعل) بمعنى (اعتقد)، (جعل) بمعنى (صَيَّر)، (جعل) بمعنى (خلق).

الرابع منها: (جعل) بمعنى (شرع) جعل يفعل كذا إذا شرع فيه. وهذه ليست موجودة في كتاب الله، وهي موجودة في كلام العرب بكثرة، ومنه قول الشاعر^(١):

وقد جعلتُ إذا ما قمتُ يُثْقِلُنِي ثوبي فأنهضُ نهضَ الشَّارِبِ السَّكِرِ

وهذا معنى قوله: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ﴾ [التوبة: آية ١٩].

السقاية هي إحدى الوظائف؛ لأن قصي بن كلاب - وهو مُجَمِّع - لما جَمَعَ قريشاً وأخذ سدانة الكعبة من خزاعة، وجَمَعَ قريشاً وكان يُسمى مُجَمِّعاً؛ لأنه جمع قبائل قريش بمكة، وهو الذي يقول فيه ابن حذافة^(٢):

(١) مضى عند تفسير الآية (١١٢) من سورة الأنعام.

(٢) تقدم هذا البيت في سبل الهدى والرشاد (١/٢٧٥).

أَبُوكُمْ قُصِيٌّ كَانَ يُدْعَى مُجَمَّعًا بِهِ جَمَعَ اللَّهُ الْقَبَائِلَ مِنْ فَهْرٍ
 جعل الوظائف وهي السقاية والرفادة والندوة واللواء وحجابة
 البيت هذه الوظائف كلها جعلها لعبد الدار بن قصي؛ لأن أولاد قصي
 أربعة: عبد بن قصي، وعبد الدار بن قصي، وعبد العزى بن قصي،
 وعبد مناف بن قصي. وكان عبد الدار أقل أولاده شرفاً وأكثرهم
 خمولاً، فأعطاه جميع الوظائف. وجعل إلى عبد الدار السقاية،
 والرفادة، والحجابة، ودار الندوة، واللواء.

اللواء هو حمل اللواء في الميدان عند التحام الحرب.

ودار الندوة: هي الدار التي كانوا لا يعقدون ولا يحلون إلا
 بها، اشتراها بعد ذلك حكيم بن حزام وباعها وتصدق بثمانها^(١). ولما
 قالوا له: يا أبا خالد: بعت مأثرة قريش!! قال لهم: الشرف بالدين
 لا بالديار.

والسقاية: كان قصي يجمع أموالاً على قريش يجعل منها
 الرفادة والسقاية.

الرفادة: مال يكون عندهم يكون رفاً لمن تعطل، إذا مات
 بغير حاج اشتروا له بغيراً، وإذا افتقر أحد أو انقطعت به النفقة زودوه
 منه حتى يصل إلى أهله. كل هذا يفعله قصي ويأخذ هذا المال على
 قريش.

والسقاية: كانوا يأخذون النبيذ والشراب الطيب ويجعلونه في
 الموسم في الأماكن التي تغشاها الناس، فيأتي الناس فيشربون

(١) أخرجه الطبراني من طريقين (٣/ ١٨٦ - ١٨٧)، وقال في المجمع (٩/ ٣٨٤):

«رواه الطبراني بإسنادين أحدهما حسن». اهـ.

مجاناً. وعن ابن عباس (رضي الله عنهما) أن أعرابياً جاء واستسقاها من سقايتهم فسقوه نبيذاً، فقال الأعرابي: سبحان الله إن الناس يسقون في سقايتهم اللبن والعسل وأنتم تسقون النبيذاً!! يعيبهم بأن سقايتهم نبيذ. فأخبره ابن عباس أن النبي ﷺ مرّ بهم وسقوه من نبيذها، وأمرهم أن يسقوا الناس منه. قال: لا أزيد على ما أمرنا به رسول الله ﷺ^(١). ومعلوم أن هذا النبيذ الذي أمر النبي بسقيه على تقدير صحة هذا أنه نبيذ لا يسكر كثيره؛ لأن النبيذ الذي يسكر كثيره لا ينبغي أن يقدم على شربه؛ لأنه ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «ما أسكر كثيره فقليله حرام»^(٢) كما هو معروف. فهذه هي سقاية الحاج.

والرفادة والحجاجة التي هي سدانة البيت كانت كلها لعبدالدار، ولما شبّ أولاد عبد مناف أرادوا نزع هذه الأشياء من بني عبد الدار، ووقعت المخالفة بين قريش، وتحالفوا للقتال الحلف الذي يقال فيه «حلف المطيبين» و«حلف لَعَقَةِ الدَّم» كما هو معروف، ثم اصطلحوا على أن تبقى السقاية والرفادة أن ترد لبني عبد مناف، ويبقى للعبدريين اللواء والندوة وحجاجة البيت، أي: سدانة الكعبة حرسها الله. فهذه السقاية كانوا يفتخرون بها ويقولون: نحن نسقي الحاج ونعمر بيت الله!! ويجعلون هذا أفضل ممن يؤمن بالله. فأنكر الله عليهم فقال: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ﴾ [التوبة: آية ١٩] الحجاج يقدمون عليكم فتسقونهم ﴿وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ كترميمه وبنائه.

(١) أخرجه ابن سعد (١٣١/٢)، وأورده السيوطي في الدر (٢١٩/٣)، وعزاه لابن سعد.

(٢) مضى عند تفسير الآية (١١٥) من سورة الأنعام.

﴿ كَمَنَّ آمَنَ بِاللَّهِ ﴾ لا بد أن يقدر مضاف في أحد الأمرين^(١). قال بعض العلماء: يقدر في الأول، والمعنى: أ جعلتكم أصحاب سقاية الحاج، أو أهل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن، أي: كالذين آمنوا بالله؟

وقال بعض العلماء: يقدر المضاف في الثاني ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ ﴾ كعمل من آمن بالله. والأمران جائزان، وأظهرهما: تقديره في الأول، والمعنى: أ جعلتكم أهل سقاية الحاج وأصحاب عمارة المسجد كالذين آمنوا بالله، لا يكونوا مثلهم أبداً. ويُستأنس لهذا بالقراءة الشاذة المروية عن ابن الزبير وأبي بن كعب وأبي وجزة وغيرهم في قوله: «أ جعلتكم سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام»^(٢) السقاة: جمع الساقى، كقاضي وقضاة. والعمرّة: جمع عامر، ككاتب وكتبة، وظالم وظلمة. فهي قراءة شاذة إلا أنها يُستأنس بها للمعنى.

والحاج: اسم جنس لكل من يحج بيت الله الحرام، وسقايتهم: كما كانوا يسقون النبيذ والشراب الحلو في المواسم أيام الحج.

﴿ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ كما بناه قريش في صغر النبي ﷺ. جعلتكم واعتقدتم هذا ﴿ كَمَنَّ آمَنَ بِاللَّهِ ﴾ لا يكون مثله.

ثم قال: ﴿ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ لا يستوي هؤلاء وهؤلاء؛ لأن

(١) انظر: القرطبي (٨/ ٩١)، الدر المصون (٦/ ٣١).

(٢) ذكرها ابن جني في المحتسب (١/ ٢٨٥)، والقرطبي (٨/ ٩١)، وأبو حيان في البحر (٥/ ٢٠)، ولم أجد من عزاها لأبي بن كعب.

عمل هؤلاء باطل للكفر؛ لأن الله قال: ﴿وَيَطِلْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود: آية ١٦] وقال (جلّ وعلا): ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان: آية ٢٣] وقال: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: آية ١٩] أي: ومنهم الكفرة الذين يفتخرون بسقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام، فهم قوم ظالمون لا يهديهم الله (جلّ وعلا).

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [٢٠] يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عِبَادَ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ إِنْ اسْتَحْبَبُوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: الآيات ٢٠ - ٢٤].

يقول الله (جلّ وعلا): ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [٢٠] يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ [التوبة: الآيات ٢٠ - ٢٢].

لما قال أهل مكة مفتخرين بأنهم يسقون الحاج، ويعمرون المسجد الحرام، ويفكون العاني - أي: الأسير - وافتحروا بمثل هذه الخصال، وأنكر الله عليهم تسويتهم بين ذلك وبين الجهاد والإيمان في قوله الذي ذكرنا أمس ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ

الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ ﴿ الآيَة [التوبة: آيَة ١٩] صرح هنا بأن الإيمان بالله والهجرة والجهاد في سبيل الله أعظم درجة وأفضل مما يفتخر به أهل مكة. والظاهر أن صيغة التفضيل هنا لمطلق الوصف؛ لأن كفار أهل مكة لا درجة لهم في سقاية الحاج ولا عمارة المسجد؛ لأن الله يقول: ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ ﴾ [التوبة: آيَة ١٧] ومعنى الآيَة الكريمة: ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ بالله وبكل ما يجب به الإيمان ﴿ وَهَاجَرُوا ﴾ أوطانهم وديارهم وأموالهم ﴿ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ وإعلاء كلمة الله هؤلاء ﴿ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ ﴾ (درجة): تمييز محول عن الفاعل، أي: أرفع رتبة ومكانة ﴿ وَأُولَئِكَ ﴾ المذكورون ﴿ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ الظافرون بالخط الأكبر؛ لأن العرب تقول: «فاز فلان». إذا ظفر بما كان يتمنى، وظفر بأكبر مطلوب، يقولون: «فاز»: نال الفوز، ومنه: ﴿ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ الْتَارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾ [آل عمران: آيَة ١٨٥]. والإتيان بضمير الفصل بين المسند والمسند إليه في قوله: ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ يدل على اختصاصهم بالفوز دون الذين قالوا: نحن نسقي الحاج ونعمر المسجد الحرام. وهذا معنى قوله: ﴿ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾.

﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ ﴾ [التوبة: آيَة ٢١] قرأ هذا الحرف عامة السبعة غير حمزة ﴿ يُبَشِّرُهُمْ ﴾ مضارع بشره يُبَشِّرُهُ. وقرأه حمزة من السبعة^(١): ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ ﴾ الآيَة، فعلى قراءة حمزة: ﴿ يُبَشِّرُهُمْ ﴾ مضارع (بشره) ثلاثياً مجرداً (يُبَشِّرُهُ) بالضم. وعلى قراءة الجمهور: ﴿ يُبَشِّرُهُمْ ﴾ مضارع (بشره) بالتضعيف (يُبَشِّرُهُ، تبشيراً).

(١) انظر: الإنحاف (٢/ ٨٩).

وقد قدمنا في هذه الدروس مراراً^(١) أن البشارة في لغة العرب هي الإخبار بما يسر، فكل من أخبرك بما يسرك فقد بَشَّرَكَ، وبَشَّرَكَ على اللغة الأخرى، وأنه يطلق أيضاً على البشارة بما يسوء، فالعرب أيضاً تسمي الإخبار بما يسوء (بشارة) إذا اقترن بما يدل على ذلك، وهو كثير في القرآن، كقوله: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: آية ٣٤] وقد ذكرنا أنه أسلوب عربي معروف. تقول العرب: «بَشَّرَهُ بكذا». إذا أخبره بما يسوؤه، ومنه قول الشاعر^(٢):

يُبَشِّرُنِي الْغُرَابُ بِبَيْنِ أَهْلِي فقلتُ له ثَكِلْتُكَ مِنْ بَشِيرُ
وَبَيْنُ أَهْلِهِ مِمَّا يَسُوؤُهُ الْإِخْبَارُ بِهِ. وقول الآخر^(٣):

وَبَشَّرْتَنِي يَا سَعْدُ أَنْ أَحْبَبْتَنِي جَفَوْنِي وقالوا الوُدُّ موعده الحَشْرُ

فجفاء الأحبة إخبار بما يسوء. ومعلوم أن الذين تكلموا في البلاغة والذين كانوا يقسمون الكلام إلى حقيقة ومجاز يقولون: إن البشارة حقيقة في الإخبار بما يسر، وهي في الإخبار بما يسوء استعارة عندهم، ويجعلونها من الاستعارة المسماة في اصطلاح البيانين بالاستعارة العنادية، ويقسمونها إلى تهكمية وتمليحية كما هو معروف في محله^(٤). ونحن نقرر دائماً أنها أساليب عربية، كلها حقيقة في محله، وقد وضعنا في ذلك رسالة تُسمى (منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز) وهذا معنى قوله:

(١) مضى عند تفسير الآية (٤٨) من سورة الأنعام.

(٢) تقدم هذا الشاهد عند تفسير الآية (٤٨) من سورة الأنعام.

(٣) السابق.

(٤) السابق.

﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ﴾ [التوبة: آية ٢١] الرحمة: مصدر رَحِمَهُ، والرحمة من صفات الله (جلّ وعلا)، ونحن معاشر المسلمين نصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله ﷺ، ونثبت له ما أثبت لنفسه، منزهين خالق السماوات والأرض عن مشابهة الخلق، فلا نميل إلى التعطيل، ولا إلى التمثيل، بل نقر بصفات الله ونؤمن بها على سبيل المخالفة لصفات الخلق، كما علّمنا الله في قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١١) [الشورى: آية ١١] ومراراً نوضح مذهب السلف في آيات الصفات عند كل المناسبات.

ومعنى قوله: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ﴾ [التوبة: آية ٢١] قرأ هذا الحرف عامة السبعة غير شعبة - أبي بكر - عن عاصم: ﴿وَرِضْوَانٍ﴾ بكسر الراء. وقرأه شعبة عن عاصم ﴿وَرِضْوَانٍ﴾ بضم الراء^(١) وهما لغتان فصيحتان، وقراءتان صحيحتان؛ لأن العرب تقول في مصدر رضي تقول: رضي يرضى رضاءً ورضواناً. وتزيد فيه الألف والنون، والألف والنون ترادان في بعض المصادر كثيراً كالكفران والرجحان والغفران والرضوان. والكسر والضم لغتان فيه، ورضوان الله: رضاه (جلّ وعلا)، والرضا أيضاً صفة من صفات الله (جلّ وعلا) أثبت لنفسه الاتصاف بها إذا أمثلت أوامره واجتنبت نواهيه، كما قال تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [البينة: آية ٨] ونحن دائماً نوصي أنفسنا وإخواننا وعامة المسلمين أن يعتقدوا في مذهب السلف المعتقد الواضح الذي هو في ضوء القرآن العظيم، الذي لا إشكال فيه ولا قيل ولا قال، وصاحبه يلقي الله

(١) انظر: الإتحاف (٢/ ٨٩).

سالمًا من البلايا التي وقع فيها الناس الذين أكثروا الخوض في ذلك بقليل وقال .

وإيضاح مذهب السلف في آيات الصفات كما بيّنه القرآن وأوضحه هذا المحكم المنزل أنه يتأسس على ثلاثة أصول من جاء بها كاملة لقي الله سالمًا، ومن أخلّ بواحد منها أوقع نفسه في بلية فلا يدري هل يتخرج منها أو لا^(١) .

أول هذه الأسس: هو الأساس الأعظم للتوحيد، والحجر الأساسي لمعرفة الله على طريق صحيح، هذا الأساس الأعظم هو: أن يعتقد الإنسان أن خالق السماوات والأرض منزّه عن مشابهة جميع خلقه في جميع صفاتهم وأفعالهم وذواتهم، فالخلق صنعة، والخالق (جلّ وعلا) صانع ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل: آية ٨٨] والصنعة لا تشبه صانعها، فمن رزقه الله فهم هذا الأساس عن الله وعلم أن الخلائق صنعة، وأن خالقهم هو صانعهم ومدبرهم ومنشئهم علم أنه لا مناسبة بين صفاته وصفاتهم، وأنه منزّه كل التنزيه، مقدس كل التقديس عن مشابهة خلقه، لا في ذواتهم، ولا في صفاتهم، ولا في أفعالهم. هذا الأساس الأعظم، فمن رزقه الله هذا الأساس، وفهمه عن الله، وطهر قلبه من أدران التشبيه، وأقذار التمثيل، كان يهون عليه بعد ذلك أن يصدق الله فيما وصف به نفسه، ويؤمن بصفات الله على الوجه اللائق بكماله وجلاله^(٢) .

(١) راجع ما تقدم عند تفسير الآية (٥٢) من سورة الأنعام .

(٢) وهذا هو الأساس، والأصل الثاني من الأصول الثلاثة المشار إليها .

وهذا الذي أقوله لكم ليس من تلقاء نفسي بل هو من تعليم خالق السماوات والأرض في المحكم المنزل الذي هو أعظم كتاب أنزله الله على أشرف رسول، لأن الله يقول فيه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ [الشورى: آية ١١] فوضع الأساس الأول الذي هو أساس التنزيه ومخالفة الخلق في ذواتهم وصفاتهم وأفعالهم بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: آية ١١] ثم وضع بعده الأساس الثاني وهو الإيمان بصفات الله على أساس ذلك التنزيه، لا إيماناً دنساً وسخاً ذاهباً إلى صفات الخلق، لا.. لا.. بل هو إيمان منزّه مبني على أساس التنزيه. وقوله: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ﴿١١﴾ بعد قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ فيه سر أعظم، ومغزى أكبر، وتعليم عظيم من رب العالمين، كأنه يقول لك: تَعَقَّلْ يا عبدي وتفهم، ولا تنفي عني سمعي وبصري بدعوى أن المخلوقات تسمع وتبصر، وأن إثبات ذلك فيه تشبيه، لا.. لا.. راع في إثبات السمع والبصر أول الآية، وابنه على نفي المماثلة والمخالفة، واربط أول الآية بآخرها، فأولها تنزيه، وآخرها إيمان بالصفات على أساس ذلك التنزيه، فلا تقطع أول الآية من آخرها، ولا آخرها من أولها، بل اربط بينهما، ولا تقل: المخلوقات تسمع وتبصر، وإثبات السمع والبصر لله تشبيه. لا، أثبت السمع والبصر، ولكن إثباتاً مبنياً على ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ لا إثباتاً وسخاً نجساً قدراً ذاهباً إلى صفات الخلق، لا.. لا، فأول الآية تنزيه بلا تعطيل، وآخرها إيمان بالصفات وإثبات لها بلا تمثيل.

الأصل [الثالث]^(١) من هذه الأصول الثلاثة: هي أن يعلم الإنسان قدره، ويقف عند حده؛ لأن خالق السماوات والأرض أعظم وأجلّ وأكبر من أن تحيط به العقول المخلوقة المسكينة، والله يقول: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: آية ١١٠] فنفى الإحاطة للعلم البشري عن خالق السماوات والأرض نفياً باتاً.

فمن لقي الله وهو متمسك بهذه الأسس الثلاثة في ضوء كتاب الله لقيه في سلامة وفي غير ندامة. ونحن الآن في طريقنا في إسراع وحث إلى الوقوف بين يدي الله (جلّ وعلا)؛ لأن هذه اللحظات والدقائق والثواني يظن الجاهل أنها هادئة، وأنها واقفة، وهي تقطع بنا آلاف الأميال إلى المحشر، فعن قريب ونحن قائمون بين يدي الله في صعيد واحد، ينفذنا البصر ويسمعنا الداعي، ويسألنا الله، والله يقول: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: آية ٦] ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [١٧] ﴿عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [٩٣] [الحجر: الآيتان ٩٢، ٩٣] فيوشك أن يقول لنا: ماذا كان موقفكم من صفاتي التي كنت أثني بها على نفسي في كتابي، ويثني بها عليّ رسولي ﷺ؟

[ولا يقول لك الله: لِمَ نزهتني عن مشابهة خلقي؟ لا والله، [٣/ب] لا يقول لك ذلك]^(٢) / أبداً بل تنزيه رب السماوات عن مشابهة خلقه في ذواتهم وصفاتهم وأفعالهم طريق سلامة محققة لا شك فيه، ولا

(١) في الأصل: «الثاني»، وهو سبق لسان.

(٢) في هذا الموضع، وقع مسح في التسجيل، وما بين المعقوفين [] زيادة يتم بها المعنى.

يقول لك الله: لِمَ صدقتني فيما مدحت به نفسي، وأثنت به على نفسي، وأنزلته في كتابي معلماً خلقي أن يمدحوني به؟! لا يقول لك: هذا أبداً، ولا يقول لك: لِمَ تقف عند حدك، وتقر بما لا تعلم؟ لأن الله يقول: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ بل هي كلها طرق سلامة محققة.

واعلموا أيها الإخوان أن أول البلايا ومنشأ الرزايا كله من أنجاس القلوب بسبب التشبيه، كل البلايا منشؤها الوحيد بسبب أنجاس القلوب من أقدار التشبيه. هذا أصل البلاء والمحن والفتن الذي طبقت وجللت هذه المعمورة؛ لأن السلفي — مثلاً — العامل بضوء القرآن، إذا سمع الله يشني على نفسه بصفة من الصفات التي أثبتها لنفسه، سواء كانت صفة ذات أو صفة فعل، كقوله: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الفرقان: آية ٥٩] امتلاً قلبه إجلالاً وتعظيماً وإكباراً، وعلم أن هذا الاستواء الذي أثنى الله به على نفسه في سبع آيات من كتابه أنه بالغ من غايات الكمال والجلال والتنزيه والتقديس والمباعدة عن صفات المخلوقين ما يقطع جميع علائق أوهام المشابهة بينه وبين صفات المخلوقين. أما إذا كان قلب الإنسان فيه بعض أقدار التشبيه فأول ما يسبق إلى ذهنه أن هذا الاستواء ظاهره استواء المخلوقات — سبحانه الله وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً — فيخطر في ذهنه أنه انتصاب كانتصاب هذا، فيتقذر القلب من أقدار التنجيس والتشبيه، فعند ذلك تأتي البلايا، وبعد ذلك إذا قال: ظاهر هذا هو مشابهة صفات المخلوقين جاءت البلايا من هنا، ثم إنه دعاه شؤم هذا التشبيه إلى أن ينفي هذه الصفة عن الله، ومن ينفي عن الله وصفاً أثبتته لنفسه فهو «أجراً من خاصي

الأسد»^(١). ثم إذا نفى هذه الصفة عنه ذهب يتلمس إلى وصف في زعمه ملائم، ثم يبدل الاستواء بالاستيلاء فيقول: استوى معناه استولى!! ويضرب لهذا مثلاً بقول الراجز في بشر بن مروان^(٢):

قد استوى بشرٌ على العراقِ من غير سيفٍ ودمٍ مهراقِ
فهذا غلط شديد كبير أيها الإخوان!! ونحن نرجو الله أن الذين وقعوا فيه من العلماء أن يعفو الله عنهم ويغفر لهم لحسن نياتهم، فهم كما قال الشافعي رحمه الله^(٣):

رَامَ نَفْعاً فَضَرَّ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ وَمِنْ الْبِرِّ مَا يَكُونُ عُقُوقاً
ونرجو الله ألا يكونوا كالذين قال الله فيهم: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [البقرة: آية ٥٩]. وهذا الذي ذهبوا إليه أعظم وأشر وأضر من الذي فروا منه؛ لأننا نقول: أيها الإنسان الذي ضربت مثلاً لاستيلاء الله على عرشه الذي فسرت به الاستواء من تلقاء نفسك باستيلاء بشر بن مروان على العراق وضربت له المثل بيت الراجز المذكور:

قد استوى بشرٌ على العراقِ من غير سيفٍ ودمٍ مهراقِ
أما تستحي من الله؟ أما تخاف الله؟ وبأي مبرر سوغت لنفسك أن تشبه استيلاء الله على عرشه الذي زعمت باستيلاء بشر بن مروان على العراق؟ وهل يوجد في الدنيا تشبيه أنتن وأخس وأقبح من

(١) انظر: الأمثال لأبي عبيد ص ٣٧٥.

(٢) مضى عند تفسير الآية (١٥٨) من سورة الأنعام.

(٣) مضى عند تفسير الآية (١٤٨) من سورة الأنعام.

هذا؟! شبهت العرش بالعراق، ورب السماوات والأرض ببشر بن مروان، وهذا يفتح باباً إلى بحور من أنواع التشبيه لا ساحل لها أبداً؛ لأنه فيه تشبيه استيلاء الله على عرشه المزعوم بكل مخلوق قهر مخلوقاً فغلبه فاستولى عليه!! فمن هنا يضطر هذا القائل أن يقول: الاستيلاء الذي فسرت به الاستواء استيلاء منزّه عن استيلاء المخلوقين. ونحن نقول: كيف تنزهه وأنت تضرب له المثل باستيلاء بشر بن مروان؟ ثم نقول: إذا لزمنا أن ننزه أحد الكلمتين: إما الاستواء الذي نصّ الله عليه في كتابه وأنزله في سبع آيات من القرآن كتاباً يتلى أو الاستيلاء الذي جئت به، أيهما أحق بالتنزيه؟ الجواب: ولا شك أن كلام رب العالمين الذي أنزله وحياً يُتلى من فوق سبع سماوات أحق بالتنزيه من غيره. فمقصودنا أن نبين لإخواننا أن المدار على حفظ القلب والمحافظة عليه من أقذار التشبيه، وأن يعلم الإنسان أن كل وصف وصف الله به نفسه فهو بالغ من غاية الجلال والكمال والإعظام والإكبار والتقديس ما يقطع جميع علائق أوهام المشابهة بينه وبين صفات المخلوقين، فيحمل على أطهر المعاني وأعظمها وأقدسها وأليقها بالله (جلّ وعلا) وأبعدها عن مشابهة صفات المخلوقين.

ولو قال قائل: نحن لا نعقل استواء تدركه عقولنا إلا مثل استواء المخلوقين. فنقول له: وهل عقلت كيفية الذات المقدسة المتصفة بهذا الاستواء؟ فلا بد أن يقول: لا. فنقول: معرفة كيفية الصفات متوقفة على معرفة كيفية الذات، والله يقول: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠] والأشياء تختلف بإضافاتها، فالصفة المضافة والمُسندة إلى الله تخالف المضافة والمُسندة إلى غيره

كمخالفة ذات الله لذوات خلقه، فصفات الخلق حق، وصفات الله حق، إلا أن صفات الله لا تُلحق بذات الله، منافية لصفات المخلوقين كمنافاة [ذات الخالق لذوات] ^(١) الخلق، والإضافات تتغير بها المخلوقات فكيف بما بين الخالق والمخلوق؟ فمثلاً — والله المثل الأعلى — كلمة (رأس) أعني: كلمة (الراء والهمزة والسين) (رأس) هذه الكلمة إذا أضفتها إلى الإنسان وقلت: رأس الإنسان. وأضفتها إلى الوادي فقلت: رأس الوادي. وأضفتها إلى المال فقلت: رأس المال. وأضفتها إلى الجبل فقلت: رأس الجبل، أليست هذه الإضافات مختلفة في حقائقها، متباينة كل التباين؟ مع أنها مخلوقات حقيرة ضعيفة تباينت وتخالفت لاختلاف إضافاتها، فما بالك بالاختلاف الواقع بين الخالق والمخلوق؟ لا مشابهة هناك ولا مناسبة بين خالق ومخلوق. فعلينا أن نمشي على هذا النمط، وإذا سمعنا الله يثني على نفسه بصفة أن نعتقد أنها صفة بالغة من غايات التنزيه والكمال والإجلال ما يقطع علائق أوهام المشابهة بينها وبين صفات المخلوقين، ونؤمن بها على خصوص هذا الأساس من التنزيه، ولا نؤمن بها إيماناً وسخاً قدراً ذاهباً إلى المشابهة بصفات الخلق، لا.. لا، ثم نقطع الطمع عن إدراك الكيفيات والإحاطة العلمية؛ لأن الله نفاها نفياً باتاً في قوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً﴾ [طه: آية ١١٠] فإننا إذاً نكون منزّهين ربنا، مصدقين لربنا، واقفين عند حدنا، وتنزيه الله طريق مأمونة، وتصديق الله ورسوله طريق مأمونة، والوقوف عند الحد طريق مأمونة. وسنبسط على هذا الكلام — إن شاء الله — في بعض المناسبات الآتية. وهذا

(١) في الأصل: «صفة الخالق لصفات»، وهو سبق لسان.

معنى قوله: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾ [التوبة: آية ٢١].

الجنات: جمع تصحيح للجنة، والجنة في لغة العرب^(١): البستان، فإن العرب تسمي كل بستان جنة، وسيأتي قوله: ﴿كَأَمْثَلِ بَلْوَانٍ أَتَتْهُ الْجَنَّةُ﴾ [القلم: آية ١٧] والبستان صاحب القصة المعروفة. وإطلاق الجنة على البستان إطلاق معروف مشهور، ومنه قول زهير بن أبي سلمى^(٢):

كَأَنَّ عَيْنِي فِي غَرْبِي مُقْتَلَةٌ مِنَ التَّوَاضِخِ تَسْقِي جَنَّةً سُحْقًا

هذا أصل الجنة في لغة العرب، وهي في اصطلاح الشرع: دار الكرامة التي أعد الله لأوليائه يوم القيامة، فهي شجرة مثمرة، ونخلة مضطردة، وغرفة عالية، وزوجة حسناء، نرجو الله أن يرزقنا الجنة وما قرب إليها من قول وعمل نحن وإخواننا المسلمين. وهذا معنى قوله: ﴿لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾ [التوبة: آية ٢١].

النعيم: خفض العيش ولينه، وهو ضد البؤس كما هو معروف.

وقوله: ﴿مُقِيمٌ﴾ [التوبة: آية ٢١] أي دائم أبداً لا يزول، وهذا كمال النعمة؛ لأن كمال النعمة الإقامة فيها وعدم الانتقال عنها؛ لأن أعظم ما يكدر النعم والمساّر هو أن يفكر الإنسان في أنه يفارقها. فترى الإنسان في لذاته وفي نعمه وترفه، إذا فكر في أنه غداً يموت عنها، وتنكح نساؤه، وتقسم أمواله، ويذهب عنه كل شيء فزع من ذلك،

(١) مضى عند تفسير الآية (٩٩) من سورة الأنعام.

(٢) السابق.

وأظلمت الدنيا في عينيه، ولم يتلذذ بما هو فيه، وقد صدق أبو الطيب حيث يقول^(١):

أشدُّ الغم عندي في سُرورٍ تيقَّنَ عنه صاحبُه انتقالاً

وهذا معروف عندهم، فكمال اللذة والنعمة إنما هو بالإقامة أبداً، والله (جلّ وعلا) نص في آيات من كتابه على أن نعيم الجنة لا ينقطع ولا يزول، كما قال تعالى في سورة هود: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا ففِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُوذٍ﴾ [هود: آية ١٠٨] فقلوه: ﴿غَيْرَ مَجْدُوذٍ﴾ ﴿١٠٨﴾ أي: غير مقطوع أبداً، وكذلك قوله: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: آية ٩٦] أي: باق لا نفاد له أبداً، والآيات الدالة على هذا متعددة في كتاب الله، وهذا معنى قوله: ﴿وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾ ﴿٢١﴾.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [التوبة: الآية ٢٢] على الدوام لا يزولون، كما قال جلّ وعلا: ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ ﴿١٠٨﴾ [الكهف: آية ١٠٨] لا يتحولون عنها إلى غيرها.

﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ (جلّ وعلا) ﴿عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿٢٢﴾ الأجر في لغة العرب: جزاء العمل. ومعنى ﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿٢٢﴾ أي: جزاء عملهم وهو الجنة، ووصفه بالعظم لما في الجنة من عظيم الشأن؛ لأن الله يقول فيها: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: آية ١٧] ولأجل هذا وصف هذا الجزاء بالعظم. وقد جاء مفصلاً في القرآن جميع ملاذه، كالمناكح في النساء التي هن في غاية الجمال، والملابس التي هي في غاية الجمال،

(١) مضى عند تفسير الآية (٤٢) من سورة الأعراف.

والمشارب، والأواني، والحلي، والولدان، والغلمان إلى غير ذلك من نعيم الجنة المفصل في آيات هذا القرآن العظيم، وهذا معنى قوله: ﴿ خَلِيدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [التوبة: آية ٢٢].

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [التوبة: آية ٢٣].

سبب نزول هذه الآية الكريمة أنه كان رجال من المسلمين يؤمنون بالله ويريدون الهجرة، فإذا أراد الواحد منهم أن يهاجر إلى رسول الله ليشارك المسلمين فيما هم فيه من الجهاد في سبيل الله والدعوة إلى الله جاءت امرأته وأولاده وأبوه وأخوه يناشدونه بالله ألا يذهب عنهم، ويقولون له: إلى من تكلنا؟ ويثبطونه، فبعضهم يمكن من أجل هذا. فنهاهم الله عن هذا، وسيأتي في سورة التغابن آية التغابن النازلة في عوف بن مالك الأشجعي، وهي قوله: ﴿ إِنَّكَ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوَّلَدِكُمْ عَدُوٌّ لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ﴾ [التغابن: آية ١٤] لأنها نزلت في عوف بن مالك، كان كلما أراد الهجرة جاءت امرأته وأولاده وناشدوه بالله، وقالوا: إلى من تكلنا؟ فيثبط، فلما هاجر بعد ذلك وجد المسلمين سبقوه بكل خير، فندم وأراد أن يضرب امرأته وأولاده بسبب تشييطهم إياه. فأمر الله المسلمين أن يتحفظوا من الأولاد والأزواج لئلا يثبطوهم عن الجهاد في سبيل الله، وأنهم إن وقع منهم شيء أن لا يؤاخذوهم، بل يعفوا عنهم

ويصفحوا^(١)، كما قال في آية التغابن: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: آية ١٤] ثم قال: ﴿وَلِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٢) أي: اصفحوا عنهم واغفروا لهم ولا تؤاخذوهم. وهذا معنى قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ﴾ [التوبة: آية ٢٣] قالوا: لم يذكر الأولاد هنا وذكرها في غير هذا الموضع، لا تتخذوهم أولياء توالونهم إذا كانوا يريدون أن يقطعوكم عن الهجرة.

﴿إِنْ أَسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ﴾ قرأ الهمزة الثانية من قوله: ﴿أَوْلِيَاءَ إِنْ أَسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ﴾ نافع وابن كثير وأبو عمرو مسهلة بين بين، والباقون بتحقيقها كما هو معلوم^(٢).

ومعنى ﴿أَسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ﴾ معناه: اختاروه وآثروه على الإيمان، إن آثروا الكفر واختاروه على الإيمان لا تتخذوهم أولياء، بل قاطعوهم وهاجروا ولا تركنوا إليهم. ويتعدد في القرآن إطلاق (استحب) بمعنى: (اختار) و (آثر) ومنه قوله: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ [فصلت: آية ١٧] أي: فاختراروه وآثروه عليه. ومنه قوله: ﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: آية ٣] أي: يؤثرونها ويقدمونها عليها. وهذا معنى قوله: ﴿إِنْ أَسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَمِنْكُمْ﴾ [التوبة: آية ٢٣] فيكون معهم فيما هم فيه ويترك الهجرة ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

(١) الترمذي في التفسير، باب: ومن سورة التغابن، حديث رقم: (٣٣١٧)،

(٤/٤١٩)، والحاكم (٢/٤٩٠)، وابن جرير (٢٨/١٢٥)، وانظر: صحيح

الترمذي (٣/١٢١).

(٢) انظر: الإتحاف (٢/٨٩).

قد قدمنا في هذه الدروس مراراً^(١) أن أصل مادة (الظلم) مادة الظاء واللام والميم، (ظَلَمَ) أنها في لغة العرب التي نزل بها القرآن أصلها في الوضع العربي: هو وضع الشيء في غير محله. فمن وضع شيئاً في غير محله تقول العرب: إنه ظلم؛ لأنه وضع الشيء في غير محله. ومنه قالوا للذي يضرب لبنه قبل أن يروب: «ظالم»؛ لأنه وضع الضرب في غير محله؛ لأنه يفسد زبده، ومنه قول الشاعر^(٢):

وقائلة ظلمتُ لكم سِقَائِي وهل يخفى على العَكْدِ الظَّلِيمُ
وقول الآخر^(٣):

وصاحب صدق لم تَرِدْنِي شَكَائُهُ ظلمتُ وفي ظَلَمِي لَهُ عامداً أجرُ

أصل الظلم هو وضع الشيء في غير محله، وجاء في القرآن في موضع واحد بمعنى النقص، وهو: ﴿كَلْنَا الْجَنَيْنَ ءَانَتْ أَكْلُهَا وَلَمْ تَظْلِمِ مِنْهُ شَيْئاً﴾ [الكهف: آية ٣٣] أي: ولم تنقص منه شيئاً. وأصل الظلم وضع الشيء في غير محله، وأعظم أنواع وضع الشيء في غير محله: الكفر بالله؛ لأنه وضع للعبادة في غير من خَلَق، فالذي يأكل رزق الله، ويتقلب في نعيمه، ويعبد غيره قد وضع عبادته في غير موضعها، فهو ظالم، وهذا أكبر أنواع الظلم؛ ولأجل هذا يكثر في القرآن العظيم إطلاق الظلم على الكفر، كما قال تعالى: ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: آية ٢٥٤] وقال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ

(١) مضى عند تفسير الآية (٥١) من سورة البقرة.

(٢) السابق.

(٣) السابق.

مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مَنِ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾ [يونس : ١٠٦] ،
 ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿١٣﴾ [لقمان : آية ١٣] وقد ثبت في صحيح
 البخاري ^(١) أن النبي ﷺ فسر قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا
 إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام : آية ٨٢] قال : بشرك . ثم تلا آية لقمان :
 ﴿يَبْنِي لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿١٣﴾ هذا أصل الظلم . وقد
 يكون ظلم دون ظلم ؛ لأن من أطاع الشيطان وعصى ربه بغير ما يكفر
 به قد وضع الطاعة في غير موضعها ، ووضع المعصية في غير
 موضعها حيث عصى ربه وأطاع عدوه . ومن كفر بالله وضع العبادة في
 غير موضعها ؛ ولذلك هنالك ظلم هو كفر ، وهنالك ظلم دون ظلم
 هو خروج عن طاعة الله لا يبلغ بصاحبه الكفر ، وهذا معنى قوله :
 ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿٢٣﴾ لأنهم وضعوا الأمر في غير موضعه
 فاتخذوا من يضرهم أولياء ، وتركوا ما ينفعهم من الهجرة والجهاد في
 سبيل الله . وهذا معنى قوله : ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿٢٣﴾ .

﴿قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ
 اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكَنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنْ
 اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي
 الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ ﴿٢٤﴾ [التوبة : آية ٢٤] .

سبب نزولها هو ما أشرنا له آنفاً ؛ لأن بعض الناس كان إذا
 أسلم عاقته هذه العوائق عن الهجرة والجهاد في سبيل الله (جلّ وعلا)
 بأن تعطله عن ذلك الأبناء والآباء والإخوان والعشائر والزوجات
 والأموال المكتسبة والتجارات التي يُخاف أن تضيع بالكساد ويضيع

(١) مضى عند تفسير الآية (٥١) من سورة البقرة .

ربحها، إن كان هذا كله أحب إليكم من الله ومن رسوله ومن الجهاد في سبيله ﴿فَتَرَبَّصُوا﴾ هو أمر تهديد كما يأتي.

وقوله: ﴿ءَابَاؤُكُمْ﴾ اسم كان. و ﴿أَحَبَّ﴾ خبرها.

ومعنى الآية الكريمة: قل يا نبي الله لهؤلاء المتخلفين عن الهجرة في سبيل الله بسبب هذه العوائق الآتية، قل لهم: إن كانت هذه الأمور التي عاقتكم أحب إليكم من الله ومن رسوله ومن جهاد في سبيله فانظروا أمراً يأتيكم من الله. وهذا معنى قوله: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ﴾.

الآباء جمع الأب، والعرب تقول: «أَبٌ» إذا نكرتها تعربها على العين وتحذف لامها ولا تعوض منه شيئاً، وهي من الأسماء التي تعرب على العين عند التنكير والتعريف. أما إذا أُضيفت فإن لامها ترجع لها^(١)، وأصل لام (الأب) واو، أصله (أبو) فلام الكلمة واو، فإنها إذا أُضيفت — مثلاً — أُعربت بالواو والألف والياء، فرجعت لها لامها كما هو معروف. وإذا نُكِّرت أو عُرِّفت أسقطت لامها وأُعربت على العين^(٢).

والإخوان جمع أخ. وأصل (أخ) أيضاً لاه المحذوفة واو؛ ولهذا رجعت في جمع التكسير في قوله: ﴿وَإِخْوَانُكُمْ﴾ فالأخ أصله (أخو) بالواو، فلامه المحذوفة واو^(٣)، وهو كالأب في جميع ما كنا نذكر. هذا معنى قوله: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ﴾. الأبناء جمع الابن وهو معروف.

(١) انظر: شرح قطر الندى ص ٤٦.

(٢) انظر: معجم مفردات الإبدال والإعلال ص ٧.

(٣) انظر: المصدر السابق ص ١٧.

﴿وَأَزْوَاجُكُمْ﴾ الأزواج جمع زوج، وزوج الرجل امرأته، ومفرده (زوج) بلا هاء، وهذه هي اللغة الفصيحة. العرب تقول: هذه زوجه، أي: امرأته، وزعم بعض علماء العربية أن قولهم (زوجته) بالتاء أنها من لحن الفقهاء، وأنها لا أساس لها في العربية. والتحقيق أن اللغة الفصحى في امرأة الرجل أنها (زوجه) بلا تاء، وأن التاء لغة فيها مسموعة وليست لحناً كما يقوله بعضهم^(١). ومن إطلاق الزوجة بالتاء على امرأة الرجل قول الفرزدق، همام بن غالب، وهو عربي قح^(٢):

وإنَّ الذي يَسْعَى لِيُفْسِدَ زَوْجَتِي كساع إلى أُسْدِ الشَّرِئِ يستبيلها
ومنه قول الحماسي^(٣):

فشكا بناتي شجوهن وزوجتي والظاعنون إليَّ ثم تصدَّعُوا
وفي صحيح مسلم من حديث أنس أن النبي ﷺ قال في صفة: إنها زوجتي^(٤). فالتحقيق أن الزوجة بالتاء لغة لا لحن، وأن اللغة الفصحى في امرأة الرجل أن يقال فيها: (زَوْجُهُ) بلا هاء. وهذا معنى ﴿وَأَزْوَاجُكُمْ﴾ أي: نساؤكم.

﴿وَعَشِيرَتُكُمْ﴾ قرأ هذا الحرف عامة السبعة — غير أبي بكر عن عاصم — (أعني بأبي بكر: شعبة) قرؤوه كلهم ﴿وَعَشِيرَتُكُمْ﴾ بالافراد.

(١) راجع ما سبق عند تفسير الآية (١٨٩) من سورة الأعراف.

(٢) السابق.

(٣) السابق.

(٤) السابق.

وقرأه شعبة عن عاصم: ﴿وَعَشِيرَاتِكُمْ﴾^(١) بجمع التصحيح، جمع عشيرة، وعشيرة الرجل ثبت في صحيح البخاري وغيره ما يدل على أنها تشمل إلى الجد العاشر؛ لأنه ثبت في الصحيح^(٢) أن النبي ﷺ لما نزل عليه قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: آية ٢١٤] أنه امتثلها فنادى بني فهر، وفهر هو جده العاشر ﷺ، فدل هذا الحديث الصحيح على أن العشائر تشمل إلى الجد العاشر من الرجل، وهذا معنى ﴿وَعَشِيرَتُكَ﴾.

﴿وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا﴾ الاقتراف في لغة العرب معناه الاكتساب، أموال اكتسبتموها تخافون إن سافرتم عنها أن تضيع ﴿وَتَبَحَرَةٌ يُخْشَوْنَ كَسَادَهَا﴾ تخافون إذا هاجرتم عنها أن تكسد ولا تجد رواجاً وربحاً، وكان بعض العلماء يقول: إن التجارة التي يخاف كسادها من عنده بنات — مثلاً — إذا خرج كسدن ولم يجدن أزواجاً يتزوجونهن^(٣). والأول هو ظاهر القرآن، وهو ظاهر اللغة، وإن كان الثاني قال به جماعة.

﴿وَمَسْكَنٌ﴾ جمع المسكن وهي الديار والقصور ﴿تَرْضَوْنَهَا﴾ يعني ترضونها سكناً وتحبون الإقامة والسكنى فيها، إن كان هذا كله

(١) انظر: المبسوط لابن مهران ص ٢٢٦.

(٢) البخاري في التفسير، باب ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾، حديث رقم: (٤٧٧٠)، (٥٠١/٨)، وأخرجه في موضع آخر. انظر: حديث رقم: (٤٩٧١)، ومسلم في الإيمان، باب في قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾، حديث رقم: (٢٠٨)، (١٩٣/١)، من حديث ابن عباس (رضي الله عنهما)، وقد جاء نحوه عن أبي هريرة وعائشة وغيرهما رضي الله عنهم أجمعين.

(٣) انظر: القرطبي (٩٥/٨).

أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله ﴿فَتَرَبَّصُوا﴾ قد ثبت في الصحيح^(١) عن النبي ﷺ أنه لا يؤمن أحد حتى يكون رسول الله ﷺ أحب إليه من أهله وولده بل ومن نفسه التي بين جنبيه، فلا يؤمن أحد حتى يكون ﷺ أحب إليه من نفسه التي بين جنبيه ومن كل شيء كائناً ما كان. وكذلك محبة الله (جلّ وعلا)، فالمسلم يحب الله (جلّ وعلا) ويحب رسوله ﷺ. واعلموا أيها الإخوان أن العلامة الواضحة لمحبة الله ورسوله هي امتثال أمر الله واجتناب نهى الله فيما بلغه عنه رسوله محمد ﷺ. هذا هو علامة المحبة. واعلموا أن كل من يدعي محبة رسول الله ﷺ وهو يخالفه أنه كذاب، كذاب، لا يحب الله ولا رسوله، ومن يخالف الله فالحب منتقص بقدر المخالفة، والمحب جداً لا يخالف محبوبه، فعلامة حب الله وحب رسوله الواضحة والشهادة به القاطعة هي اتباع ما جاء عن الله على لسان رسوله محمد ﷺ، ومصادق هذا في كتاب الله: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] فمحبة الله ومحبة رسول الله علامتها القاطعة اتباع رسول الله، فكل من يدعي أنه يحب الله ويحب رسول الله ويرتكب الأمور المخالفة لما جاء به رسول الله عن الله فهو كذاب، كذاب، كذاب في دعواه المحبة. وهذا أمر معروف عند

(١) البخاري في الإيمان، باب حب رسول الله ﷺ من الإيمان، حديث رقم: (١٥)، (٥٨/١)، ومسلم في الإيمان، باب وجوب محبة الرسول ﷺ، حديث رقم: (٤٤)، (٦٧/١)، من حديث أنس (رضي الله عنه)، وأخرجه البخاري في الموضع السابق (١٤)، من حديث أبي هريرة (رضي الله عنه)، وقد ذكره الشيخ بمعناه، ولفظه: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»، وفي بعض الألفاظ: «من أهله وماله والناس أجمعين».

الناس؛ لأنه من الجبلّة المعروفة عند العامة أن المحبة تقتضي الاتباع:

لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع^(١)
وقد صدق من قال^(٢):

قالت وقد سألت عن حال عاشقها بالله صفه ولا تنقص ولا تزد
فقلت لو كان رهن الموت من ظماً وقلت قف عن ورود الماء لم يرد
هذا في محبة مخلوق على وجه غير لائق فكيف بمحبة الله
ورسوله؟ فالمحب لله هو مطيع الله، والمحب لرسول الله ﷺ هو متبع
رسول الله ﷺ.

وقوله: ﴿فَتَرَبَّصُوا﴾ التربص في لغة العرب: الانتظار، ومنه:
﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة: آية ٢٢٨].

تُرَبَّصْ بها رَبِّ الْمُنُونِ لعلها تُطَلَّقَ يوماً أو يموتَ حليلها^(٣)

(١) البيت في تاريخ دمشق (٣٧٩/١٣)، ونسبه للحسن بن محمد بن الحنفية.

(٢) البيتان في ديوان يزيد ص ٨٣، وهي أيضاً في (قرى الضيف) ص ١١٨،
بالإسناد إلى أبي المطاع ذي القرنين بن ناصر الدولة أبي محمد من شعره،
وذكرهما الأبشيهي في المستطرف (٣٨٥/٢)، وابن الجوزي في المدهش
ص ٣١٤، بدائع الفوائد (٢١٦/٣) ولفظهما هناك:

قالت لطيف خيال زارها ومضى بالله صفه ولا تنقص ولا تزد
فقال: خلفته لو مات من ظماً وقلت: قف عن ورود الماء لم يرد
قالت: صدقت الوفا في الحب شيمته يا برد ذاك الذي قالت على كبدي

(٣) البيت في القرطبي (١٠٨/٣)، واللسان (مادة: ربص) (١١٠٦/١)، والدر
المنثور (١٢٠/٦)، وعزاه لابن الأنباري في الوقف والابتداء، وهو أيضاً في فتح
القدير (٢٣٢/١)، (٩٩/٥).

قال بعض العلماء: ﴿فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ﴾ الظاهر أنه واحد الأمور، ولا شك أن في هذه الآية تهديداً وتخويفاً لمن دام على إيثاره هذه الأشياء على الله وعلى رسوله ﷺ ﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ﴾ وَاللَّهُ ﴿جَلَّ وَعَلَا﴾ ﴿لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

مثل هذه الآيات فيه سؤال معروف للعلماء، كقوله: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ ﴿لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ فالله (جلّ وعلا) نفى هدايته للفساقين، ونفى هدايته للظالمين، مع أنا نشاهد بعض الفاسقين الظالمين يهديه الله، وكم من كافر شديد في الكفر، ظالم فاسق يهديه الله. هذا وجه الإشكال.

وأجاب العلماء عن هذا بجوابين:

أحدهما: أن قوله: ﴿لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾، ﴿لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ من العام المخصوص، وأن المراد بها الذين سبق في علم الله أنهم لا يهتدون من الفسقة والظلمة الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ [يونس: الآيتان ٩٦، ٩٧].

وقال بعض العلماء: لا يهديهم ما زالوا متصفين بالظلم والفسق، فإذا نزعوا عن ذلك برحمة الله وهدايته زال عنهم اسم الفسق والظلم، فلا مانع إذاً من هداهم. هكذا قاله بعض العلماء والله تعالى أعلم. وهذا معنى قوله: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: آية ٢٤].

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شِبْئًا وَضَافَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ

جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ
 اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٧﴾ [التوبة: الآيات
 ٢٥ - ٢٧].

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ﴾ اللام جواب قَسَم محذوف، والله لقد
 نصركم الله. أي: أعانكم على أعدائكم ﴿فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾ أي: في
 مشاهد ومواضع كثيرة، كما نصركم يوم بدر، ويوم الأحزاب، ويوم
 فتح مكة، إلى غير ذلك ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾
 [التوبة: آية ٢٥] بين الله في هذه الآية الكريمة أن النصر من عند الله
 وحده، لا بكثرة العدد ولا بكثرة العدد، ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ
 غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً يَأْذِنُ اللَّهُ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: آية ٢٤٩]
 لأن أكثر غزاة قبل تبوك غزاها النبي ﷺ غزوة حنين، كانوا اثني عشر
 ألفاً، عشرة آلاف مقاتل فتح بهم مكة، وألفان من مسلمة الفتح من
 قريش ومن معهم وهم الطلقاء. وكان بعض العلماء يقول: إنه دخل
 مكة وفتحها باثني عشر ألفاً. فيكون المجموع: أربعة عشر ألفاً.
 ذكروا أن الصحابة قالوا: لن نُغلب اليوم من قلة. بعضهم يقول: إن
 هذه قالها أبو بكر (رضي الله عنه)، وقيل: قالها رجل آخر. فلما
 أعجبته الكثرة وأنهم كانوا اثني عشر ألفاً، أو أربعة عشر ألفاً،
 وقيل: ستة عشر ألفاً. وأكثر الروايات أنهم كانوا اثني عشر ألفاً،
 عشرة آلاف فتح بهم مكة، وألفان من أهل مكة أسلموا وغزوا معه.
 ﴿فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ﴾ هذه الكثرة ﴿شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ
 بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾ وهذا نص الله فيه على ما وقع
 بالمسلمين أول وقعة حنين، يبين لهم أن النصر من عنده (جلّ وعلا)
 وحده لا من كثرة العدد والعدد.

ونحن دائماً في هذه الدروس إذا جاءت غزوة من مغازي رسول الله ﷺ في الآيات القرآنية نفصلها ونذكر تفاصيلها لتمام الفائدة كما أوضحنا فيما مضى غزوة أحد في سورة آل عمران، وغزوة [بدر]^(١) في سورة [الأنفال]^(٢)، وسيأتي في سور القرآن العظيم أكثر مغازيه ﷺ.

وهذه الغزوة التي أشار لها الله هنا وبين أن الصحابة أعجبتهم كثرتهم فيها، وأن كثرتهم لم تغن عنهم شيئاً، وأنهم ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ثم ولوا مدبرين، هي غزوة حنين، وسنشير الآن إلى هذه الغزوة ونذكر تفاصيلها.

أما حنين فهو وادٍ من أودية تهامة بين مكة والطائف غير بعيد من ذي المجاز، وأما الذين غزاهم فهم هوازن، وهوازن قبيلة من قبائل قيس عيلان بن مضر؛ لأن هوازن هو ابن منصور بن خصفة بن عكرمة^(٣) بن قيس عيلان بن مضر.

قال بعض أصحاب المغازي والسير^(٤): لما سمع هوازن بخروج النبي ﷺ من [المدينة]^(٥) ظنوا أنه يقصدهم في غزاة الفتح فتجمعوا، جمعهم رئيسهم في ذلك الوقت، ورئيسهم في ذلك الوقت مالك بن عوف النصري من بني نصر بن بكر بن هوازن. ثم لما بلغهم أن النبي ﷺ فتح مكة جمعهم مالك بن عوف وعزموا على مقاتلة

(١) في الأصل: «الأنفال»، وهو سبق لسان.

(٢) في الأصل: «بدر»، وهو سبق لسان.

(٣) في ابن هشام (١٧٦/١) ابن عكرمة بن خصفة.

(٤) السابق ص ١٢٨٣.

(٥) في الأصل: «مكة»، وهو سبق لسان.

النبي ﷺ، فسمع النبي ﷺ بأخبارهم فأرسل إليهم عبد الله بن أبي حذرد الأسلمي (رضي الله عنه) عيناً يعرف له أخبارهم، فدخل في القوم مختفياً وسمع أخبارهم، وعرف أنهم عازمون على حرب النبي ﷺ. وكان النبي ﷺ قد فتح مكة في رمضان من سنة ثمان.

قال بعض أصحاب المغازي^(١): فتحها لعشرين خلت من رمضان وعشر بقيت، وأنه أقام العشر الأواخر من رمضان بمكة بعد أن فتح مكة وخمس ليال من شوال، ثم غزا بعد خمس عشرة ليلة من فتحه مكة غزا هوازن باثني عشر ألفاً من أصحابه، عشرة آلاف الذين فتح بهم مكة، والألفان الذين أسلموا وخرجوا غازين معه من الطلقاء أهل مكة، ثم إن النبي ﷺ سمع بأن هوازن تجمعوا له في وادي حنين فقصدهم (صلوات الله وسلامه عليه) وقد صلى (صلوات الله وسلامه عليه) الصبح، وفي مخرجه هذا من مكة إلى حنين. مرّ بذات أنواط، وهي سدرة خضراء كبيرة كان المشركون يأتونها يوماً من السنة يذبحون عندها، ويعكفون عندها، ويعلقون عليها سلاحهم تسمى «ذات أنواط» وكان كثير ممن معه حديث عهد بالإسلام، فقالوا له: يا نبي الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. فقال (صلوات الله وسلامه عليه): الله أكبر قلتُم والذي نفسي بيده ما قال قوم موسى لموسى: ﴿أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ [الأعراف: آية ١٣٨]^(٢) وكان العباس بن مرداس السلمي

(١) السابق ص ١٢٨٢.

(٢) أخرجه أحمد (٢١٨/٥)، وعبد الرزاق (٢٠٧٦٣)، وابن أبي عاصم في السنة

(٧٦)، والترمذي في الفتن، باب ما جاء «لتركين سنن من كان قبلكم»، حديث

رقم: (٢١٨٠)، (٤/٤٧٥)، والحميدي (٨٤٨)، والطيالسي (١٣٤٦)، =

قال: لما خرج رسول الله ﷺ من مكة قاصداً هوازن قال قصيدة يصف فيها جيش رسول الله ﷺ وما يعزم عليه من غزو هوازن منها أنه يقول^(١):

أُبْلِغْ هَوَازِنَ أَغْلَاهَا وَأَسْفَلَهَا	عني رِسَالَةً نُصَحَ فِيهِ تَبَيَّانُ
إِنِّي أَظُنُّ رَسُولَ اللَّهِ صَابِحَكُمْ	جَيْشاً لَهُ فِي فَضَاءِ الْأَرْضِ أَرْكَانُ
فِيهِمْ سُلَيْمٌ أَخُوكُمْ غَيْرَ تَارِكُكُمْ	وَالْمُسْلِمُونَ عِبَادُ اللَّهِ غَسَّانُ
وَفِي عَضَادَتِهِ الْيَمْنَى بَنُو أَسَدٍ	وَالْأَجْرِبَانُ بَنُو عَبْسٍ وَذُبْيَانُ
تَكَادُ تَرْجُفُ مِنْهُ الْأَرْضُ رَهْبَتَهُ	وَفِي مَقَدِّمِهِ أَوْسٌ وَعُثْمَانُ

يعني بـ (أوس وعثمان) قبيلتي مزينة من قبائل أد بن طابخة بن إلياس، ومزينة أمهم. فتوجه إليهم رسول الله ﷺ، فلما كان قريباً منهم كان مالك بن عوف جمع جميع من طاعوه من هوازن، وكانت خرجت معه بنو نصر كلها (بنو نصر بن بكر بن هوازن)، وبنو جُشم كلها، (جُشم بن بكر بن هوازن) وبنو سعد كلهم، سعد بن بكر بن هوازن، ولم يخرج معه كثير من بني عامر بن صعصعة من قبائل هوازن، تخلف عنه بنو ربيعة، وبنو كلاب، وجاء معه أوزاع قليلة من بني هلال بن عامر بن صعصعة، وجماعة من بني عمرو بن عامر بن صعصعة، وبني عوف بن عامر بن صعصعة، وجاء معه ثقيف كلها - وكانت ثقيف كلها ترجع إلى قبيلتين، وثقيف أهل الطائف، هم من قبائل هوازن، وإن كان كثير من الناس يظن أنهم مع هوازن؛ لأن ثقيف بن منبه بن بكر بن هوازن - وكان

= والطبراني في الكبير (٣٢٩٠، ٣٢٩٤)، وابن حبان (الإحسان ٢٤٨/٨)،

وابن نصر في السنة ص ١٦، ١٧، وابن جرير (٨١/١٣، ٨٢).

(١) القصيدة في سيرة ابن هشام ص ١٢٨٧.

رئيس الجميع مالك بن عوف النصري، وكان في ثقيف أهل الطائف رئيسان، رئيس الأحلاف، ورئيس بني مالك؛ أما رئيس الأحلاف ذلك اليوم فهو قارب بن الأسود بن مسعود بن المُعْتَبِّ، ورئيس بني مالك هو ذو الخمار، وهو سبيع بن الحارث، وأخوه أحمر بن الحارث. وجاء دريد بن الصمة من بني جشم بن بكر، وكان سيداً عظيماً من سادات هوازن، مُجَرَّباً في الحروب، وكان في ذلك الوقت شيخاً فانياً يرتعش، لا فائدة فيه إلا التيمن برأيه، جاء راكباً في شَجَار^(١) له، وكان جماع الناس إلى مالك بن عوف النصري، فقال دريد: هذا المحل الذي أنتم فيه أي وادٍ أنتم فيه؟ قالوا: نحن الآن بوادي أوطاس. قال: نعم مجالُ الخيل، لا حزنٌ ضرُس ولا سهل دهنس. ثم إنه قال: ما لي أسمع بكاء الصغير، ونهاق الحمير، ورغاء البعير، ويعار الشاء؟ قالوا له: جمع مالك بن عوف مع هوازن مواشيهم وأموالهم ونساءهم وذرائعهم!! فقال: أين مالك؟ فدُعي له مالك بن عوف، فقال: يا مالك!! لقد أصبحت رئيس قومك، وإن هذا يوم له ما بعده، فما لي أسمع رغاء البعير، وبكاء الصغير، ونهاق الحمير، ويعار الشاء؟ قال: سُقت مع الناس أموالهم ونساءهم وأولادهم. قال: ولم؟ قال: أريد أن يكون عند ظهر كل رجل أهله وماله ليقاتل عنهم ولا يفر. فقال دريد يهزأ بمالك (أَنقَضَ به) - أي أَخْرَجَ من فمه صوتاً استهزاءً به - وقال: راعي ضأن والله، هل يرد المنهزم شيء؟! هذا ليس برأي؛ لأنها إن كانت عليك فُضِحت في أهلك ومالك، فكان الأولى أن تردهم إلى متمنِّع بلادهم وعُليا قومهم، فإن كانت لك فإنه لا ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه، وإن

(١) الشجار: يشبه اليهودج لكنه غير مُغطى من الأعلى.

كانت عليك ألفاك ذلك وقد أحرزت أهلك ومالك. فقال مالك: والله لا أفعل غير هذا. ثم قال: يا معشر هوازن والله لتطيعنني أو لأتكنن على هذا السيف حتى يخرج من ظهري!! فقالوا: أطعناك. فقال دريد: هذا يوم لم أشهده ولم يفتني. ثم قال: هل حضر أحد من بني كعب أو كلاب؟ قالوا: ما حضرها أحد من بني كعب ولا كلاب. يعني كعباً وكلاباً أولاد عامر بن صعصعة. قال: غاب الجذ والحد^(١) لو كان يوم رفعة وعلاء لم يغيب عنه كعب وكلاب. قال: من حضرها من عامر؟ قالوا: بنو عوف بن عامر، وبنو عمرو بن عامر. قال: ذاك الجذعان من عامر لا ينفعان ولا يضران. ثم قال دريد^(٢):

[١/٤] يا ليتني فيها جذع / أخبٌ فيها وأضغ
أقودُ وطفاء الزممع^(٣) كأنها شاة صدغ^(٤)

ثم إن مالك بن عوف أمرهم فكمنوا للنبي ﷺ وأصحابه في مضايق وادي حنين وأحنائه، كانوا في مضايق الوادي بجنبتني الوادي كامنين له.

وقال لهم ملكهم - مالك بن عوف النصري - : إذا أقبل عليكم القوم فشدوا عليهم شدة رجل واحد. فصلّى النبي ﷺ الصبح وسار بأصحابه في الغلس - يعني: بقية ظلام الليل مختلطة بضياء

(١) الحد: يعني الحدة والشجاعة.

(٢) ذكرهما ابن هشام في السيرة ص ١٢٨٥، مرويّات غزوة حنين (١/٢٣٤).

(٣) الوطفاء: طويلة الشعر.

الزمع: الشعر الذي فوق مربوط قيد الدابة، فهو يذكر صفة فرس.

(٤) الشاة هنا: الوعل.

والصدع: الفتى القوي الشاب من الأوعال ونحوها.

الصبح — فانحدروا في وادي حنين يمشون، فلم يشعروا بشيء إلا وقد دخلوا في مكنن القوم، فشدوا عليهم شدة رجل واحد، وصارت الرماح والسهام كأنها رجل جراد منتشر عليهم، فوقع ما وقع، وزلّ المسلمون، ووقع ما قال الله: ﴿فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مَّذِيرِينَ﴾ ﴿٢٥﴾ فثبت رسول الله ﷺ وهو على بغلته البيضاء، وبعضهم يقول: الشهباء؛ لأن لونها بياض فيه شُهبة. والعباس بن عبد المطلب (رضي الله عنه) أخذ بزمامها. وبعضهم يقول: أخذ بركابها الأيمن، أو حَكَمَتِها، وأخذ بركابها الثاني أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، فكان مع النبي جماعة من آل بيته، منهم علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، والعباس بن عبد المطلب، وأبو سفيان بن الحارث، والفضل بن العباس بن عبد المطلب (رضي الله عنهم)، وربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، وأسامة بن زيد، وأيمن بن أم أيمن مولاة رسول الله ﷺ. وثبت رسول الله ﷺ ذلك الثبات العظيم، وكان يركض البغلة في نحر العدو يسرع إليهم ويقول:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

وهذا من الشجاعة منقطع النظير^(١)؛ لأنه على بغلة لا تحسن الكرّ ولا الفرّ، لا تصلح للكرّ ولا لفرّ، وقد انكشف عنه أصحابه (صلوات الله وسلامه عليه)، وليس معه إلا قوم قليل، ومع هذا يركض في وجه العدو وينوه باسمه ليعرفه من لم يكن يعرفه!! وقال للعباس بن عبد المطلب — وكان رجلاً ضخماً قوياً جهير الصوت جداً — ناد: يا أصحاب السَّمُرة. فنادى العباس بأعلى صوته: يا

(١) مضى عند تفسير الآية (٤٥) من سورة الأنعام.

أصحاب السَّمرة. والسَّمرة هي شجرة الحديدية التي وقعت تحتها بيعة الرضوان، وقد بايعوه فيها على أن لا يفروا عنه. وفي بعض المرات يقول: يا أصحاب السمرة، يا أصحاب سورة البقرة. يدعوهم. فسمعوا نداءه فقالوا: يا لبيك. وتراجع إليه المسلمون من كل فج، وقد أعجزهم أن يردوا الأباعر التي يركبونها؛ لأنها آلمها وقع السهام، فلم يقدروا على ردها ولا عطفها.

قال العباس بن عبد المطلب (رضي الله عنه): فوالله لَمَّا ناديتهم فسمعوا صوتي فكأنما عطفوا عليه عطفة البقر على أولادها. وكان (صلوات الله وسلامه عليه) أخذ قبضة من تراب فرمى بها في أوجه القوم وقال: شأهت الوجوه. وذكر ابن عبد البر وغير واحد أنه روى من طرق كثيرة عن أولاد أولئك الجيش الذين أسلموا بعد ذلك أنهم قالوا: لقينا أصحاب محمد ﷺ فما لبثنا أن هزمناهم واتبعناهم حتى أتينا على صاحب البغلة الشهباء فزجرنا زجراً قوياً، وأخذ قبضة من تراب وحصى فرمى بها في أوجهن فلم تبق عين ولا فم إلا امتلأت من ذلك الحصى. ورجعوا منهزمين، فمن ذلك الوقت الذي رمى تلك القبضة في أوجههم وكان حدهم قليلاً وأمرهم مدبراً. ثم إنه (صلوات الله وسلامه عليه) وكان العباس بن عبد المطلب (رضي الله عنه) في ذلك اليوم شديد الشجاعة يُنَوِّه بالنفر الذين بقوا معه، والذي يقوله العباس في شعره أنهم عشرة فقط حيث يقول^(١):

(١) البيت الأول أورده ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٦/٢٩٩)، ويليهِ بيتان غير المذكورين هنا، والبيتان الأخيران ذكرهما ابن عبد البر في الاستيعاب (٣/٩٦) (مع بعض الاختلافات)، والقرطبي (٨/٩٨)، والحافظ في الفتح (٨/٣٠) دون الأول، وهما في مرويات غزوة حنين (١/١٨٣).

ألا هل أتى عرسي مُكري ومقدمي بوادي حنين والأسنة تشرع
إلى أن قال :

نَصَرْنَا رَسُولَ اللَّهِ فِي الْحَرْبِ تِسْعَةَ وَقَدْ فَرَّ مِنْ قَدْ فَرَّ عَنْهُ فَأَقْشَعُوا
وَعَاشِرُنَا لَأَقَى الْحِمَامَ بِنَفْسِهِ لَمَّا مَسَّهُ فِي اللَّيْلِ لَا يَتَوَجَّعُ

يعني بعاشرهم الذي لاقى الحِمَام أي: الموت: أيمن بن أم
أيمن (رضي الله عنه)، أمه أم أيمن مولاة رسول الله ﷺ، فرجع
المسلمون لما سمعوا نداء العباس، فاجتمع عليه من أوائلهم مئة
رجل، فأمرهم النبي ﷺ أن يصدقوا الحملة على القوم، فاجتلد
الناس اجتلاداً شديداً، فنظر إليهم رسول الله ﷺ فإذا هم يجتلدون
ويتقاتلون قتالاً شديداً، فقال (صلوات الله وسلامه عليه): «الآن حمي
الوطيس»^(١). وكانت من الكلمات التي لم يُسبق قبلها، قال بعض من
روى قصة حنين هذه: فوالله ما تراجع المسلمون إلا والأسرى بجانب
رسول الله ﷺ^(٢). وكان ممن ثبت ذلك اليوم ثباتاً عظيماً أم سليم
امرأة أبي طلحة، وهي حامل في ذلك الوقت بعبد الله بن
أبي طلحة، كانت تشدّ وسطها ببرد وفي يدها خنجر، وهي ممسكة
بغير أبي طلحة، ولما سألوها عن الخنجر قالت: إذا قرب مني بعض
المشركين بعجت به بطنه^(٣). فهي عظيمة في الشجاعة والثبات،
فرجع أصحاب رسول الله ﷺ وركبوا أكتاف العدو يقتلونهم

(١) أخرجه مسلم في الجهاد والسير، باب في غزوة حنين، حديث رقم: (١٧٧٥)،

(٣/١٣٩٨ - ١٣٩٩) بلفظ: «هذا حين حمي الوطيس».

(٢) السيرة لابن هشام ص ١٢٩٢.

(٣) مسلم في الجهاد، باب غزوة النساء مع الرجال، حديث رقم: (١٨٠٩)،

(٣/١٤٤٢).

ويأسرونهم، ثم إنهم فروا وانهزموا، طائفة منهم فيها سيدهم مالك بن عوف انهزموا ورجعوا إلى حصن الطائف فتحصنوا به، وطائفة عسكروا في أوطاس. وأوطاس محل هو وحنين يجمعهم واحد، إلا أنهم عسكروا في محل بعيد منه، فأرسل النبي ﷺ في أثرهم سرية أمر عليها أبا عامر الأشعري (رضي الله عنه)، ومعه في تلك السرية ابن عمه أبو موسى الأشعري، فأدرك أبو عامر فلهم، وأخذ ما عندهم من السبايا أيضاً، واستشهد أبو عامر، أصابه سهم في ركبته فمات، واستحضر القتلى ذلك اليوم في ثقيف خاصة، ثم في بني مالك فقتل منهم سبعون رجلاً، أو أكثر، وقتل قوم من أصحاب رسول الله ﷺ، وكثير من هوازن، فهزمهم الله تبارك وتعالى، وفي ذلك اليوم قال رسول الله ﷺ: «من قتل قتيلاً فله سلبه»^(١).

وكان أبو قتادة (رضي الله عنه) كما ثبت عنه رأى رجلاً عليه رجل من المشركين يريد أن يقتله، فجاء فضرب المشرك من ورائه على حبل عاتقه فقطع درعه وقطع حبل عاتقه، قال: فرجع إليّ فضمني ضمة شممت منها ريح الموت، ثم أدركه الموت فأرسلني. ثم إنه بعد ذلك سأل عن درع ذلك الرجل ليأخذها؛ لأنه قاتله، والنبي ﷺ قال: «من قتل قتيلاً له عليه بيّنة فله سلبه» فنادى أبو قتادة: من يشهد لي؟ فلم يجد أحداً يشهد له، فأخبر رسول الله ﷺ، فقال رجل من القوم: هو عندي يا رسول الله، فأرضه منه. قال له أبو بكر: لاها الله لا يعمد إلى أسد من أسود الله يقاتل عن الله ورسوله فيعطيك سلبه!! قال له ﷺ: «صدق أبو بكر»^(٢).

(١) مضى عند تفسير الآية (٤١) من سورة الأنفال.

(٢) السابق.

فهذه القصة أولاً انهزم فيها المسلمون، وقد ثبت في الصحيح^(١) عن البراء بن عازب (رضي الله عنه) أنه سأله رجل: أفررتم عن رسول الله ﷺ يوم حنين؟ قال: لكن رسول الله ﷺ لم يفر (صلوات الله وسلامه عليه)، وكان يقول: «أقبلوا إليَّ عباد الله، أنا رسول الله، أنا محمد بن عبد الله».

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

ثم إن النبي ﷺ جمع جميع سبي هوازن، وكان فيه آلاف عديدة من السبايا من النساء والذراري، ومن الأموال ما لا يحصيه إلا الله، من الإبل والشاء وجميع الأموال، وكان قد نُقِلَ بعض أصحابه، فأعطى علي بن أبي طالب جارية تسمى ربيعة بنت هلال، وأعطى عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) جارية تسمى زينب بنت حيان، في أشياء كثيرة^(٢). ثم إن النبي ﷺ رجع بنفسه يتبع فلهم إلى الطائف، فحاصر أهل الطائف؛ لأن أهل الطائف — ثقيفاً — لما مات منهم ما مات في غزوة حنين ورجعوا تحصنوا بحصن الطائف، وصاروا يُخرجون السهام من كوى الحائط يُرامون بها أصحاب رسول الله ﷺ، فمكث رسول الله ﷺ زمناً يحاصرهم، ومات في حصارهم جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ، وهم متحصنون لم يؤذن له في فتحهم، فسأل عنهم معاوية بن نوفل الديلي: ماذا ترى؟ قال: أرى أن هؤلاء القوم كالثعلب في جحره، إن أطلت المقام على جحره أخذته، وإن

(١) البخاري في المغازي، باب قول الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ...﴾، حديث رقم:

(٤٣١٥ — ٤٣١٧)، (٢٧/٨ — ٢٨).

(٢) ذكره ابن هشام في السيرة ص ١٣٤٢.

ذهبت عنه لا يضررك بشيء^(١)، فسألوا رسول الله ﷺ أن يدعو عليهم فأبى أن يدعو عليهم، وقال: «اللهم اهد ثقيفاً واثت بهم»^(٢) ثم بعد ذلك أسلموا، وجاؤوا وافدين إلى رسول الله ﷺ، وكان النبي ﷺ أمر بالسبايا والمغانم فذهب بها رجل أمّره عليها إلى الجعرانة وكانت هناك حتى رجع رسول الله ﷺ من حصاره إلى الطائف، فلما رجع جاءه وفد هوازن مسلمين، وقام خطيبهم زهير بن صرد أبو صرد أمام النبي ﷺ وقال له: يا نبي الله إنا أصل وعشيرة، وإنه قد وقع بنا ما ترى، وإنا تبنا إلى الله ورجعنا مسلمين. ولو وقع ما وقع بنا وجئنا الحارث بن أبي شمر الغساني أو النعمان بن المنذر لرجونا عائدته بالخير وعطفه علينا، وأنت خير مكفول، وكذا وكذا، فرّد علينا أموالنا ونساءنا. قال لهم ﷺ: «اختاروا أيهما أحب إليكم: أسبيكم أم أموالكم؟» فقالوا: خيرتنا بين أحسابنا وأموالنا فنختار نساءنا وأولادنا. فقال لهم النبي ﷺ: «أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم» فقال المهاجرون: ما كان لنا منها فهو لرسول الله. وقال الأنصار: ما كان لنا فهو لرسول الله. وقال الأقرع بن حابس التميمي: أما أنا وبنو تميم فلا، وقال عيينة بن حصن الفزاري: أما أنا وبنو فزارة فلا، وقال عباس بن مرداس السلمي: أما أنا وبنو سليم

(١) ذكره ابن كثير في تاريخه (٤/٣٥٠) وعزاه للواقدي.

(٢) أخرجه أحمد (٣/٣٤٣)، والترمذي في المناقب، باب مناقب ثقيف وبنو حنيفة، حديث رقم: (٣٩٤٢)، (٤/٧٢٩)، والواقدي في المغازي (٣/٩٣٦ - ٩٣٧)، وابن سعد في الطبقات (٢/١١٤)، والطبري في التاريخ (٣/١٣٣)، وذكره ابن القيم في الهدى (٣/٤٩٧)، وابن كثير في التاريخ (٤/٣٥٠)، والحافظ في الفتح (٨/٤٥).

وانظر: ضعيف الترمذي ص ٥٢٧، مرويات غزوة حنين (١/٣٣٦ - ٣٣٧).

فلا. فقالت بنو سليم: ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ، فقال لهم العباس: وهنتموني حيث لم تجيزوا ما قلت عليكم. ثم إن النبي ﷺ ردّ لوفد هوازن جميع سباياهم، جميع نساءهم وأولادهم^(١).

واختلفت عبارات المؤرخين وأصحاب المغازي هل كان ردهم لهم قبل أن تقسم الغنائم، أو بعد قسمها^(٢)؟ وظاهر كلام ابن إسحاق ومن وافقه أنه كان قبل قسم الغنائم، وموسى بن عقبة وغيره من أئمة المغازي يقولون: إنه كان بعد أن قسمت غنائمهم. قال ابن عمر (رضي الله عنه): كانت الجارية التي أعطاني عمر بن الخطاب أرسلتها إلى أخوالي من بني جُمح يصلحونها ويزينونها لي حتى أطوف بالبيت وأرجع فأدخل بها، فلما رجعت أنوي الدخول بها إذا أصلحها لي أخوالي فإذا الناس يشتدون، قلت: ما بالكم؟ قالوا: رد إلينا رسول الله ﷺ نساءنا وأولادنا، فقال: اذهبوا إلى صاحبكم في بني جُمح فخذوها^(٣). ثم إن زهير بن صُرد خطيب هوازن الذي خطب لهم رسول الله ﷺ استعطفه بخطبة نثرية، وبشعر أيضاً، فمن شعره الذي يستعطفه به^(٤):

(١) أخرجه الطبري في تاريخه (١٣٥/٣) من طريق ابن إسحاق، وذكره ابن هشام في السيرة ص ١٣٤٠، وابن كثير في تاريخه (٣٥٢/٤)، وأصل قدمهم على النبي ﷺ وتخيره لهم بين الأموال والذرائع في البخاري، كتاب المغازي، باب قول الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ...﴾، حديث رقم: (٤٣١٨)، (٣٢/٨).

(٢) انظر: البداية والنهاية (٣٥٤/٤).

(٣) أخرجه أحمد (٦٩/٢)، وابن جرير في تاريخه (١٣٥/٣)، وذكره ابن هشام في السيرة (١٣٤٢)، وابن كثير في تاريخه (٣٥٤/٤).

(٤) أخرجه البيهقي في الدلائل (١٩٤/٥)، والطبراني في الكبير (٢٧٠/٥)، (٢٧١)، والأوسط (٤٥/٥)، والصغير (٢٣٦/١)، والخطيب في تاريخه (١٠٦/٧)، =

امُنَّ علينا رسول الله في كَرَمِ
 امُنَّ على بيضةٍ قد عاقها قَدَرٌ
 امُنَّ على نسوةٍ قد كنتَ تَرْضَعُها
 امُنَّ على نسوةٍ قد كنتَ تَرْضَعُها
 فإنك المرءُ نرجوه ومنتظرُ
 ممزقٍ شملها في دهرها غيرُ
 إذ فوك تملؤه من مخضها الدررُ
 وإذ يزيناك ما تأتي وما تذرُ

وقد كان قال له في خطبته: إنما وراء هذه الحاضرة من نساء هوازن خالاتك وحواضنك^(١). ثم إن النبي ﷺ ردَّ عليهم جميع نسائهم وأولادهم، وكان عيينة بن حصن قد أخذ عجوزاً وقال: هذه العجوز لها حسب ونسب في قومها، فيكون فداؤها شيئاً كثيراً غالباً. فالنبي ﷺ خير: من أراد أن يعطي شيئاً من سبايا هوازن ليُرد إلى أهله مجاناً فعل، ومن أراد العوض عنه قال له رسول الله ﷺ: «سنعوضك عنه من أول ما فتح الله علينا، ومن أول ما أفاء الله علينا ست فرائض».

والظاهر أن مراده بالفرائض رؤوس من الإبل؛ لأن حِقَّةَ الزكاة تسمى (فريضة) ثم إن عيينة بن حصن قيل له: خذ عن هذه ستاً. فقال: لا. فامتنع وقال: لا آخذ عنها شيئاً. يطمع في فداء كثير!!

= والطبري في تاريخه (١٣٤/٣)، وابن عبد البر في الاستيعاب (٥٧٦/١)، وذكرها الذهبي في الميزان، وابن كثير في تاريخه (٣٥٣/٤)، وقد سقط هنا بعد البيت الثاني بيتان، وفي بعض الروايات ثلاثة أبيات، وأما البيت الثالث والرابع هنا فهما بيت واحد ورد في بعض الروايات باللفظ الأول وفي بعضها باللفظ الثاني، وانظر: مرويات غزوة حنين (٤٥٦/٢ - ٤٦٠)، وقد حسنه الحافظ في اللسان (٩٩/٤ - ١٠٤)، والفتح (٣٤/٨)، وانظر: الإصابة (٥٥٣/١).

(١) أخرجه الطبري في تاريخه (١٣٤/٣)، وذكره ابن هشام ص ١٣٤٠، وابن كثير في تاريخه (٣٥٢/٤)، وانظر المصادر في الهامش السابق.

فقال له زهير بن صرد: والله ما فوها ببارد، ولا ثديها بناهد، ولا بطنها بوالد، ولا زوجها بواحد. فلما قال له هذا الكلام قبل معاوضتها بما عوض به بقايا السبي^(١)، ثم إن أهل الغزاة الذين حضروها من الأعراب وغيرهم خافوا أن يرد النبي ﷺ على هوازن الأموال أيضاً، فضيقوا عليه فقالوا: يا نبي الله اقسم علينا فيئنا، حتى ألجؤوه إلى سمرة فخطفت رداءه فقال: «ردوا عليّ ردائي، فوالله لو كان لكم من الفيء مثل شجر تهامة لقسمته كله عليكم، ولا تجدوني جباناً ولا كذاباً ولا بخيلاً»^(٢). (صلوات الله وسلامه عليه)، فأعطى ذلك اليوم المؤلفة قلوبهم، أعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل، وعيينة بن حصن مائة من الإبل، وأعطى أبا سفيان مائة من الإبل، وابنه معاوية مائة من الإبل، وصفوان بن أمية مائة من الإبل؛ لأن النبي ﷺ لما عزم على غزاة حنين استعار من صفوان بن أمية الجمحي أدراعاً كانت له وسلاحاً، فقال له: أغضباً يا محمد؟ قال: «بل عارية مضمونة»^(٣) وكانت تلك الأدراع قد فقد منها شيء في

(١) أخرجه الطبري في تاريخه (١٣٥/٣)، وذكره ابن هشام (١٣٤٢). وابن كثير في تاريخه (٣٥٥/٤).

(٢) البخاري في الجهاد، باب الشجاعة في الحرب والجبن، حديث رقم: (٢٨٢١)، (٣٥/٦)، وأخرجه في موضع آخر. انظر: حديث رقم: (٣١٤٨).

(٣) أخرجه أحمد (٤٠١/٣)، (٣٦٥/٦)، وأبو داود في البيوع، باب في تضمين العارية، حديث رقم: (٣٥٤٧ - ٣٥٤٥)، (٤٧٦/٩ - ٤٧٨)، والحاكم (٤٧/٢)، والبيهقي (٨٩/٦) من حديث أمية بن صفوان عن أبيه، وبعضهم يرويه عن أناس من آل عبد الله بن صفوان، وبعضهم: عن ناس من آل صفوان، وللحديث شاهد من حديث جابر (رضي الله عنه) عند الحاكم (٤٨/٣ - ٤٩)، وانظر: الإرواء (٣٤٤/٥).

القتال، فلما أراد النبي ﷺ أن يعوضه قال له: إن في قلبي اليوم ما لم يك في قلبي بالأمس، إني صرت أرغب في الإيمان. ولم يأخذ عوض أذراعه، قال بعض العلماء: لما أراد الخروج استسلف من ربيعة المخزومي ألفاً كثيرة يستعين بها، وأعطى المؤلفة قلوبهم.

ولما وقع بالمسلمين ما وقع أولاً وولّوا مدبرين كان بعض قريش إيمانهم في ذلك الوقت لم يكن قوياً حتى ذكروا مثله عن أبي سفيان بن حرب (رضي الله عنه) قالوا: كان في ذلك الوقت إيمانه مدخولاً، فقال: هزيمتهم لا يردّها البحر^(١). وكان مع صفوان بن أمية أخوه لأمه – وصفوان بن أمية في ذلك الوقت على شركه، ومعه أخوه لأمه – بعضهم يقول: اسمه كلداء بن الحنبل. فلما وقع بالمسلمين ما وقع أولاً وولّوا مدبرين قال: الآن بطل سحر محمد. فقال له صفوان بن أمية وهو مشرك: اسكت فضّ الله فاك، والله لأن يربني رجل من قريش أحب إليّ من أن يربني رجل من هوازن^(٢).

وكان شيبة بن عثمان بن أبي طلحة قُتل أبوه عثمان بن أبي طلحة يوم أحد في حَمَلَة اللّواء من بني عبد الدار، وعمه طلحة بن أبي طلحة وغيره من أعمامه، وكان حنقاً على النبي ﷺ، فخرج في غزاة حنين وهو على كفره يريد أن يصادف غرة من رسول الله ﷺ ليقّتلّه ويأخذ بثّاره، فلما انكشف المسلمون ووقع ما

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (١٢٨/٥)، والطبري في تاريخه (١٢٨/٣)، وذكره ابن هشام ص ١٢٩٠، وابن كثير في تاريخه (٣٢٧/٤)، وانظر: مرويات غزوة حنين (١٦٣/١).

(٢) مضى عند تفسير الآية (٤٥) من سورة الأنعام.

وقع قال شيبه: جئت من طرف بغلته الأيمن فإذا عمه ممسك بركاب بغلته، قلت: هذا عمه ولن يخذله، فجئت من الطرف الثاني فإذا أبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب ممسك ركابه من الجنب الآخر، فقلت: وهذا ابن عمه لن يخذله، فجئت من ورائه فلما قربت منه وأردت أن أساوره بالسيف وقلت: الآن آخذ ثأري فأقتل محمداً ﷺ، في بعض الروايات أنه قال: جاءني عنق من نار كأنه برق خاطف فصرت أرجع القهقري خوفاً منه، فالتفت إليّ رسول الله ﷺ فقال: «ادن يا شيب!!» فمسح صدره ودعا له الله. قال: والله ما رفع يده عني حتى صار أحب إليّ من كل شيء. وفي بعض روايات هذه القصة عن شيبه بن عثمان بن أبي طلحة (رضي الله عنه)، قال: لما أردت أن أضربه وأقتله جعل في فؤادي شيء لا أدري ما هو منعني منه، فتيقنت أنه ممنوع مني، ثم دعا لي فصار أحب الناس إليّ^(١). فصار شيبه بعد أن كان يريد قتل النبي ﷺ يقاتل معه في إخلاص ونصح.

ثم إن النبي ﷺ لما قسم غنائم حنين أعطى المؤلفه قلوبهم،

(١) أخرجه الطبري في تاريخه (١٢٨/٣)، والطبراني في الكبير (٢٩٩/٧)، والبيهقي في الدلائل (١٢٨/٥، ١٤٥)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (مختصر ابن منظور ٩/١١ - ١٠)، وساق ابن هشام بعضه ص ١٢٩٠، كما ساق ابن كثير في تاريخه (٣٣٣/٤)، رواية البيهقي وابن إسحاق، وكذا في التفسير (٣٤٥/٢)، وابن القيم في زاد المعاد (٤٧٠/٣)، وذكره الهيثمي في المجمع (١٨٤/٦)، والحافظ في الإصابة (١٦١/٢)، والسيوطي في الخصائص (٩٤/٢ - ٩٥)، وعزاه لأبي القاسم البغوي وأبي نعيم وابن عساكر، وانظر: مرويّات غزوة حنين (١٦٧/١ - ١٦٩)، ولا يصح في سبب إسلامه شيء من الروايات.

فأعطى مائة من الإبل، مائة من الإبل، وأعطى ما ملأ بين جبلين غنماً لرجل، وكان أعطى عيينة بن حصن مائة من الإبل، والأقرع بن حابس مائة من الإبل، ولم يعط العباس بن مرداس السلمي. فغار العباس بن مرداس السلمي وعاتب رسول الله ﷺ في شعره المشهور وقال له (١):

أَتَجْعَلُ نَهْبِي وَنَهْبَ الْعُبَيْدِ بَيْنَ عُيَيْنَةَ وَالْأَقْرَعِ
وَالْعُبَيْدِ: فرسه. قال:

أَتَجْعَلُ نَهْبِي وَنَهْبَ الْعُبَيْدِ بَيْنَ عُيَيْنَةَ وَالْأَقْرَعِ
فَمَا كَانَ حَصْنٌ وَلَا حَابِسٌ يَفُوقَانِ مُرْدَاسَ فِي الْمَجْمَعِ
وَمَا كُنْتُ دُونَ أَمْرٍ مِنْهُمَا وَمَنْ تَضَعُ الْيَوْمَ لَا يُرْفَعُ
وَكُنْتُ نَهَابًا تَلَا فَيْتُهَا بِكَرِّي عَلَى الْمُهْرِ فِي الْأَجْرِعِ
وَأَيْقَازِي الْحَيَّ أَنْ يَرْقُدُوا إِذَا هَجَعَ النَّاسُ لَمْ أَهْجَعْ
وَقَدْ كُنْتُ فِي الْحَرْبِ ذَاتُ دُرٍّ فَلَمْ أُعْطَ شَيْئًا وَلَمْ أُمْنَعْ
إِلَّا أَفَائِلَ أُعْطِيَتْهَا عَدِيدَ قَوَائِمِهَا الْأَرْبَعِ

فقال ﷺ: «اقطعوا عني لسانه فكملاوا له مائة من الإبل» (٢).

ولما أعطى قريشاً ورؤساء قبائل العرب ولم يعط الأنصار شيئاً

(١) تقدمت هذه الآيات عند تفسير الآية (٤١) من سورة الأنفال، وقد وقع فيها شيء من التقديم والتأخير.

(٢) هذا الحديث أصله في صحيح مسلم من غير قوله: (اقطعوا عني لسانه)، مسلم في الزكاة، باب إعطاء المؤلفه قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوى إيمانه، حديث رقم: (١٠٦٠)، (٧٣٧/٢)، وهو بالسياق الذي ذكره الشيخ (رحمه الله) في سيرة ابن هشام ص ١٣٤٦، وقد ذكره ابن كثير في تاريخه (٣٥٩/٤)، من طريق موسى بن عقبة وعروة بن الزبير وابن إسحاق.

وجد الأنصار في أنفسهم موجدة، وقالوا: يعطي قريشاً الغنائم وسيوفنا تقطر من دمائهم!! فسمع رسول الله ﷺ بمقاتلتهم، فأرسل سعد بن عباد (رضي الله عنه) يجمع له الأنصار، فجمع له جميع الأنصار، فأخبره أن القوم اجتمعوا، فجاءهم، قال: «ما شيء سمعته عنكم يا معشر الأنصار؟» قالوا: وما هو؟ قال: «سمعت أنكم تقولون: يعطي قريشاً ولا يعطينا وسيوفنا تقطر من دمائهم، أو كلام نحو هذا» فقالوا: قد قال هذا بعض سفهائنا، وأما أهل الحلم منا فلم يقولوه. فقال لهم: «يا معشر الأنصار، ألم أجدكم ضلّالاً فهداكم الله بي؟ وعالة فأغناكم الله بي؟ وأعداء فألف الله بين قلوبكم بي؟» قالوا له: لله المنّة ولرسوله ﷺ. قال: «أو لا تجيبونني يا معشر الأنصار؟» قالوا: ماذا نقول؟ قال: «لو شئتم لقلتم: ألم تأتينا مُكذِّباً فصدقناك؟ وطريداً فأويناك؟ ومخذولاً فنصرناك؟» ثم قال: «يا معشر الأنصار ألا يرضيكم أن يذهب الناس بالشاء والبعير ونذهبون برسول الله ﷺ إلى بيوتكم؟ لو سلكت الناس وادياً والأنصار وادياً أو شعباً لسلكت وادي الأنصار وشعب الأنصار» فبكى القوم حتى أخضل الدمع لحاهم، وقالوا: رضينا يا رسول الله ﷺ^(١).

وكانت قيلت في حنين أشعار، ونحن لا نريد الإكثار من إيراد الأشعار فيها، ولكن نذكر طرفاً منها، ومن أشهر ما قيل في غزوة حنين: شعر العباس بن مرداس السلمي (رضي الله عنه)، يفخر بقومه

(١) البخاري في المغازي، باب غزوة الطائف، حديث رقم: (٤٣٣٠)، (٤٧/٨)، وأخرجه في موضع آخر. انظر: حديث رقم: (٧٢٤٥)، ومسلم في الزكاة، باب إعطاء المؤلفه قلوبهم على الإسلام وتبصر من قوي إيمانه، حديث رقم: (١٠٦١)، (٧٣٨/٢).

بني سليم، ويذكر الفتح وحنين في قصائده، ومن ذلك قوله في رائيته المشهورة^(١):

ما بَالُ عَيْنِكَ فِيهَا عَائِزٌ سَهْرٌ
عَيْن تَأْوِبُهَا مِنْ شَجْوِهَا أَرْقٌ
كَأَنَّهُ نَظْمٌ دُرٌّ عِنْدَ نَاطِمَةٍ
يَا بَعْدَ مَنْزِلٍ مَنْ تَرْجُو مَوَدَّتَهُ
دَعُ مَا تَقْدَمُ مِنْ عَهْدِ الشَّبَابِ فَقَدْ
وَإِذْ كَرَّ بِلَاءُ سُلَيْمٍ فِي مَوَاطِنِهَا
قَوْمٌ هُمْ نَصَرُوا الرَّحْمَنَ وَاتَّبَعُوا
لَا يَغْرَسُونَ فَسِيلَ النَّخْلِ وَسَطَهُمْ
إِلَّا سَوَابِحَ كَالْعِقْبَانِ مُقَرَّبَةً
تُدْعَى خُفَافٌ وَعَوَفٌ فِي جَوَانِبِهَا
الضَّارِبُونَ جُنُودَ الْكُفْرِ ضَاحِيَةً
حَتَّى رَفَعْنَا وَقَتْلَاهُمْ كَأَنَّهُمْ
وَنَحْنُ يَوْمَ حَنِينٍ كَانَ مَشْهُدُنَا
إِذْ نَرَكَبُ الْمَوْتَ مُخْضَرًا بِطَائِنُهُ
تَحْتَ اللَّوَامِعِ وَالضُّحَاكِ يَقْدُمُنَا
فِي مَازِقٍ مِنْ مَجَرِّ الْحَرْبِ كُلِّكُلْهَا
وَقَدْ صَبَرْنَا بِأَوْطَاسِ اسْتِنَا
فَمَا تَرَى مَعْشَرًا قَلُّوا وَلَا كَثُرُوا

مَثَلُ الْحِمَاظَةِ أَغْصَى فَوْقَهَا الشُّفْرُ
فَالْمَاءُ يَغْمُرُهَا طَوْرًا وَيَنْحَدِرُ
تَقَطَّعَ السِّلْكُ مِنْهُ فَهُوَ مُتَشَتِّرُ
وَقَدْ أَتَى دُونَهُ الصَّمَانُ فَالْحَفَرُ
وَلَّى الشَّبَابُ وَزَارَ الشَّيْبُ وَالزَّرْعُ
وَفِي سُلَيْمٍ لِأَهْلِ الْفَخْرِ مُفْتَخَرُ
دِينَ الرَّسُولِ وَأَمْرُ النَّاسِ مُشْتَجِرُ
وَلَا تَخَاوِرُ فِي مَشْتَاهُمُ الْبَقَرُ
فِي دَارَةٍ حَوْلَهَا الْأَخْطَارُ وَالْعَكْرُ
وَحَيٌّ ذِكْوَانٌ لَا مِيلٌ وَلَا ضَجْرُ
بِطْنِ مَكَّةَ وَالْأَرْوَاحُ تُبْتَدَرُ
نَخْلٌ بِظَاهِرَةِ الْبَطْحَاءِ مُنْقَعَرُ
لِلدِّينِ عِزًّا وَعِنْدَ اللَّهِ مُدْخَرُ
وَالْخَيْلُ يَنْجَابُ عَنْهَا سَاطِعٌ كَدِرُ
كَمَا مَشَى اللَّيْثُ فِي غَابَاتِهِ الْخَدِرُ
تَكَادُ تَأْفُلُ مِنْهُ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
لِلَّهِ نَصْرٌ مِنْ شَيْئَانَا وَنَنْتَصِرُ
إِلَّا وَأَصْبَحَ مِنْافِيهِمْ أَثَرُ

(١) الأبيات في ابن هشام ص ١٣١٧ - ١٣١٨، والبداية والنهاية (٤/ ٣٤٢ - ٣٤٣).

وهو في شعره دائماً ينوّه بالضحاك بن سفيان (رضي الله عنه)، قالوا: لأن النبي ﷺ جعله بمائة رجل، وكان عليه لواء سليم، وكانت سليم ألف مقاتل، كما بيّنه العباس بن مرداس في شعره حيث يقول في عينيته المشهورة^(١):

عَفَا مَجْدَلٌ مِنْ أَهْلِهِ فَمُتَالِعٌ	فَمَطْلَى أُرَيْكَ قَدْ خَلَا فَالْمَصَانِعُ
دِيَارُ لَنَا يَا جُمْلُ إِذْ جُلَّ عَيْشُنَا	رَخِيٍّ وَصَرَفُ الدَّارِ لِلْحَيِّ جَامِعُ
حُبَيْبَةُ آلِوَتْ بِهَا غُرْبَةُ النَّوَى	لَيْبِنٍ فَهَلْ مَاضٍ مِنَ الْعَيْشِ رَاجِعُ
فَإِنْ تَبْتَغِي الْكُفَارَ غَيْرَ مَلُومَةٍ	فَإِنِّي وَزِيرٌ لِلنَّبِيِّ وَتَابِعُ
دَعَانَا إِلَيْهِمْ خَيْرٌ وَفَدِ عِلْمَتُهُمْ	خَزِيمَةٌ وَالْمَرَارُ مِنْهُمْ وَوَاسِعُ
فَجِئْنَا بِالْفِ مِنْ سُلَيْمٍ عَلَيْهِمْ	لَبُوسٌ لَهُمْ مِنْ نَسْجِ دَاوُدَ رَائِعُ
فَجِئْنَا مَعَ الْمَهْدِيِّ مَكَّةَ عَنُودَةٍ	بِأَسْيَافِنَا وَالنَّقْعُ كَابٍ وَسَاطِعُ
عِلَانِيَةٍ وَالْخَيْلُ يَغْشَى مُتُونَهَا	حَمِيمٌ وَأَنْ مِنْ دَمِ الْجَوْفِ نَاقِعُ
وَيَوْمَ حَنِينٍ حِينَ سَارَتْ هَوَازُنٌ	إِلَيْنَا وَضَاقَتْ بِالنَّفُوسِ الْأَضَالِعُ
صَبْرُنَا مَعَ الضَّحَاكِ لَا يَسْتَفْزِنَا	قِرَاعُ الْأَعَادِي مِنْهُمْ وَالْوَقَائِعُ
أَمَامَ رَسُولِ اللَّهِ يَخْفُقُ فَوْقَنَا	لِوَاءٌ كَخُذْرُوفِ السَّحَابَةِ لَامِعُ

ولم تُرد الإكثار من إيراد من تكلم فيها والذين قالوا شعراً في حنين غير كثير.

ولما قسم ﷺ غنائم حنين، وأعطى هذا العطاء العظيم، وأرضى الأنصار بما أرضاهم به كان (صلوات الله وسلامه عليه) خلف

(١) هذه القصيدة ذكرها ابن هشام ص ١٣١٣ - ١٣١٤، ابن كثير في تاريخه (٤/ ٣٤١)، وقد أسقط الشيخ منها هنا - بعد البيت السادس - بيتاً نظراً لما في معناه من الإيهام، والله أعلم.

على مكة عتّاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية (رضي الله عنه) (١)، وكان إذ ذاك ابن عشرين سنة.

هذا طرف أشرنا له من هذه الواقعة التي نوّه الله (جلّ وعلا) بها في كتابه، ولم نرد الإطالة فيها كثيراً، وسنرجع - إن شاء الله - في اليوم الآتي إلى معنى الآية ونفسرها؛ لأننا الآن ما ذكرنا إلا بسط سبب نزولها الذي نزلت فيه. وكان بعض العلماء يقول: هذه أول آية نزلت من سورة براءة. فهذه الآية نزلت قبل أولها.

يقول الله جلّ وعلا: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾﴾.

اللام توطئة قسم محذوف، أي: والله ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ﴾ أي: أعانكم على أعدائكم ﴿فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾ المواطن: جمع موطن، وموطن الحرب معناه مشهده وموقفه، وهو معنى معروف في كلام العرب، ومنه قول الشاعر (٢):

وكم موطن لولاي طُحِتَ كما أرى بأجرامه من قُلَّةِ النِّيقِ مُنْهَوِي

(١) أورده ابن هشام ص ١٢٨٦، وابن كثير في تاريخه (٤/٣٢٥).

(٢) البيت ليزيد بن أم الحكم، وهو في الكتاب (٢/٣٧٤)، البحر المحيط (٥/٢٣)، الدر المصون (٦/٣٧)، وقوله: «طُحِتَ» أي: هلكت، والأجرام: جمع جِزْم وهو الجسد. والقُلَّة: ما استدار من رأس الجبل. والنِّيق: أعلى الجبل.

أي: كم مشهد حرب، لقد أعانكم الله على أعدائكم في مواقف ومشاهد عديدة، كما نصركم يوم بدر، ويوم الخندق، ويوم قريظة، ويوم النضير، ويوم الحديبية، ويوم فتح مكة، إلى غير ذلك من المواقف التي تخرجون منها وأنتم ظاهرون منصورون.

﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾ قيل التقدير: في أيام موطن، ويوم حنين أيضاً، أي: ولقد نصركم يوم حنين ﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ يوم حنين حين التقوا بهوازن، وكانوا كمنوا لهم في مضايق وادي حنين ومخارمه وأحنائه، ثم شدوا عليهم شدة رجل واحد، وكانوا في هذه الواقعة قبل ملاقات العدو كأن الصحابة أعجبوا بكثرتهم لأنهم اجتمع منهم ذلك اليوم شيء لم يجتمع مثله قط فيما مضى، وقالوا: لن نغلب اليوم من قلة. فبين لهم الله أن النصر من عنده وحده، لا بالعدد ولا بالعدد ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: آية ١٢٦] ﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ أعجبتم بكثرة عددكم وقتلتم: لن نغلب اليوم من قلة ﴿فَلَمْ تُغْنِ﴾ هي، أي: الكثرة التي أعجبتكم لم تغن ﴿عَنْكُمْ شَيْئًا﴾ لم تفدكم ولم تجدكم قبل أن ينزل الله عليكم سكينته وينصركم. وهذا امتحان من الله وابتلاء وبيان لخلقه أن النصر بيده وحده لا بكثرة العدد ولا بكثرة العدد؛ ولذا لما أمدهم بالملائكة بين لهم مع ذلك أن النصر به وحده، قال: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: آية ١٢٦] ﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا﴾ [التوبة: آية ٢٥] فلم تنفعكم ولم تجد عنكم شيئاً. والعرب تقول: هذا لا يغني شيئاً، وما أغنى عني هذا شيئاً. يعنون: ما نفعني وما أجداني.

وقد قدمنا في هذه الدروس مراراً^(١) أن أصله من الغَنَاء بالفتح والمد، فالغَنَاءُ في لغة العرب: - كسحاب - معناه: النفع. ومعنى (لا يغني عنه) أي: لا يحصل له به غَنَاء. أي: نفع. وقد قدمنا لغات هذه المادة مراراً في هذه الدروس، وبيننا أن الغَنَاء بالفتح والمد - غَنَاءٌ كسحاب - أن معناه: النفع. ومنه قول بعض شعراء بني أسد بن خزيمة^(٢):

وقلَّ غناء عنك مال جمعته إذا صار ميراثاً وواراك لاحد
«قل غناء» أي: قلَّ نفعاً لك. تمييز مُحَوَّلٌ عن الفاعل.

وأن (الغَنَى) بالمد والقصر أنه الإقامة في الموضع، فالعرب تقول: غَنِيَ بالمكان يغني به غَنَى - على القياس - أي: أقام به. ومنه في هذا المعنى قوله تعالى: ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ﴾ [يونس: آية ٢٤].

والغِنَاءُ - بكسر الغين والمد إلى الهمزة، غِنَاءٌ ككتاب - معناه: الألحان المطربة - قَبَّحَهَا اللهُ - .

والغِنَى بالكسر والقصر هو ضد الفقر، والغِنَى بالضم والقصر جمع غنية وهو المال الذي يقتنيه الإنسان فيغتنى به في حياته. والغِنَاء بضم فمد لا أعرفه في لغة العرب. وهذا معنى قوله: ﴿فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً﴾.

﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ الباء بمعنى (مع)، و(ما) مصدرية. والمعنى: ضاقت عليكم الأرض مع سعتها ورُخْبِها،

(١) مضى عند تفسير الآية (٤٨)، والآية (٩٢) من سورة الأعراف.

(٢) البيت في ديوان الحماسة (٥١/٢)، المزهري (٣٠٦/٢).

والرَّحْبُ بالضم: هو الاتساع، والرَّحْبُ: وصف، تقول: مكان رَحْب، يعني: وسيع، وصدر رَحْب أي: وسيع. والرَّحْبُ: معناه السعة، والرَّحْبُ بالفتح المصدر ف (الباء) بمعنى (مع) و (ما) مصدرية. والمعنى: ضاقت عليكم الأرض في حال كون ذلك مع سعتها ورُحْبها متلبسة بسعتها ورُحْبها. والجار والمجرور في موضع الحال، كقولك: زرتَه بـثيابي. أي مع ثيابي. أي: في حال كوني متلبساً بها. والخائف يضيق عليه فضاء الأرض الواسع؛ لأن من اشتد خوفه ضاقت الأرض في عينه وإن كانت طويلة عريضة واسعة، كما قال الشاعر^(١):

كَأَنَّ بِلَادَ اللَّهِ وَهِيَ عَرِيضَةٌ عَلَى الْخَائِفِ الْمَطْلُوبِ كِفَّةُ حَابِلٍ
وهذا معنى ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾.

﴿ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾ ﴿٢٥﴾ مولين الأدبار منهزمين؛ لأنهم أول المرة في ذلك اليوم انهزموا. وعن سلمة بن الأكوع (رضي الله عنه) أنه انهزم فيمن انهزم، وكان لابساً بردين متزراً بأحدهما متردياً بالآخر، فلما اشتد منهزماً هارباً انحل الإزار الذي يتزر به وعجل عن أن يشده فصار جامعاً له بيديه، ومرَّ على النبي ﷺ في هذه الحالة والنبي (صلوات الله وسلامه عليه) في غاية الثبات والطمأنينة، فالتفت إليه وقال: «رأى ابن الأكوع فزعاً»^(٢) وهو هارب، فرجعوا مدبرين. هذا معنى قوله: ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾ ﴿٢٥﴾ [التوبة: آية ٢٥] ﴿مُدْبِرِينَ﴾ معناه: مولين عدوكم بأدباركم، فارين منه.

(١) البيت في القرطبي (١٠٠/٨).

(٢) أخرجه مسلم في الجهاد، باب في غزوة حنين، حديث رقم: (١٧٧٧)، (١٤٠٢/٣).

﴿ثُمَّ أُنْزِلَ اللَّهُ سَكِينَتُهُ﴾ السكينة: فعيةٌ من السكون، ومعناها: الطمأنينة والأمنة المستوجبان لأكمل الثبات ﴿ثُمَّ أُنْزِلَ اللَّهُ سَكِينَتُهُ﴾ [التوبة: آية ٢٦] أي: أمنت من الخوف، وطمأنينته في القلوب المستوجبة لأكمل الثبات على رسوله محمد ﷺ حيث كان على بغلته الشهباء (دُلْدُل) يركضها إلى نحور العدو ويقول: «أقبلوا إلي عباد الله، أنا رسول الله، أنا محمد بن عبد الله»

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب^(١)

﴿وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: وأنزل سكينته أيضاً على المؤمنين. قال بعض العلماء: المراد بالمؤمنين الذين أنزل الله سكينته عليهم: من ثبتوا معه ﷺ. وقال بعض العلماء: يدخل فيهم الذين رجعوا بعد الفرار والهزيمة وقاتلوا معه عدوه. والتحقيق: أن الله أنزل سكينته على الجميع، الذين بقوا معه ولم يفرّوا والذين رجعوا إليه.

واختلف العلماء فيمن بقي معه ولم ينهزم^(٢)، وكان بعض العلماء يقول: عشرة رجال أو أحد عشر رجلاً، وقد ذكرناهم بالأمس، ومن جملتهم: شيبه بن عثمان بن أبي طلحة كان يريد الغدر بالنبي ﷺ فأمن في ذلك الوقت، وكان من الثابتين المقاتلين مع رسول الله ﷺ. وكثير من أصحاب المغازي يقولون: ثبت معه

(١) مضى عند تفسير الآية (٤٥) من سورة الأنعام.

(٢) انظر: ابن هشام ص ١٢٨٩، البداية والنهاية (٤/٣٢٦، ٣٣٠)، فتح الباري

(٢٩/٨)، مرويات غزوة حنين (١/١٦٩ - ١٨٤).

نحو من مائة رجل أو ثمانين. وبعض العلماء يوفق بين القولين يقول: أما العشرة أو الأحد عشر فلم يتحركوا، وأما المائة أو الثمانون فهم الذين رجعوا بسرعة وحملوا على عدو النبي ﷺ، ذكروا أن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) قتل ذلك اليوم أربعين رجلاً بيده، وذكروا عن أبي طلحة أنه لما قال النبي ﷺ: «مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا لَهُ عَلَيْهِ بَيْنَةٌ فَلَهُ سَلْبُهُ»^(١) أنه قتل عشرين رجلاً فأخذ أسلابهم، وكان علي (رضي الله عنه) ذلك اليوم هو الذي أسقط الجمل الذي عليه راية هوازن؛ لأن رايتهم كانت عند رجل على رمح طويل راكب على جمل أحمر، يتقدم أمام الناس، فإذا أدرك الناس طعنهم بالرمح، وإذا فاتوه رفع لواءه على الرمح ليراه مَنْ بَعْدَهُ!! فابتدره علي (رضي الله عنه) ورجل من الأنصار فضرب عليّ الجمل على عرقوبه فسقط على عجزه، فابتدر الأنصاري الرجل فأطنّ رجله بنصف ساقه وانجفع عن رحله^(٢).

ثم إن الله قال: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ هذه الجنود هي الملائكة لم يرها المؤمنون ولكن الكفار رأوها، فذكر ابن عبد البر أنه روى من طرق كثيرة عن أولاد أولئك الذين كانوا من الكفار شهدوا حنيناً عن آبائهم أنهم قالوا: لقينا أصحاب محمد ﷺ فما وقفوا لنا حلب شاة، فhezمناهم واتبعناهم، حتى إذا انتهينا إلى صاحب البغلة البيضاء أو البغلة

(١) مضى قريباً عند تفسير الآية (٢٥) من هذه السورة.

(٢) أخرجه الواقدي (٩٠٢/٣)، والبيهقي في الدلائل (١٢٧/٥)، والطبري في التاريخ (١٢٨/٣)، وذكره ابن هشام ص ١٢٨٩، وابن كثير في تاريخه (٣٢٦/٤)، وانظر: مرويّات غزوة حنين (١٦٤/١).

الشهباء رأينا رجالاً بيضاً على خيل بلق وقالوا لنا: «ارجعوا، شأهت الوجوه»^(١)، وقد كان النبي قال أيضاً هذه الكلمة «شأهت الوجوه انهزموا». وجاء من روايات أخر أن مالك بن عوف النصري سيد هوازن أرسل عيوناً يتجسسون له أخبار النبي ﷺ، فجاؤوه وقد انخلعت أوصالهم. أي: كأن ما بين عظامهم متفكك. فقالوا: رأينا رجالاً بيضاً على خيل بلق فما تمالكنا أن وقع بنا ما ترى^(٢).

والله (جلّ وعلا) في هذا القرآن العظيم ذكر التأيد بجنود الملائكة في أربع سور من كتابه، في ثلاثة منها يقول: ﴿لَمْ تَرَوْهَا﴾ وفي الرابعة لم يقل: ﴿لَمْ تَرَوْهَا﴾.

[٤/ب] / أما الثلاث التي قال فيها: ﴿لَمْ تَرَوْهَا﴾ فمنها: الملائكة الذين نزلوا في غزوة الخندق — غزوة الأحزاب — الآتي ذكرهم في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾ [الأحزاب: آية ٩].

الثانية: الملائكة المنزلون في غزوة حنين هذه، المذكورون في قوله: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾ [التوبة: آية ٢٦].

(١) أخرجه الطبري في التفسير (١٨٦/١٤، ١٨٨)، وذكره ابن عبد البر في الدرر في اختصار المغازي والسير ص ١٦٨، وانظر: مرويّات غزوة حنين (١/٢٠٨ — ٢٠٩).

(٢) أخرجه الواقدي في المغازي (٨٩٢/٣)، وابن سعد في الطبقات (١٠٨/٢)، والطبري في التاريخ (١٢٧/٣)، وذكره ابن هشام في السيرة، وابن القيم في الهدى (٤٦٧/٣)، وابن كثير في تاريخه (٣٢٣/٤)، وابن الأثير في الكامل (١٧٨/٢).

الثالثة: الملائكة الذين نزلوا بنبينا ﷺ يوم دخل في الغار هو وصاحبه، وسيأتي بسط قصتهم — إن شاء الله — في هذه السورة الكريمة سورة براءة، وذلك في قوله: ﴿إِلَّا نَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدُوهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾ [التوبة: آية ٤٠] ففي هذه المواضع الثلاثة كلها يقيد بـ (لم تروها) (لم تروها) لأنه ينزل ملائكة لا يراهم بنو آدم؛ لأنهم ليسوا من شكلهم ولا من جنسهم حتى يروهم. وفي الموضع الرابع لم يقيد بقوله: (لم تروهم) وهو الملائكة النازلون يوم بدر، المذكورون في الأنفال وآل عمران، حيث قال الله في الأنفال: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنْ مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾ الآية [الأنفال: آية ١٢]. وذكرهم أيضاً في سورة آل عمران في قوله: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ...﴾ إلى قوله: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ﴾ [آل عمران: الآيتان ١٢٣، ١٢٤] وقد قدمنا في سورة الأنفال^(١) أن أظهر الأقوال أن الملائكة قاتلت يوم بدر، وأنها لم تقاتل في غيرها بل تأتي لتجيب الكفار وتقوية قلوب المؤمنين ونصرتهم، هذا هو الظاهر، وقد ذكر (جلّ وعلا) فرقاً شاسعاً بين من يفر في غزوة بدر ومن فرّ في غيرها؛ لأنه شدّد غاية التشديد فيمن يفر في غزوة بدر كما تقدم في قوله: ﴿وَمَنْ يُؤَلِّمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقُنَالٍ أَوْ مُتَحَرِّفًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾ [الأنفال: آية ١٦] بهذا التشديد العظيم، ولم يقل مثل هذا فيمن انهزم من الصحابة يوم

(١) مضى عند تفسير الآية (٩) من سورة الأنفال.

أحد، ولا فيمن انهزم منهم يوم حنين؛ لأن بعض الصحابة انهزموا يوم أحد، وبعضهم لم يرجعوا إلى النبي ﷺ، فأنزل الله فيهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُولُوا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ ثم قال: ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [آل عمران: آية ١٥٥].

ثم قال هنا: ﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ [التوبة: آية ٢٧] فأشار إلى أنه تاب عليهم من هزيمتهم. وهذا معنى قوله: ﴿وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وهم هوازن، عذبهم بأيدي المؤمنين حيث قتلوهم قتلاً وجيعاً وأسروهم وأخذوا أولادهم ونساءهم وأموالهم مصداقاً لقوله: ﴿فَتَلَوْهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْرِجُهُمْ وَيَضْرِبُهُمْ عَلَى رُءُوسِهِمْ وَيُضْرِبُهُمْ صُودُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: آية ١٤] ﴿وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الذين كانوا يقاتلون النبي وأصحابه كهوازن ﴿وَذَلِكَ﴾ العذاب ﴿جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: آية ٢٦] ثم إن الله تعالى قال: ﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ [التوبة: آية ٢٧] قال بعض العلماء: ﴿يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ يدخل فيه المنهزمون الذين انهزموا عن رسول الله ﷺ، مَنْ رجع منهم وكرَّ وَمَنْ لم يرجع. قالوا: ويدخل فيه الكافرون الذين قال الله: ﴿وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [التوبة: آية ٢٦] لأن كثيراً منهم تابوا فتاب الله عليهم. وقد كان رئيس هوازن مالك بن عوف (رضي الله عنه)، أسلم وكان من أصحاب رسول الله ﷺ؛ لأنه لما انهزمت هوازن راح مع فلّ الطائف — والفّل هو بقية المنهزمين — وتحصّن بحصن الطائف، فأرسل إليه النبي ﷺ سراً: أنه إن قدم إليه رد إليه أهله وولده وأعطاه. فخاف إن أعلم ثقيفاً بذلك أن يمنعه، فأمر أن يُرحل جملة في محلّ عينه لهم،

ثم جاءه مختفياً، وسار إلى رسول الله ﷺ، وجاء إلى النبي ﷺ مسلماً فأكرمه رسول الله ﷺ، وردّ إليه أهله وولده، وأعطاه مائة من الإبل كما أعطى المؤلفين. وقد كان مالك بن عوف سيد هوازن مدح النبي ﷺ ببعض أشعاره، ومن ذلك قوله لما رد له رسول الله ﷺ ما رد له وأعطاه مائة من الإبل^(١):

ما إن رأيتُ ولا سمعتُ بمثله
في الناسِ كلهم بمثلِ محمدٍ
هذا يمدحه به رئيس الذين كانوا أعداءه بالأمس يقاتلون، رجع في هذا الزمن القريب إلى مدحه والثناء عليه هذا الثناء الجميل:

مَا إِنْ رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ
فِي النَّاسِ كُلِّهِمْ بِمِثْلِ مُحَمَّدٍ
أَوْفَى وَأَعْطَى لِلْجَزِيلِ إِذَا اجْتَدِي
وَمَتَى تَشَأْ يُخْبِرُكَ عَمَّا فِي غَدٍ^(٢)
وَإِذَا الْكُتَيْبَةُ عَرَدَتْ أَنْيَابُهَا
بِالسَّمْهَرِيِّ وَضَرَبَ كُلُّ مُهَنَّدٍ
فَكَأَنَّهُ لَيْتٌ عَلَى أَشْبَالِهِ
وَسَطَ الْهَبَاءُ خَادِرٌ فِي مَرَصِدٍ

وهذا معنى قوله: ﴿وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: آية ٢٦] فقسم النبي ﷺ غنائم هوازن بعد أن رد إليهم أولادهم ونساءهم، قسم غنائمهم بالجعرانة في ذي القعدة عام ثمان — ثم إنه أحرم بعد أن قسمها بعمرة^(٣) — من الهجرة.

(١) هذا الخبر مع الآيات أخرجه البيهقي في الدلائل (١٩٨/٥)، وأورده ابن هشام ص ١٣٤٣، وابن كثير في تاريخه (٣٦١/٤)، وانظر: مرويّات غزوة حنين (٤٦٩/٢).

(٢) معلوم أنه لا يعلم ما في غد إلا الله تعالى.

(٣) عمرته ﷺ بعد قسم غنائم حنين خرّج حديثها البخاري في صحيحه، كتاب العمرة، باب كم اعتمر النبي ﷺ؟ حديث رقم: (١٧٧٨)، (٣/٦٠٠)، وأخرجه في مواضع أخرى. انظر: الأحاديث رقم: (١٧٧٩، ١٧٨٠، ٣٠٦٦، =

وكانت في السبايا التي جيء بها رسول الله ﷺ: الشيماء بنت الحارث بن عبد العزى، أمها حليلة السعدية، أخت رسول الله ﷺ من الرضاعة، كانت تقول لهم: مهلاً عليّ لا تزعجوني فإني أخت صاحبكم من الرضاعة، فلما جاءت أخبرت النبي ﷺ فسألها عن العلامة فقالت له: عضة عضضتها في كتفي وأنا متوركتك. فعرف ﷺ العلامة فبسط لها رداءه وأجلسها عليه وأكرمها غاية الإكرام، وخيرها أن تبقى معه محبة مكرمة أو أن يردها إلى أهلها ويمتعها. فاختارت الرد إلى أهلها فمتعها. كانوا يقولون: من جملة ما أعطاهما جارية وغلماً، زوّجت الغلام من الجارية، قالوا: وكان عقبهما فيهم لا يكاد ينقطع^(١). وهذا من كرمه ووفائه (صلوات الله وسلامه عليه)، فإن الإنسان إذا استعرض شيئاً من سيرته (صلوات الله وسلامه عليه) رأى العظمة الهائلة من الشجاعة الكاملة، والحلم الكامل، والكرم الكامل، والوفاء الكامل (صلوات الله وسلامه عليه). وهذا معنى قوله: ﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ [التوبة: آية ٢٧] على من يشاء أن يتوب عليه، وهذه يفهم منها أنه تعالى تاب على الذين انهزموا وإن لم يصرح بها. أما الذين انهزموا

= (٤١٤٨)، ومسلم في الحج، باب بيان عدد عمر النبي ﷺ وزمانهن، حديث رقم: (١٢٥٣)، (٩١٦/٢)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(١) أخرجه الواقدي (٩١٣/٣)، والبيهقي في دلائل النبوة (١٩٩/٥، ٢٠٠)، والطبري في تاريخه (١٣١/٣)، وابن عبد البر في الاستيعاب (٣٤٤/٤)، وأورده ابن حزم في جوامع السيرة ص ٢٤٥، وابن هشام ص ١٣٠٦، وابن كثير في تاريخه (٣٦٣/٤)، وابن الأثير في أسد الغابة (٢٥٧/٥)، (١٦٧/٧)، والكامل (١٨٠/٢)، والحافظ في الإصابة (٤٥٦/٣)، (٣٤٤/٤)، وانظر: مرويات غزوة حنين (٢٦٥/١).

يوم أحد فقد صرح بأنه تاب عليهم في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ
الَّتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ [آل عمران:
آية ١٥٥].

وقوله هنا: ﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ التوبة
تطلق من الله على عبده، ومن العبد إلى ربه، فإذا أطلقت التوبة من
العبد إلى ربه عُذِّيت بـ (إلى) ولم تُعَدَّ بـ (على) تقول: تبت إلى الله.
ولا تقول: تبت على الله. وإذا توجهت من الرب إلى عبده عُذِّيت
بـ (على) تقول: تاب الله عليه. ولم تقل: تاب إليه. أما التوبة الواقعة
من المخلوقين فإن الوصف منها يطلق على (تائب) وعلى (تَوَّاب)
بصيغة المبالغة. أما توبة الله على عبده فلم يأتِ الوصف منها إلا على
(تَوَّاب).

وقد قدمنا مراراً^(١) أن توبة العبد إلى ربه المستوجبة لتوبة الله
على عبده أنها واجبة فوراً من كل ذنب، وأن من أخرها كان ذلك ذنباً
تجب منه التوبة.

وقد قدمنا في هذه الدروس مراراً^(٢) أن في التوبة إلى الله (جلّ
وعلا) إشكالين معروفين عند العلماء:

أحدهما: إطباق العلماء على أن توبة العبد إلى ربه هي مركبة
من ثلاثة أركان، وهي: إقلاعه عن الذنب إن كان متلبساً به، وندمه
على ما صدر منه، ونيته أن لا يعود. فهذه هي الأركان التي تتألف
منها توبة العبد النصوح إلى ربه، الذي إذا فعلها جاءته توبة الله؛ لأن

(١) مضى عند تفسير الآية (٥٤) من سورة الأنعام.

(٢) السابق.

الله يتوب على من تاب عليه، كما قال (جلّ وعلا): ﴿تَوُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [التحریم: آية ٨] وهم يقولون: «عسى من الله واجبة»^(١). هذا فيه إشكالان معروفان:

أحدهما: أن التوبة واجبة بإجماع العلماء فوراً من كل ذنب يُجترم. فعلينا جميعاً إذا صدر من الواحد منّا ذنب أن يرجع إلى الله ويتوب إليه فوراً ولا يؤخر التوبة من ذلك، فإن أخرها كان تأخيرها ذنباً يحتاج إلى توبة أخرى. والندم من أركانها بالإجماع، وركن الواجب واجب إجماعاً، فالندم على الذنب واجب؛ لأنه من أركان التوبة، وركن الواجب واجب، والإشكال هنا في الندم؛ لأن المعروف أن الندم من الانفعالات النفسية والتأثرات، لا من الأفعال الاختيارية كما هو مشاهد، والعلماء مجمعون على أنه لا تكليف إلا بفعل اختياري، وأن الانفعالات والتأثرات النفسانية لا يملكها أحد، فكيف يكلف بالندم ويوجب عليه وهو انفعال وتأثر نفساني ليس تحت طاقته، وأنت تشاهد الإنسان يجاهد نفسه ليطرد عنها الندم، كالبائع المغبون يتجلد ويتقوى ويريد أن لا يندم وهو يندم غصب أنفه؛ لأنه انفعال وتأثر، كما أن بعض الناس يريد أن يندم ولا يندم إذا كان الذنب الذي وقع فيه — والعياذ بالله — مما كان يشتهيهِ جداً، كالذي يظفر بقبلة من امرأة يعشقها، إذا أخطر ذلك على قلبه يصعب عليه أن يندم عليه؛ لأنها أمنيته التي كان يرجوها فإذا كان الندم قد يريده الإنسان ولا يجده، وقد يدفعه عنه ولا يندفع، وهو انفعال وتأثر نفساني فكيف يكون ركناً من أركان التوبة، ويكون واجباً، ومعلوم إجماع العلماء على أن الله لا يكلف إلا بفعل؟

(١) مضى عند تفسير الآية (١٢٩) من سورة الأنعام.

هذا الإشكال أجاب عنه العلماء بأن المراد بإيجاب الندم هو إيجاب الأخذ في أسبابه؛ وأن الإنسان إذا أخذ بأسباب الندم أخذاً صحيحاً ولم يحاب نفسه لا بد أن يندم، ومن كانت أسبابه الموصلة إليه متيسرة في طوع المكلف فكأنه متيسر في طاقة المكلف؛ لأن الإنسان إذا أخذ نفسه أخذاً حقيقياً وعرفها في داخل قرارة نفسه أنه لا يوجد في الدنيا إنسان يبلغ من البله والتغفيل ما يستلذ به طعاماً أو شرباً حلواً وفيه سم قاتل؛ لأن عامة العقلاء لا يحبون الطعام الحلو ولا الشراب الحلو ولو كان في غاية اللذابة والحلاوة إذا كان في داخله سم فتاك قاتل، هذا يعافه جميع الناس ويكرهونه، ولا شك أن حلاوات المعاصي ولذاتها عند الجهلة، وإنما هي منطوية عليه من السم القاتل الفتاك، وهو سخط خالق السماوات والأرض وغضبه، أن العاقل إذا تأمل في هذا تأملاً حقيقياً ولم يحاب نفسه وأخذها بالتحقيق لا بد أن يندم؛ لأن الإنسان لو نال ما نال من حلاوة الذنب فهو يعلم أن تلك الحلاوة منطوية على أشد السموم وأفتكها وهو سخط خالق السماوات والأرض وغضبه؛ لأنه قد يستوجب هلاكه في الدنيا وعذابه السرمدى في الآخرة، وهذا معروف؛ لأنه لا يأخذ الإنسان في أسباب الندم أخذاً صحيحاً حقيقياً ويعرف عواقب الذنب وسرعة انقضاء حلاوته.

فلا تقرب الأمر الحرام فإنما حلاوته تفنى ويبقى مريرها^(١)

* * *

تفنى اللذاة ممن نال صفوتها من المعاصي ويبقى الإثم والعار
تبقى عواقب سوء في مغبتها لا خير في لذة من بعدها النار^(٢)

(١) البيت في تاريخ دمشق (١٤/٣٣٤)، ونسبه للحسين بن مطير.

(٢) البيتان في الآداب الشرعية (٢/٢٣٨)، شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة =

فمن عرف حقارة لذة المعصية وشدة السموم الفتاكة المنطوية عليها، وأعمل عقله تعميلاً صحيحاً لا بد أن يندم، فلما كانت الأسباب الموصلة إلى الندم متيسرة ولا يعجز عنها إلا من حابى نفسه ولم يستعمل أسباب الندم صار الندم كأنه في طوق الإنسان.

الإشكال الثاني: هو ما ذكره العلماء في الإقلاع؛ لأن الإقلاع عن الذنب والكف عن شر الذنب، وعدم التماذي فيه، هذا ركن من أركان التوبة، فلا توبة مع عدم الإقلاع؛ لأن المتلبس بالذنب الذي لم يقلع عنه لا توبة له بإجماع العلماء، والإشكال في هذا أن بعض الناس يتوب مع تعذر الإقلاع عليه، كالذي كان ينشر بدعة من البدع حتى طارت في أقطار الدنيا، وصار يُعمل بها في مشارق الأرض ومغاربها، ومعلوم أن من سنّ سنة سيئة فعله وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة، لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئاً. ثم إنه ندم على بدعته وأراد الإقلاع والرجوع عنها، لكن شره منتشر مستطير في أقطار الدنيا؛ لأن البدعة التي بثّ وهي إلى الآن في أقطار الدنيا يتناقلها الناس بعضهم عن بعض، ويضلون بها بعضهم عن بعض، فهل نقول: هذا مقلع؛ لأنه فعل غاية ما يستطيع، أو نقول: ليس بمقلع؛ لأن فساد له لم يزل فهو منتشر في أقطار الدنيا إلى الآن؟

ومن هذا القبيل: من غصب أرضاً، كأن غصب أرضاً مثلاً عشرين ميلاً في عشرين ميلاً وهو جالس في وسطها، ثم إنه ندم على

= والخلفاء الراشدين ص ٥١٦، وقد نسبها بعضهم لعثمان بن عفان (رضي الله

الغضب وأراد أن يخرج من الأرض المغصوبة نادماً، الزمن الذي يمكنه قبل أن يخرج منها لو أدركه الموت وهو فيها هل هذا تائب؛ لأنه فعل غاية ما يستطيع؟ أو نقول: لم يقطع؛ لأنه إلى الآن لم يتخل عن الشيء الذي غصبه، بل هو في حوزته إلى الآن، وهو يشغله بجسمه؟ ومن هذا المعنى: من رمى إنساناً من بعيد بسهم ثم لما فارق السهم ندم والسهم في الهواء فتأب إلى الله (جلّ وعلا) والسهم في الهواء، ثم بعد أن تأب أصاب السهم في الرمية فقتله، هل نقول: هو تائب؛ لأنه فعل في ذلك الوقت ما يستطيع، أو نقول: ليس بتائب؛ لأن فسادته منتشر، وأثر جريمته باق لم ينقطع؟ هذه مسائل اختلف فيها علماء الأصول حول الإقلاع عن الذنب في التوبة^(١).

والمحققون من علماء الأصول أن الإنسان إذا فعل غاية ما في وسعه وندم على ما صدر منه أن الله يغفر له بذلك ويتوب عليه؛ لأن الله يقول: ﴿لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: آية ٢٨٦] وهذا معنى قوله: ﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ﴾ مفعول المشيئة محذوف، أي: ويتوب الله على من يشاء أن يتوب عليه ﴿وَاللَّهُ﴾ (جلّ وعلا) ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ كثير المغفرة والرحمة لعباده؛ لأن الله غفور رحيم، فقد جاء في غزوة حنين هذه أن النبي ﷺ رأى امرأة من السبي تصيح تطلب ولدها وهي في غاية التشویش إليه حتى وجدته فجعلت تقبله وتضمه إليها من شدة شفقتها عليه، فقال النبي ﷺ لأصحابه: «أترون هذه طارحة ولدها هذا في النار؟» قالوا: لا. قال: «ولم؟» قالوا: لشفقتها عليه. قال: «الله أرحم بكم من هذه

(١) راجع ما سبق عند تفسير الآية (٥٤) من سورة الأنعام.

بولدها^(١)». فالله (جلّ وعلا) أرحم من كل شيء.

فلو أن فرعون لما طغى وقال على الله إفكاً وزوراً
أناب إلى الله مُسْتَغْفِراً لَمَّا وَجَدَ الله إلا غفوراً^(٢)

الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة فجاؤوا بأشنع كفر كيف
يستعطفهم الله ويقول لهم: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ
عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: آية ٧٤] هذا الاستعطاف والكلام
اللين العظيم في الاستعطاف والوعد بالمغفرة للذين قالوا: إن الله
ثالث ثلاثة يدل على عظمة رحمة الله وسعة مغفرته (جلّ وعلا) ﴿قُلْ
لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: آية ٣٨]
كائناً ما كان من شدة رحمة الله ومغفرته.

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نجسٌ فَلَا
يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمْ
اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [٢٨] قَنِلُوا الَّذِينَ لَا
يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ
دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ
صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: الآيتان ٢٨، ٢٩].

يقول الله جلّ وعلا: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نجسٌ
فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ
يُغْنِيكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [٢٨] [التوبة:

(١) البخاري في الأدب، باب رحمة الولد وتقيله ومعانقته، حديث رقم: (٥٩٩٩)،

(١٠/٤٢٦)، ومسلم في التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى، وأنها سبقت

غضبه، حديث رقم: (٢٧٥٤)، (٤/٢١٠٩).

(٢) مضى عند تفسير الآية (٦٧) من سورة الأنفال.

[آية ٢٨] هذه مما كان ينادي به علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) في مواسم عام تسع، ولم يحج بعدها مشرك، ولم يطف بالبيت عريان، خاطب الله عباده في هذه الآية الكريمة باسم الإيمان ليكون ذلك أدعى وأبعث على الامتثال، آمراً لهم أن يبعدوا الكفار عن مسجده ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ صرح في هذه الآية الكريمة بأن المشركين نجس، والنجس أصله مصدر نجس الشيء ينجس نجساً فهو نجس بفتح فكسر، أصله مصدر. وهذا من النعت بالمصدر، والمصدر إذا نُعت به أفرد وذُكر، تقول: مشرك نجس، ومشركة نجس، ومشركان نجس، ومشركات نجس، ومشركون نجس. تطلقه بالافراد على الواحد والاثنين والجمع من الذكور والإناث.

قال بعض العلماء: هي نجاسة كالنجاسة الحسية؛ ولذا قال بعض العلماء: ذات المشرك نجس كالكلب والخنزير. وعن الحسن البصري رحمه الله: مَنْ صافح مشركاً فليتوضأ^(١).

وجماهير العلماء - وهو الصواب إن شاء الله - على أن النجاسة في هذه الآية الكريمة معنوية، فهو نجس معنى، والمعنى أعظم من الحس؛ لأن شركه بالله أنتن شيء وأقذره وأنجسه، وكان بعض العلماء يقول: نجاسته أيضاً لأنه لم يتطهر من جنابة، ولم يتوضأ ولم يجتنب شيئاً من القاذورات والأنجاس، فهو ملازم للنجاسة. وأكثر العلماء على أن الكافر الذي لم يتلبس بدنه بنجاسة أن نجاسته معنوية لا حسية، وأنه لأجل هذه النجاسة المعنوية أمر الله أن يُبعد عن المسجد الحرام ولا يقرب منه.

(١) أخرجه ابن جرير (١٤/١٩٢).

قال عطاء (رحمه الله) وغير واحد من العلماء: ﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ [التوبة: آية ٢٨] المراد بالمسجد الحرام: الحرم كله^(١)، أي: لا يقرب المشركون حرم الله كله، بل يجب إبعادهم عن الحرم وعدم قربانهم إياه. وهذا القول هو الحق والصواب — إن شاء الله — لأنه دلّ استقراء القرآن العظيم على أن الله يطلق المسجد الحرام على جميع الحرم، وهذه الآية من جملة الآيات التي أُطلق فيها المسجد الحرام وأراد الحرم كله، كقوله: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [الإسراء: آية ١] والصحيح أن الإسراء وقع به من بيت أم هانئ بنت أبي طالب في مكة في الحرم لا في نفس المسجد، وقد قدمنا في الآيات الماضية قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [التوبة: آية ٧] والمعاهدة في طرف الحرم من الحديبية، فهذه الآيات دلت على أن منع الكفار المشركين من القربان عام لجميع الحرم لا لخصوص المسجد وحده، خلافاً لمن قام مع اللفظ.

والفاء في قوله: ﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ دل مسلك الإيماء والتنبيه من مسالك العلة في الأصول على أنها أداة تعليل، وكذلك قرر في الأصول أن الفاء من حروف التعليل^(٢)، كقولهم: سهى فسجد. أي: لعله سهوه. وسرق فقطع يده. أي: لعله سرقته. وأساء فأدّب. أي: لعله إساءته. ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ [التوبة: آية ٢٨] لعله نجاستهم التي يجب أن تبعد من المسجد ويَتَوَقَّى إياها. والحاصل أن الصحيح — إن شاء

(١) السابق.

(٢) مضى عند تفسير الآية (٥٤) من سورة البقرة.

الله — أنه لا يجوز أن يدخل جميع حرم مكة مشرك^(١). والصواب — إن شاء الله — أنها لا يدخلها الكتابيون من يهود ولا نصارى^(٢)، خلافاً لما ذهب إليه جماعة من العلماء، وهو مروي عن أبي حنيفة (رحمه الله) أنه لا مانع من دخول اليهودي والنصراني الذمي — مثلاً — الحرم، بل المسجد. قالوا: لأن الله إنما منع منه خصوص المشركين. قالوا: وأهل الكتاب ليسوا من المشركين^(٣). واستدلوا بآيات من كتاب الله ظاهرها المغايرة بين أهل الكتاب والمشركين، كقوله: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ﴾ [البينة: آية ١] وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ﴾ [البينة: آية ٦] وقوله: ﴿وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [آل عمران: آية ١٨٦] وقوله: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة: آية ١٠٥] وقوله: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [المائدة: آية ٨٢] إلى غير ذلك من الآيات التي عطف الله فيها أهل الكتاب على المشركين، قالوا: والعطف يقتضي المغايرة، فدل أنهم ليسوا من المشركين، والتحقيق الذي لا شك فيه — إن شاء الله — أن أهل الكتاب من المشركين، وقد نصّ الله على أنهم من المشركين في هذه الآية الكريمة من سورة براءة؛ لأنه لما ذكر أهل الكتاب وقال: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ

(١) في هذه المسألة انظر: ابن جرير (١٤/١٩١)، القرطبي (٨/١٠٤)، إعلام

الساجد للزركشي ص ١٧٣.

(٢) انظر: المغني (١٣/٢٤٥).

(٣) مضى عند تفسير الآية (٥) من هذه السورة.

وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴿ [التوبة: آية ٢٩] ثم صرح بأن أهل الكتابين من المشركين في قوله: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزَّىٰ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قُلْنَا لَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ [التوبة: الآيتان ٣٠، ٣١] فصرح بأنهم مشركون بعد أن صرح بمنع المشركين من المسجد الحرام أتبعه بأن الكتابيين من نفس المشركين، وهذا برهان واضح.

وقال: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا... ﴾ [التوبة: آية ٣١] ومعلوم أن الذي اتخذ الأحرار والرهبان أرباباً من المشركين شرك ربوبية كما لا يخفى. وسيأتي في هذه الآيات الكريمة من سورة براءة بيان أن كل من اتبع تشريع أحد ونظامه واتبع تشريع الشيطان المخالف لتشريع الله كل متبع لتشريع الشيطان الذي يشرعه على ألسنة أوليائه تاركاً تشريع الله الذي شرعه على ألسنة رسله كافرٌ مشرك بالله^(١)، كما سنوضحه في هذه الآيات الآتية. ومن أصرح الأدلة عليه أنه لما وقعت تلك المناظرة المشهورة بين حزب الرحمن وحزب الشيطان في حكم من أحكام الحلال والحرام، وحزب الشيطان يقولون: إن ذلك الحكم حلال، ويستدلون بوحى شيطاني، وحزب الرحمن يقولون: إن ذلك الحكم حرام. ويستدلون بوحى قرآني، لما اختصموا وأدلى كل بحجته تولى الله الفصل بينهم فأفتى بينهم فتوى سماوية تتلى قرآناً في سورة الأنعام في قوله: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ أَسْمُهُ اللَّهُ عَلَيْهِ ﴾ يعني الميتة؛ لأن الكفار أوحى إليهم الشيطان: أن سلوا محمداً عن الشاة تصبح ميتة، من هو الذي قتلها؟ فقال لهم:

(١) مضى عند تفسير الآية (٥٧) من سورة الأنعام.

الله قتلها. فقالوا: إذن ما ذكيتموه وذبحتموه بأيديكم حلال، وما ذبحه الله بيده الكريمة حرام، فأنتم أحسن من الله. فهؤلاء استدلوا بوحى إبليس!! ما ذبحتموه حلال، وما ذبحه الله حرام، فأنتم إذن أحسن من الله!! والمسلمون استدلوا بوحى قرآني، وهو ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَمْيَتَةٌ﴾. فلما أدلى كل بحجته فصل الله بينهم فأفتى في قوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ منه الميته، أي: وإن زعموا أنها ذبيحة الله. ثم قال: ﴿وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ [الأنعام: آية ١٢١] أي: الأكل منها فسق. ثم قال: ﴿وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيُؤْخِرَ إِلَىٰ أُولِيَآئِهِمْ لِيُجْدِلُوهُمْ﴾ يعني قولهم: ما ذبحتموه حلال، وما ذبحه الله حرام، فأنتم إذن أحسن من الله. ثم قال، وهو محل الفتيا السماوية من رب العالمين: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: آية ١٢١] فصرح بأن من أطاع تشريع الشيطان في حل الميته أنه مشرك برب العالمين، ولا شك أن اليهود والنصارى أطاعوا الشيطان فيما هو أعظم من إباحة الميته كما لا يخفى، والشيطان عالم بأن الذين يتبعون نظامه وقانونه أنهم مشركون به، عالم هذا في قرارة نفسه، ولكنه في الدنيا يدلس لهم ويجحد، فإذا كان يوم القيامة الذي تظهر فيه الدفائن، وتبرز فيه الحقائق أوضح لهم تبرؤه من شركهم به كما سيأتي في سورة إبراهيم الخليل في الخطبة العظيمة التي ذكرها الله عن الشيطان، وهي قوله: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْلَا أَنْفُسُكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِي إِنْ كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ﴾ [إبراهيم: آية ٢٢] فصرح بأنهم كانوا مشركين به من قبل، ولا شك أن اليهود والنصارى داخلون في

مملوكان فلا مانع من دخولهما المسجد^(١). وروي فيه حديث مرفوع، والتحقيق عند المحدثين أن الموقوف على جابر هو الأثبت الصحيح والمرفوع ليس بصحيح^(٢). وقولُ قاله جابر لا يمكن أن يُخصص به النص الصريح، ولا سيما النص المبني حكمه على العلة؛ لأنه صرح بأنهم نجس، وأشار بالفاء إلى أن تلك النجاسة هي سبب منعهم من قربان المسجد.

وعلى كل حال فالمشركون كعَبْدَةِ الأوثان أجمع جميع العلماء على منعهم من دخول المسجد، واختلفوا في الكتابي وفي غير المسجد من سائر الحرم، وقد بينا أن الصواب — إن شاء الله — منعهم من ذلك كله.

ولو جاءت من المشركين رسالة إلى سلطان المسلمين — وهو بمكة — لا يُدخل الرسول، بل يخرج إليه خارج الحرم حتى يسمع منه ما يقول، ويعطيه الرد خارج الحرم، أو يرسل إليه من ينوب عنه في ذلك^(٣).

قال بعض العلماء^(٤) — وبه قال جماعة من المالكية — إن الواحد منهم إن دخل مختفياً ومات ودفن في الحرم وأُطْلِعَ عليه أنه ينبش قبره، وتخرج عظامه من الحرم، ولا يترك في حرم الله؛ لأنه نجس قدر — قَبَّحه الله — فالتحقيق أنه لا يجوز أن يدخل حرم الله

(١) أخرجه ابن جرير (١٩٦/١٤) من طريق عبد الرزاق.

(٢) أخرجه أحمد (٣٣٩/٣، ٣٩٢) وقال عنه ابن كثير: «تفرد به الإمام أحمد مرفوعاً، والموقوف أصح إسناداً». اهـ. تفسير ابن كثير (٣٤٦/٢).

(٣) انظر: القرطبي (١٠٤/٨).

(٤) السابق، وانظر: إعلام الساجد للزركشي ص ١٧٥.

كافر، وأن الله نهى عن قربانهم إياها، لا يقربوه فضلاً عن أن يدخلوه.

واختلف العلماء في غير المسجد الحرام من المساجد هل يدخل الكفار المساجد غير المسجد الحرام^(١)؟ اختلف العلماء في ذلك، فذهب مالك (رحمه الله) وأكثر أصحابه في طائفة من العلماء إلى أنه لا يجوز أن يدخل كافر مسجداً من مساجد الله كائناً من كان [١/٥] في أي قطر من أقطار الأرض في حرم أو حل. / واستدل مالك لهذا الحكم بأدلة، قالوا: من تلك الأدلة أن الله (جلّ وعلا) صرح بالعلة فقال: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ وقد تقرر في علم الأصول أن العلة تارة تعمم معلولها وتارة تخصصه^(٢)، وقد جاءت مواضع من كتاب الله وسنة رسوله لا خلاف فيها بين العلماء أن العلة تعمم معلولها، قالوا: ومن أمثلة ما تعمم فيه العلة معلولها قوله (صلوات الله وسلامه عليه) في حديث أبي بكرة الثابت في الصحيح: «لا يقضين حكم بين اثنين وهو غضبان»^(٣) نص^(٤) النبي ﷺ في هذا الحديث الصحيح على علة منع الحاكم الغضبان من الحكم؛ لأن الغضب يشوش فكره، فيمنعه من تقصي فهم أقوال الخصوم، وفهم ما يحكم عليهم به. قالوا: إذا كان الحاكم في غاية الجوع والعطش المفرطين، أو في غاية الحزن والسرور المفرطين، أو في غاية الحقن والحقب المفرطين — والحقن: مدافعة البول. والحقب: مدافعة الغائط — إذا

(١) انظر: القرطبي (٨/١٠٤)، إعلام الساجد ص ٣١٨.

(٢) مضى عند تفسير الآية (٤٦) من سورة الأنفال.

(٣) مضى تخريجه عند تفسير الآية (٥٠) من سورة الأنعام.

(٤) في الأصل: «هذه الآية الكريمة نص فيها النبي...»، وهو سبق لسان.

كان في أمر من هذه الأمور يشوش الفكر تشويشاً عظيماً مثل تشويش [الغضب]^(١) أو أشد لا يجوز له أن يحكم، فتعليله بالغضب المستلزم لتشويش الفكر علة عممت هذا الحكم وعدته إلى كل شيء يشوش فكر الإنسان. قالوا: فكذلك قوله: ﴿نَجَسٌ﴾ قدر، ومعلوم أن المساجد بيوت الله، وأن الله قال: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ﴾ [النور: آية ٣٦] وأن شيئاً صرح الله بأنه نجس، ومعلوم قذارة النجس، لا ينبغي أن يدخل في بيوت الله التي أسست لعبادة الله وعلى الطهارة وعلى تجنب الأقدار. هذا من أدلة مالك، واستدل الإمام مالك أيضاً بما قدمنا من آية سورة البقرة، وهي قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ وَاسْتَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾ [البقرة: آية ١١٤] قال: معناه لا يدخلونها أبداً إلا خائفين من المسلمين أن يطلعوا عليهم فينكلوا بهم. فسر الآية هذا التفسير، واستدل بعمومها.

وذهب آخرون من العلماء، منهم الأئمة الثلاثة، إلى أن دخول الكافر لمسجد غير المسجد الحرام قالوا: لا مانع منه ولا يُمنع، وبعضهم يقيد بقوله: إن دعت إلى ذلك حاجة، وبعضهم يطلق. واستدلوا على ذلك بأدلة، منها: أن النبي ﷺ ربط ثمامة بن أثال سيد بني حنيفة — لما أخذ أسيراً — ربطه وهو كافر في سارية من سواري مسجده هذا^(٢). قالوا: وأنزل وفد نجران في المسجد وهم

(١) في الأصل: «الفكر»، وهو سبق لسان.

(٢) البخاري في المساجد، باب الاغتسال إذا أسلم، وربط الأسير أيضاً في المسجد، حديث رقم: (٤٦٢)، (٥٥٥/١)، وأطرافه: (٤٦٩)، (٢٤٢٢)، (٤٣٧٢)، (٢٤٢٣).

كفار^(١)، ومعلوم أن في هذا البحث مناقشة، وأن من قال: يمنع دخول الكفار المساجد، أجابوا عن كل بجواب، فقالوا في حديث ثمامة: إنه وقع قبل تحريم دخول المساجد. وجاءوا بأدلة احتجوا بها، وحاصل ما للعلماء فيها هو ما ذكرنا.

وكان بعض العلماء يقول^(٢): إذا أسلم الكافر لزمه أن يتطهر؛ لأنه نجس، وقال بعضهم: يجب على الكافر الطهارة إذا أسلم، قالوا: لأنه لا بد أن تكون كانت عليه جنابة. وهذا قال به جماعة من العلماء، ويدل له: أمره ﷺ ثمامة بن أثال الحنفي لما أسلم أن يغتسل^(٣). قالوا: ذهب إلى حائط أبي طلحة واغتسل فيه. وقالوا أيضاً: أمر قيس بن عاصم لما أسلم أن يغتسل بماء وسدر^(٤). وكان

(١) خبر قدوم وفد نجران على النبي ﷺ، أورده ابن سعد في الطبقات (١/٢/٨٤)، وابن هشام في السيرة ص ٦١٠، وابن كثير في التفسير (١/٣٦٨)، وابن القيم في الزاد (٣/٦٢٩)، وليس في الخبر أنه أنزلهم المسجد، وإنما دخلوا عليه في المسجد، وأنهم صلوا فيه إلى المشرق.

(٢) انظر: المغني (١/٢٧٤ - ٢٧٦)، القرطبي (٨/١٠٣).

(٣) أخرجه أحمد (٢/٣٠٤، ٤٨٣)، وعبد الرزاق (٦/٩)، وابن خزيمة (١/١٢٥)، وابن حبان (٢/٢٦٩)، والبيهقي (١/١٧١)، وابن الجارود (١/٢٤)، وأصله في الصحيحين كما في الحديث المتقدم قريباً وفيه: أنه ربطه بسارية من سواري المسجد، وليس فيه أنه أمره بالاغتسال، وانظر: الإرواء (١/١٦٤).

(٤) أخرجه أحمد (٥/٦١)، وعبد الرزاق (٦/٩)، وأبو داود في الطهارة، باب الرجل يسلم فيؤمر بالغسل، حديث رقم: (٣٥١)، (٢/١٩)، والترمذي في الصلاة، باب ما ذكر في الاغتسال عندما يسلم الرجل، حديث رقم: (٦٠٥)، (٢/٥٠٢)، والنسائي في الطهارة، باب غسل الكافر إذا أسلم، حديث رقم: =

ابن وهب من أصحاب مالك يقول: لا يجب عليه إذا أسلم غسل؛ لأن الإسلام يَجِبُ كل شيء قبله، وَيَجِبُ الجنابات، وَيَجِبُ كل شر وسوء كان قبله. هذا معنى قوله: ﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾.

﴿بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾، وعامهم هذا هو عام تسع على التحقيق، وخالف قوم منهم قتادة^(١) وأبو بكر بن العربي^(٢)، قالوا: هو عام عشر. وقال أبو بكر بن العربي المالكي: عجباً لعاقل يقول: إن هذا العام عام تسع!! ونحن نقول: العجب كل العجب من كلام ابن العربي هذا!! والعام بلا شك أنه عام تسع، والإشارة بقوله: ﴿هَذَا﴾ إلى العام الذي هم فيه في ذلك الوقت الراهن، وهو عام تسع بلا نزاع، والذي غلط في هذا من العلماء وقال: هو عام عشر. التبس عليه ما بين المضاف والمضاف إليه؛ لأن المضاف هو لفظة (بعد)، والباء والعين والdal ﴿بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ البعدية المضافة إلى عامهم هذا، فعامهم هذا هو عام تسع يقيناً لا شك فيه، وما بعد عام تسع أوله عام عشر؛ لأن الشيء إذا انتهى عام تسع فالزمن الذي بعد انتهائه يسمى أنه بعده. فالبعدية واقعة بعام عشر، أما العام المذكور في قوله: ﴿عَامِهِمْ هَذَا﴾ المضاف إليه البعدية، فهو عام تسع بلا نزاع كما لا يخفى.

= (١٨٨)، (١٠٩/١)، وابن الجارود (٢٥/١)، وابن خزيمة (١٢٦/١)،

وابن حبان (٢٧٠/٢)، والبيهقي (١٧١/١)، وانظر: الإرواء (١٦٣/١).

(١) الرواية التي نقلها ابن جرير (١٩٢/١٤) عن قتادة (رحمه الله) مصرحة بأنه عام

تسع، ولعل الشيخ (رحمه الله) عزا ذلك لقتادة متابعة للقرطبي (١٠٦/٨)،

وابن العربي في أحكام القرآن (٩١٥/٢).

(٢) أحكام القرآن (٩١٥/٢).

ثم قال: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ وهذه الآية تدل على أن الكفار يُمنعون من الإتيان إلى الحرم لأن أهل مكة كانوا في الموسم تحج إليهم قبائل العرب من أقطار الدنيا فيأتون بالأموال والطعام يبيعونها، فلما مُنعوا من أن يحجوا، وأمر المشركون بتجنب الحرم، قالوا: من أين نعيش؟ كنا نعيش مما يأتي به هؤلاء في مواسمهم فإننا سنفتقر، ولن يبقى لنا شيء نعيش به إن مُنع هؤلاء من القدوم علينا؛ لأننا كنا نعيش بما يوردونه من الأطعمة والأموال ونحو ذلك. فقال لهم الله: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ ﴿خِفْتُمْ﴾ من الخوف. أصل ﴿خِفْتُمْ﴾ من خاف يخاف.

هذه المادة فاؤها خاء، وعينها واو، ولامها فاء، وقد يُشكل على طالب العلم من أين جاءت هذه الكسرة التي كُسر بها الخاء في قوله: ﴿خِفْتُمْ﴾ مع أن المادة من الأجوف الواوي العين. فسبب كسر الخاء من قوله: ﴿خِفْتُمْ﴾ أن ماضي (خاف) أصله (خَوْف) بكسر الواو، قُلِبَت الواو ألفاً فقليل فيه: (خاف) والواو المبدلة من الألف أصلها مكسورة، فإذا بُني الفعل إلى ضمير الرفع كالتاء هنا سقطت العين بالاعتلال وجُعِلَت كسرة الواو الساقطة بالاعتلال نقلت إلى الفاء ليدل على أن العين كانت مكسورة كما هو مقرر معلوم في فن التصريف^(١).

وقد ذكرنا^(٢) أن الخوف في لغة العرب هو الغم من أمر مستقبل. وأن الحزن هو الغم من أمر فائت. وربما أطلقت العرب أحدهما في موضع الآخر كما هو معروف.

(١) مضى عند تفسير الآية (٤٨) من سورة الأنفال.

(٢) مضى عند تفسير الآية (٤٨) من سورة الأنعام.

وقوله: ﴿عَيْلَةً﴾ العيلة في لغة العرب: معناها الفقر. تقول العرب: عال الرجل يعيل عيلة. إذا افتقر فقراً. ف (العيلة) من أجوف يائي العين عال يعيل عيلة إذا افتقر. وعال يعول بالواو إذا جار وعدل عن الحق. وذكر بعضهم أنه مسموع عن العرب أيضاً: عال يعول — بالواو — إذا افتقر^(١). وهو غريب!!

أما (عيلة) فمعناه فقراً. وعال يعيل بمعنى افتقر، وهو معنى معروف في كلام العرب، ومنه قول أحيحة بن الجلاح الأنصاري^(٢):
وما يدري الفقير متى غناه وما يدري الغني متى يعيل
أي: لا يدري الغني متى يفتقر، ومنه بهذا المعنى قول جرير^(٣):

واللَّهُ نَزَلَ فِي الْكِتَابِ فَرِيضَةً لِّابْنِ السَّبِيلِ وَلِلْفَقِيرِ الْعَائِلِ
وصفه بنفسه تأكيداً لاختلاف اللفظين. فالمعنى: إن خفتم فقراً فسوف يغنيكم الله من فضله، ولا شك أن الله أغناهم من فضله. قال بعض العلماء: أغناهم من فضله بما فتح من باب الجزية. قالوا: والدليل عليه أن الآية التي بعدها آية الجزية، فأخذ المسلمون الجزية من الكفار واستغنى بها المسلمون. وقال بعض العلماء: أغناهم بإنزال المطر، وأخصبت الأرض، فأخصبت بلاد اليمن، وأخصبت تباله وجُرش، وجلبوا لهم من الطعام والودك، وأسلم قبائل العرب في اليمن وفي نجد وفي غيره، فكانوا يحجون كل سنة ويأتونهم بمثل

(١) انظر: ابن جرير (١٤/١٩٣).

(٢) البيت في ابن جرير (١٤/١٩٢).

(٣) البيت في ديوانه ص ٣١٣.

ما كانوا يأتونهم به من الطعام والأموال فأغناهم الله بذلك^(١). وهذا معنى قوله: ﴿وَأِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾.

قال بعض العلماء^(٢): يؤخذ من هذه الآية الكريمة حكم، وهو أن تعلق القلب بأسباب الرزق والمعيشة لا ينافي التوكل ولا يقدح في توكل الإنسان؛ لأن هؤلاء القوم لما تخيل لهم أن الطريق التي كانوا يعيشون منها أنها انقطعت بمنع المشركين من الحج، وخافوا الفقر من هذا الطريق ما عنف الله عليهم ولا عابهم بل قررههم على ذلك، فقال لهم: إن خفتم الفقر من هذا الطريق، ومن أن السبب الذي كنتم تعيشون به أنه انقطع فسوف يغنيكم الله بأسباب آخر. وهذا معنى معروف، أن الأسباب لا تنافي التوكل، فالمسلم الذي يعلم ما جاء عن الله يتسبب ويتعاطى جميع الأسباب لحياته، ويتسبب في أسباب الرزق والمعيشة على الوجوه الشرعية غير المزرية، ومع ذلك فهو متوكل على الله، والذي يترك جميع الأسباب ويقول: توكلت على الله!! هذا مخالف للشرع، مخالف لما جاء عن الله، والذي يعتمد في كل شيء على الأسباب ولا ينظر إلى ربه هذا أيضاً ضال مضل، والذي يستعمل الأسباب كما شرعها له ربه، ويكون اعتماده في الحقيقة على ربه فهذا هو المؤمن. ألا ترون أن نبي الله يعقوب، وقد قال الله فيه: ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ﴾ [يوسف: آية ٦٨] عِلْمٌ أولاده السبب في التحرز عن العين فقال لهم: ﴿يَبْنَئِ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ﴾ فهذا تسبب في التحرز عن العين؛ لأنها تضر، ثم صرح مع ذلك بتوكله الكامل على

(١) هذه المعاني ذكرها القرطبي (١٠٦/٨).

(٢) السابق (١٠٧/٨).

الله حيث قال: ﴿وَمَا أَغْنَىٰ عَنْكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [يوسف: الآية ٦٧] فلاأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل كما هو معروف، فقد قال الله لمريم: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ [مريم: آية ٢٥] ولا شك أنه لو أراد أن يتساقط عليها رطبها من غير سبب لتساقط من غير سبب، ولكنه أجرى العادة بأن جعل للأرزاق والمعاش والأشياء أسباباً، ربط بين الأسباب ومسبباتها بما شاء بقدرته وحكمته:

ألم تر أن الله قال لمريم وهُزِّي إِلَيْكِ الْجِذْعَ يَسَاقُطُ الرُّطْبُ
ولو شاء أن تجنيه من غير هذه جنته ولكن كلُّ شيءٍ له سبب^(١)

فالأخذ في الأسباب مع مراعاة الشرع، وتعلق القلب بالله، وتوكله على الله، هذه طريقة الأنبياء، والله (جلّ وعلا) يقول: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ﴾ [المائدة: آية ٣] يعني: أن من اضطر إلى أكل الميتة أكل الميتة وتسبب في إمساك رmqه بأكل الميتة، ولم يقل له فانتظر وتوكل على الله حتى ينزل لك رزق من السماء!! لم يقل هذا تعليماً للناس بالأخذ بالأسباب، وتعلق قلوبهم بربهم، وتوكلهم عليه. وهذا معنى قوله: ﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِن شَاءَ﴾ إن شاء أن يغنيكم. فعلق الغنى بمشيئته، فلا يكون شيء إلا بمشيئته (جلّ وعلا)؛ لأن الأرزاق مقسومة بمشيئته (جلّ وعلا)، فهو الذي تولى قسمها بنفسه ولم يكله إلى أحد، كما سيأتي في سورة الزخرف في الكلام على قوله: ﴿لَنُخْزِنَ قِسْمَنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾

(١) تقدم ذكرهما في الحاشية عند تفسير الآية (٧٣) من سورة الأعراف، والبيتان في المستطرف (٢/ ١٢٨، ٥٤٨)، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب (١/ ٥٩٠).

وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ ﴿ [الزخرف: آية ٣٢] ﴿ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ ﴿ [النحل: آية ٧١]. هذا معنى قوله: ﴿ فَسَوْفَ يُعْزِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ ﴿ ﴿ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ﴿ (جلّ وعلا) ﴿ عَلِيمٌ ﴿ محيط علمه بكل شيء ﴿ حَكِيمٌ ﴿ ﴿ في كل ما يفعل، وكل ما يقول، وكل ما يشرع، فأفعاله كلها في غاية الحكمة، وأقواله وتشريعه وجزاؤه كله في غاية الحكمة، هذا معنى قوله: ﴿ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿ [التوبة: آية ٢٨].

قال تعالى: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿ ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرُ ابْنِ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتِلْهُمْ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿ ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿ ﴿ [التوبة: الآيات ٢٩ - ٣١].

يقول الله (جلّ وعلا): ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿ ﴿ [التوبة: آية ٢٩].

كان الصحابة (رضي الله عنهم) ينتظرون نزول هذه الآية الكريمة بسبب آية نزلت على النبي ﷺ هي من المُنسأ الذي قدمناه في قوله: ﴿ ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا ﴿ [البقرة: آية ١٠٦] على

قراءة: ﴿نَسَّأَهَا﴾^(١) يعني: نؤخرها؛ لأن الله يؤخر بعض الآيات إلى أمد معلوم، ثم يأتي ببدلها، تارةً يأتي ببدلها ناسخاً، وتارةً تكون مُنْسَأَةً لا منسوخة؛ لأنها كانت معلوماً أنها مغياة بغاية. وإيضاح هذا: أن الله أنزل آيات في أهل الكتاب تدل على عدم قتالهم، كقوله في سورة البقرة: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَهَآرًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ [البقرة: آية ١٠٩]. ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا﴾ أي: عن أهل الكتاب ﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾. أي: حتى يأتيكم الأمر الأخير من الله.

وكانت هذه الآية من سورة براءة فيها الأمر الذي كانوا ينتظرونه في آية البقرة، فأنزل الله: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [التوبة: آية ٢٩]. لأن أهل الكتاب من يهود ونصارى وإن قالوا لا إله إلا الله وأقروا بالقيامة فهم كمن أنكر وجود الله وأنكر وجود القيامة؛ لأنهم لما اتخذوا الأرباب معه وأشركوا به في الأرباب وقالوا: إن عُزيراً ابنه، وإن المسيح ابنه!! هذا قول من لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر؛ لأن الكافر إذا كفر بالله من وجه لا ينفعه الإيمان به من وجه آخر، فمن قال: لا إله إلا الله، وادعى لله ولداً، أو شريكاً، أو رباً معه، فهذا لا يؤمن بالله ﴿وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾، وهو يوم القيامة، ﴿وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ بل يحلون ما حرم الله ويحرمون ما أحل الله، ﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ﴾، الذي هو دين الإسلام.

(١) انظر: المبسوط لابن مهران ص ١٣٤.

وفي قوله: ﴿دِينَ الْحَقِّ﴾ وجهان من التفسير^(١):

أحدهما: أن (الحق) هو ضد الباطل، وأن دين الحق من إضافة الموصوف إلى صفته. أي: الدين الذي هو الحق الذي هو دين الإسلام. ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: آية ٨٥]. ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: آية ١٩].

الوجه الثاني: أن الحق هو الله، فالحق من أسماء الله. ﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ﴾ أي: دين الله الذي شرعه على لسان نبيه محمد ﷺ.

وقوله: ﴿مَنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ بيان للذين أمروا بقتالهم الموصوفون بأنهم لا يؤمنون بالله إلى آخر ما ذكر.

﴿مَنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ من يهود ونصارى.

وعندما نزلت تجهز ﷺ لقتال النصارى في غزوة تبوك كما ستأتي تفاصيله في هذه السورة الكريمة.

﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ﴾: (حتى) حرف غاية، والمغنيّا هنا ﴿فَلْيُلْوَ﴾ أي: قاتلوهم وأمد ذلك القتال إلى غاية هي أن ﴿يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ﴾ إذا لم يؤمنوا بالله، فإن آمنوا بالله فذلك، وإلا فلا بد أن يعطوا الجزية.

الجزية: (فِعْلَةٌ) وقد تقرر في علم العربية أن (الفِعْلَةُ) بكسر الفاء تأتي لبيان الهيئات، من هيئات المصدر. وأصلها من جزي يجزي؛ لأن الكفار — أهل الكتاب — : ينعم عليهم المسلمون بحقن

دمائهم وعدم قتلهم. والمدافعة عنهم، ومنع كل من أراد أن يظلمهم، فهذا الإحسان يجازونه نوعاً من الجزاء عُبر عنه بالجزية من (جزى يجزي) إذا كافأ ما أسدي إليه، تقول العرب: أحسن إلي فجزيته، أي: كافأته بما أسدي، ومنه قول الشاعر^(١):

يجزيك أو يشني عليك وإن من أثنى عليك بما فعلت كمن جزى

وقوله في هذه الآية الكريمة: ﴿عَنْ يَدٍ﴾ فيه أوجه من التفسير معروفة عند العلماء لا يكذب بعضها بعضاً^(٢): قال بعض العلماء: ﴿يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ﴾: أي: عن قهر وتحت ذل وكل ما أعطاه الإنسان مقهوراً ذليلاً تقول العرب: أعطاه عن يد. وقال بعض العلماء: يعطيه عن يد معناه يسلمه بيده ولا يرسل به غيره، فالدافع واقف والآخذ جالس. وقال بعض العلماء: ﴿عَنْ يَدٍ﴾ أي: نقداً متسلماً باليد لا نسيئة. وقال بعض العلماء: ﴿عَنْ يَدٍ﴾ أي: عن اعترافهم بنعمة المسلمين عليهم حيث قبلوا منهم العوض ولم يقتلوهم. والحال في هذا ﴿وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾^(٣) الصاغرون: المتصفون بالصغار. والصغار في لغة العرب معناه: الذل والحقارة والهوان ومعنى: ﴿وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾^(٤) أي: حقيرون ذليون. وسنين هنا — إن شاء الله — بعض أحكام الجزية:

اعلموا أولاً أن النبي ﷺ نزل عليه القرآن بجواز أخذ الجزية من أهل الكتاب، ولكنه (صلوات الله وسلامه عليه) بين أنهم وإن أخذت منهم الجزية فلا يجوز بحال من الأحوال ولا بوجه من الوجوه

(١) البيت في القرطبي (٨/١١٤)، البحر المحيط (٥/٣٠).

(٢) انظر: القرطبي (٨/١١٥)، البحر المحيط (٥/٣٠).

أن يُتركوا يسكنون في جزيرة العرب، بإقامة الكفار وسكنهم في جزيرة العرب ممنوع لا يجوز بحال، فيجب على المسلمين أن يخرجوهم من جزيرة العرب جميعها ولا يتركوا فيها كافراً. وهذا من آخر ما أوصى به محمد ﷺ، وقد ثبت في الصحيحين من حديث ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: اشتد برسول الله ﷺ وجعه يوم الخميس، وأوصى عند موته بثلاث، قال: «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم» قال الراوي: ونسيت الثالثة^(١). فهذا حديث صحيح أوصى به النبي عند موته. وقد أخرج مسلم وغيره أنه (صلوات الله وسلامه عليه) قال: «لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع فيها إلا مسلماً»^(٢). وروى الإمام أحمد وغيره عن عائشة (رضي الله عنها) أنها قالت: آخر ما عهد رسول الله ﷺ أن قال: «لا يترك بجزيرة العرب دينان»^(٣). وروى أحمد وغيره عن أبي عبيدة بن الجراح (رضي الله عنه) قال: آخر ما قاله رسول الله ﷺ: «أخرجوا يهود أهل الحجاز وأهل نجران من جزيرة

(١) البخاري في الجزية والموادعة، باب إخراج اليهود من جزيرة العرب، حديث رقم: (٣١٦٨)، (٦/٢٧٠)، ومسلم في الوصية، باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي فيه، حديث رقم: (١٦٣٧)، (٣/١٢٥٧).

(٢) مسلم في الجهاد والسير، باب إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب، حديث رقم: (١٧٦٧)، (٣/١٣٨٨)، من حديث عمر بن الخطاب (رضي الله عنه).

(٣) أخرجه أحمد (٦/٢٧٥)، وقال الهيثمي في المجمع (٥/٣٢٥): «رواه أحمد والطبراني في الأوسط ورجال أحمد رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرح بالسمع». اهـ.

العرب^(١).

فهذه الأحاديث وأمثالها تدل على أنه لا يجوز أن يسكن كافر بجزيرة العرب كائناً ما كان، وأن على المسلمين إخراج الكفار من جزيرة العرب، ولكنهم لا يمنعون من الإتيان إليها لتجارة أو نحوه من غير إقامة بها، وكان عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) إذا أراد بعض اليهود دخول الحجاز لتجارة أذن له وأجل لهم ثلاثة أيام يبيعون فيها ويشترون ثم يذهبون^(٢).

واعلموا أن الجزية إذا أسلم الكافر اختلف العلماء هل تسقط عنه الجزية^(٣)؟ وأظهر القولين: أنه تسقط عنه الجزية لما جاء عن النبي ﷺ أنه قال: «لا جزية على مسلم»^(٤) ولأنه لا تؤخذ منه وهو صاغر؛ لأن المسلم لا يُحقر ولا يُهان.

وقال الشافعي في طائفة من العلماء: إذا أسلم لم تسقط عنه

(١) أخرجه أحمد (١/١٩٥، ١٩٦)، وأبو يعلى (١/٨٧٢)، والحميدي (٨٥)، والدارمي (٢/١٥١ - ١٥٢)، والطيالسي (٢٢٩)، والبيهقي (٩/٢٠٨)، وانظر: السلسلة الصحيحة (١١٣٢).

(٢) أخرجه البيهقي (٩/٢٠٩).

(٣) انظر: بدائع الصنائع (٧/١١٢)، المغني (١٣/٢٢١ - ٢٢٢)، القرطبي (٨/١١٣ - ١١٤).

(٤) أخرجه أحمد (١/٢٢٣، ٢٨٥)، وأبو عبيد في الأموال ص ٤٩، وأبو داود في الخراج والفيء، باب الذمي الذي يسلم في بعض السنة، حديث رقم: (٣٠٣٧)، (٨/٣٠٥)، والترمذي في الزكاة، باب ما جاء: ليس على المسلم جزية، حديث رقم: (٦٣٣)، (٣/١٨)، والبيهقي (٩/١٩٩)، والدارقطني (٤/١٥٦، ١٥٧)، وابن عدي (٥/١٨٤٥)، (٦/٢٠٧٢)، وأبو نعيم في الحلية (٩/٢٣٢)، وانظر: الإرواء (٥/٩٩).

الجزية؛ لأنها بقيت دَيْنًا فيه، فهي كسائر الديون، إلا أنه عند أدائها يؤديها غير صاغر ولا مهان؛ لأجل إسلامه، ولكنها تقرر في ذمته.

واختلف العلماء: في القدر الذي يؤخذ من أهل الجزية^(١)، وممن تؤخذ الجزية^(٢)؟ فقال جماعة من العلماء: تؤخذ الجزية من كل كتابي عجمياً كان أو عربياً، والجزية بالأديان لا بالأنساب. وهذا القول هو الصحيح والأظهر.

وقال بعض العلماء: تؤخذ من مشركي العجم ولا تؤخذ من مشركي العرب. وهو قول أبي حنيفة رحمه الله^(٣).

والحق أن الجزية تؤخذ من كل كتابي عربياً كان أو غيره، وقد أمر النبي ﷺ معاذاً لما أرسله إلى اليمن أن يأخذ من كل حالم من كفار أهل اليمن - أهل الكتاب - الذين لم يسلموا أن يأخذ من كل حالم ديناراً منهم^(٤). وبعث خالد بن الوليد إلى أكيدر فأخذ من أكيدر

(١) انظر: بدائع الصنائع (١١١/٧ - ١١٢)، المغني (٢١١/١٣ - ٢١٢)،

القرطبي (١١١/٨)، أحكام أهل الذمة (٢٦/١).

(٢) انظر: الأم (٢٤٠/٤، ٢٨١)، القرطبي (١١٠/٨)، المغني (٢٠٢/١٣) فما

بعدها، أحكام أهل الذمة (١/١) فما بعدها.

(٣) انظر: المدونة (٤٦/٢ - ٤٧)، بدائع الصنائع (١١٠/٧ - ١١١)، المغني

(٢٠٦/١٣ - ٢٠٧، ٢٠٨).

(٤) أخرجه أحمد (٢٣٠/٥، ٢٣٣، ٢٤٠، ٢٤٧)، وعبد الرزاق (٢١/٤)، وابن

أبي شيبة (١٢٦/٣ - ١٢٧)، والترمذي في الزكاة، باب ما جاء في زكاة البقر،

حديث رقم: (٦٢٣)، (١١/٣)، وقال: «هذا حديث حسن، وروى بعضهم هذا

الحديث عن سفيان عن الأعمش عن أبي وائل عن مسروق أن النبي... وهذا

أصح». اهـ، وأبو داود في الزكاة، باب في زكاة السائمة، حديث رقم: =

الجزية^(١). وأكد دومة معلوم أنه عربي، أصله من كندة، كما قاله غير واحد.

وأخذ الجزية من أهل نجران^(٢). وأكثر أهل نجران نصارى عرب. وهذا هو التحقيق، فالحق الذي لا شك فيه أن الكتابي الذي كان على دين أهل الكتاب قبل أن يُبعث محمد ﷺ تؤخذ منهم الجزية بنص هذه الآية؛ ولأنها لم تُفصل.

وأما المجوس فقد ثبت عن النبي ﷺ أنهم تؤخذ منهم الجزية، فقد روى البخاري في صحيحه عن عبد الرحمن بن عوف (رضي الله عنه) أن النبي ﷺ أخذ الجزية من مجوس هجر^(٣). وقد

= (١٥٦١ - ١٥٦٢)، (٤/٤٥٧)، وفي الإمارة، باب في أخذ الجزية، حديث رقم: (٣٠٢٢، ٣٠٢٣)، (٨/٢٨٧)، وابن ماجه في الزكاة، باب صدقة البقر، حديث رقم: (١٨٠٣)، (١/٥٧٦)، والنسائي في الزكاة، باب زكاة البقر، حديث رقم: (٢٤٥٠ - ٢٤٥٢)، (٥/٢٥ - ٢٦)، والحاكم (١/٣٩٨)، والبيهقي (٤/٩٨)، (٩/١٩٣)، وابن خزيمة (٤/١٩)، وابن حبان (الإحسان ٧/١٩٥)، وقال ابن عبد البر في التمهيد (٢/٢٧٥): «إسناده متصل صحيح ثابت». اهـ.

وانظر: التلخيص (٢/١٥٢)، الإرواء (٧٩٥)، صحيح أبي داود (٢/٥٨٩)، صحيح ابن ماجه (١/٣٠٢).

(١) أخرجه أبو داود في الخراج والإمارة والفيء، باب في أخذ الجزية، حديث رقم: (٣٠٢١)، (٨/٢٨٦)، والبيهقي (٩/١٨٦، ١٨٧)، وانظر: صحيح أبي داود (٢/٥٨٩).

(٢) أخرجه أبو داود في الإمارة، باب في أخذ الجزية، حديث رقم: (٣٠٢٥)، (٨/٢٩١)، والبيهقي (٩/١٨٧).

(٣) أخرجه البخاري في الجزية والموادعة، باب الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب، حديث رقم: (٣١٥٧)، (٦/٢٥٧).

أخذ الجزية من أهل البحرين^(١) وأكثرهم في ذلك الوقت كانوا مجوساً.

فالحق الذي لا شك فيه أنها تؤخذ من المجوس لما جاء عن النبي ﷺ أنه قال: «سُنُوا بِهِمْ سُنَّةَ أَهْلِ الْكِتَابِ»^(٢) وثبت عن عبد الرحمن بن عوف أنه قال: أشهد فقد أخذ رسول الله الجزية من مجوس هجر. وكان عمر بن الخطاب توقف في أخذ الجزية من المجوس حتى شهد عنده عبد الرحمن بن عوف (رضي الله عنه)^(٣). والشافعي (رحمه الله) يقول: لا تؤخذ إلا من الكتابي عربياً كان أو عجمياً، أو من المجوسي بالسنة. أما المشركون من عبدة الأوثان وما جرى مجراهم^(٤) قال الشافعي: لا تؤخذ منهم جزية. وقال به

(١) أخرجه البخاري في الجزية والموادعة، باب الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب، حديث رقم: (٣١٥٨)، (٢٥٧/٦)، وطرفه (٤٠١٥)، (٦٤٢٥)، ومسلم في الزهد والرفائق، حديث رقم: (٢٩٦١)، (٢٢٧٣/٤)، من حديث عمرو بن عوف الأنصاري (رضي الله عنه).

وقد أخرجه الترمذي في السير، باب ما جاء في أخذ الجزية من المجوس، حديث رقم: (١٥٨٨)، (١٤٧/٤)، من حديث السائب بن يزيد، وعقبه بقوله: «وسألت محمداً عن هذا فقال: هو مالك عن الزهري عن النبي ﷺ». اهـ.

وقد أخرجه مالك ص ١٨٧ عن الزهري بلاغاً.

(٢) أخرجه مالك في الموطأ ص ١٨٨، والبيهقي (١٨٩/٩)، من حديث عبد الرحمن بن عوف (رضي الله عنه)، وقال ابن عبد البر في التمهيد (١١٤/٢): «هذا حديث منقطع». اهـ، وله شاهد من حديث السائب بن يزيد (رضي الله عنه)، قال في المجمع (١٣/٦): «رواه الطبراني وفيه من لم أعرفه». اهـ، وانظر: الإرواء (٨٨/٥).

(٣) مضى تخريجه قريباً.

(٤) انظر: المدونة (٤٦/٢)، الأم (١٧٢/٤ - ١٧٤)، المغني (٢٠٣/١٣ - ٢٠٤)،

جماعة من العلماء. قالوا ووجهه: أن الله في المشركين ما نص إلا على القتل ﴿فَأَقْضُوا الْإِبْرَاجَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُوا لَهُمْ﴾ [التوبة: آية ٥] وفي أهل الكتاب قال: ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ﴾ [التوبة: آية ٢٩] وفي المجوس ثبت أخذ الجزية منهم بالسنة. فالمشركون لهم السيف، وأهل الكتاب لهم الجزية بالقرآن، والمجوس لهم الجزية بالسنة، وبهذا قال جماعة من العلماء منهم الشافعي.

وقال مالك بن أنس (رحمه الله) في جماعة من العلماء: إنها تؤخذ من كل كافر وثنياً كان يعبد الأصنام أو مجوسياً، أو كتابياً، فتؤخذ من جميع الكفار. هذا قول مالك في طائفة من العلماء.

وأقل ما جاء في قدر الجزية على الرجل من أهل الكتاب ديناراً^(١). قال جمهور العلماء: لا تنقص الجزية عن دينار. وبعضهم يقول: لا حد لها، فما صالح عليه الإمام هو الذي يؤخذ.

وكان عمر بن الخطاب أخذ الجزية من أهل الشام^(٢)، وأخذها من أهل السواد^(٣). وكان النبي ﷺ أمر معاذاً أن يأخذ الجزية من أهل اليمن من كل حالمة ديناراً^(٤).

والتحقيق أنها لا تؤخذ من الصبيان والنساء، بل من الرجال المقاتلين، كما دلّ عليه حديث معاذ: «خذ من كل حالمة ديناراً»^(٥).

(١) كما جاء في حديث معاذ (رضي الله عنه) لما أرسله النبي ﷺ إلى اليمن، وأمره أن يأخذ من كل حالمة ديناراً، وقد مضى تخريجه قريباً.

(٢) سيأتي تخريجه قريباً.

(٣) سيأتي تخريجه قريباً.

(٤) مضى تخريجه قريباً.

(٥) مضى تخريجه قريباً.

يعني: لا صبيّاً، ولا امرأة؛ ولأن الصبيان والنساء ليسوا من المقاتلين ولا يجوز قتلهم. والله يقول في المقاتلين: ﴿قَتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ﴾. فدل أن الذي يعطي الجزية هم المقاتلون لا غيرهم. كان عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أخذ الجزية من أهل الشام على الواحد أربعة دنانير^(١).

وعن ابن أبي نجيح أنه سأل مجاهداً (رحمه الله): ما بال أهل اليمن أخذ منهم في الجزية دينار، وأهل الشام أربعة دنانير؟ قال: ذلك باعتبار الفقر واليسار، وهؤلاء فقراء أخذ منهم دينار، وهؤلاء موسرون أخذ منهم أربعة دنانير^(٢). وكان عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أخذ الجزية من أهل السواد، فأخذ من الفقير والمراد به الفقير الذي له حرفة وتَسَبَّبَ اثني عشر درهماً، ومن المتوسط أربعة وعشرين درهماً، ومن الغني ثمانية وأربعين درهماً^(٣).

وبعض العلماء يقول هذا، وبعضهم يقول: أربعة دنانير، وبعضهم يقول: دينار. وقد أمر النبي بدينار، وأخذ عمر من أهل الشام أربعة دنانير، ومن أهل السواد اثني عشر [درهماً]^(٤) للفقير، وأربعة وعشرين للمتوسط، وثمانية وأربعين للغني.

(١) أخرجه البيهقي (١٩٥/٩).

(٢) البخاري في الجزية والموادعة، باب الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب (٢٥٧/٦).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٢٤١/١٢)، والبيهقي (١٩٦/٩).

(٤) في الأصل: «ديناراً»، وهو سبق لسان.

والتحقيق — إن شاء الله — أن كل هذا واسع بحسب ما يراه الإمام، إلا أنه لا ينبغي أن ينقص الجزية عن دينار. وهذا معنى قوله: ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: آية ٢٩] لأن الله تبارك وتعالى ما أذن في تركهم إلا بهذا.

واختلف العلماء في العوض الذي أعطيت عنه الجزية^(١): قال بعض العلماء: عوضها حقن دمائهم. وعلى هذا القول إذا أسلم سقطت عنه الجزية؛ لأن دمه حقه الإسلام. وقال بعضهم: عوضها حقن دمائهم، والمدافعة عنهم، ومنع من أراد أن يظلمهم. وعلى هذا تبقى الجزية فيه ولو أسلم. هكذا قاله بعض العلماء.

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَالَهُمْ اللَّهُ أَتَى يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة: آية ٣٠] أَخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: الآيتان ٣٠، ٣١].

﴿ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَالَهُمْ اللَّهُ أَتَى يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة: آية ٣٠] قرأ هذا الحرف عامة القراء السبعة غير عاصم والكسائي: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ بلا تنوين على الراء. وقرأه عاصم والكسائي: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ بتنوين الراء^(٢). وقرأ عامة السبعة غير عاصم: ﴿يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بضم الهاء ليس بعدها همزة.

(١) انظر: المغني (٢٠٢/١٣)، القرطبي (١١٣/٨)، أحكام أهل الذمة (٢٥/١).

(٢) انظر: المبسوط لابن مهران ص ٢٢٦.

وقرأ من السبعة عاصم وحده: ﴿يُضَكَّهُتُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾
بكسر الهاء وهمزة بعده^(١).

وفي الآية التي قبل هذا أمر الله (جلّ وعلا) بعقوبة أهل الكتاب بقوله: ﴿قَتِلُوا﴾ ثم بين موجب تلك العقوبة بقوله: ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ ثم أكد موجب عقوبتهم بقوله هنا: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ يعني: هؤلاء الذين أمرتكم بقتالهم مرتكبون من الجرائم ما يستوجب قتالهم ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: آية ٢٩] فأوجب على أهل الكتاب عقوبات شديدة، منها: قتالهم حتى يدفعوا الجزية ﴿عَنْ يَدِهِمْ﴾ [ب/٥] صَاغِرُونَ ﴿أَخْسَاءُ أَذْلَاءُ﴾. وكذلك لحقارتهم على الله / بيّنا أن النبي ﷺ أوصى بإخراجهم من جزيرة العرب [وتطهيرها منهم]^(٢). ومن آخر ما أوصى به النبي ﷺ تطهير جزيرة العرب من اليهود والنصارى وسائر المشركين^(٣). ولا شك أن هذا أمر مهم، لو لم يكن مهماً لما أوصى به النبي عند موته (صلوات الله وسلامه عليه)، ولكنه (صلوات الله وسلامه عليه) علّمنا في هذا الدين العظيم أن له عزائم ورخصاً، فهذا الدين العظيم أنزله الله منقسماً إلى عزائم ورخص، فعزائمه: تستعمل عند الأوقات المناسبة لها، ورخصه: تستعمل عند الأوقات المناسبة لها؛ لأن الدين السماوي لا بد أن يكون مشتملاً على مواجهة التطورات والأحداث حيث ما كانت وأياً ما كانت، ففي كل حال له فيها مواجهة.

ونريد هنا أن نبين بعض الأشياء التي يجوز أخذها من الكفار

(١) السابق ص ٢٢٦.

(٢) في الأصل: «وتطهيرهم منها»، وهو سبق لسان.

(٣) مضى تخريجه قريباً.

والتي لا يجوز أخذها؛ ليكون المسلم على بصيرة من ذلك، ويعلم ما ينبغي وما لا ينبغي، ويفرق بين ما يضر وما لا يضر. لا شك أنه إن كانت القوة كاملة للمسلمين من غير حاجة للكفار في شيء أنهم يقومون بأنفسهم ويقىمون عزائم الله في المشركين من قتل حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، وتطهير جزيرة العرب منهم إلى غير ذلك مما قدمنا أنه لا بد منه في كل الأحوال وفي كل الظروف، أي: إذا كان محل العزائم والمسلمون في قوتهم كما ينبغي، أما إذا كان المسلمون في ضعف عن ذلك، أو في حاجة ماسة ضرورية إلى الكفار فلكل حال مقال، وقد علمنا النبي ﷺ المخرج في جميع هذه الأشياء، فهو (صلوات الله وسلامه عليه) لما أمكنه أن يجلي بني قينقاع من غير حاجة المسلمين ولا ضرورة عليهم أجلاهم من المدينة إلى الشام، ولما أمكنه بعد ذلك أن يجلي بني النضير أجلاهم من المدينة إلى أطراف الشام كما سيأتي في قوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا...﴾ إلى آخر الآيات [الحشر: آية ٢]. ولما كانت حاجة المسلمين ماسة إلى عدم إجلاء خبير لم يجلبهم بل عاملهم ليتولوا القيام على نخل خبير وأرضها، وأعطاهم شطر ثمار نخل خبير وما يخرج من أرضها، وهو ﷺ عازم على إخراجهم عندما أمكنت الفرصة، وصار وقت العزيمة، وانتهى وقت الرخصة؛ ولذا ثبت في بعض الروايات الصحيحة أنهم لما قالوا له: أقرنا على الأرض نقوم على نخلها وزرعها بشطرها. قال لهم ﷺ: «نقيمكم على ذلك ما شئنا، وإن شئنا أن نخرجكم أخرجناكم»^(١) لأنه عازم على إخراجهم

(١) البخاري في الحث والمزارة، باب إذا قال رب الأرض: أقرك ما أقرك الله، حديث رقم: (٢٣٣٨)، (٥/٢١)، ومسلم في المساقاة، باب المساقاة =

(صلوات الله وسلامه عليه)، عندما تسنح الفرصة المواتية لذلك، فالعزيمة لها وقتها، وإذا كان الوقت للعزيمة لا يجوز أن تهمل بحال من الأحوال، فإذا كان الظرف مناسباً للرخص أعملت الرخص؛ لأن دين الإسلام دين مرن صالح لمواجهة جميع التيارات والأحداث والتطورات، وقد قدمنا في سورة [آل عمران] ^(١) طرفاً جيداً من هذا في الكلام على قوله: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاتُوا﴾ [آل عمران: آية ٢٨] أي: إلا أن تخافوا منهم خوفاً فلذلك حال وحكم آخر.

واعلموا - أيها الإخوان - أن المؤسف كل المؤسف هو أن الذي يجوز لنا أن نأخذه من الكفار والذي يمتنع علينا أن نأخذه منهم معكوس في أقطار المعمورة الآن!! يأخذون منهم ما لا يحل أخذه، ويتركون ما لا ينبغي تركه، فيعكسون القضية عكساً تاماً!! وإيضاح هذا المعنى أنه يجوز للمسلمين أن يتنفعوا بأعمال الكفار التي هي أمور دنيوية بحثة ويحذروا كل الحذر من أن يقلدوهم في شيء من أوامر الدين. وسنذكر لكم أمثلة من هذا يتضح بها المقام ^(٢): هذا سيد الخلق محمد بن عبد الله - صلوات الله وسلامه عليه - لما تواطأت عليه قوى الشر واضطروه أن يخرج من مسقط رأسه - كما قدمنا في سورة الأنفال في الكلام على قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ [الأنفال: آية ٣٠] ودخل هو وصاحبه في غار كما سيأتي تفصيله في هذه السورة الكريمة إن شاء الله - وجد في ذلك الوقت

= والمعاملة بجزء من الثمر والزرع، حديث رقم: (١٥٥١)، (٣/١١٨٧).

(١) في الأصل: «النساء»، وهو سبق لسان.

(٢) راجع ما سبق عند تفسير الآية (١١٥) من سورة الأنعام.

كافراً من بني دؤل بن كنانة يسمى عبد الله بن الأريقط، وكان في ذلك الوقت كافراً من عبدة الأوثان، إلا أن عنده خبرة دنيوية بالطرق من مكة إلى المدينة؛ لأنه (صلوات الله وسلامه عليه) في ذلك الوقت محتاج إلى خبير بالطرق؛ لأن الطرق المعهودة السابلة أمسكها الكفار وجعلوا جعائل لكل من أتى بمحمد ﷺ أن يعطوه الأموال الكثيرة، فصار لا يمكن أن يسير في الطرق المعهودة والسبل السابلة، بل لا بد أن يذهب من بُنَيَات طرق ليست هي المعهودة، وهذه تحتاج إلى خبرة خاصة، ووجد هذه الخبرة عند كافر من بني دؤل بن كنانة يسمى عبد الله بن الأريقط، فأودعه رواحله وأعطاه الموعد، وكان ذلك الكافر أميناً معه، فجاءه في الموعد وذهب به وجاء به من طرق غير معهودة حتى أوصله المدينة بسلام^(١). فالنبي ﷺ عند الحاجة انتفع بخبرة هذا الكافر ولم يقل: هذه خبرة نجسةٌ قذرةٌ لأنها من كافر، بل انتفع بها على حد قولهم «اجتنِ الثمار وألقِ الخشبة في النار». وكذلك لما سمع بالكفار في غزوة الأحزاب قال له سلمان الفارسي — كما هو مذكور في الأخبار والسير — : كنا إذا خفنا خندقنا^(٢). فأشار إليه بالخندق، وهو خطة حربية عسكرية، فقام النبي ﷺ وانتفع بهذه الخطة الحربية العسكرية وإن كانت ابتدعتها أذهان فارس الذين هم كفرةٌ يعبدون النار، ولم يقل: هذه خطة نجسةٌ قذرةٌ؛ لأن أصلها من الكفار!! بل انتفع بما ينفعه في دنياه وهو محافظ على دينه. وقد ثبت في صحيح مسلم أن النبي ﷺ هم أن يمنع الرجال من أن يطؤوا نساءهم في حالة إرضاعهن؛ لأن العرب كانوا يظنون أن الرجل إذا أتى أبوه أمه وهي

(١) السابق.

(٢) السابق.

ترضعه أن ذلك يضعف عظمه ويترك فيه ضعفاً طبعياً!! كانوا إذا ضرب الرجل ونبا سيفه عن الضريبة قالوا: هذا من آثار الغيلة، وهي وطء المرضع!! وكان شاعرهم يقول^(١):

فوارسُ لم يُغَالُوا في رضاعٍ فتنبُّوا في أكفُّهم السيوفُ
فأخبر النبي ﷺ عن فارسَ والروم أنهم يفعلون ذلك ولا يضر أولادهم^(٢)، فأخذ هذه الخطة الطبية من فارس والروم ولم يمنعه خبث من جاء بها عن أن يأخذها. فهذا تعليم الصادق المصدوق (صلوات الله وسلامه عليه).

ومما هو واضح أن ما جاء به الكفرة الفجرة الخنازير الذين يسمون أنفسهم (أهل الحضارة) أنهم جاؤوا بماء زلال، وجاؤوا بسم فتاك قتال؛ لأن ما في الحضارة الغربية من المنافع الدنيوية لا يحتاج أن يُنَوَّه عنه، فهم خدموا الإنسان - من حيث إنه جسم - خدمة هائلة ما كانت تخطر على البال. ولا يحتاج أن يُنَوَّه عنها، ولكنهم بالنسبة إلى الروح وإلى عنصر الإنسان من حيث كونه روحاً مفلسون كل الإفلاس. فعلى المسلمين أن يميزوا بين ما يضر وما لا يضر، فيأخذوا منهم الأمور الدنيوية فينتفعوا بخبرتهم في الأمور كما انتفع ﷺ في الأمور الدنيوية من الكفار، أما أنهم يأخذون عنهم كفرهم وتمردهم على الله وإفلاسهم الروحي النهائي فهذا مما لا يجوز ولا كان ينبغي لعاقل أن يفعله.

ونحن دائماً نبين الموقف السليم في الأوضاع الراهنة للإسلام والمسلمين، ونعرضه على الدليل العظيم المعروف عند علماء

(١) السابق.

(٢) السابق.

الأصول بـ (السبر والتقسيم)، وعند علماء المنطق. بـ (الشَّرْطِي المُنْفَصِل)، وعند علماء الجدل بـ (الترديد والتقسيم)^(١)، فنقول: إن موقف المسلمين مما أحدثته الحضارة الغربية التي صارت سبب ضلال ودمار مع ما أدخل في الثقافات من البلايا والويلات، نقول: وهو بالتقسيم الصحيح منحصر في أربعة أقسام حصراً استقرائياً^(٢)، وقد تقرر في علم البحث والمناظرة، وعلم الأصول أن للحصر طريقين: إما عقل، وإما استقراء، فهو محصور في أربعة طرق بطريق الاستقراء: أولها: أن نقول: يجب علينا أن نأخذ جميع ما أنتجته الحضارة الغربية من مائها الزلال وسمها الفتاك القتال، فهذا قسم واحد، أو نقول: نتركهما معاً، أو نأخذ نافعها. ونترك ضارها، أو نأخذ ضارها ونترك نافعها، فهي أربعة أقسام بالحصر الاستقرائي، فإذا رجعنا لهذه الأقسام الأربعة بالسبر الصحيح نجد ثلاثة منها باطلة، وواحداً صحيحاً، وهذه فائدة السبر والتقسيم، التقسيم: يحصر الأوصاف، والسبر: يميز بين خبيثها وطيبها وصالحها واطالحها. فلو قلنا: نأخذ جميع ما أنتجته الحضارة الغربية، فإن من أراد أن يأخذ الماء الزلال ممزوجاً بالسم الفتاك القتال لا ينتفع بالماء، ومن أراد تقدماً من الأمور الدنيوية التي عندهم مع ما فيها من الانحلال، وضياع الأخلاق، والتمرد على نظام السماء، والإلحاد والكفر بخالق السماوات والأرض، فهذا لا ينفع معه شيء، إذا الدين لم يكن فلا كانت الدنيا. فهذا قسم باطل يقيناً، ولو قلنا: نتركهما جميعاً، فهذا القسم باطل أيضاً؛ لأن ترك الأخذ بالقوة تواكل وعجز

(١) مضى عند تفسير الآية (١٤٤) من سورة الأنعام.

(٢) مضى عند تفسير الآية (١١٥) من سورة الأنعام.

وتمرد على نظام السماء؛ لأن الله يقول: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: آية ٦٠]. فترك القوة والاستعداد للعدو مخالف للشرع الكريم، ومخالف للفطر السليمة، فالحياة بتطوراتها الراهنة لا يجوز للمسلمين أن يتركوا استعمال القوة وجميع أنواع الوسائل لتكون عندهم قوة يدافعون بها عن أنفسهم ودينهم، فهذا القسم باطل أيضاً.

القسم الثالث: وهو أن يؤخذ سمها فقط، ويترك زلالها، فمن وجد ماء زلالاً وسمّاً فاتكأً قتالاً، واختار السم على الماء فهذا مجنون أهوج!!

أما أن نأخذ نافعها ونترك ضارها، فهذا هو اللائق بكل عاقل أن يأخذ ما ينفعه ويترك ما يضره.

والمؤسف كل المؤسف أن الذين تأثروا بهذه الحضارة من الناس الذين أصلهم مسلمون لم يأخذوا من هذه الحضارة إلا سمها الفتاك القتال، ولم ينتفعوا بمائها الزلال، فتراهم يقلدونهم في الإلحاد والكفر بالله والمسخرة من الدين، والاستهزاء بآيات الله، في الوقت الذي لم يأخذوا عنهم شيئاً مما أنتجوه من الأمور النافعة في الدنيا.

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا وأقبح الكفر والإفلاس بالرجل^(١)

فهم يجمعون بين الكفر والإفلاس — والعياذ بالله — وهذا الشيء الذي طبق المعمورة وانتشر في أقطار الدنيا فإننا لله وإنا إليه راجعون.

(١) تقدم هذا البيت عند تفسير الآية (١٥٥) من سورة الأنعام.

وعلى كل حال فدين الإسلام هو هو، وصلته بالله هي هي، دين عريق عظيم أُسُسُهُ قديمة عظيمة، لو لم يكن مبنياً على أسس عظيمة وكتابه محفوظ لطمسوا أثره في قرون!! ولكنه دين عريق ثابت الجذور لا يتغير ولا يتزعزع، وإنما تنكّر له المتسبون إليه فصاروا خفافيش تقودهم الكفار إلى ما يشاؤون، فيقلدونهم في كل كفر وكل إلحاد، وكل انحطاط خلقي، وكل تمرد على نظام السماء، وكفر بخالق السماوات والأرض، في الوقت الذي لا ينتفعون بالأمور [الدنيوية]^(١). وإنما حكينا هذا أسفاً من واقع نرجو الله أن يزيل هذا عن المسلمين.

ولما كان جزاء الكفار وعقوبتهم عظيمة بيّن بعض أسباب ذلك فقال: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: آية ٣٠] قال بعض العلماء^(٢): قالته جماعة من اليهود، منهم: سَلَامُ بن مشكم، وشَأْسُ بن قيس، ونعمان بن أوفى، ومالك بن الصيف من اليهود — قُبِحَهم الله — زعموا أن عُزيراً ابن الله.

وقال بعضهم: قاله القدماء من اليهود فاتبعهم الآخرون.

وقال بعضهم: إن الذي قاله قبل اليهود في زمن محمد ﷺ، وأن سبب ذلك أنهم قتلوا الأنبياء فرفع الله التوراة ومسّخه من قلوبهم، أو أن بختنصر قتل علماءهم، وضاعت عليهم التوراة، وكان بعضهم دفنها في محل، وكان عُزير قد قدمنا قضيته أن الله أماته مائة عام ثم بعثه، وجاء وقد ضاعت التوراة عليهم، بقوا لم يحفظوا منها شيئاً، فعلمه الله إياها فقرأها عليهم لم يخرم منها حرفاً، فقالوا: ما

(١) في الأصل: «الدينية»، وهو سبق لسان.

(٢) انظر: ابن جرير (٢٠٢/١٤).

عَلَّمَهُ اللَّهُ إِيَّاهَا إِلَّا لِأَنَّهُ ابْنُهُ!! ومما يدل على أن هذه المقالة صدرت من اليهود أن هذا القرآن يتلى من قديم الزمان من نزول هذه الآية ولم يُعْلَمَ أن يهودياً في زمانها كذب بذلك وقال: ما قلنا هذا!! مع مسارعتهم إلى التكذيب.

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ النَّصَارَى الْمَسِيحُ﴾ [التوبة: آية ٣٠] يعني عيسى ابن مريم قالوا إنه ابن الله. — قَبَّحَهُمُ اللَّهُ — فأشركوا.

وقوله: ﴿يُضَاهَوْنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [التوبة: آية ٣٠] على قراءة الجمهور، وهو مضارع: (ضَاهَاهُ يَضَاهِيهِ) إذا حاكاه وشابهه. وعلى قراءة عاصم: ﴿يُضَاهَوْنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فهو بمعناه؛ لأن (ضَاهَاهُ) يقال فيها: (ضَاهَاهُ) بلا همز، ويقال فيها: (ضَاهَاهُ) بالهمز، وهما لغتان صحيحتان وقراءتان سبعيتان صحيحتان^(١).

ومعنى المضاهاة والمضاهاة معناها: المحاكاة والمشابهة. يعني: يحاكون ويشابهون قول الذين كفروا^(٢) من كفار مكة الذين قالوا: الملائكة بنات الله. وقال بعض العلماء: قالها المتأخرون من اليهود يحاكون المتقدمين منهم. وقال بعض العلماء: قال النصاري: ﴿الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ يحاكون اليهود في قولهم: ﴿عِزُّرُ بْنُ اللَّهِ﴾ وهذا كله لا يكذب بعضه بعضاً، وهذا معنى قوله: ﴿يُضَاهَوْنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾ وفي الكلام حذف مضاف دلّ المقام عليه، أي: يحاكي قولهم قول الذين كفروا من قبل.

﴿قَسَّاهُمْ اللَّهُ﴾ قال بعض العلماء^(٣) معناه: لعنهم الله.

(١) انظر: المبسوط لابن مهران ص ٢٢٦.

(٢) انظر: ابن جرير (٢٠٥/١٤)، القرطبي (١١٨/٨).

(٣) انظر: ابن جرير (٢٠٧/١٤)، القرطبي (١١٩/٨).

وقال بعض العلماء: (قاتله الله) كلمة تعجب تقولها العرب إذا تعجبت من شيء يقولون: قاتل الله فلاناً ما أفعله لكذا. أو ما أشد استحقاقه لأن يُقتل، أو نحو ذلك.

قوله: ﴿أَنْتَ يُؤْفَكُونَ﴾ ﴿٣٠﴾ ﴿يُؤْفَكُونَ﴾ (يُفعلون) من الإفك، والإفك: أسوأ الكذب؛ لأن أصل مادة (أفكته) إذا قلبه. كل شيء قلبته فقد (أفكته) ومنه قيل لقري قوم لوط: (المؤتفكات) لأن جبريل أفكها، أي: قلبها فجعل عاليها سافلها. وإنما سُمي أسوأ الكذب (إفكاً) لأنه صرف للكلام عن معناه الصحيح إلى معاني آخر كاذبة^(١). وهذا معنى قوله: ﴿قَنَلَهُمُ اللَّهُ أَنْتَ يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة: آية ٣٠].

قال تعالى: ﴿اتَّخِذُوا أَعْبَادَهُمْ وَرَهْبَنَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿٣١﴾ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ ﴿٣٢﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: الآيات ٣١ - ٣٣].

يقول الله (جلّ وعلا): ﴿اتَّخِذُوا أَعْبَادَهُمْ وَرَهْبَنَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿٣١﴾ [التوبة: آية ٣١].

ذكر الله (جلّ وعلا) في هذه الآيات الكريمات من سورة براءة

(١) مضى عند تفسير الآية (٨٠) من سورة الأعراف.

جرائم اليهود والنصارى فعد منها أنهم نسبوا له الأولاد، وأتبع ذلك بقوله: ﴿قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَنفَ يُؤَفَّكُونَ﴾ [التوبة: آية ٣٠] كيف يُصرفون عن الحق مع وضوحه، ويدّعون للواحد الأحد الذي لم يلد ولم يولد، يدّعون له الأولاد فيقولون: عُزير ابن الله، والمسيح ابن الله؟ سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

ثم ذكر من معائبهم وإجرامهم بلایا أخر فقال: ﴿أَتَّخِذُوا أَجْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ [التوبة: آية ٣١] أي: واتخذوا المسيح ابن مريم رباً من دون الله أيضاً. وهذه الآية جاء عن النبي ﷺ أنه فسر لها لعدي بن حاتم (رضي الله عنه) لما سأله عنها، فقد أخرج الترمذي وغيره عن عدي بن حاتم (رضي الله عنه) أنه أتى النبي ﷺ وفي عنقه صليب من ذهب، فقال له ﷺ: «اطرح هذا الوثن من عنقك» وسمعه يقرأ: ﴿أَتَّخِذُوا أَجْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ - وكان عدي في الجاهلية نصرانياً - فقال عدي: ما كنا نعبدهم من دون الله. فقال له النبي ﷺ: «ألم يُحلوا لكم ما حرم الله، ويحرموا عليكم ما أحل الله فتتبعوهم؟» قال: بلى. قال: «ذلك عبادتهم»^(١). وهو معنى اتخاذهم أرباباً. وهذا التفسير النبوي المقتضي أن كل من يتبع مُشَرَّعاً فيما أحل وحرم مخالفاً لتشريع الله أنه عابد له، متخذه رباً، مشرك به، كافر بالله هو تفسير صحيح لا شك في صحته، والآيات القرآنية الشاهدة لصحته لا تكاد تحصى في المصحف الكريم، وسنبين - إن شاء الله - طرفاً من ذلك:

(١) مضى عند تفسير الآية (٥٧) من سورة الأنعام.

اعلموا أيها الإخوان أن الإشراك بالله في حكمه والإشراك به في عبادته كلاهما بمعنى واحد، لا فرق بينهما البتة، فالذي يتبع نظاماً غير نظام الله، وتشريعاً غير ما شرّعه الله، وقانوناً مخالفاً لشرع الله من وضع البشر، معرضاً عن نور السماء الذي أنزله الله على لسان رسوله، من كان يفعل هذا هو ومن يعبد الصنم ويسجد للوثن لا فرق بينهما البتة بوجه من الوجوه، فهما واحد، فكلاهما مشرك بالله، هذا أشرك به في عبادته، وهذا أشرك به في حكمه، والإشراك به في عبادته، والإشراك به في حكمه كلاهما سواء، وقد قال الله (جلّ وعلا) في الإشراك به في عبادته: ﴿فَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: آية ١١٠].

وقال في الإشراك به في حكمه أيضاً: ﴿لَمْ يَغِبْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضُ أَبْصَرَ بِهِ وَأَسْمِعَ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: آية ٢٦]. وفي قراءة ابن عامر من السبعة: ﴿ولا تشرك في حكمه أحداً﴾^(١) بصيغة النهي المطابقة لقوله: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: آية ١١٠] فكلاهما إشراك بالله؛ ولذا بيّن النبي لعدي بن حاتم أنهم لما اتبعوا نظامهم في التحليل والتحریم وشرعهم المخالف لشرع الله كانوا عبدة لهم، متخذينهم أرباباً، والآيات القرآنية في المصحف الكريم المُصَرَّحة بهذا المعنى لا تكاد تحصى، ومن أصرحها: المناظرة التي أشرنا لها في الأيام الماضية، ووعدنا بإيضاح مبحثها هنا، وهي المناظرة التي وقعت بين حزب الرحمن وحزب الشيطان في حكم تحليل لحم الميتة وتحريمه، فحزب الشيطان يقولون: إن الميتة حلال، ويستدلون

(١) مضى عند تفسير الآية (١٠٦) من سورة الأنعام.

بوحى من وحي الشيطان، وهو أن الشيطان أوحى إلى أصحابه وتلامذته في مكة أن اسألوا محمداً عن الشاة تصبح ميتة من هو الذي قتلها؟ فلما قال: الله قتلها. احتجوا على النبي وأصحابه في تحريمهم الميتة بفلسفة من وحي الشيطان وقالوا: ما ذبحتموه وذكيتموه بأيديكم حلال، وما ذبحه الله بيده الكريمة بسكين من ذهب تقولون حرام!! فأنتم أحسن من الله إذا!! فهذا فلسفة الشيطان ووحى إبليس استدل بها كفار مكة على اتباع نظام الشيطان وتشريع وقانونه بدعوى أن ما ذبحه الله أحلّ مما ذبحه الناس، وأن تذكية الله أظهر من تذكية الخلق، واستدل أصحاب النبي والنبي ﷺ على تحريم الميتة بوحى الرحمن في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمَيْتَةُ﴾ [المائدة: آية ٣] ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ أَلْمَيْتَةَ﴾ [البقرة: آية ١٧٣] فأدلى هؤلاء بنص من نصوص السماء، وأدلى هؤلاء بفلسفة من وحي الشيطان، ووقع بينهم جدال وخصام، فتولى رب السماوات والأرض الفتيا في ذلك بنفسه فأنزلها قرآناً يتلى في سورة الأنعام معلماً بها خلقه، أن كل من يتبع نظاماً وتشريعاً وقانوناً مخالفاً لما شرعه الله على لسان رسول الله ﷺ فهو مشرك بالله كافر متخذ ذلك المتبوع رباً، فأنزل الله ذلك في قوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ منه الميتة. أي: وإن قالوا: إنها ذكاة الله، وأنها أظهر. ثم قال: ﴿وَأَنْتُمْ لِفُسْؤٍ﴾ أي: إن الأكل من الميتة لفسق. أي: لخروج عن طاعة الرحمن إلى طاعة الشيطان ﴿وَأَنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ﴾ من الكفرة كفار مكة ﴿لِيُجَادِلُوكُمْ﴾ لأجل أن يجادلوكم بوحى الشيطان، ما ذبحتموه حلال، وما ذبحه الله حرام، فأنتم أحسن من الله. ثم قال - وهو محل الشاهد - : ﴿وَأِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ﴾ أي:

اتبعتموهم في ذلك النظام الذي وضعه الشيطان لأتباعه وأقام دليلاً من وحيه عليه ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ ﴿١٢١﴾ بالله، متخذون من اتبعتم تشريعه رباً غير الله. وهذا الشرك في قوله: ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ ﴿١٢١﴾ هو الشرك الأكبر المخرج عن ملة الإسلام بإجماع المسلمين، وهو الذي أشار الله إليه في قوله: ﴿إِنَّمَا سُلْطَنُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ ﴿١٠٠﴾ [النحل: آية ١٠٠] وهو الذي صرح به الشيطان في خطبته يوم القيامة المذكورة في قوله: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ﴾ [إبراهيم: آية ٢٢] وهو المراد على أصح التفسيرين في قوله: ﴿بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ﴾ [سبأ: آية ٤١] يعبدون الشياطين باتباعهم أنظمتهم وتشريعاتهم على السنة الكفار، وهو الذي نهى عنه إبراهيم أباه: ﴿يَتَّبِعْ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ﴾ [مريم: آية ٤٤] أي: باتباع ما يقرر لك من نظام الكفر والمعاصي مخالفاً لشرع الله الذي أنزله على رسله، وهذه العبادة بعينها هي التي وصى الله مرتكبها وبين مصيره الأخير في سورة يس في قوله: ﴿أَلَمْ نَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَئِ عَادَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ ﴿٦٠﴾ [يس: آية ٦٠] ما عبده بسجود ولا ركوع وإنما عبده باتباع نظام وتشريع وقانون شرع لهم أموراً غير ما شرعه الله فاتبعوه وتركوا ما شرع الله فعبده بذلك واتخذوه رباً كما بيّنه النبي ﷺ لعدي بن حاتم (رضي الله عنه)، فهذا أمر لا شك فيه، وهو المراد بقوله: ﴿وَأِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا﴾ ﴿١١٧﴾ [النساء: آية ١١٧] يعني: ما يعبدون إلا شيطاناً مريداً، أي: عبادة اتباع نظام وتشريع. واعلم أن قوماً زعموا أنهم يريدون أن يتحاكموا إلى شرع الشيطان والذي وضعه، وادّعوا مع ذلك أنهم

مؤمنون فَعَجَّبَ اللهُ نبيه من دعواهم الكاذبة الفاجرة التي لا يمكن أن تصدق في سورة النساء في قوله (جلّ وعلا): ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ [النساء: آية ٦٠]. كل من تحاكم إلى غير ما أنزل الله فهو متحاكم إلى الطاغوت، وهؤلاء قوم أرادوا التحاكم إلى الطاغوت وزعموا أنهم مؤمنون بالله فعجب الله نبيه من كذب هؤلاء وعدم حيائهم في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ تِلْكَ النُّظُمُ وَالْأَوْضَاعُ الَّتِي يَسِيرُونَ عَلَيْهَا﴾ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦١﴾ وأقسم الله (جلّ وعلا) إقساماً سماوياً من رب العالمين على أنه لا إيمان لمن لم يحكم رسول الله فيما جاء به عن الله خالصاً من قلبه في باطنه وسره في قوله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: آية ٦٥] وبين الله (جلّ وعلا) في آيات كثيرة من كتابه أن الحكم له وحده لا شريك له في حكمه، وكلما ذكر اختصاصه بالحكم أوضح العلامات التي يعرف بها بين من يستحق أن يحكم ويأمر وينهى ويشرع ويحلل ويحرم، وبين من ليس له شيء من ذلك، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ لِلَّهِ ءَامَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا بِهِ﴾ [يوسف: آية ٤٠] ﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ﴾ [القصص: آية ٧٠] وسنين لكم أمثلة من ذلك، من ذلك قوله في سورة الشورى: ﴿وَمَا أَخْلَقْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: آية ١٠] ثم إن الله كأنه قال: هذا الذي يكون المرجع إليه،

والقول قوله، والكلمة كلمته، حتى يُرد إليه كل شيء، اختلف فيه ما صفاته التي يتميز بها عن غيره؟ قال: ﴿وَمَا أَخْلَقْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ ثم بين صفات من يستحق الحكم والتشريع والتحليل والتحریم والأمر والنهي فقال: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ ① فاطر السموات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ومن الأنعام أزواجاً يذروكم فيه ليس كمثل شيء وهو السميع البصير ② لَهُمْ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ③ [الشورى: الآيات ١٠ - ١٢] هذه صفات من له أن يحكم ويحلل ويحرم ويأمر وينهى، أفترى أيها الإخوان أن واحداً من هؤلاء القردة الخنازير الكلاب أبناء الكلاب الذين يضعون القوانين الوضعية فيهم واحد يستحق هذه الصفات التي هي صفات من له أن يحكم ويحلل ويحرم ويأمر وينهى؟! ومن الآيات الدالة على هذا النوع قوله تعالى في سورة القصص: ﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ④ ثم بين صفات من له أن يحكم فقال: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الَّتِلَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيَكُمُ بَضِيآءٌ أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ ⑤ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيَكُمُ بَلِيلٌ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ ⑥ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمْ الَّتِلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ⑦ [القصص: الآيات ٧٠ - ٧٣] هل في الكفرة القردة الخنازير الكلاب أبناء الكلاب الذين يضعون النظم ويزعمون أنهم يرتبون بها علاقات الإنسان ويضبطون بها شؤونهم هل في هؤلاء من يستحق أن يوصف بهذه الصفات التي هي صفات من له أن يحكم ويأمر وينهى ويحلل

ويحرم؟! ومن ذلك قوله تعالى في أخريات القصص: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: آية ٨٨].

[١/٦] / والآيات القرآنية في مثل هذا كثيرة جداً. والحاصل أن التشريع لا يكون إلا للأعلى الذي لا يمكن أن يكون فوقه أمر ولا ناه ولا متصرف، فهو للسلطة العليا، أما المخلوق الجاهل الكافر المسكين فليس له أن يُحلل ويحرّم، والعجب كل العجب من قوم كان عندهم كتاب الله ورثوا الإسلام عن آبائهم، وعندهم هذا القرآن العظيم، والنور المبين، وسنة خير الخلق ﷺ، يبين الله ورسوله كل شيء، ومع ذلك يعرضون عن هذا زاعمين أنه لا يحسن القيام بشؤون الدنيا بعد تطوراتها الراهنة، يطلبون الصواب في زبالات أذهان كفره خنازير، لا يعلمون شيئاً! هذا من طمس البصائر — والعياذ بالله — لا يصدق به إلا من رآه، ولكن الخفافيش يعميها نور القرآن العظيم، فالقرآن العظيم نورٌ عظيم، والخفافش لا يكاد أن يرى النور:

خَفَافِشُ أَعْمَاهَا النَّهَارُ بِضَوْئِهِ فَوَافَقَهَا قِطْعٌ مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمٌ^(٢)

فهذا القرآن العظيم ينصرفون عنه، وترى الواحد الذي هو مسؤول عنهم يعلن في غير حياء من الله ولا حياء من الناس بوجه لا ماء فيه، بكل وقاحة أنه يحكم في نفسه وفي الناس الذين هم رعيته الذين هو مسؤول عنهم يحكم في أديانهم، وفي أنفسهم، وفي عقولهم، وفي أنسابهم، وفي أموالهم، وفي أعراضهم، قانوناً أرضياً

(١) في هذا الموضع انقطع التسجيل، وقد أكملت الآية وجعلت ذلك بين معقوفين.

(٢) مضى عند تفسير الآية (١٢٨) من سورة الأنعام.

وضعه خنازير كفره جهلة أنتن من الكلاب والخنازير، وأجهل خلق الله، معرضاً عن نور السماء الذي وضعه الله (جلّ وعلا) على لسان خلقه، فهذا من طمس البصائر لا يصدّق به إلا من رآه — والعياذ بالله — اللّهم لا تطمس بصائرنا ولا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا .

واعلموا أيها الإخوان أن كل من يتعالّم أمام الخالق (جلّ وعلا) بلا حياء في وجهه أنه يعرض عمّا أنزل الله على محمد ﷺ مدعياً أنه لا يقدر أن يقوم بتنظيم علاقات الدنيا يطلب النور والهدى في زبالات أذهان خنازير كفره فجرة جهلة في غاية الجهل أنه هو وفرعون وهامان وقارون في الكفر سواء؛ لأنه لا يعرض عن الله، وعن تشريع الله، ويفضّل عليه تشريع الشيطان، ونظام إبليس الذي شرعه على ألسنة أوليائه إلا من لا نصيب له في الإيمان بوجه من الوجوه، كما رأيت الآيات الكثيرة الدالة على ذلك، وتعجيب الله نبيه من ادعاء مثله الإيمان. فعلى المسلمين جميعاً أن يعلموا ويعتقدوا — ونحن نقول: لا شك يجب على كل مسلم كائناً من كان أن يعلم — أنه لا حلال إلا ما أحله الله، ولا حرام إلا ما حرّمه الله، ولا دين إلا ما شرّعه الله، فمن سوى الله لا تحليل له ولا تحریم؛ لأنه عبد مسكين ضعيف مربوب، عليه أن يعمل بما يأمر به ربه، فيتبع ما يشرعه ربه. وهذا معنى قوله: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ الأحبار: جمع خَبَر بفتح الحاء وكسر ها. والتحقيق أنهما لغتان. والأحبار: العلماء. والرهبان: المتعبدون المنقطعون في الصوامع، وهو جمع راهب، وشذّ قوم فقالوا: إن الواحد منهم يقال له (رهبان) واستدلوا

بقول الراجز^(١) :

لو كَلَّمْتُ رُهْبَانًا دِيرٍ فِي الْجَبَلِ لأَقْبِلُ الرُّهْبَانُ يَهْوِي وَنَزَلَ
أنه واحد. والتحقيق: أنه جمع راهب.

﴿أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾ الأرباب: جمع رب؛ لأنهم عبدوهم،
والعبادة من صفات الرب (جلّ وعلا) وحده لا يُعبد سواه.

﴿وَمَا أُمِرُوا﴾ بما أمروا به من الدين ﴿إِلَّا﴾ لأجل أن يعبدوا
الله وحده ﴿إِلَهًا وَاحِدًا﴾ أي: معبوداً واحداً ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ لا معبود
بحق إلا هو وحده (جلّ وعلا) ﴿سُبْحَنَهُ﴾ أي: تنزيهاً له أتم تنزيه
عما يشركونه به شرك ربوبية وشرك طاعة وشرك عبادة.

وهذه الآية من سورة براءة بين الله فيها أن النصارى واليهود
مشركون كما أشرنا إليه سابقاً. وهذا معنى قوله: ﴿سُبْحَنَهُ عَمَّا
يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: آية ٣١].

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ [التوبة: آية ٣٢] قال
بعض العلماء: نور الله هو هذا القرآن العظيم، وقد سمي الله هذا
القرآن نوراً في آيات كثيرة كقوله: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ
وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ [المائدة: آية ١٥] ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بِهِنَّ
مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا﴾ [النساء: آية ١٧٤] ﴿وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي
بِهِ مَن نَّشَاءُ﴾ [الشورى: آية ٥٢] ﴿وَاتَّبِعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ﴾
[الأعراف: آية ١٥٧] ﴿وَالنُّورَ الَّذِي أُنزِلْنَا﴾ [التغابن: آية ٨] هو نور

(١) البيت لعروة بن حزام، وهو في ديوانه ص ٣١، فتح القدير (٦٨/٢)، ولفظ
الشرط الثاني:

«لزحف الرهبان يمشي وزحل»

أضاء الله به كل شيء، وكل من لا يعلم أنه نور وأنه حق فإن ذلك إنما جاءه من قبل عماه؛ لأنه خفّاش أعمى، والأعمى لا يرى الشمس، وقد بيّن الله هذا في سورة الرعد في قوله: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى﴾ [الرعد: آية ١٩] فصرّح بأن الذي يمنعه من أن يعلم أنه الحق إنما هو عماه.

إذا لم يكن للمرء عينٌ بصيرة

فلا غرّو أن يرتاب والصبحُ مُسْفِرٌ^(١)

وقوله: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ﴾ يعني يذهبوا أدلة هذا القرآن العظيم ويبطلوها ويمنعوا إقامة أدلته وإظهاره للحق والدين.

﴿يَافُوهِهِمْ﴾ في قوله: ﴿يَافُوهِهِمْ﴾ وجهان^(٢):

أحدهما: أن المراد أن إطفاءه بأفواههم هو تكذيبهم به وقولهم: إنه شعر أو سحر أو كهانة أو أساطير الأولين أو مكذوب على الله. فهذا إرادتهم تكذيبه وإبطاله بأفواههم بالقول الكاذب.

وقال بعضهم: شبه فعلهم بمن رأى نوراً مستضيئاً ملاً أقطار الدنيا وأراد أن ينفخه ليطفئه بنفخة؛ لأن النفخ يطفىء النور الضعيف، ولا يقدر على النور العظيم القوي. كأنه شبه إرادتهم لإطفائه بمن يريد أن ينفخ في نور عظيم ملاً الأرض ليطفئه بالنفخ،

(١) مضى عند تفسير الآية (١٢٨) من سورة الأنعام.

(٢) انظر: ابن جرير (٢١٣/١٤ - ٢١٤)، ابن كثير (٣٤٩/٢)، البحر المحيط (٣٣/٥).

وهذا لا يمكن أبداً ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ﴾ (جلّ وعلا) ﴿إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ﴾.

للعلماء بحث لغوي في قوله: ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا﴾^(١) قالوا: لأن الاستثناء يكون من نفي قبله، وهنا ليس فيه نفي، والإثبات لا يُستثنى منه، فلا تقول: ضربت إلا زيداً، وأكرمت إلا عمراً.

وأجاب بعض العلماء عن هذا بأن الإباء فيه معنى الامتناع، والامتناع مضمن معنى الجحد، هم يريدون كذا ولم يرد الله إلا أن يتم نوره. فهو في معنى النفي.

وقال بعض العلماء: هو متعلق بمحذوف: ويأبى الله كل شيء إلا إتمام نوره، فهذا وحده لا بد أن يقع.

ثم قال: ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ ﴿٣٦﴾ فلو كره الكافرون إتمامه فهو متممه مهما كان.

﴿هُوَ﴾ أي: الله ﴿الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ﴾ [التوبة: ٣٣] هو محمد ﷺ.

﴿بِالْهُدَى﴾ قال بعض العلماء: الهدى أيضاً هو هذا القرآن؛ لأن الله يقول: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: آية ١٨٥] قالوا: ﴿بِالْهُدَى﴾ أي: بالقرآن الفارق بين الحق والباطل ﴿وَدِينِ الْحَقِّ﴾ هو دين الإسلام؛ الذي لا يقبل الله غيره ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: آية ١٩] ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: آية ٨٥] وقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: آية ٣].

(١) انظر: الدر المصون (٤٠/٦).

﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ الضمير في قوله: ﴿لِيُظْهِرَهُ﴾ فيه وجهان للعلماء^(١): قال بعضهم وهو مروي عن ابن عباس^(٢): الضمير عائد إلى النبي ﷺ. أي: أرسله بهذا الهدى ﴿لِيُظْهِرَهُ﴾ ليطلعه على جميع الأديان فيبين لأهلها حقيقتها من باطلها، كما قدمناه في قوله: ﴿وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: آية ٤٨] ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ [المائدة: آية ١٥] ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: آية ٩٣] وغير ذلك من الآيات أن النبي ﷺ علم من كتاب الله ما جاء في جميع الكتب المتقدمة.

القول الثاني: — وعليه الأكثر — أن الضمير للدين ﴿لِيُظْهِرَهُ﴾ أي: ليظهر دين الإسلام، أي: يعليه على جميع الأديان كلها. وهذا الإعلاء يدخل فيه إظهاره بالحجة والبرهان، فبراهينه قاطعة، وحججه ساطعة لا شك فيه، وكتابه محفوظ، فلا شيء يوازيه ولا يشابهه.

قال بعض العلماء: ﴿لِيُظْهِرَهُ﴾ أي: ينصره ويغلبه على جميع الأديان، وقد وفى الله بهذا فيما مضى، وسيفي به — أيضاً — في المستقبل؛ لأن الدين فيما مضى ظهر على جميع الأديان، وأذلّ الدول الكبار العظيمة المعروفة، كالدولة الكسروية، والدولة القيصرية، لم يبق منهم إلا من هو يعطي الجزية عن يد وهو صاغر، أو مسلم، وانتشر في أقطار الدنيا من شرقها وغربها، وظهر على كل الأديان، وأذلّ أهلها، وسيأتي ذلك في آخر هذا الزمان أيضاً كما جاء في أحاديث صحيحة كثيرة أنه لا يبقى في آخر الزمان أحدٌ إلا كان

(١) انظر: ابن جرير (٢١٥/١٤)، القرطبي (١٢١/٨)، ابن كثير (٣٤٩/٢).

(٢) أخرجه ابن جرير (٢١٥/١٤) من طريق علي بن أبي طلحة.

مسلماً^(١)، ولم يكن في المعمورة غير دين الإسلام. وهذا معنى قوله: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: آية ٣٣] إظهاره على الدين كله.

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَاْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَفْقَهُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [٣٤] يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [٣٥] إِنَّ عَذَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِ أَنْفُسَكُمْ وَقَتْلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يَقْتُلُونَكُمْ كَافَّةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: الآيات ٣٤ - ٣٦].

قال الله (جلّ وعلا): ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَاْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَفْقَهُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [٣٤] يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: الآيتان ٣٤، ٣٥] لَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ (جلّ وعلا) أَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا بَيْنَ أَنْ الرَّهْبَانِ وَالْأَحْبَارِ لَا يَنْبَغِي اتِّخَاذُهُمْ أَرْبَابًا؛ لِأَنَّ أَكْثَرَهُمْ فَجْرَةٌ غَيْرُ مُسْتَقِيمِينَ فَقَالَ: ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَاْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ

(١) ساق ابن كثير في تفسيره (٣٤٩/٢) كثيراً من هذه الأحاديث المشار إليها.

بِالْبَطْلِ ﴿٨٠﴾ أي: فكيف تتخذون هؤلاء أرباباً مع أن الإنسان لو اتخذ أشرف الأنبياء رباً أو أعظم الملائكة رباً لكان من كبار المشركين، أخرى من يتخذ الفجرة أرباباً ﴿٨١﴾ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَاباً أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨٢﴾ [آل عمران: الآية ٨٠] ﴿٨٣﴾ يَتَّبِعُهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَخْبَارِ... ﴿٨٤﴾ العلماء ﴿٨٥﴾ وَالرُّهْبَانِ ﴿٨٦﴾: المتعبدون في صوامعهم.

﴿لِيَأْكُلُوا﴾ هذه أصلها لام الابتداء التي تزحلقها (إنّ) المكسورة عن المبتدأ إلى الخبر ﴿لِيَأْكُلُوا أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَطْلِ﴾ قال بعض العلماء: يأخذون الرُّشاً. وقال بعض العلماء: يأخذون من أتباعهم أموالاً باسم الدين ثم يأكلونها، قال بعضهم: يأخذون أموالاً باسم الكنيسة والبيعة ونحو ذلك مما يخيلون لأتباعهم أن أخذه من الدين ومرادهم الغرض الدنيوي^(١).

وقوله: ﴿وَيَصَّدُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ لأن من استشار الرهبان والأخبار من أتباعهم هل يأخذ دين الإسلام يمنعونهم من ذلك، ويصدونهم عن سبيل الله التي هي دين الإسلام.

ثم قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ...﴾ العرب تقول: «كنزت الشيء» إذا جمعته وجعلت بعضه إلى بعض. وكثيراً ما يطلق على المال المجموع بعضه إلى بعض المدفون في الأرض، والكنز في اللغة يطلق على كل مجموع مضموم بعضه إلى بعض، ومنه: ناقة مكتنزة اللحم؛ لأن لحماً بعضه منضم إلى بعض. سواء كان في باطن الأرض أو على ظاهرها^(٢).

(١) انظر: القرطبي (٨/١٢٢).

(٢) انظر: القرطبي (٨/١٢٣)، الدر المصون (٦/٤٢).

قال بعض العلماء: هذه في أهل الكتاب. قاله معاوية، واختلف معه أبو ذر (رحمه الله). كان أبو ذر في الشام فشكاه معاوية إلى عثمان فأشخصه عثمان إلى المدينة، وكان أبو ذر (رضي الله عنه) عنده مذهب معروف مخالف لجميع أقوال الصحابة يضيق في اقتناء المال، وكان (رضي الله عنه) يقول: إن الإنسان إذا ادخر شيئاً زائداً عن خَلَّتِهِ الضرورية فهو كثر يكوى به وجهه وظهره وجنبه، وكان يذكر هذا للناس، ومن أجل هذا أمره عثمان (رضي الله عنه) أيام خلافته أن يخرج إلى الربذة وتوفي بها (رضي الله عنه وأرضاه)^(١)، وأبو ذر معذور؛ لأنه جاء النبي في أول الإسلام، وكان المسلمون في أول الإسلام فقراء ليس عندهم شيء، وكان التشديد في إمساك الذهب والفضة في ذلك الوقت عظيماً، فسمع من النبي شيئاً ورجع إلى أهله بالبادية، ثم أنزل الله فريضة الزكاة، وكثر المال واتسع الأمر، وزال التشديد، ولم يعلم (رضي الله عنه) بشيء من ذلك، فصار على التشديد الأول؛ لأنه سمعه من رسول الله ولم يسمع ما طرأ بعد ذلك. هذا قاله بعض الصحابة وهو الظاهر أنه الحق^(٢).

قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ رد الضمير هنا على الفضة ولم يقل: «ولا ينفقونها» وللعلماء في توجيهه في اللغة العربية أقوال^(٣)، والتحقيق أن من أساليب اللغة

(١) أخرجه البخاري في الزكاة، باب ما أدي زكاته فليس بكنز، حديث رقم:

(١٤٠٦)، (٢٧١/٣)، وأخرجه في موضع آخر، حديث رقم: (٤٦٦٠).

(٢) انظر: الأضواء (٢/٤٣٤).

(٣) انظر: الدر المصون (٦/٤٢).

العربية التي نزل بها القرآن رجوع الضمير على أحد المتعاطفين بـ (الواو) أو (الفاء) أو (أو)، وهو في (أو) أظهر اكتفاء ببعضهما؛ لأن الآخر مفهوم منه، وهو كثير في القرآن وفي كلام العرب^(١)، فمن أمثله في القرآن: ﴿يَكْزُبُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا...﴾ ﴿وَأَسْعَيْنَا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّا﴾ [البقرة: آية ٤٥] ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عُنَاهُ﴾ [الأنفال: الآية ٢٠] ومن أمثله بـ (أو): ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرَوْهَا﴾ [النساء: آية ١١٢] ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾ [الجمعة: آية ١١] ومن رجوع الضمير إلى المتعاطفين بـ (أو) معاً قوله: ﴿إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾ [النساء: آية ١٣٥] ومثال إفراده في المتعاطفين بـ (الفاء): قول امرئ القيس^(٢):

فتوضح فالمقراة لم يعفُ رسمها

فرده على أحدهما. وهو في العطف بـ (الواو) كآلية كثير جداً في كلام العرب، منه قول نابغة ذبيان^(٣):

وقد أراني ونُعماً لاهيين بها والدهرُ والعيشُ لم يههم بِأَمْرَارِ
ولم يقل: «ولم يههما». ومنه قول حسان رضي الله عنه^(٤):

إن شَرَّخَ الشَّبَابِ وَالشَّعْرَ الْأَسْوَدَ ما لم يُعَاصِ كان جُنُونًا
وهو كثير في كلام العرب.

(١) مضى عند تفسير الآية (٤٨) من سورة البقرة.

(٢) مضى عند تفسير الآية (٤٦) من سورة الأنعام.

(٣) مضى عند تفسير الآية (٤٥) من سورة البقرة.

(٤) السابق.

وقوله: ﴿يَكْزُرُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾ التحقيق — إن شاء الله —
الذي هو الصواب: أن كنز الفضة والذهب الذي يكوى به صاحبه هو
ما منع فيه حق الله من الزكاة^(١)، أما ما أُديت زكاته، وأُخرج حق الله
الواجب فيه، فالباقي بعد هذا لا يُسمى كنزاً، وإن كان تحت
الأرض، ولا يكوى به صاحبه، هذا هو المذهب الحق — إن شاء
الله — وأدلتة واضحة، وبراهينه ساطعة لا شك فيها؛ لأن الله أوجب
في مال الإنسان من ذهبه أو فضته أو ماشيته أو ثماره وزروعه وكل
ذلك أوجب فيه حقاً معيناً في أقدار معينة بيّنها رسول الله ﷺ، بيّن
أنها هي الحق في مال الإنسان، وأن أخذها يطهر الإنسان ويطهر له
ماله، فإذا أدى ما أوجبه الله عليه وأمره به فقد طهر هو وطهر ماله،
ولم يبق فيه شيء عليه تبعه؛ لأن الله لو كان يكوي به جنبه ووجهه
وظهره فلا فائدة في دفع الزكاة إذا كان المال يلزم أن ينفقه كله، فلا
وجه للزكاة ولا محل للموارث؛ لأن الفرائض والموارث التي نزل
بها كتاب الله إنما هي في أموال تبقى بعد صاحبها، فالتحقيق الذي
لا شك فيه — إن شاء الله — أن الكنز الذي يكوى به صاحبه هو ما منع
فيه حق الله ولم يؤدّ زكاته، أما ما أدى زكاته وأعطى حق الله فيه فليس
بكنز ولا يكوى به، فإن شاء أكثر من التطوع، وإن شاء أمسك لنفسه،
والقدر الواجب أوجب الله أخذه معيناً بتحديد من رسوله ﷺ، ومما
يوضح هذا قوله [لرسوله] ﷺ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ
وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة: آية ١٠٣] وهي الزكاة، فعرفنا أن أخذها يطهرهم
ويزكيهم. وفي حديث ضمام بن ثعلبة لما أمره النبي بدعائم

(١) انظر: الأضواء (٢/٤٣١ — ٤٣٤).

(٢) ما بين المعقوفين [] زيادة يقتضيها السياق.

الإسلام، وذكر له فرض الزكاة، قال: هل عليّ غيرها؟ قال: «لا إلا أن تتطوع»^(١). فهذا هو الحق — إن شاء الله — أن ما أُديت زكاته ليس بكنز ولو تحت الأرض، وما لم تؤد زكاته فهو كنز يَكُوى به صاحبه وإن كان ظاهراً على وجه الأرض.

قال: ابن خويز منداد من المالكية: هذه الآية من سورة براءة تضمنت زكاة العين^(٢). يعني بالعين: النقدين، الذهب والفضة.

ونحن عادة في هذه الدروس إذا مررنا بآية من كتاب الله هي أصل باب من أبواب الفقه نتعرض إلى مسائله الكبار، ونبين عيونها ومسائلها التي لها أهمية، وهذه الآية الكريمة على التحقيق فيها كأنها تشير إلى الزكاة، وأن من لم يؤدها أنه يَكُوى بذلك المال الذي لم يؤد زكاته كما سيأتي في حديث مسلم.

اعلموا أن المسلمين أجمعوا على وجوب زكاة الفضة والذهب، وأن النبي ﷺ — لا خلاف بين العلماء من كافة المسلمين أنه — بيّن قدر نصاب الفضة وقدر الواجب فيها، فبيّن أن نصاب الفضة مئتا درهم شرعي، وأنها خمسة أواق، والأوقية: أربعون درهماً، وأن قدر الواجب منها: ربع العشر^(٣)، هذا أمر لا شك فيه، أن مائتي درهم فيها زكاة يخرج منها ربع عشرها، وليس في أقل من مائتي درهم شرعي زكاة. والدرهم الشرعي: قال علماء المالكية بالتحديد: ينبغي أن يكون بوزن أهل مكة الأول المتعارف؛ لما ثبت

(١) مضى عند تفسير الآية (١٢) من سورة الأعراف.

(٢) نقله القرطبي (١٢٤/٨)، والشيخ (رحمه الله) في الأضواء (٤٣٤/٢).

(٣) انظر: المدونة (٢٤٢/١ - ٢٤٤)، بدائع الصنائع (١٦/٢ - ١٨)، المغني

(٤/٢٠٩ - ٢١٣)، الأضواء (٤٣٤/٢ - ٤٣٥).

عن ابن عمر عند النسائي وأبي داود أن النبي ﷺ قال: «المكيال مكيال أهل المدينة، والوزن وزن أهل مكة»^(١) فالخمسَةُ الأوسق تعرف بصاع النبي ﷺ في المدينة، ومائتا درهم — نصاب الفضة — تعرف بالوزن الذي كان معروفاً عند أهل مكة.

وقد حرر علماء المالكية الأمرين^(٢) وقالوا: إن الدرهم المكي الشرعي وزنه خمسون وخُمسًا حبة من مطلق الشعير. هكذا الذي يقولون، وزاد بعضهم: سُبُع الحبة. والتحقيق عندهم هو هذا، فإذا كان عند الإنسان مائتا درهم شرعية فإنه يجب عليه زكاتها وإخراج ربع عشرها كما هو معلوم، وهذا لا نزاع فيه بين العلماء. وكل درهم ستة دوانق، وكل عشرة دراهم سبعة مثاقيل، وأربعون درهماً هي الأوقية. وهذا معروف لا نزاع فيه.

(١) أخرجه أبو داود في كتاب البيوع، باب قول النبي ﷺ: «المكيال مكيال أهل المدينة»، رقم: (٣٣٢٤)، (١٨٨/٩)، والنسائي في كتاب الزكاة، باب كم الصاع، رقم: (٢٥٢٠)، (٥٤/٥)، في كتاب البيوع، باب الرجحان في الوزن، رقم: (٤٥٩٤)، (٢٨٤/٧)، والطبراني في الكبير (١٣٤٤٩)، والبيهقي (٣١/٦)، كلهم من طريق أبي نعيم الفضل بن دكين، عن سفيان عن حنظلة عن طاووس عن ابن عمر.

وأخرجه أبو عبيد في الأموال (١٦٠٧)، ومن طريقه البغوي (٢٠٦٣) عن أبي المنذر إسماعيل بن عمر عن سفيان به، وأخرجه الطحاوي في مشكل الآثار (٩٩/٢) من طريق الفريابي عن سفيان به.

وأخرجه ابن حبان (٣٢٨٣) من طريق أبي أحمد الزبيري عن سفيان فخالف من تقدم في متن الحديث وإسناده. انظر: الإرواء (١٣٤٢)، (١٩١/٥).

(٢) مضى عند تفسير الآية (١٤١) من سورة الأنعام.

وأكثر العلماء على أن الفضة لا وقص فيها^(١)، فإذا كانت عنده مائتا درهم أخرج ربع عشرها، وكل ما زاد فبحسابه. وقال بعض العلماء: إذا زاد عن مائتي درهم لم يكن عليه شيء حتى يبلغ الأربعين درهماً.

أما الذهب فقد ذكر بعض العلماء أنه لم يثبت فيه تحديد من النبي ﷺ لا في نصابه ولا في المخرج منه^(٢)، وهذا مروى عن الشافعي، وقاله ابن عبد البر، وبالع ابن حزم في نصره، أن النبي لم يثبت عنه شيء في تحديد نصاب الذهب ولا في قدر المخرج منه. والتحقيق أن النبي ﷺ ثبت عنه قدر نصاب الذهب وقدر المخرج منه، وأن نصاب الذهب عشرون ديناراً ليس فيما دونها صدقة، وأن في الذهب مثل ما في الفضة ربع العشر.

اعلموا أولاً أن الكتاب والسنة وإجماع المسلمين كل واحد منها قد دلّ على أن الزكاة تجب في الذهب، وقد دلّ عليه القرآن في قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ...﴾ الآية [التوبة: آية ٣٤]. ودلت عليه السنة الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ، من ذلك ما ثبت في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) أن النبي ﷺ قال: «ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يخرج منهما حقها إلا إذا كان يوم القيامة صُفحت له صفائح من نار فأحمي عليها فيكوى بها جنبه وظهره ووجهه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، كلما بردت أعيدت فأحمي عليها حتى يقضي الله بين العباد فيرى سبيله إما

(١) انظر: الأضواء (٢/٤٣٦).

(٢) انظر: الأم للشافعي (٤/٤٠)، الاستذكار لابن عبد البر (٩/٣٤)، المحلى

(٦٦/٦)، الأضواء (٢/٤٣٨).

إلى الجنة وإما إلى النار»^(١) فهذا نص صحيح ثابت في صحيح مسلم أن الذهب تجب فيه الزكاة، وأن من لم يؤد زكاته يكوى به يوم القيامة، ويُصفح له صفائح من نار. إذا عرفتم أن أصل زكاة الذهب واجبة بالكتاب والسنة والإجماع، فبيان تحديد النصاب وقدر المخرج منه كأنه بيان لإجمال من كتاب الله، وقد جاء عن النبي ﷺ ما يبين هذا الإجمال ويوضحه، ويُعيّن قدر نصاب الذهب، وقدر الواجب إخراج فيه، وهو ما رواه أبو داود في سننه من طريق أبي إسحاق عن عاصم بن ضمرة السلولي والحارث الأعور الهمداني عن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) أن النبي ﷺ قال ما معناه: «إن في عشرين ديناراً من الذهب نصف دينار»^(٢). وهذا بعينه تحديد النصاب بعشرين ديناراً، وتحديد الواجب فيه بربع العشر، هذا الحديث رواه أبو داود وسكت عنه. ومعروف أن كثيراً من العلماء ناقشوا في هذا الحديث وضعّفوه بالحارث الأعور، وقالوا: وعاصم بن ضمرة السلولي ضعيف أيضاً، فضعفوا هذا الحديث. ونحن نقول^(٣): إن هذا الحديث عند المناقشة الصادقة ليس بضعيف، وأن الحارث الأعور وإن كان ضعيفاً عند قوم — وإن وثقه

(١) تقدم تخريجه عند تفسير الآية (٣٧) من سورة الأنفال.

(٢) أخرجه عبد الرزاق (٨٩/٤)، وأبو داود في الزكاة، باب في زكاة السائمة، حديث رقم: (١٥٥٧، ١٥٥٨)، (٤٤٤/٤، ٤٤٧)، مع تردد بعض رواه — عند أبي داود — في رفعه.

وأخرجه ابن أبي شيبة (١١٩/٣)، وأبو عبيد في الأموال ص ٣٦٩ موقوفاً على علي (رضي الله عنه).

وانظر: الاستذكار (٢١/٩، ٣٤)، التلخيص (١٧٣/٢)، الإرواء (٢٩١/٣).

(٣) انظر: الأضواء (٤٣٨/٢ — ٤٤٢).

ابن المديني وغيره^(١) — فقد ضعفه أكثر العلماء. أما عاصم بن ضمرة فالتحقيق أنه صدوق أثنى عليه غير واحد، وهو لا بأس به، فروايته

(١) العبارة غير منضبطة من حيث المعنى كما ترى، ولعل الشيخ أراد أن يقول: «وإن كذبه ابن المديني وغيره...» فسبق لسانه إلى ذلك، لأن ابن المديني كذب الحارث الأعور كما نقل ذلك الذهبي في الميزان (١/٤٣٥)، ويدل على ذلك ما ذكره الشيخ (رحمه الله) في الأضواء (٢/٤٣٩)، والحارث الأعور كذبه كذلك: الشعبي وأبو إسحاق السبيعي، وأبو خثيمة وذكر إبراهيم النخعي أنه أثمهم، وقال أبو بكر بن عياش: «لم يكن الحارث بأرضاهم، كان غيره أَرْضَى منه، قال: وكانوا يقولون: إنه صاحب كتب كذاب». اهـ، وقال جرير: «كان الحارث الأعور زيفاً». اهـ، وعن مغيرة: «لم يكن الحارث يصدق عن علي في الحديث». اهـ، وقال ابن حبان: «كان الحارث غالباً في التشيع واهياً في الحديث». اهـ، وضعفه الدارقطني، وقال ابن عدي: «عامة ما يرويه غير محفوظ». اهـ، وترك الاحتجاج به أبو زرعة وأبو حاتم وابن مهدي، وابن معين ضعفه، ومرة قال: «ليس به بأس». اهـ، وقال مرة: «ما زال المحدثون يقبلون حديثه». اهـ، وقال مرة: «ثقة»، وتعقبه عثمان الدارمي بقوله: «ليس يتابع يحيى على هذا». اهـ، وكذا النسائي قال مرة: «ليس بالقوي»، وقال مرة: «ليس به بأس»، وقال ابن سيرين: «أدركت الكوفة وهم يقدمون خمسة: من بدأ بالحارث الأعور ثنى بعبدة، ومن بدأ بعبدة ثنى بالحارث». اهـ، وقال: «كان أصحاب ابن مسعود خمسة يؤخذ عنهم، أدركت منهم أربعة وفاتني الحارث فلم أره وكان يُفضل عليهم». اهـ، وعن سفيان: «كنا نعرف فضل حديث عاصم بن ضمرة على حديث الحارث». اهـ، وقال فيه الذهبي: «من كبار علماء التابعين على ضعف فيه». اهـ، وقال: «والجمهور على توهين أمره مع روايتهم لحديثه في الأبواب». اهـ، وقد نقل الشيخ (رحمه الله) في الأضواء (٢/٥٦) قول بعض من رماه بالكذب ولم ينقل عن أحد توثيقه، فقول الشيخ (رحمه الله) هنا: «فقد ضعفه أكثر العلماء». اهـ، في محله، وإنما توسعت في هذا التعليق لأن عبارة الشيخ هذه أيضاً لربما توهم القارئ أنها من سبق اللسان وليست كذلك.

محتج بها وهي معتمدة بأشياء عديدة تقوم بها الرواية الضعيفة أخرى التي هي غير ضعيفة؛ لأن روايته معتمدة برواية الحارث الأعور، وهو يُقبل في المتابعات والشواهد، ومعتمدة بإجماع المسلمين على مقتضاه؛ لأن هذا الحديث أجمع على مقتضاه عامة المسلمين ولم يخالف منهم أحد إلا شيء يروى عن داود الظاهري وبعض أتباعه، أما فقهاء الأمصار والصحابة والأئمة الأربعة وأصحابهم وكافة العلماء المعروفين لم يخالف أحد منهم في أن نصاب الذهب عشرون ديناراً، وأن الواجب فيه ربع العُشر كالفضة، ورُوي عن الحسن البصري أن نصابه أربعون^(١)، وعن طاووس أنه يقاس بالفضة، فما بلغ من الذهب قيمة مائتي درهم كانت فيه الزكاة، وما دون ذلك فلا^(٢). وهذا لا يكاد يلتفت إليه لكثرة من خالفه من أجلاء العلماء من الصحابة فمن بعدهم. فحديث عاصم بن ضمرة حجة، وهو معتضد برواية الحارث الأعور، وإجماع المسلمين، وهذا إنما هو بيان لأمر ثبت بالكتاب والسنة والإجماع أنه واجب، ومعلوم أن البيان إرشاد

(١) أخرج عبد الرزاق في المصنف (٨٩/٤)، وابن أبي شيبة (١١٨/٣)، وابن عبد البر في الاستذكار (٢٥/٩) عن الحسن: «ما زاد على المائتين فلا يؤخذ منه شيء حتى يبلغ أربعين»، وجاء عنه رواية ثانية نقلها النووي في المجموع (١٧/٦) أنه لا زكاة فيما هو دون أربعين مثقالاً لا تساوي مائتي درهم.

(٢) أخرج عبد الرزاق (٩٢/٤)، وابن عبد البر في الاستذكار (٢٤/٩) عن طاووس قال: «إذا زادت الدراهم على مائتي درهم فلا شيء فيها حتى تبلغ أربعمائة درهم»، قال في المغني (٢١٢/٤ - ٢١٣): «وقال عامة الفقهاء: نصاب الذهب عشرون مثقالاً من غير اعتبار حقيقتها، إلا ما حُكي عن عطاء وطاووس والزهري... أنهم قالوا: هو معتبر بالفضة، فما كان قيمته مائتي درهم فيه الزكاة وإلا فلا؛ لأنه لم يثبت عن النبي ﷺ تقدير في نصابه». اهـ.

ودلالة، وهو يصح في كل شيء يجلو الجهالة والإجمال.

وهذا هو التحقيق — إن شاء الله — أن نصاب الذهب عشرون مثقالاً، وأن الواجب فيها ربع العشر، وأنه لا وقص فيه فما زاد فبحسابه.

فإن كان عنده بعض النصاب من الذهب وبعضه من الفضة فهل يضم الفضة للذهب^(١)؟ ليس في ذلك نص عن رسول الله ﷺ، وأنظار العلماء اختلفت فيه، فذهب بعض العلماء إلى أنه لا يضم الذهب إلى الفضة ولا الفضة إلى الذهب في الزكاة، وتوقف في هذا الإمام أحمد بن حنبل في رواية الأثرم، وقطع في رواية حنبل أنه لا يضم أحدهما إلى الآخر^(٢). فمن كانت عنده عشرة مثاقيل ومائة درهم لا زكاة عليه على هذا، وبهذا قال الإمام الشافعي وأكثر أصحابه في طائفة كثيرة من العلماء. وقال مالك بن أنس وأصحابه: يضم الذهب إلى الفضة فيكون النصاب منهما معاً. وهو مروي عن أبي حنيفة (رحمة الله) على الجميع. وعلى هذا فلو كان عنده مائة درهم وعشرة دنائير وجبت عليه الزكاة، فأخرج من الدنانير ربع عشرها، ومن الدراهم ربع عشرها وهكذا.

واعلموا أن من توابع هذه المسألة أشياء اختلف فيها العلماء سنذكر طرفاً منها، من ذلك: إذا كان الذهب والفضة حلياً مصوغاً مباحاً تتزين به النساء، هل تجب فيه الزكاة أو لا^(٣)؟ اختلف فيه

(١) انظر: الاستذكار (٤٠/٩)، المبسوط (١٩٢/٢)، المجموع (١٨/٦)، المغني (٢١٠/٤)، الأضواء (٤٤٤/٢).

(٢) انظر: المغني (٢١٠/٤).

(٣) انظر: الاستذكار (٦٦/٩)، المبسوط (١٩٢/٢)، المجموع (٣٢/٦)، المغني (٢٢٠/٤)، الأضواء (٤٤٥/٢).

العلماء وفقهاء الأمصار والصحابة فمن بعدهم، فذهب كثير من العلماء إلى أنه لا زكاة في الحلبي المباح، منهم مالك والشافعي وأحمد وأصحابهما وخلق لا يحصى من الصحابة فمن بعدهم. وذهب آخرون إلى أن الحلبي المباح تجب فيه الزكاة، وبه قال أبو حنيفة وأصحابه وخلق من الصحابة فمن بعدهم. واحتج كل بحجج، أما الذين قالوا: لا تجب فيه الزكاة فإنما احتجوا بحديث جاء في ذلك وآثار عن الصحابة، واحتجوا بوضع اللغة، أما الحديث الذي جاء في ذلك هو حديث رواه البيهقي في كتاب معرفة السنن والآثار، رواه من طريق عافية بن أيوب عن الليث بن سعد عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله (رضي الله عنهما) أن النبي ﷺ قال: «لا زكاة في حلبي»^(١).

هذا الحديث قال الآخرون: لا يجوز الاحتجاج به؛ لأن عافية بن أيوب مجهول وغالى البيهقي (رحمه الله) فقال: إن العمل بحديث عافية هذا من جنس العمل بأحاديث الكذابين.

ونحن نقول: إن هذه مغالاة منه (رحمه الله)؛ لأن عافية بن أيوب لم يقل فيه أحد إنه كذاب، وغاية ما في الباب أن البيهقي ظن أنه مجهول، وقد وثقه غير البيهقي، فقد نقل ابن أبي حاتم في كتاب

(١) البيهقي في المعرفة (٢٩٨/٣)، وقال: «لا أصل له مرفوعاً، إنما يُروى عن جابر من قوله غير مرفوع». اهـ، وقد رواه الشافعي في الأم (٤١/٢)، وعبد الرزاق (٨٢/٤)، وأبو عبيد في الأموال ص ٣٩٩، والدارقطني (١٠٧/٢)، والبيهقي في السنن (١٣٨/٤) موقوفاً على جابر (رضي الله عنه)، وانظر: تنقيح التحقيق (١٤٢٠/٢)، نصب الراية (٣٧٤/٢)، الإرواء (٢٩٤/٣)، الأضواء (٤٤٦/٢).

الجرح والتعديل عن أبي زرعة أنه وثق عافية بن أيوب هذا وقال: لا بأس به^(١). وقال ابن الجوزي في جرحه وتعديله: لا أعلم فيه قادحاً ولا جرحاً^(٢). فدعوى أنه من الكذابين ليس بصحيح.

واحتجوا بآثار من الصحابة كثيرة؛ لأنه جاءت آثار عن الصحابة أنهم لا يخرجون زكاة الحلبي، وهو ثابت عن عائشة^(٣) وابن عمر^(٤) وجماعة من الصحابة (رضي الله عنهم) واحتجوا بالقياس، ومعلوم أن القياس يستعمل مع النص إذا كان لتعصيد النص لا ليخالفه؛ لأن النصوص لا مانع من اعتضاد بعضها بعضاً، وقد تقرر في الأصول^(٥) أن النص الذي يوافق^(٦) [القياس مقدم في حال الترجيح].

النوع الثاني من القياس: وهو المعروف عندهم بـ (قياس العكس)، وقياس العكس قال جماعة من الأصوليين: يُحتج به،

(١) الجرح والتعديل (٤٤/٧).

(٢) قال ابن الجوزي في كتاب التحقيق (٤٣/٢)، وهو في «تنقيح التحقيق» (١٤٢١): «ما عرفنا أحداً طعن فيه». اهـ.

(٣) أخرجه البيهقي في المعرفة (٢٩٣/٣)، وفي السنن الكبرى (١٣٨/٤).

(٤) أخرجه البيهقي في المعرفة (٢٩٣/٣)، وفي السنن الكبرى (١٣٨/٤).

(٥) انظر: شرح الكوكب المنير (٦٩٥/٤)، الأضواء (٤٥٠/٢).

(٦) في هذا الموضع انقطع التسجيل، وما بين المعقوفين [] زيادة يتم بها الكلام. قال في الأضواء (٤٤٨/٢): «وأما القياس فمن وجهين: الأول: أن الحلبي لما كان لمجرد الاستعمال لا للتجارة والتنمية ألحق بغيره من الأحجار النفيسة كاللؤلؤ والمرجان، بجامع أن كلاً مُعَدَّ للاستعمال لا للتنمية، وقد أشار إلى هذا الإلحاق مالك — رحمه الله — في [الموطأ] بقوله: فأما التبر والحلي المكسور الذي يريد أهله إصلاحه ولبسه فإنما هو بمنزلة المتاع الذي يكون عند أهله، فليس على أهله فيه زكاة، قال مالك: ليس في اللؤلؤ ولا في المسك والعنبر زكاة».

وأبى الاحتجاج به جماعة آخرون^(١). وقياس العكس قد نبّه عليه النبي ﷺ في الحديث الثابت في صحيح مسلم؛ لأنه ﷺ لما قال: «وفي بضع أحدكم أجر» قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته وله فيها أجر؟ قال: «أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر؟»^(٢) فهذا قياس عكس، وهو إعطاء حكم عكس حكم لتعاكسهما في العلة^(٣).

قالوا: وكذلك هنا في الحلّي المباح، فإن العروض لا تجب الزكاة في عينها، فإذا كانت للتجارة وجبت الزكاة في عينها، عكس الذهب والفضة، فإن الزكاة في عينها، فإذا انقطع عنها اسم النماء والتجارة صارت لا زكاة فيها، من قياس العكس.

ومن أمثلة قياس العكس عند المالكية مما اختلفوا مع غيرهم في القِيء هل ينقض الوضوء أو لا؟ قالوا: لا ينقض الوضوء كثير القِيء، قياساً على قليل القِيء، عكس البول، فإنه لما انتقض الوضوء بقليله انتقض بكثيره. ومن أمثلة قياس العكس عند الحنفية قولهم: لا قصاص في القتل بكبير المُنْقَل، كعمود الحديد والصخرة، قياساً على صغير المُنْقَل، كالقضيبي الذي لا قصاص في الضرب به، عكس المُحدّد، فإنه لما وجب القصاص في قليله وجب في كثيره. هذا هو غالب حجة أهل هذا القول الذين قالوا: لا زكاة في الحلّي.

(١) انظر: شرح الكوكب المنير (٢١٩/٤)، وانظر الكلام على هذا القياس مع الأمثلة والتطبيقات المذكورة في: الأضواء (٤٤٩/٢ - ٤٥٠).

(٢) مسلم في الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع معروف، حديث رقم: (١٠٠٦)، (٦٩٧/٢)، من حديث أبي ذر (رضي الله عنه).

(٣) انظر: الأضواء (٤٤٩/٢).

أما الذين قالوا: تجب في الحلي المباح زكاة فاحتجوا أيضاً بأحاديث جاءت عن النبي ﷺ، وبآثار عن السلف، وبوضع اللغة، وبالقياس أيضاً^(١).

أما وضع اللغة من حجة الأولين فقولهم: إنه ﷺ قال: «وفي الرقة^(٢) ربع العشر»^(٣) وقال: «ليس فيما دون خمس أواق من الورق صدقة»^(٤). قالوا: والورق لا تطلق إلا على الدراهم المنقوشة، ولا تطلق على الحلي. هذا من حجة الأولين بالوضع اللغوي.

وأما الذين قالوا: تجب الزكاة فيه فاحتجوا أيضاً بأحاديث جاءت عن النبي ﷺ، وآثار عن السلف، وبالقياس، وبوضع اللغة أيضاً.

(١) انظر: الأضواء (٢/ ٤٥١).

(٢) قال في الأضواء (٢/ ٤٥٠): «قال أبو عبيد: الرقة عند العرب: الورق المنقوشة ذات السكة السائرة بين الناس، ولا تطلقها العرب على المصوغ، وكذلك قيل في الأوقية، قال مقبده - عفا الله عنه - : ما قاله أبو عبيد هو المعروف في كلام العرب، قال الجوهري في صحاحه: الورق: الدراهم المضروبة، وكذلك الرقة، والهاء عوض عن الواو، وفي القاموس: الورق - مثلثة، وككتف - : الدراهم المضروبة، وجمعه أوراق ووراق كالرقة». اهـ.

(٣) أخرجه البخاري في الزكاة، باب زكاة الغنم، حديث رقم: (١٤٥٤)، (٣/ ٣١٧ - ٣١٨).

(٤) أخرجه البخاري في الزكاة، باب ليس فيما دون خمس ذود صدقة، حديث رقم: (١٤٥٩)، (٣/ ٣٢٢)، وأخرجه في موضع آخر. انظر رقم: (١٤٨٤)، ومسلم في الزكاة، حديث رقم: (٩٧٩)، (٢/ ٦٧٣)، من حديث أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه)، وأخرجه مسلم أيضاً من حديث جابر (رضي الله عنه) في الزكاة، حديث رقم: (٩٨٠)، (٢/ ٦٧٥).

ومن الأحاديث الدالة على ذلك: ما رواه أبو داود والنسائي من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده — وجده: هو عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنهما) — أن النبي ﷺ دخلت عليه امرأة ومعها ابنتها، وفي يد ابنتها مسكتان غليظتان من ذهب — يعني سوارين من ذهب — فقال لها: «أتؤدين زكاة هذا؟» فقالت: لا. فقال: «أيسرك أن يسورك الله بهما يوم القيامة سوارين من نار؟!» فخلعتهما فقالت: هما لله ولرسوله^(١).

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (١٥٣/٣)، وعبد الرزاق (٨٥/٤ - ٨٦)، وأحمد (١٧٨/٢)، وأبو عبيد في الأموال ص ٣٩٧، وابن زنجويه في الأموال (٩٧٣/٣)، وأبو داود في الزكاة، باب الكنز ما هو؟ وزكاة الحلبي، حديث رقم: (١٥٤٨)، (٤/٤٢٥)، والترمذي في الزكاة، باب ما جاء في زكاة الحلبي، حديث رقم: (٦٣٧)، (٣/٢٠ - ٢١)، وعقبه بقوله: «وهذا حديث قد رواه المثنى بن الصباح عن عمرو بن شعيب نحو هذا، والمثنى بن الصباح وابن لهيعة يضعفان في الحديث، ولا يصح في هذا الباب عن النبي ﷺ شيء». اهـ، وقال ص ٢٠: «وقد روي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ أنه رأى في الحلبي زكاة، وفي هذا الحديث مقال». اهـ، والنسائي في الصغرى، في الزكاة، باب زكاة الحلبي، حديث رقم: (٢٤٧٩، ٢٤٨٠)، (٥/٣٨) وفي الكبرى، في الزكاة، باب زكاة الحلبي، حديث رقم: (٢٢٥٨، ٢٢٥٩)، (٢/١٩)، والبيهقي في الكبرى (٤/١٤٠)، وابن حزم في المحلى (٦/٧٨) وأشار لضعفه، (بعضهم يرويه مرسلاً وبعضهم موصولاً)، وقد ذكر له ابن الجوزي في التحقيق أربع طرق، وقد أعلاها ابن عبد الهادي في التنقيح (٢/١٤٢٥) جميعاً، وقال الحافظ في الدراية (١/٢٥٨): «صححه ابن القطان، وقال المنذري: لا علة له، قلت: أبدى له النسائي علة غير قاذحة». اهـ، إلى أن قال: «وروى أحمد وابن أبي شيبة والترمذي من طريق المثنى بن الصباح وابن لهيعة وهما ضعيفان...». اهـ، وانظر: نصب الراية (٢/٣٧٠ - ٣٧١)، =

هذا الحديث أخرجه أبو داود والنسائي من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده. والتحقيق أن رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده - مع ما فيها من الكلام - أنها يصح الاحتجاج بها، وأنها ليست بضعيفة. وقال الترمذي في هذا الحديث: لم يرد من طريق صحيحة^(١) وذكره من طرق كلها ضعيفة، ولم يطلع على رواية حسين المعلم له.

والتحقيق أنه جاء من رواية أقل درجاتها الحسن، فلا شك في الاحتجاج بهذا الحديث من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، وهذا روي أيضاً عن غيرها. وقد أخرج أبو داود في سننه أيضاً عن أم سلمة زوج النبي ﷺ أنها كانت تلبس أوصاحاً من ذهب، فسألت رسول الله فقال: أكنز هو يا رسول الله؟ قال: «ما بلغ أن تؤدى زكاته فأديت زكاته ليس بكنز»^(٢) فهذا يدل على أن الأوصاح التي تزين بها

= وقال في الإرواء (٢٩٦/٣): «وإسناده إلى عمرو عند أبي داود والنسائي وأبي عبيد جيد». اهـ، وانظر: آداب الزفاف ص ٢٥٦، صحيح أبي داود (٢٩١/١)، صحيح النسائي (٥٢٣/٢).

(١) سنن الترمذي (٢٠/٣، ٢١).

(٢) أخرجه أبو داود في الزكاة، باب الكنز ما هو؟ وزكاة الحلبي، حديث رقم: (١٥٤٩)، (٤٢٦/٤)، والدارقطني (١٠٥/٢)، والبيهقي في الكبرى (١٤٠/٤)، وعقبه بقوله: «وهذا يتفرد به ثابت بن عجلان». اهـ، وفي الصغرى (٣٢٥ - ٣٢٦)، والحاكم (٣٩٠/١)، وقال: «صحيح على شرط البخاري». اهـ، ووافقه الذهبي، وأخرجه الطوسي في مستخرجه على الترمذي (٢٢٨/٣) وقال: «هذا حديث حسن». اهـ، وذكره ابن حزم في المحلى (٧٩/٦) وعقبه بقوله: «عتاب مجهول». اهـ، وانظر: تنقيح التحقيق (١٤٢٣، ١٤٢٦)، نصب الراية (٣٧١/٢)، وقد حسن الألباني أحد طرقه في التعليق على المشكاة (٥٦٨/١)، وصحيح أبي داود (٢٩١/١).

من حليها أن فيها الزكاة. ويعتضد هذا بحديث عائشة (رضي الله عنها) أن النبي ﷺ دخل عليها وفي يدها فتحات من فضة — والفتحات: نوع من الخواتم لا فصوص له، وقد يكون في أصابع اليد، وقد يُجعل في أصابع الرجل — فقال: «ما هذه؟» قالت: فقلت: شيء صنعته لأتزين لك به! فقال: «أتؤدين زكاتها؟» قالت: لا، قال: «هو حسبك من النار»^(١).

واستدلوا أيضاً بحديث أسماء بنت يزيد بن السكن قالت: دخلت على رسول الله ﷺ أنا وخالتي، وعلينا أساور من ذهب، فقال: «أتؤديان زكاة هذا؟» فقلنا: لا. فقال: «أديا زكاته، أيسر كما أن تسوّرا بهما سوارين من نار يوم القيامة؟»^(٢). فهذه أربعة من

(١) أخرجه أبو داود في الزكاة، باب الكنز ما هو؟ وزكاة الحلبي، حديث رقم: (١٥٥٠، ١٥٥١)، والدارقطني (١٠٥/٢) وقال: «محمد بن عطاء مجهول». اهـ، والبيهقي في الكبرى (١٣٩/٤ - ١٤٠)، وفي الصغير (٣٢٦/١)، وعقبه بقوله: «وهذا إسناد حسن». اهـ، والحاكم (٣٨٩/١)، وقال: «صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه». اهـ، وابن زنجويه في الأموال (٩٧٣/٣ - ٩٧٤)، وذكره ابن حزم في المحلى (٧٩/٦)، وقال: «يحيى بن أيوب ضعيف». اهـ.

وقال الحافظ في التلخيص (١٧٨/٢): «وإسناده على شرط الصحيح». اهـ، وصححه الألباني في الإرواء (٢٩٧/٣)، صحيح أبي داود (٢٩١/١). وانظر الكلام على الحديث في: تنقيح التحقيق (١٤٢٣/٢، ١٤٢٧)، نصب الراية (٣٧١/٢).

(٢) أخرجه أحمد (٤٦١/٦)، والبيهقي (١٤١/٤)، وقد أعله ابن عبد الهادي في التنقيح (١٤٢٣/٢، ١٤٢٦) بشهر بن حوشب، وعبد الله بن عثمان بن خثيم، وعلي بن عاصم، وقال الحافظ في الدراية (٢٥٩/١): «وفي إسناده مقال». اهـ، وانظر: نصب الراية (٣٧٢/٢).

أصحاب رسول الله يروون عنه وجوب الزكاة في الحلبي: ابن عمرو بن العاص، وأم سلمة، وعائشة، وأسماء بنت يزيد، وعضدوا هذا أيضاً بالقياس. وورد فيه آثار عن الصحابة أيضاً، كان عبد الله بن عمرو بن العاص يأمر خازنه أن يُخرج زكاة حلبي بناته^(١).

واستدلوا بالقياس، قالوا: تجب الزكاة في الذهب والفضة في المصوغ منهما كما جازت في المسكوك والمسبوك، بجامع أن الكل أصله من ذهب وفضة، أصله من عين وجبت فيها الزكاة.

واحتجوا بوضع اللغة، قالوا: إن أصل الحلبي المصوغ أصله يقال له ذهب وفضة، والصنعة لا تُذهب حكم الأصل، ولا تنقل اسمه من كل الوجوه.

هذا حاصل ما احتج به هؤلاء، وما احتج به هؤلاء، ومعلوم أن العقول إذا ازدحمت في مثل هذا وتشابهت الأدلة أن النبي ﷺ ألقى على مثل هذا أنواراً نبوية وأضواء عظيمة من ضوء النبوة تبين المخرج الصحيح منه، وهو قوله ﷺ: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك»^(٢).

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٥٤/٣)، وعبد الرزاق (٨٤/٤)، وأبو عبيد في الأموال ص ٣٩٨، ٤٤٥، والدارقطني (١٠٧/٢)، والبيهقي في الكبرى (١٣٩/٤)، وابن زنجويه في الأموال (٩٧٥/٣)، وانظر: نصب الراية (٣٧٤/٢).

(٢) أخرجه عبد الرزاق (١١٧/٣ - ١١٨)، والطيالسي ص ١٦٣، والدارمي (١٦١/٢)، وأحمد (٢٠٠/١)، والترمذي في أبواب صفة القيامة، باب (٦٠)، حديث رقم: (٢٥١٨)، (٦٦٨/٤)، والنسائي في الأشربة، باب الحث على ترك الشبهات، حديث رقم: (٥٧١١)، (٣٢٧/٨)، والحاكم (١٣/٢)، (٩٩/٤)، وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه». اهـ، وابن حبان (الإحسان ٥٢/٢)، والطبراني (٧٥/٣ - ٧٦)، وأبو نعيم في الحلية (٢٦٤/٨)، =

«فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه»^(١) فلا ينبغي للإنسان إلا أن يزكي حلي امرأته وبناته للخروج من عهدة التكليف؛ لأن من زكاه لقي الله سالماً منه بلا نزاع، ومن [لم يزكه]^(٢) كان في قيل وقال، جماعة يقولون: لا عليك، وجماعة يقولون: إن زكاة الحلي واجب.

ومما يدخل تحت هذه المسألة: زكاة العروض المعدة للبيع والشراء^(٣). أجمع عامة علماء المسلمين على أن عروض التجارة

= وأبو يعلى (١٣٢/١٢)، من حديث الحسن بن علي (رضي الله عنهما)، وصححه الألباني في الإرواء (١٥٥/٧)، غاية المرام ص ١٣٠ - ١٣١، المشكاة (٨٤٥/٢)، صحيح الترمذي (٣٠٩/٢)، ظلال الجنة ص ١٧٩. وللحديث شاهد من حديث واثلة بن الأسقع (رضي الله عنه) عند أبي يعلى (٤٧٦/١٣)، والطبراني (٧٨/٢٢)، وقال في المجمع (٢٩٤/١٠): «وفيه عبيد بن القاسم وهو متروك». اهـ.

ومن حديث أنس (رضي الله عنه) (موقوفاً) عند أحمد (١١٢/٣، ١٥٣). ومن حديث ابن عمر عند الطبراني في الصغير (١٠٢/١) وعقبه بقوله: «تفرد به عبد الله بن أبي رومان». اهـ، قال الألباني في الإرواء (١٥٦/٧) وهو ضعيف، «وبقية رجاله ثقات». اهـ، وذكره الخطيب في التاريخ (٢٢٠/٢)، (٣٨٦/٦)، وأبو نعيم في الحلية (٣٥٢/٦)، وقال الألباني في ضعيف الجامع (٢٩٧٤): موضوع.

(١) أخرجه البخاري في الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، حديث رقم: (٥٢)، (١٢٦/١)، وأخرجه في موضع آخر برقم: (٢٠٥١)، ومسلم في المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، حديث رقم: (١٥٩٩)، (١٢١٩/٣).

(٢) في الأصل: «زكاه»، وهو سبق لسان.

(٣) انظر: المبسوط (١٩٠/٢)، المحلى (١١٤/٦)، المجموع (٤٧/٦)، المغني (٢٤٩/٤ - ٢٦٢)، الموسوعة الفقهية (٢٦٨/٢٣)، الأضواء (٤٥٧/٢).

تجب فيها الزكاة، وأنها تُزكى مثل زكاة العين، تُقَوَّم عند الحول، ما يُشترى منها بالذهب يُقَوَّم بالذهب، وما يُشترى بالفضة يُقَوَّم بالفضة. قال هذا بعض العلماء، ثم يخرج ربع عشرها، وهذا لا نعلم خلافاً فيه إلا شيء يُروى عن داود الظاهري وبعض أتباعه^(١). وأما عامة الصحابة، وفقهاء الأمصار، ومنهم الأئمة الأربعة، وأتباعهم، على وجوب الزكاة في عروض التجارة، واستدلوا لذلك بأدلة منها أحاديث جاءت بذلك عن النبي ﷺ منها: ما أخرجه الحاكم بإسنادين وقال: «كلاهما صحيح على شرط الشيخين» وأخرجه الدارقطني والبيهقي أن النبي ﷺ قال: «في الإبل صدقتها، وفي الغنم صدقتها، وفي البقر صدقتها، وفي البز صدقتها»^(٢) والبز: يشمل جميع ما يلبس وهذه من

(١) انظر: المحلي (١١٤/٦).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٢١٣/٣)، وأحمد (١٧٩/٥)، والترمذي في العلل الكبرى (٣٠٧/١)، وعقبه بقوله: «سألت محمداً عن هذا الحديث فقال: ابن جريج لم يسمع من عمران بن أبي أنس، يقول: حَدَّثْتُ عن عمران بن أبي أنس». اهـ، وابن زنجويه في الأموال (٧٨٣/٢)، والبخاري (٣٤٠/٩)، والبيهقي (١٤٧/٤)، والحاكم (٣٨٨/١)، وقال: «على شرط الشيخين ولم يخرجاه». اهـ، وتعقبه ابن عبد الهادي في التنقيح (١٤٣٨/٢) بقوله: «وفيه نظر». اهـ، وأخرجه الدارقطني (١٠١/٢ - ١٠٢)، (بألفاظ متقاربة).

والحديث ضعفه ابن القطان في بيان الوهم والإيهام (٣٨٨/٢)، (٥٥/٥) — وذكر له الحافظ في التلخيص (١٧٩/٢) أربعة طرق — وهي عند الدارقطني — ضعف — الحافظ — ثلاثة منها وقال عن الرابع: «وهذا إسناد لا بأس به». اهـ.

وقال عن الحديث في الدراية (٢٦٠/١): «وإسناده حسن». اهـ. وانظر في الكلام عليه في: تنقيح التحقيق (١٤٣٦/٢ - ١٤٣٧)، إتحاف المهرة (١٨١/١٤)، نصب الراية (٣٧٦/٢)، أضواء البيان (٤٥٨/٢).

عروض التجارة. وهذا الحديث فيه مناقشات طويلة عريضة معروفة يطول ذكرها. وجميع هذه المسائل قد بينا مناقشات العلماء فيها في الذهب والفضة، والتجارات، والمعادن، والديون في كتابنا أضواء البيان في الكلام على هذه الآية الكريمة من سورة براءة^(١).

والحاصل: أنه جاء عن أبي ذر وعن سمرة بن جندب الفزاري (رضي الله عنه) كلاهما جاء عنه حديث يدل على زكاة عروض التجارة، أما حديث أبي ذر فقد ذكرناه. وأما حديث سمرة بن جندب الذي رواه عنه أبو داود أن النبي ﷺ كان يأمرنا أن نخرج الزكاة مما نعد للبيع^(٢). وفي مناقشات طويلة عريضة، فمن مضعّف

(١) الأضواء (٤٣٤/٢) فما بعدها.

(٢) أخرجه أبو داود في الزكاة، باب العروض إذا كانت للتجارة هل فيها من زكاة؟ حديث رقم: (١٥٤٧)، (٤/٤٢٤)، والدارقطني (١٢٧/٢)، والبيهقي في الكبرى (٤/١٤٦ - ١٤٧)، والصغرى (١/٣٢٧)، والطبراني في الكبير (٧/٢٥٣، ٢٥٧)، وذكره ابن حزم في المحلى (٥/٢٣٤)، وقال: «أما حديث سمرة فساقط؛ لأن جميع رواته ما بين سليمان بن موسى وسمرة (رضي الله عنه) مجهولون لا يُعرف من هم». اهـ، وقال الهيثمي في المجمع (٣/٦٩): «في إسناده ضعف». اهـ، وقال الذهبي في الميزان (١/٤٠٨) عن سلسلة هذا الإسناد: «وبكل حال هذا إسناد مظلم لا ينهض بحكم». اهـ.

وقال ابن عبد الهادي في التنقيح (٢/١٤٣٥): «انفرد أبو داود بإخراج هذا الحديث وإسناده حسن غريب». اهـ، والحديث سكت عنه أبو داود والمنذري، وحسنه ابن عبد البر، وضعفه الحافظ في التلخيص (٢/١٧٩)، والدراية (١/٢٦٠)، والألباني في التعليق على المشكاة (١/٥٦٨)، ضعيف أبي داود ص ١٥٤.

وانظر: بيان الوهم والإيهام (٥/١٣٩)، إتحاف المهرة (٦/٣٠)، تنقيح التحقيق (٢/١٤٣٥)، التعليق المغني على الدارقطني (٢/١٢٧ - ١٢٨)، أضواء البيان =

ومصحح، وجماعة صححوا حديث الحاكم، وصححه الحاكم، وانتصر كثير لتصحيحه، ولا شك أنه معتضد بإجماع المسلمين في عهد الصحابة فمن بعدهم على أن عروض التجارة تجب فيها الزكاة. وقد ثبت عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أنه أخذ زكاة الجلود من حمّاس، فعن أبي عمرو بن حمّاس أن أباه مرّ بعمر بن الخطاب يحمل جلوداً فقال: هل أديت زكاة هذا؟ — في جلود يتّجر بها — فقال: لا، قال: هذا مال، فحسبوه فوجدوا الزكاة قد وجبت فيه، فأخذ منه زكاة الجلود^(١). فهذا ثابت عن عمر بن الخطاب ولم يخالفه أحد من الصحابة فالتحقيق الذي لا شك فيه وجوب الزكاة في عروض التجارة.

أما زكاة الديون، وهل تمنع الديون الزكاة من المال أو لا^(٢)؟ فليس في ذلك شيء عن النبي ﷺ؛ لأنه لم يرد عن رسول الله شيء في زكاة الدين، ولا هل هو مسقط للزكاة أو لا؟ والعلماء مختلفون فيه، فاختلفوا في زكاة الدين، فكان مالك بن أنس — رحمه الله —

= (٤٥٩/٢ — ٤٦٠).

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (١٨٣/٣)، والشافعي (شفاء العي بتخريج وتحقيق مسند الشافعي (٤١٤/١)، وفي الأم (٤٦/٢)، وأبو عبيد في الأموال ص ٣٨٤، وعبد الرزاق (٩٦/٤)، والبيهقي (٣٢٧/١)، وابن زنجويه في الأموال (٩٤١/٣ — ٩٤٢)، وذكره ابن حزم في المحلى (٢٣٤/٥ — ٢٣٥)، وقال: «وأما حديث عمر فلا يصح؛ لأنه عن أبي عمرو بن حمّاس عن أبيه، وهما مجهولان». اهـ، وانظر: تلخيص الحبير (١٨٠/٢).

(٢) انظر: المبسوط (١٩٤/٢)، المحلى (١٠٣/٦)، المجموع (٢٠/٦)، المغني (٢٦٩/٤)، الموسوعة الفقهية (٢٣٨/٢٣).

يرى على التاجر المدير^(١) أن يزكي دينه، يزكي الحالّ منه على الموسرين بالعدد، والمؤجل يزكيه بالقيمة؛ لأنه يزكي الدين مع عروض التجارة. وإذا كان الدين على حال مليء موسر مقر وعليه بينة فمالك يقول: إن مثل هذا كمثل الشيء الذي في صندوقه؛ لأن القدرة على التحصيل حصول، فيزكيه بالعدد، وهذا مذهب الشافعي. وقال آخرون: لا يزكيه إلا إذا قبضه. في تشايع وأقوال معروفة.

وهل يُسقط الدينُ الزكاة أو لا^(٢)؟ لا نص فيه عن رسول الله ﷺ، والعلماء مختلفون فيه، وأقوالهم مع كثرتها متشابهة ترجع إلى ثلاثة مذاهب: — قوم قالوا: إن الدين لا يسقط شيئاً من الزكاة، وقوم قالوا: يسقطها كلها. وقوم فرقوا بين الأموال الظاهرة والباطنة، قالوا: يُسقط الدين الزكاة في الأموال الباطنة. والأموال الباطنة: هي الذهب، والفضة، وعروض التجارة، فهذه يسقطها الدين. والأموال الظاهرة: هي المواشي، والثمار، والحبوب، والمعادن، قالوا: زكاة هذه لا يسقطها الدين؛ لأنها ظاهرة، والزكاة واجبة في عينها في أقوال معروفة.

ومن المسائل التي اختلفوا فيها: زكاة المعادن^(٣)، وقدر

(١) قال في الأضواء (٢/٤٥٧): «فالمدير: هو الذي يبيع ويشترى دائماً، والمحتكر: هو الذي يشتري السلع ويتربص بها حتى يرتفع سعرها، وإن لم يرتفع سعرها لم يبيعها ولو مكثت سنين». اهـ.

(٢) انظر: المبسوط (٢/١٩٧)، المحلى (٦/٩٩، ١٠١)، المغني (٤/٢٦٣)، الموسوعة الفقهية (٢٣/٢٤٥)، أضواء البيان (٢/٤٦٢).

(٣) انظر: المحلى (٦/١٠٨)، المجموع (٦/٧٥)، القرطبي (٣/٣٢٣ - ٣٢٤)، =

الواجب فيها، فذهب مالك والشافعي أنه: لا يجب في زكاة المعادن إلا في معدن الذهب والفضة خاصة؛ لأن الذهب والفضة من الذين فيهما الزكاة، وجمهور العلماء منهم مالك والشافعي وأحمد على أن زكاة المعدن ربع العشر، وفي مذهب مالك والشافعي: أن المعدن إذا كان معدن ذهب أو فضة كل ما يخرج منه من ذهب وفضة أُدِيت منه زكاته حالاً ولم يُنتظر به الحول، وهي ربع العشر، ولا زكاة عندهما في معدن إلا إذا كان ذهباً أو فضة. وكان الإمام أحمد بن حنبل (رحمه الله) يقول: تجب الزكاة في جميع المعادن، سواء كانت من الذهب والفضة، أو من الحديد، والنحاس، والرصاص، أو الزجاج، والزرنيخ، وسائر المعادن، حتى المعادن السائلة كالقار، والنفط، فإنها تجب فيها الزكاة عنده، فزكاتها عنده ربع العشر.

أما الإمام أبو حنيفة (رحمه الله) فإن الواجب عنده من المعادن الخمس؛ لأنه يرى الخمس من الركاز، وقد جاء في ذلك حديث أنه ﷺ سئل عن الركاز؟ / وأنه قال: «الذهب والفضة المخلوقان في الأرض يوم خلق الله السماوات والأرض»^(١)، وهذا الحديث لا يصح.

= المغني (٢٣٨/٤)، الموسوعة الفقهية (١٩٧/٣٨)، أضواء البيان (٤٦٦/٢).

(١) أصل الحديث (وهو قوله ﷺ: «في الركاز الخمس») متفق عليه، والزيادة المذكورة عند البيهقي في الكبرى (١٥٢/٤)، وعقبه بقوله: «تفرد به عبد الله بن سعيد المقبري وهو ضعيف جداً جرحه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وجماعة من أئمة الحديث، وقال الشافعي: في رواية أبي عبد الرحمن الشافعي البغدادي عنه: قد روى أبو سلمة وسعيد وابن سيرين ومحمد بن زياد وغيرهم عن أبي هريرة حديثه عن النبي ﷺ: «في الركاز الخمس» ولم يذكر أحد منهم شيئاً من الذي ذكر المقبري في حديثه، والذي روى ذلك شيخ ضعيف إنما رواه =

ولا تجب الزكاة في المعادن عند أبي حنيفة إلا فيما ينطبع منها كالذهب، والفضة، والحديد، والنحاس، والرصاص، وما جرى مجرى ذلك. ومن ذلك قول له وجه من النظر قالت به جماعات من العلماء: أن المعدن إذا كان في استخراجِه كلفة ونفقات أن زكاته ربع العشر، وإذا كان يخرج بلا كلفة ولا مشقة أن زكاته الخمس.

وأجمع المسلمون على أن الركاز فيه الخمس^(١)، واشترط الشافعي أن يكون الركاز من ذهب أو فضة، وعامة العلماء على خلافه، والركاز عند غير أبي حنيفة: دفن جاهلي، وعند أبي حنيفة يشمل جميع المعادن. هذه أقوال العلماء ذكرناها مختصرة، وقد أوضحناها في كتابنا الذي أشرنا إليه.

= عبد الله بن سعيد المقبري، وعبد الله قد اتقى الناس حديثه فلا يُجعل خبر رجل قد اتقى الناس حديثه حجة». اهـ، وأخرجه أبو يعلى (٦٦٠٩) بنحوه، وذكره الهيثمي في المجمع (٧٨/٣)، وقال: «فيه عبد الله بن سعيد بن أبي سعيد وهو ضعيف». اهـ، وذكره ابن عدي في الكامل (٨٣٣/٢)، وقال: «هذا الحديث أخطأ إبراهيم بن راشد على الدولابي... والبلاء في هذا الحديث من إبراهيم بن راشد لا من الدولابي ولا من ابن حبان». اهـ، وذكره ابن الجوزي في العلل المتناهية (٩/٢)، بلفظ أبي يعلى وقال: «قال الدارقطني: هذا وهم؛ لأن هذا ليس من حديث الأعمش ولا من حديث أبي صالح، إنما يرويه رجل مجهول عن آخر عن أبي هريرة». اهـ، وانظر: تلخيص الحبير (١٨٢/٢)، نصب الراية (٣٨٠/٢).

(١) انظر: المجموع (٧٥/٦)، القرطبي (٣/٣٢٢ - ٣٢٤)، المغني (٤/٢٣١ - ٢٣٨)، الموسوعة الفقهية (٩٨/٢٣)، أضواء البيان (٤٦٩/٢).

(...) (١) بهمزة محققة، وقرأه ورش وحده عن نافع: ﴿إنما النسي زيادة في الكفر﴾ [التوبة: آية ٣٧] بياء مشددة، وما زعمه بعضهم - وقال به ابن جرير - من أن قراءة ورش هذه عن نافع غلط (٢). خلاف التحقيق، بل هي قراءة سبعية صحيحة لا كلام فيها، قرأ بها ورش عن نافع ﴿إنما النسي زيادة في الكفر﴾ أبدلت الهمزة ياء، ثم أدغمت الياء في الياء كما يقرأ بعض القراء: ﴿النبي﴾ بالهمزة وبعضهم يقرأ ﴿النبي﴾ (٣) بتشديد الياء (٤).

وقرأ قوله: ﴿يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قرأه نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وشعبة عن عاصم: ﴿يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بفتح الياء وكسر الضاد، مضارع (ضَلَّ يُضِلُّ) مجرداً لازماً، وقرأه حمزة والكسائي وحفص عن عاصم: ﴿يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بضم

(١) ذهب جزء من التسجيل في هذا الموضع، ويمكن أن نستدرك بعض النقص فننقل القراءات الواردة في ﴿النسي﴾ عن كتاب «السبعة» لابن مجاهد ص ٣١٤، حيث يقول: «اتفقوا على همز ﴿النسي﴾ ومده وكسر سينه، إلا ما حدثني به محمد بن أحمد بن واصل، عن محمد بن سعدان، عن عبيد بن عقيل، عن شبل، عن ابن كثير أنه قرأ: ﴿إنما النسي زيادة﴾ في وزن (النسغ)، وحدثني ابن أبي خيثمة، وإدريس، عن خلف، عن عبيد، عن شبل، عن ابن كثير أنه قرأ: ﴿إنما النسي﴾ مشددة الياء غير مهموزة، وقد روي عن ابن كثير: ﴿النسي﴾ بفتح النون وسكون السين وضم الياء مخففة، والذي قرأت به على قنبل: ﴿النسي﴾ بالمد والهمز مثل أبي عمرو، والذي عليه الناس بمكة: ﴿النسي﴾ ممدودة. اهـ.

(٢) تفسير ابن جرير (١٤/ ٢٤٤).

(٣) تقدمت عند تفسير الآية (١١٢) من سورة الأنعام.

(٤) انظر: البحر المحيط (٥/ ٣٩)، الدر المصون (٦/ ٤٦).

الياء وفتح الضاد مبنياً للمفعول^(١).

أما قراءة ﴿يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ و ﴿يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فليستا سبعيتين^(٢).

وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو: ﴿زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ﴾ بإبدال الهمزة الثانية واواً. وقرأه غيرهم من السبعة: ﴿سُوءُ أَعْمَالِهِمْ﴾ بتحقيق الهمزة الثانية^(٣). هذه هي القراءات السبعية في الآية.

وسبب نزول هذه الآية الكريمة هو ما أشرنا إليه بالأمس أن الكفار كانوا يتلاعبون في الأشهر الحرم^(٤)، وبعضهم يقول: في أشهر الحج، فيحرمون منها ما لم يحرمه الله، ويحلون ما لم يحلله الله^(٥). فبيّن (جلّ وعلا) في هذه الآية أن ذلك كفر على كفر، أنه كفر ازدادوا به كفراً على كفرهم الأول.

والعلماء مختلفون في أول من سنّ هذه السنة السيئة الخبيثة، وهي سنة النسيء. فكان بعض العلماء يقول: أول من أحدثه الملعون عمرو بن لحي بن قمعة بن إلياس بن مضر، وهو الخبيث الذي هو أول من جاء بالأصنام إلى جزيرة العرب، وهو أول من بحر البحائر فيها، وسيب السوائب، وغير معالم دين إبراهيم التي كانت في جزيرة

(١) انظر: السبعة ص ٣١٤.

(٢) انظر: المحتسب (١/٢٨٨ - ٢٨٩).

(٣) انظر: الإتحاف (٢/٩١).

(٤) كما أخرج ذلك ابن جرير (١٤/٢٤٥)، من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) أخرج ذلك ابن جرير (١٤/٢٤٨) عن مجاهد.

العرب عليه لعائن الله^(١).

وأكثر المؤرخين يقولون: إن أول من سنّ هذه السنّة القبيحة قوم من بطن من بني كنانة يسمى بني فقيم، وهم من أولاد مالك بن كنانة، يزعم العرب أنهم كانوا متمسكين بدين إبراهيم، وكانوا يشرعون لهم ما شاؤوا، ويتبعونهم فيما شاؤوا، يقال: إن أول من فعل ذلك منهم رجل يسمى نعيم بن ثعلبة^(٢).

والذي قاله غير واحد من المؤرخين وأوضحه ابن إسحاق في سيرته أن أول من فعل هذا منهم رجل يُسمى القَلَمَس. والدليل على ذلك موجود في أشعارهم. واسم القَلَمَس هذا حذيفة بن عبيد بن فقيم، وبنو فقيم بطن من بني مالك بن كنانة. كان هذا الرجل الذي هو حذيفة المعروف بالقَلَمَس يقول لهم: سأؤخر عنكم تحريم المحرّم وأنسوّه إلى صفر، فذهبوا فقاتلوا في المحرّم فإني حولت حرمة إلى صفر. فهم يتبعونه، ثم لما مات القَلَمَس قام بهذا الأمر بعده ابنه عباد بن القَلَمَس، فكان يحل لهم هذا التحليل وهذا التحريم، ثم لما مات عباد قام به بعده ابنه قَلْعُ بن عباد، ثم لما مات قام به بعده ابنه أمية بن قَلْع بن عباد، ثم لما مات قام به بعده ابنه عوف بن أمية، ثم لما مات قام به بعده ابنه جنادة بن عوف المعروف بأبي ثمامة، كنيته ككنية مسيلمة الكذاب، وهو الذي قام عليه الإسلام وهو بهذه السنّة السيئة الخبيثة. كانوا إذا انتهت أيام حجهم وانقضت أيام منى ذهبوا إلى هذا الرجل الذي هو أبو ثمامة جنادة بن عوف بن أمية الكناني فيقول: أنا الذي لا يُعاب ولا يُجاب،

(١) انظر: القرطبي (٨/١٣٨).

(٢) السابق.

ولا مرد لما أقول، أَخَرْتُ عَنْكُمْ تَحْرِيمَ الْمَحْرَمِ إِلَى صَفَرٍ^(١).
فَيَتَّبِعُونَهُ، فَجَاءَ الْإِسْلَامُ بِتَغْيِيرِ هَذَا وَرَدَّ كُلَّ شَيْءٍ إِلَى مَحَلِّهِ.

وقد ذكرنا بالأَمْسُ أَنَّ الْعُلَمَاءَ اخْتَلَفُوا فِي الْأَشْهُرِ الْحَرَمِ هَلْ حُرِّمَتْهَا بَاقِيَةٌ إِلَى الْآنَ؟ وَيَكُونُ مِنْ نِسَاءِ النِّسْيِ الْآنَ اِزْدَادَ كُفْرًا وَفَعَلَ كُفْرًا. أَوْ هِيَ مَنْسُوخَةٌ وَلَا تَحْرِيمَ فِي الْأَشْهُرِ الْحَرَمِ، وَأَنَّ قِتَالَ الْعَدُوِّ يَجُوزُ فِي جَمِيعِ الْأَشْهُرِ^(٢)؟ وَذَكَرْنَا بِالْأَمْسِ أَنَّ الْمَشْهُورَ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ الَّذِي عَلَيْهِ الْأَكْثَرُ أَنَّهُ قَدْ نُسخَ تَحْرِيمُ الْأَشْهُرِ الْحَرَمِ، وَاسْتَدَلُّوا عَلَى ذَلِكَ بِظَوَاهِرِ آيَاتٍ لَيْسَتْ صَرِيحَةً فِي ذَلِكَ، وَمَنْ أَصْرَحَ مَا اسْتَدَلُّوا بِهِ هُوَ مَا ذَكَرْنَا مِنْ أَنَّهُ ثَبِتَ فِي الصَّحِيحِينَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ حَاصِرٌ ثَقِيفًا فِي غَزْوَةِ الطَّائِفِ بَعْضًا مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ^(٣). وَهَذَا ثَابِتٌ فِي الصَّحِيحِينَ ثُبُوتًا لَا مَطْعَنَ فِيهِ. قَالُوا: لَوْ لَمْ تَنْسَخْ لَمَّا حَاصِرَ النَّبِيَّ ﷺ ثَقِيفًا فِي ذِي الْقَعْدَةِ وَهُوَ شَهْرٌ حَرَامٌ. وَقَدْ ذَكَرْنَا بِالْأَمْسِ أَنَّ الَّذِي كَانَ يَظْهَرُ لَنَا وَنَنْصُرُهُ أَنَّ تَحْرِيمَ الْأَشْهُرِ الْحَرَمِ قَدْ نُسخَ، وَأَنَّ الَّذِي تَحَقَّقْنَاهُ بَعْدَ ذَلِكَ وَصَرْنَا نَجْزِمُ بِهِ أَنَّهَا بَاقِيَةٌ التَّحْرِيمِ إِلَى الْآنَ، وَلَمْ يُنْسخَ تَحْرِيمُهَا، كَمَا كَانَ يَقْسِمُ عَلَيْهِ عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ (رَحِمَهُ اللَّهُ)، كَانَ يَحْلِفُ أَنَّ حُرْمَتَهَا بَاقِيَةٌ^(٤). وَمَنْ أَصْرَحَ الْأَدْلَةُ فِي ذَلِكَ هُوَ الْحَدِيثُ الَّذِي أَشْرْنَا إِلَيْهِ أَمْسٌ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَطَبَ بِهِ يَوْمَ النَّحْرِ فِي حُجَّةِ

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ جُرَيْرٍ مِنْ طَرِيقِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ (٢٤٥/١٤)، وَذَكَرَهُ ابْنُ هِشَامٍ فِي السِّيرَةِ ص ٥٦.

(٢) مَضَى عِنْدَ تَفْسِيرِ الْآيَةِ (٥) مِنْ سُورَةِ التَّوْبَةِ.

(٣) السَّابِقُ.

(٤) أَخْرَجَهُ أَبُو عُبَيْدٍ فِي النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ ص ٢٠٧، وَالنَّحَّاسُ فِي النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ (٥٣٥/١)، وَابْنُ جُرَيْرٍ (٣١٤/٤).

الوداع عام عشر، ولم يعش بعد ذلك إلا نحو ثمانين يوماً، وقد صرح فيه بأن ذلك الشهر حرام، وذلك اليوم حرام، وذلك البلد حرام^(١)، ولم يأت بعد ذلك شيء ينسخ هذا التحريم الثابت عنه (صلوات الله وسلامه عليه).

وهذه الآية الكريمة قبل أن نشرع في تفسيرها نشير إلى أن فيها حكماً يجب على كل مسلم أن يعتبر به وينظره؛ لأن هؤلاء القوم كفار، كانوا يسجدون للأصنام، فلما أحلّ لهم رجل شيئاً حرّمه الله، وحرّم عليهم شيئاً أحلّه الله، وهم يعلمون أن الله حرّم تلك الأشهر الحرم، ولا يشكون في ذلك، وأن هذا الرجل الكناني أحلّ لهم ما حرّمه الله، وحرّم عليهم ما أحلّه الله، فاتبعوا تحريم هذا الإنسان، فصّرح الله بأن هذا كفر جديد ازدادوه إلى كفرهم الأول. فهذه الآية الكريمة من سورة براءة من أصرح النصوص القرآنية في أن كل من اتبع نظاماً غير نظام الله، وتشريعاً غير تشريع الله، وقانوناً غير قانون الله، أنه كافر بالله، إن كان يزعم الإيمان فقد كفر، وإن كان كافراً فقد ازداد كفرًا جديدًا إلى كفره الأول. والآيات الدالة على هذا المعنى لا تكاد تحصيها بهذا المصحف الكريم، الذي هو أعظم كتاب أنزله الله من السماء إلى الأرض، وهو آخر كتاب أنزله الله على أكرم نبي، وآخر نبي جمع فيه له علوم الأولين والآخرين. وسنذكر لكم طرفاً من ذلك كما ذكرناه قبل هذا مراراً^(٢) نبين به أن الحلال هو ما أحلّه الله، والحرام هو ما حرّمه الله، والدين هو ما شرعه الله، وأن كل من اتبع نظاماً وتشريعاً وقانوناً — ولو سماه ما سماه — غير ما أنزله الله

(١) مضى عند تفسير الآية (٥) من هذه السورة.

(٢) مضى عند تفسير الآية (٥٧) من سورة الأنعام.

في وحيه على نبيه ﷺ أنه كافر بذلك، فإن كان كافراً قبله ازداد كفراً جديداً إلى كفره الأول، وإن كان يزعم الإيمان فقد جاء بما يكفر به. ومن أصرح الأدلة في هذا: المناظرة العظيمة المشهورة التي وقعت بين الكفار والمسلمين في حكم من أحكام الحلال والحرام، فالمسلمون يقولون: إن هذا الأمر حرام. ويستدلون بنص من نصوص الوحي. وحزب الشيطان وتلامذته وأتباعه يقولون: إن هذا الحكم حلال. ويستدلون على ذلك بفلسفة من وحي الشيطان. ويأتي كل منهم بدليله، فلما تحاجوا وتخاصموا وحصل الجدل بينهم في ذلك أفتى الله تعالى بنفسه فتوى سماوية تُلَى علينا قرآناً في سورة الأنعام، وإيضاح هذا: أن الشيطان — لعنه الله — جاء كفار قريش وقال لهم: سلوا محمداً ﷺ عن الشاة تصبح ميتة، من هو الذي قتلها؟ فأجابهم: الله قتلها. فقالوا: إذن ما ذبحتموه بأيديكم حلال، وما ذبحه الله بيده الكريمة بسكين من ذهب تقولون: هو حرام، فأنتم إذن أحسن من الله!! فأنزل الله في ذلك بإجماع العلماء في سورة الأنعام هذه الفتوى السماوية بعد أن بين الله خصام المتخاصمين فيها فقال: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ الميتة. وإن زعم حزب الشيطان أنها ذبيحة الله، وأن ما قتله الله أحلّ مما قتله الناس. ثم قال: ﴿وَإِنَّهُ لَفَسَقٌ﴾ الضمير في قوله: ﴿إِنَّهُ﴾ راجع إلى المصدر الكامن في جوف الفعل الصناعي في قوله: ﴿تَأْكُلُوا﴾ أي: وإنه أي: الأكل من الميتة ﴿لَفَسَقٌ﴾ أي: خروج عن طاعة الله، وإن زعم حزب الشيطان أنها ذبيحة الله، وأن ما قتله الله أحلّ وأطهر مما قتله الناس. ثم قال: ﴿وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَيُوحُونَ إِلَيْكَ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَدِّدُواكُمْ﴾ ﴿لَيُوحُونَ إِلَيْكَ أَوْلِيَائِهِمْ﴾ وحي الشيطان ﴿لِيُجَدِّدُواكُمْ﴾ بالوحي

الشيطاني، وهو قولهم: ما ذبحتموه حلال، وما قتله الله حرام، فأنتم إذا أحسن من الله!! ثم أفتى الله الفتوى السماوية التي تتردد في آذان الخلق مساءً وصباحاً بقوله: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [١٢١] [الأنعام: آية ١٢١] وإن أطعتم أتباع الشيطان في تحليل ما حرّمه الله ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ بالله شركاً أكبر، كما قال في هؤلاء ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ [التوبة: آية ٣٧] وهذا الشرك شرك أكبر مخرج عن الملة؛ لأنه شرك طاعة، وشرك الطاعة شرك في الحكم، والشرك في الحكم كالشرك في العبادة لا فرق بينهما البتة؛ لأن الله هو الملك الجبار العظيم الأعظم لا يرضى أن يكون معه شريك في عبادته ولا أن يكون معه شريك في حكمه سبحانه (جلّ وعلا) أن يكون له شريك في عبادته أو شريك في حكمه، وقد بيّن هذين الأمرين في سورة واحدة من كتابه وهي سورة الكهف، فقال في الإِشراك به في عبادته: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: آية ١١٠] وقال في الإِشراك به في حكمه: ﴿لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصَرَ بِهِ، وَأَسْمِعَ مَا لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ، مَنْ وَلِيَ وَلَا يُشْرِكْ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: آية ٢٦] فمن اتخذ تشريعاً غير تشريع الله، واتبع نظاماً غير نظام الله، وقانوناً غير ما شرعه الله — سواءً سماه نظاماً أو دستوراً، أو سماه ما سماه — هو كافر بالله؛ لأنه يقدم ما شرعه الشيطان على السنة أوليائه مما جُمع من زبالات أذهان الكفرة على نور السماء الذي أنزله الله (جلّ وعلا) على رسله ليُستضاء به في أرضه، وتنشر به عدالته وطمأنينته ورخاؤه في الأرض.

وهذا مما لا نزاع فيه، وهذا الشرك الذي هو شرك اتباع، اتباع

قانونٍ ونظامٍ وتشريع هو الذي يوبخ الله مرتكبه يوم القيامة على رؤوس الأشهاد في سورة يس في قوله تعالى: ﴿لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ...﴾ [يس: آية ٦٠] ما عبدوا الشيطان بأن سجدوا للشيطان، ولا ركعوا للشيطان، ولا صاموا له، ولا صلوا، وإنما عبادتهم للشيطان هي اتباع ما سنّ لهم من النظم والقوانين من الكفر بالله ومعاصي الله. ثم قال: ﴿وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [٦١] وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِثْلًا كَثِيرًا [يس: الآيتان ٦١، ٦٢] أي: خلائق كثيرة لا تحصى.

ثم وبخ عقولهم فقال: ﴿أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾ [يس: آية ٦٢] ثم ذكر المصير النهائي للذي كان يتبع نظام إبليس، وقانون الشيطان في دار الدنيا ذكر مصيره النهائي في قوله: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [٦٣] أَصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ [٦٤] الآيات [يس: الآيتان ٦٣، ٦٤]. وهذا هو معنى قول إبراهيم: ﴿يَتَأْتِيَ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ﴾ [مريم: آية ٤٤] أي: لا تتبع ما شرع لك الشيطان وسنه من الكفر بالله، ومعاصي الله، وهو معنى قوله: ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا لِنُؤْتِيَهُمْ وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا﴾ [النساء: آية ١١٧] أي: ما يدعون إلا الشيطان، وهو دعاء عبادة باتباع نظامه وتشريعه. وهو أصح الوجهين في قوله (جلّ وعلا) في الملائكة: ﴿أَهْوَلَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ [سبأ: آية ٤٠] لأن الملائكة قالوا: ﴿بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْحِجْنَ﴾ [سبأ: آية ٤١] أي: يتبعون الشياطين ويعبدونهم باقتفاء ما يسنون لهم من القوانين والنظم، وهذا أمرٌ لا نزاع فيه، فكل من يتبع نظام أحد وتشريع أحد وقانونه فهو متخذه رباً؛ ولذا جاء في الحديث المشهور عن عدي بن حاتم (رضي الله عنه) أنه لما جاء النبي ﷺ وكان في

عَنْقِ عَدِي صَلِيبٍ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ: «يَا عَدِي أَلْقِ هَذَا الْوِثْنَ مِنْ عُنُقِكَ»
 وَصَادَفَهُ يَقْرَأُ سُورَةَ بَرَاءَةِ هَذِهِ، سَمِعَهُ يَقُولُ: ﴿أَتُخَذُوا أَحْبَارَهُمْ
 وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: آية ٣١] وَكَانَ عَدِي نَصْرَانِيًّا
 فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَقَالَ: مَا كُنَّا نَتَّخِذُهُمْ أَرْبَابًا. فَأَجَابَهُ النَّبِيُّ بِمَا مَعْنَاهُ:
 أَلَمْ يَحْلُوا لَكُمْ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَيَحْرَمُوا عَلَيْكُمْ مَا أَحَلَّ اللَّهُ فَتَتَّبِعُوهُمْ؟
 قَالَ: بَلَى. قَالَ: تِلْكَ عِبَادَتُهُمْ، وَبِذَلِكَ اتَّخَذْتُمُوهُمْ أَرْبَابًا^(١).

فهذه الآيات الكريمة تدل على أن كل من يتبع نظاماً غير نظام
 الله وإن سماه قانوناً أو دستوراً أو سماه ما سماه فهو كافرٌ بالله، ولو
 كان كافراً قبل ذلك وارتكب شيئاً يعلم أن الله حرّمه فحلّل ما يعلم أن
 الله حرّمه، أو حرّم ما يعلم أن الله حلّله، فإنه ولو كان كافراً قبل هذا
 يزداد بذلك كفراً جديداً إلى كفره الأول، كما قال هنا: ﴿إِنَّمَا السَّيِّئُ
 زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ [التوبة: آية ٣٧] وهذا معروف لا نزاع فيه بين
 العلماء، فالحلّال هو ما أحلّه الله، والحرام هو ما حرّمه الله، والدين
 هو ما شرعه الله، ولا تشريع إلا لله؛ لأن التشريع والأمر والنهي
 لا يكون إلا للسلطة التي ليس فوقها شيء، والله (جلّ وعلا) هو خالق
 هذا الخلق، وخالق النعم التي أنعم بها عليه، فهو الملك فلا يرضى
 أن يأمر فيه غيره وينهى، بل الأمر له وحده، والنهي له وحده،
 والتشريع له وحده، فكل مشروع دونه ضال، وكل متبع تشريعاً غير
 تشريعه فهو كافر به — جلّ وعلا — وقد بيّن الله (جلّ وعلا) في آيات
 كثيرة هذا المعنى، فكان قوم في زمن النبي ﷺ أرادوا أن يتحاكموا
 إلى غير شرع الله، وادّعوا أنهم مؤمنون فعجّب الله نبيه من كذب
 دعواهم، وأن دعواهم الإيمان لا تصحّ بوجه من الوجوه مع إرادتهم

(١) مضى عند تفسير الآية (٥٧) من سورة الأنعام.

التحاكم لغير الله، وذلك في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِءَ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠] فعجبه من دعواهم الإيمان وهم يريدون التحاكم إلى غير ما شرعه الله، وهذا لا يخفى، وأقسم الله (جل وعلا) في آية من كتابه أنه لا يؤمن أحدٌ حتى يكون متبعاً في قرارة نفسه لما جاء به سيّد الرسل محمد (صلوات الله وسلامه عليه) وذلك بقوله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥] هذا قسم من الله أقسم به ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ فما ظنكم بالذين يحكمون فيما شجر بينهم قانون نابليون وما جرى بعده من زبالات أذهان الكفرة؟ ألا ترون أن الله أقسم في هذه الآية من سورة النساء أنهم لا يؤمنون؟ ومن أصدق من الله قِيلاً ومن أصدق من الله حديثاً؟ فعلى كل مسلم أن يعلم أن الحاكم هو الله، وأن الحكم لله وحده، وأنه لا يُحلّ إلا الله، ولا يُحرّم إلا الله، فلا حلال إلا ما أحلّه الله، ولا حرام إلا ما حرّمه الله على لسان رسوله ﷺ، ولا دين إلا ما شرعه الله. فما عمّت به البلوى من انصراف جلّ من في المعمورة عن نور السماء الذي أنزله الله على سيّد خلقه وأعظم رسله، موضحاً له في أعظم كتاب أنزله من سمائه إلى أرضه، منصرفين عن هذا مع وضوح أدلته وقيام براهينه وصيانيته لمقومات الناس؛ لأن القرآن العظيم والستّة النبوية المبينة له جاء فيهما غاية الحفاظ على جميع مقومات الإنسان في دار الدنيا والآخرة، ولا سيّما الجواهر الستة التي يدور عليها نظام العالم في الدنيا ونظام العدالة

والجور فيه، وهذه الأمور الستة لا يوجد شيء أشد محافظة عليها مما جاء به سيد الخلق محمد (صلوات الله وسلامه عليه)، ونعني بهذه الستة التي أشرنا إليها: المحافظة على الدين السماوي الذي هو الصلة بين السماء والأرض وبين الله وخلقه، ثم المحافظة على الأنفس من القتل والإزهاق، ثم المحافظة على الأنساب من الضياع والاختلاط وتقدير الفرش، ثم المحافظة على العقول من الضياع؛ لأن العقول إذا ضاعت صار المجتمع حيوانات يضرب بعضه بعضاً، ثم المحافظة على الأموال، ثم المحافظة على الأعراض. فدين الإسلام جاء بأعظم حياطة وصيانة للدين، وحياطة وصيانة للنفس، وحياطة وصيانة للعقل، وحياطة وصيانة للنسب، وحياطة وصيانة للمال، وحياطة وصيانة للعرض، وستأتي هذه الأشياء في هذه الدروس كُلُّ في محله، وقد قدمنا ما جاء منها.

فهذا دين الإسلام الذي بيّن الله فيه كل شيء، وحافظ فيه على جميع المقومات، وأعطى فيه الأجسام حقوقها، والأرواح حقوقها، وأرشد الإنسان إلى عمل مزدوج يقوم به الإنسان معاوناً جسمه روحه، وروحه جسمه؛ لأن من أخلّ بناحية الجسم أهمل، ومن أخلّ بناحية الروح فهو أضيع وأضيع. فعلينا جميعاً أن نعلم أنه لا بدّ من اتباع شرع الله ودين الله، وأن من طلب تشريعاً وتحليلاً وتحريماً في غير ما شرعه الله فهو ليس على دين الإسلام، أحرى أن يكون من المؤمنين الذين يقولون: إن الله ينصرهم وأنه معهم وهم أعداؤه، وقد بيّن الله في القرآن أن الذي له التحريم والتحليل، والأمر والنهي لا يكون إلا له صفات ليست كصفات خلقه، بل صفاته مميزة عظيمة لائقة به دالة على أنه هو الذي يأمر وينهى ويحلل ويحرّم، كقوله

تعالى: ﴿وَمَا أَخْلَقْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ وكأنه قال: أتريدون أن تعرفوا صفات من يكون له الحكم في الأشياء ولا يُصدَر في حكم إلا عنه ما هي؟ ثم بيّنها في قوله: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [الشورى: آية ١٠] ثم بيّن صفات من له الحكم ﴿وَمَا أَخْلَقْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [الشورى: آية ١٠] فاطر السموات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ومن الأنعام أزواجاً يذكركم فيه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الشورى: الآيات ١٠ - ١٢] هذه صفات من له الحكم، أما الكفرة الفجرة الخنازير أبناء الكلاب فليس لهم أن يحكموا في بلاد الله، ولا في عباد الله، ويحرموا ما شاؤوا ويحللوا ما شاؤوا، فمتبعهم هو أعمى الناس بصيرة وأضلهم سبيلاً.

خفافيش أعماها النهار بضوئه فوافقها قطع من الليل مظلم^(١)

والله (جلّ وعلا) يقول: ﴿وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ [غافر: آية ١٢] الذي له الحكم هو العلي الكبير الذي علّوه وعظمته فوق كل شيء، وهو أعظم من كل شيء، وأكبر من كل شيء. ويقول (جلّ وعلا): ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: آية ٨٨] فلا يكون الحكم إلا لمن لا يهلك، ولمن كل شيء هالك إلا وجهه، هذه صفات من له الحكم، ويقول (جلّ وعلا): ﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: الآيات ٧٠ - ٧٢] ثم بيّن صفات من له الحكم فقال: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ

(١) مضى عند تفسير الآية (١٢٨) من سورة الأنعام.

إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ آتِلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيَكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ إلى آخر الآيات [القصص: آية ٧١]. فالحكم لا يكون إلا للعظيم الأعظم الذي هو الخالق لكل شيء، الرازق لكل شيء، الفاعل ما يشاء في كل شيء، هذا الذي يُتبع تشريعه ويُحل ما أحل، ويحرّم ما حرّم، أما القوانين والنظم الملتقطة من زبالات أذهان الكفرة الفجرة فلا يتبعها ويعتقدها ويحكمها في أموال المجتمع وعقوله وأنسابه وأديانه وأعراضه إلا من أعمى الله بصائرهم، ومن أعمى الله بصيرته فلا حيلة له ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ [النور: آية ٤٠] ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى...﴾ [الرعد: آية ١٩] لا ليس كمثله.

ومعنى الآية الكريمة: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ [التوبة: آية ٣٧] اختلف العلماء في تحقيق كلمة (النسيء) هنا^(١) فقال بعضهم: هو من (نساء) الثلاثية وهو (فَعِيلٌ) بمعنى مفعول، فالعرب تقول: نسأه ينسؤه نَسْأً، إذا أخره. والعرب تأتي بـ (الفعل) مكان (المفعول) كما يقولون: قتل مكان مقتول، وجريح مكان مجروح، ونسيء مكان منسوء، أي: مؤخر. فعلى هذا القول فالنسيء (فَعِيل) بمعنى (مفعول) كقتيل بمعنى مقتول، وجريح بمعنى مجروح. وعلى هذا فهو من (نَسَأَ) الثلاثية.

والقول الثاني: أن النسيء اسم مصدر (أنسأ) الرباعية على وزن (أَفْعَل) لأن العرب تقول: أنسأ الأمر يُنْسِئُه إنسَاءً ونسيئة. فالإنسَاء مصدر قياسي، والنسيء مصدر (أَنَسَأَ) مصدرًا سماعيًا، كما جاء

(١) انظر: ابن جرير (٢٤٣/١٤)، القرطبي (١٣٦/٨)، الدر المصون (٤٦/٦).

النذير مصدراً لأنذر، والنكير مصدراً لأنكر، والنسيء مصدراً لأنسأ، بمعنى: أخر.

فعلى أن النسيء اسم مصدر بمعنى الإنشاء فلا إشكال؛ لأن الإنشاء فعل الفاعل، وعلى هذا فلا إشكال في قوله: ﴿زِيَادَةٌ﴾ أي: لأن تأخير الشهر الحرام وإنشاءه من نقله من المحرم وتأخيرته منه إلى صفر. هذا التأخير والإنشاء زيادة في الكفر؛ لأنه أحل ما حرم الله وهو المحرم، وحرم ما أحله الله وهو صفر.

أما على القول بأن (النسيء) (فعليل) بمعنى (مفعول) وأنه من (نسأ) الثلاثية، وأن النسيء بمعنى الزمان المنسوء، فيكون في قوله: ﴿زِيَادَةٌ﴾ إشكال؛ لأن نفس الشهر المنسوء المؤخر ليس هو عين الزيادة؛ ولذا لا بدّ في هذا المعنى من تقدير مضاف، أي: إنما نسأ النسيء زيادة في الكفر. أو إنما النسيء ذو زيادة، أي صاحب زيادة في الكفر حاصلة فيه. فاتضح من هذا أنه على أن النسيء اسم مصدر من (أنسأ) فلا تقدير في قوله: ﴿زِيَادَةٌ﴾. وعلى أنه (فعليل) بمعنى (مفعول) من (نسأ) الثلاثية فلا بدّ من تقدير مضاف إما قبل الزيادة أو قبل النسيء، فتقول: نسأ المنسوء زيادة، أي: تأخير الشهر زيادة في الكفر. أو تقول: المنسوء ذو زيادة، أي: صاحب زيادة في الكفر لوقوعها بسببه. وهذا معنى قوله: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ لأنهم كانوا كفاراً، فلما أحلّوا محرماً وهم يعلمون أن الله حرّمه، وحرّموا صِفراً وهم يعلمون أن الله ما حرّمه، صاروا بهذا التشريع مرتكبين كفراً جديداً كما بيّنّا، ازدادوا بهذا الكفر كفراً جديداً إلى كفرهم الأول.

﴿يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ و ﴿يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ معناه:

يضلهم الشيطان كما يأتي في قوله: ﴿زَيْنَ لَهُمْ سَوْءَ أَعْمَالِهِمْ﴾ .
﴿يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا﴾ قد أشرنا بالأمس أن هذه الآية
الكريمة من سورة براءة والحديث الذي جاء في مضمونها أن الزمان
قد استدار كهيئته . . الحديث^(١) . غلط فيه خلق من كبار المفسرين،
ومن تكلموا على الحديث، وأن الصورة الحقيقية التي قالت بها
جماعة من السلف^(٢) - والقرآن يشهد لصحة قولهم - أنها التي كان
يعملها الكنانيون القلمس ومن بعده، وكان شاعرهم يفتخر بذلك
ويقول شاعرهم وهو عمير بن قيس المعروف بـ (جذل الطعان)^(٣) :

لقد علمت مَعَدُّ أن قومي كرامُ الناس أن لهم كِرَامًا
أُسْنَا الناسين على مَعَدُّ شُهُورَ الحِلِّ نجعلها حرامًا
وأيُّ الناس لم يدرك بوثرٍ وأي الناس لم يعلك لجَامًا

أنهم كانوا يأتون جنادة بن عوف إذا صدروا من منى، فيقوم
ويقول: أنا الذي لا أجاب ولا أعاب، ولا مردّ لما أقول هذا العام قد

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق باب ما جاء في سبع أرضين . . . رقم:
(٣١٩٧)، (٢٩٣/٦)، وانظر الأحاديث: (٦٧، ١٠٥، ١٧٤١، ٤٤٠٦،
٤٦٦٢، ٥٥٥٠، ٧٠٧٨، ٧٤٤٧)، وأخرجه مسلم في كتاب القسامة
والمحاربين والقصاص والديات، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض
والأموال، رقم: (١٦٧٩)، (١٣٠٥/٣)، وهو جزء من حديث خطبة
حجة الوداع.

(٢) انظر: ابن جرير (٢٤٥/١٤)، القرطبي (١٣٧/٨)، ابن كثير (٣٥٤/٢).

(٣) الأبيات ذكرها ابن هشام ص ٥٦، والبيت الثالث عند الشيخ جعله ابن هشام
ثانيًا، ولفظه عنده:

فأي الناس فاتونا بوثر وأي الناس لم نعلك لجَامًا
وقد مضى البيت الثاني منها عند تفسير الآية (٣) من سورة الأعراف.

أخرت عنكم حرمة المحرم إلى صفر فقاتلوا في المحرم، ثم حرّموا مكانه صفرًا. ويأتي في العام القابل ويقول مثل مقالته: أنا الذي لا أجاب ولا أعاب، ولا مردّ لما أقول، قد حرّمت هذا العام محرّمًا وأبحت صفرًا. كما هي العادة، فيحلّ لهم المحرّم عامًا ويحرّم مكانه صفرًا، ويحرّم المحرّم عامًا ويترك الأشهر على حالها^(١). وهذا موافق لقوله: ﴿يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا﴾ وموافق لقوله: ﴿لِيُؤَاطُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾ [التوبة: آية ٣٧] أما الصور الأخرى فلا تتفق مع الآية.

أما الذين زعموا أنه يقول لهم في بعض السنين: حللت لكم المحرم وصفر معاً فهما صفران، لا محرم في هذه السنة، وإنما فيها صفران. فيحلّ لهم المحرم ويترك صفرًا على حلاله الأصلي، وفي السنة القابلة يقول: هما محرمان، المحرم الذي كان حراماً، وصفر بدل المحرم الذي حرّمناه في السنة القابلة. فهذا وإن قال به جماعة كبيرة من العلماء^(٢) فهو لا يصح؛ لأنهم على هذا القول في إحدى السنتين ما حرّموا إلا ثلاثة أشهر، والأشهر الحرم أربعة، وفي السنة الثانية حرّموا خمسة أشهر، فلم يواطئوا ما حرّم الله لا في السنة الأولى ولا في السنة الثانية. وكذلك قول من قال: إنهم كانوا يسمون صفرًا محرّمًا، ويسمون ما بعد صفر صفرًا، وكل شهر يسمونه باسم ما بعده، ويحجّون في كل شهر عامين، وأن حجة أبي بكر عام تسع وافقت ذا القعدة، وأن أبا بكر حجّ بالناس عام ذي القعدة، وإنّ النبي ﷺ حجّ بالناس حجة موافقة ذا الحجة، وأن هذا معنى

(١) تقدم عند تفسير الآية (٣) من سورة الأعراف.

(٢) انظر: ابن جرير (٢٤٩/١٤)، القرطبي (١٣٩/٨)، ابن كثير (٣٥٦/٢).

استدارة الزمان كهيئته يوم خلق السماوات والأرض^(١). فهذا لا شك في أنه فاسدٌ باطل؛ لأن الله صرح في كتابه بقوله في حجة أبي بكر بالناس عام تسع: ﴿وَأَذِّنْ مِنْ رَبِّكَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾ [التوبة: آية ٣] وقد أذن ببراءة علي (رضي الله عنه) ومن معه يوم الحج الأكبر، ومعلوم أن الله لا ينزل في كتابه يوم الحج الأكبر يريد أنه من ذي القعدة! فهذا من الباطل الذي لا شك فيه، فهذا كله لا يصح، فالتحقيق أن هذه الصورة التي نزل بها القرآن التي كان يفعل لهم الكنانيون أنهم سنة يحرمون صفرًا ويحلون المحرم مكانه، وفي سنة يُبقون الأمر على حاله فيحلون المحرم سنة ويحرمونه سنة ويواطئوا بذلك — يوافقوا — عدة ما حرم الله، وهي أربعة أشهر من السنة. وهذا معنى قوله: ﴿يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا﴾.

العام: السنة، والألف التي في مكان عينه منقلبة عن واو، فيُكسَّر على (أعوام) فعينه واو.

﴿لِيُواطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾ [التوبة: آية ٣٧] المواطأة: الموافقة، أي ليوافقوا عدة ما حرم الله؛ لأن الله حرم أربعة أشهر من السنة فهم يحرمون قدر ما حرم الله إلا أنهم يعصون الله بتغييره عن محله، فالعدة هي العدة ولكن عين الزمان ليست هي عين الزمان، فهم يصيبون في العدة ويخطئون في تعيين المعدود، ومن هنا كانوا عصاة بذلك. هذا هو الصحيح في معنى الآية الذي لا إشكال فيه، والصور الآخر فيها نظر، ليست بصواب، وإن قال بها من قال بها من

(١) انظر: ابن جرير (٢٤٨/١٤)، القرطبي (١٣٧/٨)، ابن كثير (٣٥٦/٢) — (٣٥٧).

العلماء. هذا معنى قوله: ﴿لِيُؤَاطِعُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾.

﴿زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ﴾ زين لهم الشيطان سوء أعمالهم الخبيثة. وهذا يدل على أن من أسوأ الأعمال وأخبثها تحليل ما حرمه الله وتحريم ما أحل الله ﴿زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ﴾.

﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: آية ٣٧] هذه الآية وأمثالها بالقرآن فيها سؤال معروف، وإشكال مشهور، وهو أن يقول طالب العلم: هذه الآية وأمثالها صرح الله فيها بأنه لا يهدي الكافرين، مع أننا نشاهد الله يهدي كثيراً من الكافرين، فالله يهدي من يشاء من الكفار، ويضل من يشاء، فما وجه تعميمه في قوله: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ هذا وجه السؤال.

وللعلماء عنه جوابان معروفان:

أحدهما: أن هذه الآية الكريمة وأمثالها في القرآن من العام المخصوص، أي: لا يهدي القوم الكافرين الذين سبق في علمه عدم هدايتهم وشقاؤهم شقاءً أزلياً، كقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ۖ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ ۖ﴾ [يونس: الآيتان ٩٦، ٩٧] وقوله: ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يس: آية ٧] ونحو ذلك من الآيات. وعلى أن هذه الآية الكريمة من العام المخصوص بآياتٍ آخر فلا إشكال.

وقال بعض العلماء: ﴿لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ ما دام الله (جلّ وعلا) مريداً منهم أن يكونوا كافرين، فإذا شاء الله أن يهديهم

هداهم. وقال بعض العلماء: لا يهديهم ما داموا مصرّين على كفرهم^(١).

/نقول^(٢): إن من عادتنا التي نجري عليها في هذه الدروس، [١/٧]

أن نتعرض لما نظن أنه يسأل عنه طلبة العلم، وقد مرّ في الآية الماضية أمس، سؤال معروف يتساءل عنه طلبة أهل العلم، ونسينا أن نتكلم عليه، فأحببنا أن نستدركه الآن تميماً للفائدة، ونعني بذلك: أنا ذكرنا في اليومين الماضيين، أن العلماء اختلفوا في نسخ الأربعة الحرم، وأن قوماً قالوا: نُسخَت، فجاز للمسلمين الجهاد في كل السنة، وأن جماعة من العلماء قالوا: إن تحريمها باق لم يُنسخ، وذكرنا أننا كنّا أولاً نعتقد صحة نسخها، وأنا عرفنا بعد ذلك أن الصحيح عدم نسخها، وذكرنا أن من أصرح الأدلة على نسخها ما ثبت أن النبي ﷺ حاصر ثقيفاً بالطائف في بعض ذي القعدة وهو شهر حرام، ولو لم يكن القتال فيها حلالاً لما حاصره فيها، فعلمنا من هنا أن طالب العلم يقول: إذا قررت أن التحقيق عدم نسخها فما وجه حصار النبي ﷺ لثقيف في الشهر الحرام؟!

هذا هو السؤال الذي كنا نود أن نتعرض للإجابة عنه، وهذا

(١) انقطاع في التسجيل، ويمكن مراجعة جواب الشيخ (رحمه الله) على هذا الإشكال عند تفسير الآية (١٤٥) من سورة الأنعام، وما بين المعقوفين [زيادة يتم بها الكلام.

(٢) تنبيه: في تفسير الشيخ (رحمه الله) لهذه الآية بقي الجواب عن إشكال معروف وهو توجيه حصار النبي ﷺ لثقيف في الشهر الحرام، وقد استدرك الشيخ (رحمه الله) هذه المسألة والجواب عنها في بداية الكلام على الآية التي بعدها، فألحقته في موضعه هنا، وجعلت الآيات (٣٨، ٣٩)، بعد جواب الشيخ عن هذا الإشكال.

السؤال أجاب عنه جماعة من العلماء بما ملخصه في نقطتين وهما^(١):

أن حصار النبي ﷺ لثقيف كان ابتداءه في شهر حلال، والدوام قد يغتفر فيه ما لا يغتفر في الابتداء؛ لأن من المسائل ما يحرم فيها الابتداء ولا يحرم فيها الدوام، ألا ترون أن الرجل المحرم لا يجوز له أن يتبدى تزويجاً، ولو تزوج قبل إحرامه ثم أحرم لم ينفسخ تزويجه بهذا الإحرام الطارىء على تزويجه، وكذلك الإحرام يمنع ابتداء الطيب فيه، فلو كان متطيباً قبله، لا يمنع الدوام على الطيب الأول الإحرام عند جماهير العلماء، فالشاهد أن الدوام في بعض الصور قد يُغْتَفَر فيه ما لا يُغْتَفَر في الابتداء، وفي هذه الصورة يتأكد بشيء آخر وهو ما قدمنا في العام الماضي في كلامنا على غزوة حنين^(٢) في تفسير آية: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ [التوبة: آية ٢٥] أن النبي ﷺ لما فتح مكة في رمضان عام ثمان، ولم يكن يريد أن يغزو هوازن، سمع أن مالك بن عوف النصري، سيد هوازن جمع من أطاعه من هوازن وفيهم ثقيف؛ لأن ثقيفاً من هوازن؛ لأن ثقيفاً بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور، وأنهم تجمعوا له يريدون حربه، فهم الذين بدؤوا بإرادة الحرب، ولم يكن النبي ﷺ قاصداً حربهم في ذلك الوقت قبل ذلك، فلما هزمهم النبي ﷺ يوم حنين واستفاء أموالهم، رجع فلهم (والفل بقية المنهزمين) فتحصنوا بحصن الطائف. فحصاره ﷺ للطائف ليستنزل الذين كانوا يقاتلونه في غزوة حنين من تمام غزوة حنين، وكانوا هم

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٣٥٦/٢).

(٢) مضى عند تفسير الآية (٤٥) من سورة الأنعام.

البادون بالقتال، والأشهر الحرم إذا بُدِء المسلمون فيها بالقتال قاتلوا، كما تقدم في قوله: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ فَمَنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: آية ١٩٤] وكما قدمناه في الكلام على قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَتَّلُوا فِيهِ إِنْ فَنَلُّوكمُ فَاقتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: آية ١٩١] فهذا هو الذي أجاب به العلماء عن حصار النبي ﷺ لثقيف على القول ببقاء حرمة الأشهر الحرم.

يقول الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَا قُلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ (٣٨) ﴿لَا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التوبة: الآيتان ٣٨، ٣٩].

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَا قُلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ﴾ [التوبة: آية ٣٨].

أجمع كافة العلماء، أن هذه الآية الكريمة من سورة براءة نزلت لما استنفر النبي ﷺ المسلمين إلى غزو الروم^(١)، وفي غزوة تبوك، كان ذلك في ساعة العسرة، كما يأتي منصوصاً في هذه السورة الكريمة، وكان وقت شدة الحر، والأرض في غاية الجذب، وكان في المدينة النخيل حين أزهرت ثمرته، وطابت الظلال والمياه الباردة، فركنوا إلى الدعة، وإلى نعيم الدنيا في

(١) انظر: ابن جرير (٢٥١/١٤)، القرطبي (١٤٠/٨)، ابن كثير (٣٥٧/٢).

الظل والثمار والمياه والظلال الباردة، فركنوا إلى هذا؛ لأن العدو قوي وكثير العدد جداً، والشقة بعيدة، والزمان حار؛ ولذا من تكاسلوا منهم وبخهم الله هذا التوبيخ العظيم في هذه الآية الكريمة: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ﴾ أي شيء ثبت لكم يقتضي نكولكم عن الغزو واختياركم للدعة والراحة على مرضاة الله وإعلاء كلمة الله؟ ﴿مَا لَكُمْ﴾ أي شيء ثبت لكم. ﴿إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنفِرُوا﴾ أي: إذا قال لكم رسول الله ﷺ وأصحابه: ﴿أَنفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ انفروا معناه: تهيؤوا خارجين متحركين لحرب الروم. ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ لأن القتال والجهاد في سبيل الله هو أعظم أنواع سبيل الله (جلّ وعلا).

﴿أَنَّا قُلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾ أصله: (تشاقلتم) والمقرر في علم العربية: أن كل ماض على وزن (تفاعل) أو على وزن (تفعّل) إذا تقاربت حروفه الأولى، يكثر في اللغة العربية إدغام بعضها في بعض واجتلاب همزة الوصل لإمكان النطق بالساكن^(١)، وهذا يكثر في القرآن في (تفاعل) و(تفعّل)، كقوله هنا في (تفاعل): ﴿أَنَّا قُلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾ أصله: (تشاقلتم)، ﴿فَأَدْرَأْتُمْ فِيهَا﴾ [البقرة: آية ٧٢] أصله: (تدارأتم)، ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَدَارَكُوا﴾ [الأعراف: آية ٣٨] أصله: (تداركوا)، ﴿بَلِ أَدْرَاكَ عِلْمُهُمْ﴾ [النمل: آية ٦٦] أصله: (تدارك علمهم). وكذلك هو في (فعل) كقوله (جلّ وعلا): ﴿وَأَزَيَّنْتَ﴾ [يونس: آية ٢٤] أصله: (تزينت) من (تفعّل)، ﴿قَالُوا أَطِيرَنَا﴾ [النمل: آية ٤٧] أصله: (تطيننا). وهذا أسلوب عربي معروف،

(١) مضى عند تفسير الآية (٧٢) من سورة البقرة، وانظر: ابن جرير (٢٥٢/١٤)، الدر المصون (٤٩/٦).

ومن شواهد العربية المشهورة ما أنشده الفراء من قول الشاعر^(١) :
 تُولِي الضَّجِيعَ إِذَا مَا اسْتَغْفَرَهَا خَصِرًا عَذَبَ الْمَذَاقِ إِذَا مَا اتَّابَعَ الْقَبْلُ
 يعني بقوله «ما اتَّابَعَ»: تتابع.

ومعنى ﴿أَتَاَقَلَّتُمْ﴾ تذاقلتم، أي: تكاسلتم وتباطأتم وتقاعستم
 عن الخروج في سبيل الله لغزو الكفار.

ثم إن الله أنكر عليهم إنكاراً قوياً بأداة الإنكار التي هي الهمزة
 في قوله: ﴿أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ﴾ قد تقرر في علم
 العربية أن لفظة (مِنْ) تأتي بمعنى البدل^(٢)، كقوله: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا
 مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ﴾ [الزخرف: آية ٦٠] أي: لجعلنا بدلکم ملائكة
 في الأرض ﴿أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ﴾ أي: بدل
 الآخرة، وإتيان (مِنْ) بمعنى البدل، أسلوب عربي معروف، ومنه
 قول الشاعر^(٣):

فليت لنا من ماءٍ زمزمٍ شربةٌ مُبرَّدةٌ باتت على طهيانٍ
 يعني ليس لنا شربة باردة مكان زمزم؛ لأنه يؤخذ حار، ويروى:

فليت لنا من ماءٍ حَمَّانٍ شربةٌ مُبرَّدةٌ باتت على طهيانٍ
 والطَّهْيَان: عود كانوا يجعلونه مرتفعاً في جانب البيت متلقياً
 للهواء يعلقون عليه الماء ليبرد^(٤).

(١) تقدم هذا الشاهد عند تفسير الآية (٧٢) من سورة البقرة.

(٢) انظر: ابن جرير (٢٥٢/١٤)، القرطبي (١٤١/٨)، الدر المصون (٥٠/٦).

(٣) البيت ليعلى بن مسلم الشكري، أو الأحول الكندي، وهو في القرطبي (١٤١/٨)، الدر المصون (٥٠/٦).

(٤) انظر: القرطبي (١٤١/٨).

وقوله: ﴿أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ﴾ الهمزة همزة إنكار؛ لأن أسفه الناس وأقلهم عقلاً هو من يرضى بالدنيا بدلاً من الآخرة؛ لأنه يعتاض القليل التافه من الكثير الذي لا يقدر قدره إلا الله، وفي هذا وبخهم؛ لأنه نقض ضمني للعقد الذي عقده معهم؛ لأن الله (جلّ وعلا) عقد عُقْدَةً بينه وبين عباده المؤمنين وأبرمها، وهو أنه اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بالجهاد، يشتري من المؤمن حياته الدنيوية وهي حياة قصيرة مُنْغَصَّة مشوشة بالأمراض والمصائب والبلايا والمشاق، يشتريها منه بحياة أبدية سرمدية، لا شيب فيها ولا هرم ولا مرض ولا غضب ولا ألم ولا تشویش، ويشتري منه مالاً قليلاً وعرضاً زائلاً من الدنيا بالحدور العين والولدان وغُرف الجنة وأنهارها وثمارها، والنظر إلى وجه الله الكريم. فهذا هو البيع الرابع، والله يقول في هذه السورة الكريمة: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَرِّبُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: آية ١١١]. هذا هو البيع الرابع والمعاملة الراجحة، أما الذي ينقضها وينكثها ويقدم للدنيا على الآخرة فهذا سفيه يستحق أشد الإنكار؛ ولذا أنكر الله عليه بقوله: ﴿أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ﴾ فإنه لا يقنع بالدون إلا من هو في غاية الدون، وقد صدق من قال^(١):

إذا ما علا المرء رام العُلا
ويقنعُ بالدُّونِ من كان دُوناً
فلا يقنع بالدون إلا من هو دون كما لا يخفى، وهذا معنى

قوله: ﴿أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ﴾. قد قدمنا في هذه الدروس مراراً أن تسمية الله (جلّ وعلا) في كتابه للدار الذي نؤول إليها تسميته إياها (الآخرة) ينبغي للمسلم أن ينظر فيه ويعتبر فيه، وقد أوجب الله على كل إنسان أن ينظر في مبدئه، وإذا نظر في مبدئه دعاه ذلك إلى النظر في انتهاء أمره الذي يؤول به إلى مسمى الآخرة، وإيضاح ذلك أن الله قال بصيغة أمر سماوي من الله ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ [الطارق: آية ٥] لام الأمر في قوله: ﴿فَلْيَنْظُرْ﴾ لام أمر صادرة من خالق السماوات والأرض، متوجهة إلى مسمى الإنسان، يأمره الله أن ينظر إلى الشيء الذي خلق منه ليعلم مبدأ أمره ومن أين جاء؟ وما سبب وجوده؟ وعلى أي طريق جاء؟ ثم لينظر بعد ذلك في مصيره، وإلى أين يذهب به، وإلى أين يصير، وإلى أين يكون آخر أمره؟ وقد بين لنا هذا المحكم المنزل الذي جمع الله به علوم الأولين والآخرين، مبدأ هذا الإنسان الضعيف ومنتهاه، ومصيره النهائي الذي لا يحيد عنه إلى شيء آخر، فبين أن أول الإنسان تراب بلّه الله بماء، وهو قوله: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ﴾ [الحج: آية ٥] فمبدأ رحلة الإنسان ومنشؤه من التراب، بلّه الله بالماء، فصار طيناً، وهو قوله تعالى: ﴿ءَاسْجُدْ لِمَن خَلَقْتَ طِينًا﴾ [الإسراء: آية ٦١] ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّنْ طِينٍ لَّازِبٍ﴾ [الصافات: آية ١١] ثم جعل نسله من سلاله من طين، ثم إن الله خمر ذلك الطين حتى صار حمأً مسنوناً، ثم أيّسه حتى صار صلصالاً كالفخار، ثم خلق منه آدم وجعله لحماً ودماً، ثم خلق منه زوجه، كما قال: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَتَقْوَارِبُكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّنْ نَّفْسٍ وَجِدَةٍ﴾ [النساء: آية ١] هي آدم ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ يعني حواء. وذكر ذلك في الأعراف وفي الزمر كما

هو معروف، ثم بعد أن حصل رجل وامرأة صار طريقة وجود الإنسان على طريق التناسل المعروفة، يكون أولاً من نقطة أمشاج من ماء الرجل وماء المرأة، ثم يخلق الله تلك النطفة علقة وهي الدم الجامد الذي إذا صُبَّ عليه الماء الحار لم يذب، ثم يجعل الله تلك العلقة مضغة، ثم المضغة عظاماً، ثم يكسو العظام لحماً، ويخلق هذا البشر السوي الذي تنظرون إليه، الذي كل موضع إبرة منه فيها من غرائب صنع الله وعجائبه ما يبهر العقول، وقد ذكرنا مراراً أن أعظم ما فُتِنَ به ضعاف العقول من المسلمين حِذْقُ الإفرنج، في حالة الدنيا، ومن أبرع ما برعوا فيه الطب، وأنا أقول لكم: إنه لو اجتمع اليوم جميع من في المعمورة من مهرة الأطباء يريدون أن يعملوا عملية في جنين في رحم أمه فإنهم لا يقدرّون أن يعملوا العملية حتى يشقوا بطنها ورحمها والمشيمة التي على الولد، ثم يأتوا بالأشعة الكهربائية ليتمكنهم أن يروا، ثم يعملوا، فقد تموت وهو الأغلب!! وهذا خالق السماوات والأرض (جلّ وعلا)، ليس فينا ولا فيهم ولا في غيرنا أحد إلا وهو يعمل فيه آلاف العمليات الهائلة وهو في بطن أمه، من غير أن يحتاج إلى شق بطنها، ولا إلى شق رحمها، ولا إلى شق المشيمة التي على الولد ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآفَى تُصَرِّفُونَ﴾ [الزمر: الآية ٦].

هذه الأعين قد فتحها الله (جلّ وعلا) وأنتم في بطون أمهاتكم، وصبغ بعضها بصبغ أسود، وبعضها بصبغ أبيض، وأنبت عليها هذا الشعر، وجعل لها هذا الوعاء من الجفون، وهذا الدماغ خلقه وجعله في هذا الوعاء، وخاط عليه هذه العظام هذه الخياطة الهائلة، وهذا

الأنف خلقه وثقبه، وهذا الفم خلقه وثقبه، وجعل اللسان، وأجرى في الفم عيناً باردة هي الريق، يبتلع بها الطعام، لو أمسك عنه الريق لما ابتلع الزبد الذائب، وشقّ له مجاري البول، ومجاري الغائط، ومجاري العروق والشرابين للدورة الدموية، ولو نُظِرَ إلى موضع عضو واحد من الإنسان لوجد فيه من غرائب صنع الله وعجائبه ما يبهر العقول، ومع هذا كله فخالق السماوات والأرض يجعل هذه العمليات الهائلة فيكم وأنتم في بطون أمهاتكم، من غير أن يحتاج إلى بنج، بل بنج القدرة وعظمة الخالق، يُفعل للمرأة جميع هذا وهي تضحك وتفرح وتمرح وتعصي خالق السماوات والأرض، لا تشعر بشيء، لعظمة وقدرة هذا الإله الخالق العظيم (جلّ وعلا)، ثم إن الله (جلّ وعلا) يخلق هذا الإنسان بما فيه من الغرائب والعجائب الذي كل موضع إبرة منه يبهر العقول بما أودع فيه الله من بارع صنعه وغرائب عجائبه، ثم يخرج من بطن أمه ويسهل له طريق الخروج من ذلك المكان الضيق كما يأتي في قوله: ﴿ثُمَّ السَّيْلَ يَسْرُوْا﴾ [عبس: آية ٢٠] ثم يلهمه أخذ الثدي وهو في ذلك الصغر، ويلطف به حتى يكبر ويعظم ويكون قوياً يجادل في ربه، وتلك المحطة هي التي نحن فيها الآن، فقد جاوزنا ما قبلها من المحطات، وهي التي نحن فيها الآن، وهذه المحطة التي نحن فيها هي المحطة التي يؤخذ منها الزاد، والسفر أمامها طويل، والشقة هائلة، فكأن الإنسان يُقال له: يا مسكين أنت في رحلة عظيمة، وآخرها أعظم من أولها، أشد مسافة وأكبر خطراً وأعظم غرراً، فخذ أهبتك في وقت الإمكان، وليس موضع يمكنك به أخذها إلا في هذا الزمن، الذي لا تدري في أي وقت يقطعك الموت فيه ويخترمك، فعلى الإنسان أن يبادر بأعظم ما

يكون من السرعة ليأخذ زاده ويستعد عدته لبقية هذا السفر العظيم الهائل الشاق، ثم بعد هذه المرحلة تنتقل جميعاً إلى مرحلة تسمى مرحلة القبور، نصير جميعاً إلى القبور كما صار إليها من قبلنا. وذكروا أن أعرابياً بدوياً سمع قارئاً يقرأ ﴿الْهَنَكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ ^(١) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ^(٢) [التكاثر: الآيتان ١، ٢]. قال: انصرفوا والله من المقابر إلى دار أخرى ^(١). لأن الزائر منصرف لا محالة، ثم إنهم يوم القيامة يخرجون من القبور إلى محطة أخرى وهي محطة عرصات الحشر، يجتمعون فيها جميعاً في صعيد واحد ينفذهم البصر ويُسْمِعُهُم الداعي، ثم يقضي الله بين خلقه بالشفاعة الكبرى، شفاعة سيد الأنبياء محمد (صلوات الله وسلامه عليه)، فإذا انقضى حسابهم وتمت مجازاتهم، عند ذلك صدروا أشتاتاً ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا﴾ [الزلزلة: آية ٦] فمذهوب به ذات اليمين إلى الجنة، ومذهوب به ذات الشمال إلى النار، ولا يجتمعون بعد ذلك، وهذا هو قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا﴾، وهذه الأشتات قد أوضح الله معناها في سورة الروم، في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِئِذٍ يَنْفَرُ قَوْمٌ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الروم: الآيات ١٤ - ١٦]. فإذا دخلوا أماكنهم دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، وفي ذلك الوقت يُدعى بالموت في صورة كبش أملح، في مرأى كل منهم ثم يُذبح، ويُقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت، وذلك هو معنى قوله: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ^(٢٩)

[مريم: آية ٣٩] إذ قُضي الأمر وذبح الموت واستقر كل في منزله استقراراً أبدياً، فهذا الاستقرار الذي لا تحوّل بعده، من أجله قيل للدار (الآخرة) لأنها ليس بعدها محطة أخرى ينتقل إليها، فهي آخر المحطات التي ينتقل إليها، لا يبيغون عنها حولاً في الجنة، ولا خروج لهم من النار، وهذا هو معنى قوله: (الآخرة).

قوله تعالى: ﴿أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ﴾ أي: في جنبها وبالنسبة والإضافة إليها ﴿إِلَّا قَلِيلٌ﴾ جداً، قد جاء عن النبي ﷺ أنه ضرب لذلك مثلاً بمن وضع إصبعه في البحر، فليُنظر بماذا يخرج به أصبعه من البحر^(١)، فذلك بمثابة قلة الدنيا بجنب الآخرة، وهذا معنى قوله: ﴿أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ ﴿٣٨﴾ لأن الدنيا دار قليل ما فيها، وأهلها الذين كانوا يتمتعون بها إذا بُعثوا يحلفون أنهم ما مكثوا فيها إلا ساعة كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ [الروم: آية ٥٥] وبين أن أقواهم عقلاً وأثبتهم نظراً يدعي أنهم مكثوا يوماً أو بعض يوم، وهو قوله في طه: ﴿إِذْ يَقُولُ امْكُثْهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ ﴿١٠٣﴾ [طه: آية ١٠٤] وهذا معنى قوله: ﴿أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ ﴿٣٨﴾ (الدنيا) تأنيث الأدنى، وهي في غاية الدناءة والدنو؛ لأنها قيل من الدنو بأنها عرض عاجل الآن، وقيل من الدناءة بالنسبة إلى الآخرة^(٢).

(١) أخرجه مسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: فناء الدنيا، حديث رقم: (٢٨٥٨)، (٢١٩٣/٤).

(٢) مضى عند تفسير الآية (٥١) من سورة الأعراف.

﴿إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التوبة: آية ٣٩].

قوله: ﴿إِلَّا تَنْفِرُوا﴾ هي (إن) الشرطية أدغمت في (لا) يعني: إلا تنفروا، إن لم تمثلوا أمر الله وتنفروا لجهاد أعداء الله وإعلاء كلمته فإن ذلك ضرره عليكم لا على الله ولا على رسوله.

وهذه الآية فيها سر عظيم يعلم به الإنسان أن كل ما يفعله إنما أثره راجع إلى نفسه، فإن كان شراً فهو يجني شراً على نفسه، وإن كان خيراً فهو يجلب الخير لنفسه ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء: آية ٧]. فعلى كل عاقل في دار الدنيا أن يعتبر بمعنى هذه الآية وما في معناها من الآيات، وهو أن ما يفعله الإنسان لا يجنيه إلا هو، وأن حركات الإنسان في دار الدنيا يبني بها مسكنه الذي يصل إليه ويخلد فيه خلوداً أبدياً يوم القيامة، فهذه الحركات والسكنات في دار الدنيا يظن الجاهل أنها أمور لا طائل تحتها، ولا يلزم الاحتياط والنظر الدقيق فيها، وهذا من أشنع الغلط؛ لأن حركات الإنسان في دار الدنيا مقبلاً ومدبراً، ذاهباً وجائئاً، متصرفاً هنا وهنا، كله يبني منزله ومقره النهائي، إما أن يبني بذلك غرفة من غرف الجنة يخلد فيها، أو يبني به سجناً من سجون جهنم، هذا هو الواقع، فعلى كل مسلم أن ينظر في أقواله وأفعاله، فيعلم أنه ينفع بالطيب منها نفسه، ويضر بالخبيث منها نفسه، ليحاسب فيجتنب الخبيث ويجتلب الطيب، وهذا معنى قوله: ﴿إِلَّا تَنْفِرُوا﴾ إلا تمثلوا أمر الله ورسوله بالنفر إلى الأعداء لجهاد أعداء الله، وإعلاء كلمة الله، ونصر دين الله ﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ أنتم الذين تنالون الضر من ذلك ﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ الظاهر أن هذا العذاب شامل لعذاب

الدنيا وعذاب الآخرة، لأن التكاسل عن مقاومة الأعداء في دار الدنيا من أسباب عذاب الدنيا؛ لأنه يضعف المسلمين ويقوي أعداءهم فيُهينونهم في قعر بيوتهم كما هو واقع الآن، لأن المسلمين، أو من يتسمون باسم المسلمين معذبون في أقطار الدنيا من جهة الكفرة، يضطهدونهم، ويظلمونهم، ويقتلونهم، ويتحكمون في خيرات بلادهم، وهذا كله من أنواع عذاب الدنيا لتركهم الجهاد وإعلاء كلمة الله (جلّ وعلا)، وما ذكره غير واحد عن ابن عباس من أنه قال: إن هذه الآية نزلت في بعض قبائل العرب، استنفرهم النبي ﷺ إلى الغزو فامتنعوا، فمنع الله عنهم المطر، وأضرهم بالقحط^(١). هذا قد يدخل في الآية في الجملة، ولا يمكن أن يكون معناها؛ لأن الله يقول: ﴿يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا﴾. فهذا يدل على أن المراد به ليس حبس المطر، وإن كان حبس المطر من أنواع العذاب التي تسببها مخالفة الله (جلّ وعلا)؛ لأن مخالفة الله وعدم القيام بأمره ونهيه هي سبب كل البلايا كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: آية ٣٠].

﴿يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ الأليم: معناه الموجه الذي يجد صاحبه شدة ألمه ووجعه، والتحقيق هو ما قدمناه مراراً^(٢): أن الأليم بمعنى المؤلم، وأن (الفعيل) يأتي في لغة العرب بمعنى (المُفعل).

(١) أخرجه أبو داود في الجهاد، باب: كراهية ترك الغزو، حديث رقم: (٢٤٨٩)،

(١٨٣/٧)، والبيهقي (٤٨/٩)، والحاكم (١١٨/٢)، وابن جرير (٢٥٤/١٤)،

وهو في ضعيف أبي داود ص ٢٤٦.

(٢) مضى عند تفسير الآية (٧٣) من سورة الأعراف.

فما ذكره بعضهم عن الأصمعي من أن (الفعيل) لا يكون بمعنى (المُفعل) وعليه أراد بعضهم أن يفسر الأليم بأنه يُؤْلَم به أو يحصل بسببه ألم، فكله خلاف التحقيق، والتحقيق أن من أساليب اللغة العربية إطلاقهم (الفعيل) وإرادة (المُفعل) وهذا معروف في كلامهم، ومنه ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ﴾ [الأنعام: آية ١٠١] أي: مبدعها، ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ﴾ [هود: آية ٢٥] أي: منذر لكم، ونظيره من كلام العرب قول غيلان بن عقبة المعروف بذئ الرّثمة^(١):

ويرفع من صدورِ شَمَرَدَلَاتٍ يَصُكُّ وَجُوهَهَا وَهَجٌ أَلِيمٌ
أي: مؤلم، وقول عمرو بن معد يكرب الزبيدي^(٢):

أَمِنْ رِيحَانَةِ الدَّاعِي السَّمِيعِ يُورِّقُنِي وَأَصْحَابِي هُجُوعٌ
فقوله: «الداعي السميع» يعني: الداعي المسمع، وقول عمرو بن معد يكرب أيضاً^(٣):

وخیل قد دَلَفْتُ لَهَا بِخَيْلٍ تَحِيَّةَ بَيْنِهِمْ ضَرْبٌ وَجِيعٌ
أي: موجه. وهذا هو الصحيح.

﴿وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ أكثر الله (جلّ وعلا) في القرآن من ذكره أن الموجودين إذا لم يطيعوه ويمثلوا أمره فهو غني عنهم قادر على إذهابهم وإزالتهم بالكلية والإتيان بمن ي خلفهم، بل من يكون خيراً منهم، وقد قدمنا هذا مراراً وسيأتي أيضاً، فمن الآيات التي بين بها هذا قوله تعالى في سورة النساء: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ

(١) السابق.

(٢) مضى عند تفسير الآية (٧٣) من سورة الأعراف.

(٣) السابق.

وَيَأْتِ بِآخِرِينَ^(١) وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا^(١٣٣) ﴿النساء: آية ١٣٣﴾ وقوله في الأنعام: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ آخَرِينَ^(١٣٣)﴾ ﴿النعام: آية ١٣٣﴾ وقوله تعالى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ^(١٩) وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ^(٢٠)﴾ [إبراهيم: الآيتان ١٩، ٢٠]. وقوله في سورة القتال: ﴿وَاللَّهُ الْغَفِيُّ وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ^(٣٨)﴾ [محمد: آية ٣٨] ﴿مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ^(٥٤)﴾ [المائدة: آية ٥٤] أي: بدلاً من هؤلاء المرتدين، وهذا معنى قوله: ﴿وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ [التوبة: آية ٣٩] أي: يأتي بقوم يجعلهم بدلکم خيراً منكم، إذا استنفروا نفروا، ولا يؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة، كما دلت عليه هذه الآيات المذكورة، وهذا معنى قوله: ﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾.

وقد ذكرنا مراراً^(١)، أن لفظة (القوم) اسم جمع لا واحد له من لفظه، يطلق في اللغة العربية الإطلاق الأول على الذكور خاصة دون النساء؛ لأنه وُضع للذكور خاصة، وربما دخلت فيه النساء بحكم التبع إذا دلّ على ذلك قرينة، أما الدليل على أن القوم اسم جمع خاص بالرجال، في أصل وضعه: فقوله تعالى: ﴿لَا يَسْخَرُونَ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ﴾ [الحجرات: آية ١١] ثم قال: ﴿وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ﴾ فعطفه النساء على القوم يدل على عدم دخولهن في اسم القوم، ونظيره من كلام العرب قول زهير بن أبي سلمى^(٢):

(١) مضى عند تفسير الآية (٨٠) من سورة الأنعام.

(٢) السابق.

وما أدري وسوف إخال أدري أقوم آل حصن أم نساء

فعطف النساء على القوم، وربما دخلت النساء في اسم القوم بحكم التبع إذا دلت على ذلك قرينة خارجية، ومنه قوله تعالى في سورة النمل: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ [النمل: آية ٤٣].

وقوله: ﴿وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا﴾ قال بعض العلماء: الضمير المنصوب في «تضروه» عائد إلى الله، أي: لا تضروا الله شيئاً بعدم امتثالكم أمره ولا سعيكم في إعلاء كلمته^(١). وهذا الوجه هو الذي يشهد له القرآن كقوله (جلّ وعلا): ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾ [محمد: آية ٣٢] وتدل على هذا الآيات القرآنية الكثيرة أن الله غني عن خلقه الذين يدعوهم لطاعته، فإنما يدعوهم لنفعهم، فامثالهم نفعه لهم، وتمردهم ضرره عليهم، كما قال تعالى: ﴿فَكْفُرُوا وَقُولُوا وَأَسْتَغْنَىٰ اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [التغابن: آية ٦]، ﴿إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [إبراهيم: آية ٨]، ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزمر: آية ٧] إلى غير ذلك من الآيات.

وقال بعض العلماء: الضمير المنصوب عائد إلى النبي ﷺ^(٢)، أي: لا تضروا النبي ﷺ بذلك؛ لأن الله تكفل له بنصره، كما يأتي في قوله: ﴿إِلَّا نَضُرُّوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ...﴾ الآية [التوبة: آية ٤٠]

(١) انظر: القرطبي (٨/١٤٢)، ابن كثير (٢/٣٥٨).

(٢) انظر: القرطبي (٨/١٤٢).

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التوبة: آية ٣٩] معناه: أنه (جلّ وعلا) قادر على كل شيء، فهو قادر على ما شاء، وقادر أيضاً على ما لم يشأ، فهو (جلّ وعلا) قادر على هداية أبي بكر الصديق، وقادر على هداية أبي لهب، لا شك أنه قادر على الأمرين، وقد أراد أحد المقدورين، وهو هداية أبي بكر، ولم يرد المقدور الثاني وهو هداية أبي لهب، فهو (جلّ وعلا) قادر على كل شيء، لا يتعاصى عليه شيء، يقول للشيء كن فيكون، خلقه لجميع البشر كخلقه لنفس واحدة ﴿مَا خَلَقْكُمْ وَلَا بَعَثْكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [لقمان: آية ٢٨] لأنه (جلّ وعلا) لا يتعاصى على قدرته شيء سبحانه (جلّ وعلا).

/ يقول الله جلّ وعلا: ﴿إِلَّا نُنْصِرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذَا أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْفَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَخْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدُوا بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: آية ٤٠].

هذه الآية يقول الله (جلّ وعلا) فيها للذين تكاسلوا عن غزوة تبوك وتناقلوا وتباطؤوا أن يغزوا الروم مع النبي ﷺ: ﴿إِلَّا نُنْصِرُوهُ﴾ (إن) هي الشرطية مدغمة في (لا) والضمير المنصوب في (تنصروه) عائد إلى النبي ﷺ، يعني: إن تتعاسوا وتتناقلوا عن نصره نبيه ﷺ في غزوة تبوك فإن الله ناصره لا محالة، سواء تناقلتم أم لم تناقلوا. وقد بين (جلّ وعلا) أنه نصره في حالة الضعف والقلّة، في حالة كان هو وصاحبه داخلين في غار مخفيين عن المشركين، فلما نصره الله في حالة الضعف والقلّة فكيف لا ينصره في حالة الكثرة والقوة؟ وهذا

معنى قوله: ﴿إِلَّا نَضْرُوهُ﴾ فالله ناصره على كل حال، ثم بين نصره له السابق في حالة الضعف والقلّة ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ على أعدائه حيث أنجاه الله منهم، وخيب مكرهم وأبطله، ثم أظهره عليهم بعد ذلك. وهذا معنى قوله: ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾.

﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ حين أخرجه الذين كفروا وهم كفار مكة، ومعنى إخراجهم له أنهم اضطروه وألجؤوه إلى أن يخرج؛ لأن النبي ﷺ كان في حياة عمه أبي طالب يدفع عنه مكر قريش، ويحميه منهم، ويقول له^(١):

وَاللَّهِ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ بِجَمْعِهِمْ حَتَّى أَوْسَدَ فِي الثَّرَابِ دَفِينًا

فلما مات أبو طالب وجاء الأنصار وبايعوا النبي ﷺ بيعة العقبة خاف قريش من النبي ﷺ، وعظم عليهم أمره، وهالهم شأنه، فقالوا: هذا الرجل صار له أتباع في القبائل الأخرى، فما نأمن أن يغزونا بأتباعه فيحتلنا. واعتزموا على أن يقتلوه، وقد قدمنا السبب الذي ألجأ النبي ﷺ إلى الهجرة في سورة الأنفال، في الكلام علي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾^(٢) [الأنفال: آية ٣٠].

وذلك أن قريشاً لما هالهم أمر النبي ﷺ وعظم عليهم شأنه، وخافوا أن تتبعه قبائل العرب فيغزوهم بهم حاولوا أن يقتلوه، فاجتمعوا في دار الندوة، واجتمع جميع سادات قبائل قريش في ذلك الاجتماع، وجاءهم إبليس — عليه لعائن الله — في صورة شيخ جليل جائئاً من

(١) مضى عند تفسير الآية (١٣) من سورة التوبة.

(٢) مضى عند تفسير الآية (٣٠) من سورة الأنفال.

بلاد نجد، وقال لهم: قد علمت بما اعتزمتم عليه. وأراد أن يجلس معهم ليتبادل معهم الرأي، فأدخلوه معهم، فتشاوروا في أمر رسول الله ﷺ، فقال قائل منهم، يقال هو أبو البختري: احبسوه ونتركه محبوساً حتى يموت. فقال ذلك الشيخ الذي هو إبليس في صورة ذلك الشيخ: ليس هذا لكم برأي؛ لأنكم إن حبستموه جاء بنو عمه وأتباعه فانتزعوه منكم، وغلبوكم عليه. فقال آخر: نرى أن نخرجه من بلادنا وأرضنا ونصلح شأننا بعده إذا أخرجناه. فقال لهم إبليس اللعين في صورة ذلك الشيخ: ليس هذا والله برأي؛ لأنكم إن أخرجتموه فقد عرفتم حلاوة منطقته، وعذوبة لسانه، فقد يتبعه الناس فيغزوكم في دياركم فيغلبكم على أمركم. فقال أبو جهل لعنه الله: إن عندي لرأياً ما أراكم ذكرتموه، خذوا من كل قبيلة من قبائل قريش شاباً حدثاً قوياً وأعطوه سيفاً وأمرؤهم يضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في قبائل قريش، فلن يستطيع بنو عبد مناف أن يحاربوا جميع قريش، فيقبلوا منا عقله، فنعقله ونعطيهم دينه، ونستريح من شأنه. فقال لهم إبليس اللعين: هذا والله هو الرأي. فأجمعوا رأيهم على هذا وأنهم يقتلونه، واجتمعوا لتنفيذ ذلك عند باب الدار التي ينام فيها رسول الله ﷺ، وكان أبو بكر (رضي الله عنه) قبل ذلك هاجر إلى الحبشة فيمن هاجر، فلقية عمرو بن الدغنة سيد بني القارة، وهم بنو الهون بن خزيمة بن مدركة بن إلياس، فقال لأبي بكر: أنت لا تذهب، وأنت في ذمتي. فرجع به في ذمته، وأعطاه قريش ذمة ابن الدغنة على أن لا يظهر قراءته ولا دينه، وأن يجعل دينه سرّاً في بيته، فلما طال ذلك على أبي بكر (رضي الله عنه) صار يُظهر صلاته وقراءته، فأرسلت قريش إلى عمرو بن الدغنة، الذي كان في ذمته

أبو بكر (رضي الله عنه)، فقالوا: نحن لا نحب أن نخفر ذمتك، وإن صاحبك صار يفعل ما لم يحصل عليه الاتفاق، فكلم ابن الدغنة أبا بكر (رضي الله عنه) فقال: إما أن تفي بالشرط الذي توافقنا عليه، وإما أن ترد إلي ذمتي. فقال له أبو بكر (رضي الله عنه): رددت إليك ذمتك، وأنا في ذمة الله تعالى. وكان أبو بكر لما أراد أن يهاجر أشار له النبي ﷺ أنه يطمع أن يؤذن له في الهجرة، فقعد أبو بكر (رضي الله عنه) طمعاً في أن يؤذن لرسول الله ﷺ في الهجرة فيكون رفيقه، واشترى راحلتين، وكان يعلفهما الخبط، وهو ورق السمر، شجر معروف، علفهما إياه أشهراً عديدة، أربعة، أو ستة، أو غير ذلك. فلما اجتمعت قريش لقتل النبي ﷺ وكان النبي ﷺ يأتي بيت أبي بكر كل يوم إما أول النهار أو آخره، فبينما هم ذات يوم إذ قدم عليهم رسول الله ﷺ في حر الظهيرة، فقال أبو بكر: هذا وقت ما جاءنا به رسول الله، والله ما جاء إلا لأمر حدث. ثم لما دخل عليه رسول الله ﷺ قال لأبي بكر: أقم من عندك. فقال: هم أهلك يا رسول الله، هم ابتنائي - يعني عائشة وأسماء (رضي الله عنهما) - فأخبر النبي أبا بكر (رضي الله عنه) أن الله أذن له في الهجرة، فقال: الصحبة يا رسول الله. فقال: الصحبة. قالت أسماء (رضي الله عنها): ما رأيت أحداً يبكي من الفرح قبل ذلك اليوم، فأبو بكر يبكي من الفرح. كذا قاله غير واحد من أهل الأخبار والسير، ثم إن قريشاً اجتمعوا لتنفيذ الخطة وقتل رسول الله ﷺ، فجاء جبريل فأخبر النبي ﷺ وأمره بالخروج، فنادى النبي ﷺ علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) وأمره أن يضطجع في مكانه، وأن ينام في البرد الذي كان ينام فيه رسول الله ﷺ، ثم إن الله أخذ بأعينهم فمر بهم النبي ﷺ

وقرأ عليهم آيات من أول سورة يس حتى بلغ ﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس: آية ٩] ووضع على رأس كل واحد منهم التراب. ثم خرج هو وأبو بكر (رضي الله عنه). قال بعضهم: خرج من خوخة في قفى دار أبي بكر التي في بني جُمَح، وذهب هو وأبو بكر إلى الغار، وهو غار في جبل من جبال مكة يُسمى ثوراً، فدخل فيه هو والنبي ﷺ، وجاءه ليلاً، ومكثوا فيه ثلاث ليال بأيامها حتى يرجع الطلب، وأجروا رجلاً من بني دؤل بن كنانة يُسمى عبد الله بن الأريقط على دين كفار قريش، يُقال: إن له خؤولة في بني سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي، فأمنه واستأجره على راحلتيهما وواعده بعد ثلاث ليال أن يأتيهم بالراحلتين في غار ثور، وكان كافراً أميناً، كتم سرهما وحفظ عليهما أمرهما، وجاءهما في الموعد، وكان عبد الله بن أبي بكر (رضي الله عنهما) غلاماً ثَقَفاً شاباً عاقلاً، كان يأتيهم بأخبار قريش وكل ما قالوا وتحدثوا به في شأنهم في النهار يأتيهم به في الليل في الغار، وكانت أسماء (رضي الله عنها) تأتيهم بالطعام، وكان عامر بن فهيرة الطائي (رضي الله عنه) مولى أبي بكر الصديق كان عبداً مملوكاً لأولاد أم رومان، وهي أم عائشة، كانت لها أولاد قبل أبي بكر، وكان عامر بن فهيرة هذا عبداً لهم، فاشتراه أبو بكر (رضي الله عنه) فأعتقه، فكان مولى لأبي بكر، كان يريح على النبي وأبي بكر غنماً لأبي بكر (رضي الله عنه) فيحلب لهم منها فيشربون بالليل، ثم إذا كان في آخر الليل صاح بها فأصبح مع رعاء قريش، ولا يدرون أنه كان معهم. فمكثوا فيها ثلاث ليال، فجاءهم عبد الله بن الأريقط الدؤلي - رفيقهم - وركبا، وكان خريّتاَ ماهراً، سار بهم في طرق غير معهودة؛ لأن الطرق المعهودة عليها

الرصد والعيون، وكانت قریش أخذوا قائفاً خبيراً بقص الأثر يقال هو سراقه بن مالك بن جعشم، ويقال هو غيره، فاقصص بهم الأثر حتى بلغ الغار، وقال: من هاهنا ضاع الأثر. ويقول أصحاب الأخبار والسير: إن الله قيّض العنكبوت فنسجت على الغار^(١)، وقيّض حمامتين وحشيتين فباضتا على فم الغار^(٢)، فلما جاء كفار مكة ووصلوا فم الغار، قال أبو بكر لرسول الله ﷺ: لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لرآنا. فقال له رسول الله ﷺ: «ما بالك باثنين الله ثالثهما؟»^(٣) فرجعوا خائبين. فلما كان بعد ثلاث ليال ورجع الطلب جاءهم عبد الله بن الأريقط براحليتهما وركبا ومعهما عامر بن فهيرة. وكان عامر بن فهيرة رديف أبي بكر والنبي ﷺ على إحدى الناقتين اللتين اشتراهما أبو بكر لهذا الغرض، وهي ناقته العضباء المشهورة، ولما عرضها عليه أبو بكر (رضي الله عنه) أبى أن يقبلها إلا بالثمن (صلوات الله وسلامه عليه)، فخرج بهما في طريق يُسمى طريق الساحل، وجاء إلى طرق غير معهودة، وابن إسحاق ذكر المَحَال التي جاء منها^(٤)، تارة يصلون إلى الطريق المعهودة، وتارة يخرجون عنها

(١) مضى عند تفسير الآية (٣٠) من سورة الأنفال.

(٢) أخرجه ابن سعد (١/١٥٤)، والبخاري (كشف الأستار ٢/٢٩٩)، ولا يصح في بيض الحمامتين شيء، وانظر: أحاديث الهجرة ص ١٣٨.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب: مناقب المهاجرين وفضلهم، منهم أبو بكر رقم (٣٦٥٣)، (٨/٧)، وانظر: الأحاديث رقم (٣٩٢٢)، (٤٦٦٣).

وأخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي بكر الصديق، رقم: (٢٣٨١)، (٤/١٨٥٤).

(٤) نقله عنه ابن هشام ص ٥١٤ - ٥١٦، وابن كثير في البداية والنهاية (٣/١٨٩)، =

حتى وصلوا المدينة. ومن أشهر ما حصل في طريقهم إلى المدينة قصة أم معبد، وقصة سراقه بن مالك بن جعشم. ومما نزل من القرآن في هذا السفر، نزلت فيه آيات من القرآن منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ [القصص: آية ٨٥] قال بعض العلماء: نزلت في الجحفة في سفر الهجرة هذا، وفي هذا السفر مرّ على ديار بني مدلج، يقول بعضهم: هي قريب من قديد فقال رجل: رأيت أشخاصاً كأنهم القوم الذين يطلبهم قريش. فعلم سراقه بن مالك أنهم هم، ولكنه طمع بأن يأخذهم أو يقتلهم فينال الجعائل التي جعلتها قريش. فقال: لا، أولئك قوم خرجوا للكلا. ثم بعد هنيهة خرج وأمر جاريته أن تسرج فرسه من وراء أكمه، ثم خرج مختفياً فركب على فرسه، فلما قاربهما ساخت به قوائم فرسه في الأرض، في القصة المشهورة، فطلب الأمان من رسول الله ﷺ^(١)، قال بعض أهل السير والأخبار: إن النبي ﷺ كتب له رقعة، وصار يثبط الناس ويردهم عن رسول الله ﷺ، فسمع بذلك الخبيث أبو جهل، وأرسل إلى بني مدلج يحذرهم من نصر سراقه لنبي الله ﷺ، ويقول أبو جهل لعنه الله في ذلك أشعاراً في غاية الكفر، ويعيب على سراقه نصره لنبي الله ﷺ، ومما يقول في ذلك^(٢):

بني مُدْلَجِ إِنِّي أَخَافُ سَفِيهِكُمْ
سُرَاقَةُ مُسْتَعْوٍ لِنَصْرِ مُحَمَّدٍ

= وقد جاء ذلك في بعض الروايات عند الحاكم (٨/٣)، وابن سعد (١٥٧/١/١)، وانظر: مجمع الزوائد (٥٥/٦).

(١) خبر سراقه وما قبله مما يتعلق بالهجرة من روايات كل ذلك تقدم تخريجه في مواضع سابقة، منها عند تفسير الآية (٣٠) من سورة الأنفال.

(٢) البيتان في البداية والنهاية (١٨٦/٣).

عليكم به ألا يُفَرَّقَ شَمْلُكُمْ فيصبحَ شَتَى بعد عزٍ وسُودَدِ
فسمع بشعره سراقه بن مالك وأرسل إليه بأبياته المشهورة التي
ذكرها غير واحد من المؤرخين وأصحاب السير وهو قوله (وكان
أبو جهل يكنى أبا الحكم)^(١):

أبا حكم واللّه لو كنتَ شاهداً لأمرِ جَوَادِي إذ تسوخ قوائمه
علمتَ ولم تَشْكُكْ بأن محمداً رسولُ برهان فمن ذا يقاومه
عليك بكفّ القوم عنه فلإنني أرى أمره يوماً سبّداً ومعالمه
بأمر يود الناس فيه بأسرهم بأن جميع الناس طراً يسالمة

ومر في هذه الطريق بعاتكة بنت خالد الخزاعية المعروفة بأمر
معبد (رضي الله عنها)؛ لأنها أسلمت وقد رويت قصتها عنها وعن
أخيها حُبَيْش بن خالد ويقال خُنَيْس بن خالد وغيرهما^(٢) أنهم كانوا

(١) الأبيات في دلائل النبوة للبيهقي (٤٨٩/٢)، البداية والنهاية (١٨٦/٣) مع
اختلافات يسيرة في الأبيات الثلاثة الأولى، أما البيت الأخير فنصه في البداية
والنهاية:

بأمر تودُ النصر فيه فلإنهم وإن جميعَ الناس طراً مُسَالِمة
وفي الدلائل:

بأمر يود النصر فيه بإلها لو أن جميعَ الناس طراً تسالمة
(٢) أخرجه البيهقي في الدلائل (٢٧٦/١)، (٤٩١/٢)، والحاكم (٩/٣)،
وابن سعد (١٥٥/١/١)، وابن عساكر. انظر: تهذيب تاريخ دمشق (٣٢٦/١)،
والآجري في الشريعة ص ٤٦٥.

وذكره الهيثمي في المجمع (٥٥/٦) من حديث جابر (رضي الله عنه) مختصراً،
وعزاه للبخاري، وقال: «وفيه من لم أعرفه». اهـ، وأورده من حديث حبش بن
خالد (رضي الله عنه) (٥٥/٦)، وقال (٥٨/٦): «رواه الطبراني في إسناده
جماعة لم أعرفهم». اهـ.

في شدة، وكانت أغنامهم عازبة، فمرّ بها رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر وعامر بن فهيرة وعبد الله بن الأريقط، فسألوها هل عندها لحم أو تمر يباع؟ فقالت: لا شيء عندها. وقالت: لو كان عندنا القرى ما أعوزكم. لأن الحي في شدة، والأغنام عازبة، فنظر رسول الله ﷺ إلى شاة في كسر خيمتها فقال: «ما بال هذه الشاة؟» قالت: خلّفها الجهد. قال: «أتأذنين لي أن أحلبها؟» قالت: إن وجدت فيها حليياً فاحلبها. فدعا بها رسول الله ﷺ فمسح ضرعها وسمى الله، فتفاجت واجترت، ودعا بإناء عظيم فحلب فيه حتى امتلأ، فسقاها هي ومن معها، ثم سقى قومه، وشرب ﷺ وقال فيما يقول أهل الأخبار: «ساقى القوم آخرهم شرباً»^(١) ثم أخذ الإناء وملاه مرة أخرى وتركه عندها وخرج. فلم تمكث إلا قليلاً أن جاء زوجها أبو معبد فوجد الإناء مملوءاً من اللبن، فعجب منه وقال: كيف هذا اللبن؟ ولا حلوبة في البيت؟ فقالت: جاءنا رجل مبارك من صفته كيت وكيت، فقال: صفيه لي يا أم معبد. فوصفته وصفها المشهور، فقالت له: رأيت رجلاً ظاهر الوضأة، حسن الخلق، مليح الوجه، لم تبعه تُجَلَّة^(٢)، ولم تُزّر به صُعَلَّة، قسيم وسيم، في عينيه دَعَج، وفي

= كما أورده من حديث قيس بن النعمان (٥٨/٦) وقال: «رواه البزار ورجاله رجال الصحيح». اهـ.

(١) أخرجه ابن سعد (١/١/١٥٥) في خبر الهجرة، وهذه الجملة «ساقى القوم آخرهم شرباً» وردت أيضاً في مناسبة غير سفر الهجرة، كما في حديث أبي قتادة (رضي الله عنه) عند مسلم في المساجد ومواضع الصلاة، باب قضاء الصلاة الفائتة رقم (٦٨١)، (٤٧٢/١).

(٢) المثبت في أكثر الروايات (تُجَلَّة)، وفي بعضها: (نُحَلَّة). والتُجَلَّة: عظم البطن، والنحلة: الدقة والنحول.

أشفاره حَوَر، وفي صوته صَحَل، أكحل أقرن أزج، في عنقه سَطَعَ، وفي لحيته كثافة. إذا صمت فعليه الوقار، وإذا تكلم سما وعليه البهاء، حلو المنطق، فَصْلٌ ليس بنزر ولا هَذَر، كأن منطقَه خَرَزَاتِ نظم يتحدَّرْنَ أو ينحدرن، أجمل الناس وأبهاهم من بعيد، وأحسنهم من قريب، رَبْعَةٌ لا تَنْسُوهُ عَيْنٌ لَطُولَه، ولا تَقْتَحِمُه عَيْنٌ لِقِصَرِه، إلى آخر ما ذكرت من أوصافه الكريمة الجليلة صلوات الله وسلامه عليه^(١).

وهذه المعاني الجليلة قد لا يفهمها كل الناس، سنُشير إلى ما لا يُفهم منها:

فقولها: (لم تبعه التُّجْلَة)^(٢): بضم التاء والجيم معناه عِظَم البطن وكبرها. وقيل: ارتفاع الخاصرتين ونتوؤهما.

(ولم تُزَرِّ به صُغْلَةٌ): الصُّغْلَةُ: صغر الرأس صغراً مفرطاً. يعني: ليس ضخم البطن، ولا صغير الرأس جداً، بل هو ضامر البطن، رأسه ليس بصغير صغراً مزيماً.

وقولها: (في عينيه دَعَج): الدَّعَج: سواد العين مع سعتها.

وقولها: (في أشفاره وَطَف): الوَطَف: هو كثرة شعر الجفن.

وقولها (أَزَج) تعني: قليل شعر الحاجب.

وقولها: (أقرن): تعني أن شعر حاجبيه يمتد طرف هذا حتى يقرب من هذا مع الزَجَج فيه.

(١) هذه الأوصاف وردت في بعض الروايات عند الحاكم (٩/٣)، والبيهقي في الدلائل (٢٧٨/١ - ٢٧٩)، وابن سعد (١/١٠٦)، وابن عساكر (تهذيب تاريخ دمشق ١/٣٢٦ - ٣٢٧).

(٢) راجع الحاشية قبل السابقة.

وقولها: (في عنقه سَطَع): أي طول؛ لأنه ليس قصير العنق.
إلى آخر ما ذكرته من أوصافه الجميلة.

فلما جاء زوجها قال: هذا والله صاحب قريش الذي يطلبونه
ولأجهدن في أن أصبح به. وذكر غير واحد أنه أسلم بعد ذلك وهاجر
إلى النبي ﷺ.

وفي صبيحة ذلك اليوم سمع قريش هاتفاً من الجن يسمعون
صوته مرتفعاً، ولا يرون شخصه، يُنشد ذلك الشعر المشهور الذي
يقول فيه^(١):

جَزَى اللَّهُ رَبُّ النَّاسِ خَيْرَ جَزَائِهِ	رَفِيقَيْنِ حَلًّا خِيَمَتِي أُمَّ مَعْبَدٍ
هُمَا نَزَلَا بِالْبِرِّ وَارْتَحَلَا بِهِ	فَأَصْلَحَ مِنْ أَمْسَى رَفِيقَ مُحَمَّدٍ
فَيَا لَقْصِيٍّ مَا زَوَى اللَّهَ عَنْكُمْ	بِهِ مِنْ فَعَالِ اللَّهِ جَاهًا وَسُودِدِ
لِيَهْنِ بَنِي كَعْبٍ مَكَانَ فَتَاتِهِمْ	وَمَقْعَدُهَا لِلْمُؤْمِنِينَ بِمَرْصَدِ
سَلُّوا أُخْتَكُمْ عَنْ شَاتِيهَا وَإِنَائِهَا	فَإِنَّكُمْ إِنْ تَسَالُوا الشَّاةَ تَشْهَدِ

ولم يدر قريش أين ذهب النبي ﷺ حتى سمعوا هاتفاً من الجن
على أبي قُبَيْسٍ ينشد هذا الشعر، يسمعون أيضاً صوته ولا يرون
شخصه:

فَإِنْ يُسَلِّمِ السَّعْدَانُ يُصْبِحُ مُحَمَّدٌ بِمَكَّةَ لَا يَخْشَى خِلَافَ الْمُخَالِفِ
فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: ما هذان السعدان، سعد كذا أو سعد كذا^(٢).

(١) هذه الأبيات ضمن الرواية المفصلة في قصة أم معبد، وقد سبق تخريجها قريباً.
(٢) القائل هو أبو سفيان، ومقالته: «من السعدان: أسعد بن بكر، أم سعد بن
هذيم؟» وهما قبيلتان.

فسمع بعد ذلك الهاتف يقول^(١):

أَيَا سَعْدُ سَعْدَ الْأَوْسِ كُنْ أَنْتَ نَاصِرًا وَيَا سَعْدُ سَعْدَ الْخَزَرَجِينَ الْغَطَارِفِ
أَجِيبَا إِلَى دَاعِيِ الْهَدَى وَتَمَنِّيَا عَلَى اللَّهِ بِالْفَرْدَوْسِ مُنِيَّةً عَارِفِ
فَإِنْ جَزَاءَ اللَّهِ لِلطَّالِبِ الْهُدَى جَنَّانٌ مِنَ الْفَرْدَوْسِ ذَاتَ رِفَارِفِ

ثم إن النبي ﷺ استمر في طريقه ذاهباً إلى هذه المدينة - حرسها الله - وكان الأنصار (رضي الله عنهم) سمعوا بخروج النبي ﷺ، وكان النبي في طريقه، لقي الزبير بن العوام كما ذكره البخاري^(٢) في قوم مسلمين جاؤوا تجاراً من الشام، فكساهم ثياباً بيضاً وجاؤوا يلبسون ثياباً بيضاً، وكان الأنصار كلما صلوا الصبح خرجوا إلى حرتهم ينتظرون رسول الله ﷺ فرحاً بقدومه، فلم يزالوا ينتظرونه حتى تغلبهم الشمس على الظلال، والزمن زمن حر في ذلك الوقت، ولم يزالوا كذلك حتى رجعوا إلى بيوتهم وقت شدة الحر بعد أن غلبتهم الشمس على الظلال، فصعد رجل من يهود على أطم من أطامهم فأبصر برسول الله ﷺ والذين معه في ثياب بيض يزول بهم السراب، فلم يتمالك أن نادى بأعلى صوته: يا بني قَيْلَةَ هذا جدُّكم الذي تنتظرون، فثار الأنصار في السلاح وتلقوه (صلوات الله وسلامه عليه)^(٣). وفي بعض الروايات الثابتة^(٤) أنه لما قرب من المدينة

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل (٢/٤٢٨ - ٤٢٩)، ونقله عنه ابن كثير في البداية والنهاية (٣/١٦٥).

(٢) مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، حديث رقم: (٣٩٠٦)، (٧/٢٣٨ - ٢٣٩).

(٣) الكلام إلى هذا الموضع تابع لرواية البخاري.

(٤) أوردها ابن هشام (٥١٧ - ٥١٨)، وابن كثير في تاريخه (٣/١٩٦).

جلس في ظل نخلة، وأن الأنصار جاؤوه في السلاح، وكان كثير منهم لم يرَ النبي ﷺ ولم يعرف هو أو أبو بكر جلس تحت ظل تلك الشجرة حتى تحول الظل عن النبي ﷺ فقام أبو بكر فظلّ عليه بردائه، فعلموا أنه هو. وجاء في بعض الروايات أنه جاء المدينة في حرّ الظهيرة^(١). وفي بعضها^(٢) أنه دخلها في الليل. وقد وفق بينهما بعض العلماء^(٣) بأن أصل قدومه وقت الظهيرة، وأنه جلس تحت تلك النخلة حتى صار آخر النهار. فجاء بني عمرو بن عوف في قباء، وقدم أولاً على بني عمرو بن عوف من الأوس في قباء ومكث فيهم مدة. واختلف العلماء في قدر المدة التي مكث فيهم^(٤)، فثبت في صحيح البخاري وغيره أنه مكث فيهم بضع عشرة يوماً^(٥)، وجاء علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) وأدرك النبي ﷺ وهو في بني عمرو بن عوف بقباء؛ لأن النبي ﷺ كانت تدعوه قريش (الأمين) وكان عنده كثير من الودائع يحفظها لأمانته عندهم، فخلف علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) بعد أن هاجر هو وأبو بكر حتى يرد على الناس ودائعهم، ثم يتبعه ﷺ، فلحق به وهو في بني عمرو بن عوف بقباء. كان ابن إسحاق يقول: قدم النبي ﷺ على بني عمرو بن عوف بقباء يوم الاثنين لاثنتي عشرة مضت من ربيع الأول، ومكث فيهم

(١) كما في رواية البخاري السابقة عن عروة.

(٢) كما في رواية مسلم من حديث الهجرة المخرج في الصحيحين من حديث البراء عن أبي بكر (رضي الله عنهما)، وقد تقدم تخريجه عند تفسير الآية (٣٠) من سورة الأنفال.

(٣) انظر: البداية والنهاية (٣/١٩٦)، فتح الباري (٧/٢٤٤).

(٤) انظر: تاريخ ابن كثير (٣/١٩٨)، فتح الباري (٧/٢٤٤).

(٥) تقدم تخريجه في الصفحة السابقة.

يوم الاثنين ويوم الثلاثاء والأربعاء والخميس^(١)، ثم سار يوم الجمعة إلى المدينة. وهذا قول ابن إسحاق. وروى البخاري عن طريق الزهري ما يقتضي أنه مكث في بني عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة^(٢). فلما خرج من بني عمرو بن عوف ذاهباً إلى المدينة، قال ابن إسحاق وغيره^(٣): وافته الجمعة حذاء مسجد بني سالم بن عوف، المسجد الذي في الوادي بين قباء والمدينة، فصلى فيه الجمعة. قالوا: وهي أول جمعة صلاها بالمدينة، فجاءه عتبان بن مالك (رضي الله عنه) وعباس بن عباد بن نضلة في رجال من بني سالم بن عوف، وقالوا: يا نبي الله: أقم عندنا في العزة والعدد والمنعة. فقال يعني ناقته: «خلوا سبيلها إنها مأمورة» فخرجت ذاهبة إلى المدينة، فلما وازى دور بني بياضة تلقاه زياد بن لييد وفروة بن عمرو في رجال من بني بياضة فقالوا: يا نبي الله هلم إلينا في العدة والعدد والمنعة. قال: «خلوا سبيلها إنها مأمورة» فلما مرت بديار بني ساعدة من الخزرج تلقاه سعد بن عباد (رضي الله عنه) والمنذر بن عمرو (رضي الله عنهم) وقالوا: يا نبي الله هلم إلينا في العدة والعدد والمنعة. قال: «خلوا سبيلها إنها مأمورة» فلما مرت ببني عدي بن النجار وهم أخواله الأقربون ﷺ؛ لأن جده عبد المطلب أمه سلمى بنت عمرو بن زيد من بني عدي بن النجار، تلقاه منهم رجال منهم سليط بن قيس وأبو سليط. فقالوا: يا نبي الله هلم إلى أخوالك في العدد والعدة والمنعة. قال: «خلوا سبيلها إنها مأمورة» فلما مرت

(١) نقله ابن هشام ص ٥٢٠.

(٢) تقدم تخريجه في الصفحة السابقة.

(٣) نقله ابن هشام ص ٥٢٠.

بديار بني الحارث بن الخزرج^(١) تلقاه جماعة منهم، منهم سعد بن الربيع، وعبدالله بن رواحة، وخارجة بن زيد (رضي الله عنهم)، في رجال من بني الحارث بن الخزرج، فقالوا: يا رسول الله هلم إلينا في العدد والعدة والمنعة. قال: «خلوا سبيلها إنها مأمورة» حتى بلغت ديار بني مالك بن النجار فبركت بجانب هذا المسجد. وكان إذ ذلك الوقت مربداً، والمربد موضع إصلاح التمر، وكان ليتيمين من بني مالك بن النجار هما سهل وسهيل ابنا عمرو، وابن إسحاق يقول^(٢): إنهما في حجر معاذ بن عفراء. وجاء في صحيح البخاري من طريق الزهري ما يقتضي أنهما في حجر أسعد بن زرارة (رضي الله عنه)^(٣). فبركت الناقة، فلما بركت قال ابن إسحاق^(٤): لم ينزل عنها رسول الله ﷺ حتى قامت ومشى قليلاً ثم التفتت ورجعت إلى مبركها الأول. وتحلحلت فيه ووضعت جرائها في الأرض. والجران: باطن عنق البعير، وكان أقرب بيت لذلك بيت أبي أيوب الأنصاري — خالد بن زيد (رضي الله عنه) — فأخذ رحل رسول الله ﷺ إلى بيته، ولم يزل ﷺ في بيت أبي أيوب حتى بنى هذا المسجد، وبنى مساكنه وحُجَّره التي بجانبه فانتقل إليها.

هذا ملخص عما جاء في هذا السفر المبارك، سفر الهجرة، فيه بعض روايات ثابتة في الصحيح، وفيه كثير منه في السيرة والأخبار،

(١) كان مروره ﷺ بديار بني الحارث بن الخزرج قبل مروره ببني عدي بن النجار كما في رواية ابن إسحاق.

(٢) نقله ابن هشام ص ٥٢١.

(٣) تقدم تخريجها قريباً.

(٤) وعنه ابن هشام ص ٥٢١.

والسير والأخبار تُحكى، وإنما يُحتاج إلى التصحيح فيها لما يتوقف عليه بعض الأحكام الشرعية، وهذه القصة ذكر بعض العلماء فيها أحكاماً مفيدة كثيرة منها:

أن النبي ﷺ استأمن كافراً على سره وأمنه، وانتفع بخبرة كافر، ومثل هذا يحتاج إلى التنبيه عليه اليوم؛ لأن الناس اليوم بين مُفرط ومفرط في الانتفاع من الكفار، فبين مُفرط يزعم أن تقليد الكفار يلزم في كل شيء، حتى ولو كان الانسلاخ من دين الله، ومنهم مفرطون يقولون: لا تأخذوا عنهم شيئاً ولو من أمور الدنيا البحتة. والتحقيق أنه يؤخذ عنهم ما يجوز أخذه، ولا يؤخذ عنهم ما لا يجوز أخذه. والنبي ﷺ علّم أمته ذلك في وقائع كثيرة، من ذلك أنه لما لم يجد إلا أميناً كافراً ائتمن هذا الأمين الكافر وعامله وانتفع بخبرته العظيمة في الطرق على حد قولهم: «اجتن الثمار وألق الخشبة في النار»^(١) ولم يكن جامداً، ولم يقل: هذا كافر، والكافر خبيث، والانتفاع بالخبيث خبيث. بل تبرأ منه. لا، بل انتفع بخبرته واستأجره؛ ولهذا نظائر كثيرة، من ذلك: أن النبي ﷺ لما سمع بقدوم الأحزاب مع كثرتهم وقلة المؤمنين قال له سلمان الفارسي: كنا إذا خفنا خندقنا^(٢). فالخندق خطة عسكرية ابتدعتها أذهان فارس، وهم كفار يعبدون النار، فلم يقل النبي ﷺ: هذه خطة نجسة؛ لأن الكفار ابتدعوها. بل أخذ بها وانتفع بها وهو متمسك بدينه، وقد ثبت في صحيح مسلم ما يقتضي أن النبي ﷺ هم بمنع الغيلة، وهي وطأ المرضع؛ لأن العرب كانوا يعتقدون أن المرأة إذا

(١) مضى عند تفسير الآية (١١٥) من سورة الأنعام.

(٢) السابق.

كانت ترضع ولدها إذا جامعها زوجها وهي ترضع ولدها أن ذلك يضعف ولدها ويضعف عظمه ويضره، وكانوا إذا ضرب الرجل فبنا سيفه عن الضريبة، قالوا: هذا من آثار الغيلة عليه، وُطِئت أمه وهو يرضعها حتى كان شاعرهم يقول^(١):

فوارسٌ لم يُغَالُوا في رَضَاعٍ فتنَّبُوا في أَكْفَهِم السيوفُ

فسمع ﷺ عن الروم وفارس أنهم يفعلون هذا ولا يضر أولادهم فأخذ هذه الخطة الطيبة عن الروم وفارس^(٢). وهذه الخطة العسكرية عن فارس والانتفاع بهذه الخبرة عن هذا الرجل الكافر الذي يعبد الوثن ليعلم أمته أنهم يأخذوا من الكفار أمورهم الدنيوية البحتة، ولا يقلدهم في كفرهم وضلالهم، وهذا واضح لا إشكال فيه.

ومعنى الآية الكريمة: أن الله (جلّ وعلا) يقول: إلا تنصروا نبي الله وتتقاعسوا وتتباطؤوا عنه في غزوة تبوك فالله يكفيه ولا يحتاج إليكم وقد نصره في مواضع أعسر وأشد من هذا، فقد نصره الله حين أخرجهم الذين كفروا بما ذكرنا من تواطئهم عليه وإلجائهم إلى الخروج. كان بعض العلماء يقول^(٣): يؤخذ من هذه الآية من سورة براءة بعض الأحكام الفقهية، وأن الإنسان إذا أكره إنساناً على الاعتداء، كأن أكرهه على أن يقتل أو يتلف مالا، أن المكره (بكسر الراء) أعني باسم الفاعل، يلزمه غرم ذلك والقصاص فيه، لأن [الله]^(٤) نسب الإخراج إليهم؛ لأنهم ألجؤوا النبي ﷺ إليه. فسمى

(١) السابق.

(٢) تقدم تخريجه عند تفسير الآية (١١٥) من سورة الأنعام.

(٣) انظر: القرطبي (١٤٣/٨).

(٤) في الأصل: «النبي»، وهو سبق لسان.

المُكْرَه فاعلاً، فهذا له وجه من النظر ظاهر. وهذا معنى قوله: ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [التوبة: آية ٤٠] كقوله: ﴿وَكَايْنٍ مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ [١٣] ﴿مُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ﴾ [الممتحنة: آية ١].

وقوله: ﴿ثَانِفٌ أَثْنَيْنِ﴾ حال ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في حاله ﴿ثَانِفٌ أَثْنَيْنِ﴾ أي: واحداً من اثنين ليس معه إلا رجل واحد ﴿إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ بدل من قوله: ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ف (إِذْ) الثانية بدل من (إِذْ) الأولى، ﴿إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ الغار هو الثقب في الجبل، والمراد به الغار المذكور في جبل ثور من جبال مكة ﴿إِذْ يَقُولُ﴾ النبي ﷺ ﴿لِصَاحِبِهِ﴾ وقد أجمع جميع المسلمين أنه أبو بكر (رضي الله عنه). وفي هذه الآية من سورة براءة أعظم منقبة لأبي بكر (رضي الله عنه)، فما يحاول به الإمامية وغيرهم من الشيعة من الكلام في أبي بكر (رضي الله عنه) وتفنيده ما دلت عليه هذه الآية من فضله وعظمته، كله باطل لا يلتفت إليه، وقد قال بعض العلماء^(١): من أنكر أن أبا بكر صاحب رسول الله كفر لتكذيبه بهذه الآية الكريمة.

﴿لَا تَحْزَنْ﴾ الحزن في لغة العرب^(٢) هو الغم من أمر فائت، وربما تطلقه العرب على الغم من أمر مستقبل نادراً، كما هنا. والخوف: الغم من أمر مستقبل، وربما أطلقت العرب على الغم من أمر فائت، أي: لا يداخلك حزن من الخوف.

(١) انظر: القرطبي (١٤٦/٨).

(٢) مضى عند تفسير الآية (٤٨) من سورة الأنعام.

﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: آية ٤٠] وقد قال أبو بكر في قصة الغار قصيدته الرائية المشهورة التي يبين فيها قول النبي ﷺ هذا له حيث يقول^(١):

قال الرسول ولم يجزع يُوقرني ونحن في سُدفٍ من ظلمة الغار
لا تخش شيئاً فإن الله ثالثنا وقد تكفل لي منه بإظهار
إلى آخر القصيدة المشهورة، وهذا معنى قوله: ﴿لَا تَحْزَنْ
إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ العرب تقول: (حَزَن) بكسر الزاء (يحزَن) بفتحها
(حَزَنًا) على القياس و(حُزْنًا) إذا أصابه الحزن، وأكثر ما يستعمل
الحزن في الغم من أمر فائت، وقد يُطلق على الغم من أمر مستقبل
كما هنا.

﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ هذه معية خاصة، والله (جلّ وعلا) بين في كتابه أن له مع خلقه معية خاصة ومعية عامة. أما المعية الخاصة كقوله هنا: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾، ﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: آية ٦٢]، ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: آية ٤٦]، ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾، فمعنى هذه المعية: أن الله ناصرهم وحافظهم وكالئهم ومعينهم، هذه هي المعية المذكورة هنا.

﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾ السكينة: (فعيلة) من السكون، وهي الطمأنينة وثبوت الجأش حتى لا يكون فيه خوف ولا حزن. ﴿عَلَيْهِ﴾ التحقيق أن الضمير عائد إلى النبي ﷺ، وقال

(١) البيتان ذكرهما ابن كثير في تاريخه (٣/ ١٨٣) ولفظهما هناك:

قال النبي - ولم أجزع - يوقرني ونحن في سُدفٍ من ظلمة الغار
لا تخش شيئاً فإن الله ثالثنا وقد توكل لي منه بإظهار

بعضهم: هو إلى أبي بكر^(١)؛ لأنه هو الحزين الذي يتشوش ضميره ﴿وَأَيَّكُمُ﴾ [التوبة: آية ٤٠] أي: أيّد نبي الله ﷺ أي: قواه ﴿يَجُنُودُ لَمْ تَرَوْهَا﴾ ظاهر هذه الآية الكريمة أن وقت إتيان الكفار إلى الغار أن الله (جلّ وعلا) جعل عند النبي في ذلك الوقت جنوداً من الملائكة لم يرها الناس، لو أراد الكفار أن يفعلوا به شيئاً لأهلكوهم، وهذا هو ظاهر الآية، وأكثر المفسرين يقولون: إن معنى ﴿وَأَيَّكُمُ يَجُنُودُ لَمْ تَرَوْهَا﴾ يعني: ما وقع من نزول الملائكة يوم بدر، ويوم الأحزاب، ويوم حنين كما تقدم إيضاحه. وظاهر القرآن أن جنود الملائكة تحيط به في ذلك الوقت، والله الذي هو أعظم معه بنصره وعزه وقوته في ذلك الوقت لا يخاف شيئاً، ولكن الله (جلّ وعلا) يشرع بأفعال رسله وأقوالهم لخلقهم، فالله (جلّ وعلا) مع عظمته وجلاله وتصريح النبي بأنه معه، وأن الله أيده بجنود الملائكة، مع هذا يدخل في غار في ظلمة الليل، والغار فيه الحيات وخشاش الأرض؛ ليسن للناس ويشرع لهم حمل أعباء تبليغ الرسالة والدعوة، وأن يتحملوا في شأن الدعوة إلى الله كل البلايا والمشاق، ويستهنوا فيها بكل عظيم، هذا هو السر في ذلك، / وهذا معنى قوله: ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّكُمُ يَجُنُودُ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى﴾ السفلى: تأنيث الأسفل، وهو الذي يَفْضُلُ غيره في السفالة والخساسة والانحطاط، كلمة الكفار جعلها الله هي السفلى، وكلمة الكفار هي كلمة الكفر، وعبادة الأصنام، وعبادة غير الله (جلّ وعلا). ومعنى كونها هي السفلى: اندحار أهلها وقمعهم وإظهار كلمة الله.

(١) انظر هذه الأقوال في: ابن جرير (٢٦١/١٤)، القرطبي (١٤٨/٨).

﴿وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾ كلمة الله: لا إله إلا الله وما تضمنته، صارت هي العليا، وصار الحكم لها، وصار صناديد الكفرة بين مقتول ومأسور ومسلم، وصارت أحكام الله هي التي تنفذ، وكلمته هي التي يعمل بها في أرضه، ودحض الله الكفار وأهلكهم. وهذا معنى قوله: ﴿وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾.

﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ العزيز: الغالب الذي لا يغلبه شيء. والعزة؛ الغلبة، ومنه: ﴿وَاللَّهُ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ﴾ [المنافقون: آية ٨] أي: لله الغلبة ولرسوله وللمؤمنين، ﴿وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ [ص: آية ٢٣] أي: غلبني في الخصام. ومن أمثال العرب: «من عزَّ بز»^(١) يعنون من غلب استلب. ومنه قول الخنساء بنت عمرو بن الشريد السلمية الشاعرة^(٢):

كَأَن لَّمْ يَكُونُوا حِمًى يُخْتَشَى إِذْ النَّاسُ إِذْ ذَاكَ مَنْ عَزَّ بَزًا

والحكيم^(٣): هو من يضع الأمور في مواضعها ويوقعها في مواقعها. وهذان الاسمان من أسماء الله (العزيز الحكيم) المتضمنان هاتين الصفتين من صفات الله، وهي عزه وحكمته وحكمه هما أبلغ شيء في امتثال أمره وطاعته (جلّ وعلا)؛ لأن عزته أي غلبته وقوته وقهره وسلطانه يجعلك أيها المسكين العظيم تخافه وتخضع لأمره ونهيه، وكونه (جلّ وعلا) حكيماً لا يأمرك إلا بما فيه لك الخير، ولا ينهاك إلا عما فيه لك الشر، ذلك يقتضي أيضاً أن تطيعه وتخضع

(١) مضى عند تفسير الآية (٩٦) من سورة الأنعام.

(٢) السابق.

(٣) مضى عند تفسير الآية (٨٣) من سورة الأنعام.

لأمره ونهيه. وهذا معنى قوله: ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: آية ٤٠].

قال تعالى: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٤١) لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَا تَبْغُوكُمْ وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ الشَّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوْ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٤٢) عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ (٤٣) [التوبة: الآيات ٤١ - ٤٣].

يقول الله (جلّ وعلا): ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٤١).

قال جماعة من العلماء: هذه الآية الكريمة هي أول آية نزلت من سورة براءة. قالوا: أول ما نزل منها: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ الآية، ثم بعد ذلك نزل أولها وآخرها^(١).

وقوله: ﴿انْفِرُوا﴾ أمرٌ بالنفر، والنفر المراد به هنا: التهيؤ والحركة للجهاد في سبيل الله، وكل متحرك بسرعة لأمر من الأمور تقول العرب: نفر له، كقولهم: النَّفَرُ غداة كذا. يعنون: تفرق الناس من منى ذاهبين إلى أوطانهم؛ لأنهم تنقضي مهمة حجهم فيسرعون الحركة متفرقين إلى أوطانهم. كما قال ابن أبي ربيعة^(٢):

لَا نَلْتَقِي إِلَّا ثَلَاثَ مَنْى حَتَّى يَفْرَقَ بَيْنَنَا النَّفَرُ

(١) ذكره ابن جرير بسنده عن أبي الضحى (١٤/٢٦٩، ٢٧٠)، وعزاه القرطبي (١٤٩/٨) لأبي مالك الغفاري.

(٢) البيت في ديوانه ص ١٩٠.

فمعنى قوله: ﴿أَنْفِرُوا﴾ تحركوا مسرعين للجهاد في سبيل الله.
وقوله: ﴿خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ حالان، والخِفَاف جمع خفيف.
والثِقَال: جمع ثَقِيل. و«الْفَعِيل» إذا كان وصفاً يكثر جمعه على
(الْفِعَال) جمع كثرة كما هو معروف في محله.

والمراد بقوله: ﴿خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ جاء فيه لأهل العلم ما يقرب
من خمسة عشر قولاً أو أكثر^(١)، والمراد بها كلها: إنما هو تمثيل
الخفة والثقل. والمعنى الجامع لذلك كله: ﴿أَنْفِرُوا﴾ تحركوا
مسرعين إلى جهاد الروم إلى تبوك في حال كونكم خفافاً أو ثقلاً.

والمراد بالخفاف: الذين تخف عليهم الحركة لتهيؤ أسباب
القوة والحركة عندهم.

والثقال: الذين يثقل عليهم ذلك لسبب من الأسباب. وأقوال
العلماء في هذا كالأمثلة لذلك، كقول من قال: ﴿أَنْفِرُوا خِفَافًا
وَثِقَالًا﴾ شباباً وشيوخاً. وقول من قال: ﴿خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ مرضاً
وصحاحاً. وقول من قال: ﴿خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ نشاطاً وغير نشاط.
وقول من قال: ﴿خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ أصحاب عيال وغير أصحاب عيال.
وقول من قال: ﴿خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ أي: أصحاب ضياع وبساتين أو غير
أصحابها. فهذه أقوال كثيرة. كقول من قال: ﴿خِفَافًا وَثِقَالًا﴾
مشاغيل وغير مشاغيل. إلى ذلك (...)^(٢).

يقول الله (جلّ وعلا): ﴿لَا يَسْتَعِذُّكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلَيْهِمُ بِالْمُتَّقِينَ﴾^(٤٤) إِنَّمَا يَسْتَعِذُّكَ

(١) انظر: ابن جرير (٢٦٢/١٤ - ٢٦٩)، القرطبي (١٥٠/٨).

(٢) في هذا الموضع انقطع التسجيل.

الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَآزَلَّتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَبِّهِمْ
يُرَدُّونَ ﴿٤٥﴾ [التوبة: الآيتان ٤٤، ٤٥].

لما دعا النبي ﷺ المسلمين إلى النفر في غزوة تبوك جاء رؤساء المنافقين كعبد الله بن أبي ابن سلول، والجد بن قيس، وهؤلاء أعظم المنافقين، ومن سار في ركبهم، جاؤوا إلى النبي ﷺ يستأذنونهم في الجلوس والتخلف عن غزوة تبوك؛ لأنهم أعداء للإسلام في باطن أمرهم، فبين الله أن ذلك الاستئذان رغبة في التخلف ليس من فعال المسلمين، وأنه من فعال الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر. قال: ﴿لَا يَسْتَفْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ...﴾. الجمهور يقرؤون: ﴿يَسْتَفْذِنُكَ﴾ وورش والسوسي: ﴿يستأذنك﴾ بإبدال الهمزة^(١).

﴿لَا يَسْتَفْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ يصدقون بالله (جلّ وعلا)، وإيمانهم بالله الإيمان بالله إذا أطلق شمل الإيمان من الجهات الثلاث، وهو تصديق القلب بالاعتقاد، واللسان بالإقرار، والجوارح بالعمل. فالمؤمن بمعنى الإيمان الصحيح هو من آمن قلبه ولسانه وجوارحه. وهذا الاستئذان ليس من أفعال المسلمين ﴿لَا يَسْتَفْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ الإيمان باليوم الآخر كثيراً ما يجعله الله مذكوراً مع الإيمان به؛ لأن من لم يؤمن باليوم الآخر لا يخاف بأساً يوم القيامة ولا يطمع في خير، فهو يفعل ما يشاء، فالكفر باليوم الآخر رأس كل شر، والإيمان به رأس كل خير.

(١) انظر: الإقناع لابن الباذش (١/٤١٢)، النشر لابن الجزري (١/٣٩٠).

﴿أَنْ يُجَاهِدُوا﴾ (أَنْ) هذه كلام العلماء فيها راجع إلى قولين^(١):

أحدهما: أنها هذه التي يُحذف قبلها حرف الجر. والمعنى على هذا: «لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله في أن يجاهدوا» أي في الجهاد وترك الجهاد؛ لأن المؤمنين بالله مسارعون إلى مرضاة الله، منقادون إلى الجهاد، سائرون مع النبي ﷺ.

لا يستأذنون لأجل أن يؤذن لهم في التخلف، وقد تقرر في علم العربية أن حذف حرف الجر قبل المصدر المنسبك من (أَنْ) وصلتها و(أَنْ) وصلتها مطرد لا نزاع في اطراده^(٢)، ومحل المصدر بعد حذف حرف الجر أكثر علماء العربية يقولون منصوب، وهو الذي عليه كبرائهم. وقال قوم: هو مخفوض. واستدلوا على خفضه بقول الشاعر^(٣):

فما زُرْتُ ليلي أَنْ تكونَ حَبِيبَةً إليَّ ولا دَيْنٍ بها أَنَا طَالِبُهُ

قالوا: خفض «ولا دين» عطفاً على المصدر المنسبك من (أَنْ) وصلتها بعد حذف حرف الجر. قالوا: والأصل: «وما زرت ليلي لكونها حبيبة، ولا لدين» والمحققون منهم يقولون: محله نصب. وهذا الذي عليه جمهورهم، قالوا: ولا شاهد في البيت لأنه مما يُسمى عند النحويين عطف التوهم. وحاصل عطف التوهم عند النحويين أنه تكون الكلمة يجوز فيها الخفض وليست بمخفوضة،

(١) انظر: الدر المصون (٦/٥٧).

(٢) مضى عند تفسير الآية (٦٧) من سورة البقرة.

(٣) السابق.

فيعطفون عليها المخفوض نظراً إلى جواز خفضها، وإن كانت غير مخفوضة في الواقع^(١). ومن شواهد المشهورة قول زهير بن أبي سلمى^(٢):

بَدَا لِي أَنِّي لَسْتُ مُدْرِكَ مَا مَضَى وَلَا سَابِقِ شَيْئاً إِذَا كَانَ جَائِياً
فقوله: (ولا سابق) بالخفض في رواية بيت زهير عطفاً على «مدرک» وهو منصوب، إلا أنه يجوز جره بالباء، فيجوز: لست بمدرک ولا سابق. ونظيره قول الآخر^(٣):

مَشَائِئِمُ لَيْسُوا مُصْلِحِينَ عَشِيرَةً وَلَا نَاعِبٍ إِلَّا بَيِّنٌ غُرَابُهَا
كما هو معلوم في محله. ونحن نذكر هذه الأشياء العربية وإن كان أكثر المستمعين لا يفهمونها لأننا نريد أن تكون هذه الدروس القرآنية يستفيد منها كل الحاضرين على قدر استعداداتهم، والله يوفق الجميع للخير.

الوجه الثاني: أَنَّ (أَنْ) هذه هي التي تُحذف قبلها (لَا) أو مضاف كقوله: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ أَنْ تَضْلُوا﴾ [النساء: آية ١٧٦] ففي قوله: ﴿أَنْ تَضْلُوا﴾ ونحوه وجهان. أي: يبين الله لكم لئلا تضلوا، أو كراهة أن تضلوا. هذان الوجهان في (أَنْ) في القرآن فيما يماثل هذا كقوله: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ أَنْ تَضْلُوا﴾ وقوله: ﴿فَتَيِّنُوا أَنْ تُضِلُّوا﴾ [الحجرات: آية ٦] أي: لئلا تضلوا، أو كراهة أن تضلوا. وهذان الوجهان في قوله: ﴿لَا يَسْتَفْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

(١) راجع ما سبق عند تفسير الآية (٦٧) من سورة البقرة.

(٢) تقدم هذا الشاهد في الموضع السابق.

(٣) تقدم هذا الشاهد في الموضع السابق.

الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلَيْهِمُ بِالْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ [التوبة: الآية ٤٤] بل إذا أمرت بالجهاد قاموا مسرعين ممثلين أمر الله، راغبين في غزو الكفرة لأن تكون كلمة الله هي العليا. وهذه الآية تدل على أن المؤمن بمعنى المؤمن الصحيح من صفاته الكاشفة أن يكون مبادراً للجهاد في سبيل الله مضحياً بالنفيس والغالي من نفسه وماله للجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله (جلّ وعلا). وهذا معنى قوله: ﴿لَا يَسْتَعِزُّكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلَيْهِمُ بِالْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [التوبة: آية ٤٤] التقوى في قلوب الناس لا تخفى على الله، فالله يعلم ما في قلوب الناس، لا يخفى عليه برّ من فاجر، ولا متيّ من عاصٍ.

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ [البقرة: آية ٢٣٥] ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تَوَسَّسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ [ق: آية ١٦]. ﴿عَلَيْمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ لا يخفى عليه المتقي من العاصي، فمن زعم للنبي أنه معه، وأنه يحب الإسلام والجهاد، إلا أنه معذور بكذا وكذا لأعذار كاذبة فالله عالم بكذبه، عالم بالمتقي حقاً وبغيره، لا يخفى عليه شيء من ذلك. وفي هذا تهديد للمنافقين الذين يدعون التقوى ويضمرون غيرها، ووعد عظيم للمؤمنين الذين تنطوي قلوبهم على تقوى الله حقاً. وهذا معنى قوله: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١٦﴾﴾ [التوبة: آية ٤٤].

﴿إِنَّمَا يَسْتَعِزُّكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [التوبة: آية ٤٥] قد تقرر عند جماهير العلماء أن (إنما) أداة حصر، والصحيح أن (إنما) أداة حصر كما حرره علماء الأصول في مبحث (دليل الخطاب) أعني (مفهوم المخالفة) والبلاغيون في مبحث

(القصر)^(١) ف (إنما) أداة حصر. يعني: لا يستثذك هذا الاستثذان الذي يُراد به التخلف عن الجهاد والقعود لأعذار كاذبة.

﴿ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ الذين لا يصدقون بالله ولا يؤمنون باليوم الآخر فلا يرغبون فيما عند الله، ولا يخافون عذاب الله.

وقوله: ﴿ وَأَرْقَابَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ شَكَّتْ قُلُوبُهُمْ. ف ﴿ وَأَرْقَابَتْ ﴾ معناه: شَكَّتْ. والتاء فيه تاء الافتعال. وأصل حروفه الأصلية: الراء في محل الفاء، والياء في محل العين، والباء في محل اللام، أصل المادة (رَيْبَ) بـ (راءٍ) فـ (ياء) فـ (باء) والتاء تاء الافتعال، وأصلها (ارتيب قلوبهم)^(٢) أي: داخلها الريب. أصل الريب في لغة العرب معناه الإزعاج والإفلاق. هذا أصل معناه الأصلي، تقول العرب: رابه الأمر. إذا أزعجه وأقلقه. وهذا هو معناه الحقيقي، ومنه قول توبة بن الحُمَيْر الخفاجي^(٣):

وكنْتُ إذا ما زُرْتُ لَيْلَى تَبَرَّقَعَتْ وقد رَابَنِي مِنْهَا الْغَدَاةُ سُفُورُهَا

أي: أزعجني وأقلقني، وكلما جاء الريب في القرآن والارتياب فمعناه الشك على كل حال. وإنما سُمِّي الشاك مرتاباً وأُطلق اسم الريب على الشك لأن الشاك لا تطمئن نفسه إلى طرف الإيجاب، ولا إلى طرف السلب، فهو تارة يميل إلى الإيجاب، وتارة يميل إلى السلب، فنفسه منزعة قلقة ليست مطمئنة إلى الثبوت ولا إلى

(١) مضى عند تفسير الآية (٦٥) من سورة الأعراف.

(٢) انظر: معجم مفردات الإبدال والإعلال ص ١٣٣، ٣٩١، ٣٩٣.

(٣) مضى عند تفسير الآية (٢) من سورة الأعراف.

النفي. ومعنى ﴿وَأَزَابَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ شكت قلوبهم والعياذ بالله. وأسند الارتياح إلى القلوب لأن القلب هو محل الإدراك الذي يكون فيه الشك، ويكون فيه اليقين، ويكون فيه العلم والإدراك. وهذا الارتياح سببته لهم المؤمنون يوم القيامة كما يأتي بيانه في سورة الحديد؛ لأنه سيأتي في سورة الحديد — إن شاء الله — أن كل من كان يقول: لا إله إلا الله في دار الدنيا يعطيه الله نوراً، فيكون عند المنافقين نور، وعند المؤمنين نور، فإذا — مثلاً — اشتد الأمر وصار الناس في فصل الخطاب انطفأ نور المنافقين وبقوا في ظلام دامس، وعند ذلك يقول المؤمنون: ﴿رَبَّنَا آتِنَا نُورَنَا﴾ [التحريم: آية ٨] ويقول المنافقون للمؤمنين: ﴿أَنْظِرُونَا نَقْلِسَ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنٌ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرٌ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ [الحديد: آية ١٣] فإذا ضرب ذلك السور بين المنافقين والمؤمنين قال المنافقون للمؤمنين: ﴿أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾ [الحديد: آية ١٤] ألم نكن معكم في دار الدنيا؟ وكنا نحضر معكم المساجد والغزوات، ونأتي معكم المواطن؟ ﴿قَالُوا بَلَىٰ﴾ كنتم معنا ﴿وَلَكِنَّكُمْ فُتِنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ﴾ وهذا محل الشاهد. ذلك الارتياح الذي قال عنهم هنا: ﴿وَأَزَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ [التوبة: آية ٤٥] هو من الأسباب التي تجعلهم يوم القيامة وراء السور — والعياذ بالله — .

وقوله: ﴿فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ﴾ أي: فهم في شكهم ﴿يَتَرَدَّدُونَ﴾ أي: يذهبون حائرين تارة يقدمون رجلاً ويؤخرون أخرى، يذهبون ويرجعون، يتوجهون إلى الإيمان مرة ويكفرون مرة (والعياذ بالله جل وعلا). وهذا معنى قوله: ﴿وَأَزَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾.

﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾ [٤٦] لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا وُضِعُوا لِلنَّاسِ إِلَّا فِي سَبْحَةٍ ﴿٤٧﴾ [التوبة: الآيتان ٤٦، ٤٧].

﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً ﴾ هؤلاء المنافقون الذين جاؤوا يستأذنون النبي ﷺ في القعود كعبد الله بن أبي، والجد بن قيس، وأضرابهم، قال الله لنبيه إنهم يستأذنون ويعتذرون الأعذار الكاذبة وهم في باطن أمرهم مصرّون على القعود وعدم الخروج، وبين دليل ذلك في قوله: ﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ ﴾ لو أراد هؤلاء المنافقون المستأذنون الخروج معك إلى غزاة تبوك ﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ ﴾ معك ﴿ لَأَعَدُّوا لَهُ ﴾ أي: للخروج ﴿ عُدَّة ﴾ أي: لتأهبوا للخروج وتهيؤوا له؛ لأن من يعزم على الخروج إلى قتال العدو يتهيأ قبل ذلك ويستعد لذلك بإحضار العدة اللازمة لذلك، ولكن هؤلاء لم يعدوا شيئاً، ولم يُبالوا بشيء، فدل على أنهم مصرّون عازمون على التخلف. وهذا معنى قوله: ﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ ﴾ [التوبة: آية ٤٦] أي: للخروج ﴿ عُدَّة ﴾ أي: لتأهبوا له أهبطه وتهيؤوا له بإعداد ما يلزمه.

﴿ وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ ﴾ كره الله انبعاثهم كوناً وقدرًا؛ لأن الله يعلم أنهم لو خرجوا مع رسوله ما كان في خروجهم له إلا الشر، فلا يجد منهم إلا الضرر والشر، فثبطهم عنه بحكمته لطفًا برسوله ﷺ ﴿ وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ ﴾ الانبعاث مصدر انبعث ينبعث إذا ذهب إلى الشيء. ومنه: ﴿ إِذْ أُنْبِثَتْ أَشْقَاهَا ﴾ [الشمس: آية ١٢] ومعنى ﴿ انْبِعَاثَهُمْ ﴾ أي: خروجهم غازين معك إلى تبوك،

كره الله خروجهم معك لضرر ذلك عليك، ﴿فَثَبَّطَهُمْ﴾ عن ذلك الخروج مراعاة لمصلحتك. والتثبيط: التبطئة والتعويق وعدم الخروج، فثبطهم عنك مراعاة لمصلحتك ومصلحة من معك من المسلمين، وهذا معنى قوله: ﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ (٤٦).

﴿قِيلَ﴾ هنا مبني للمفعول حذف فاعله، واختلف العلماء في فاعله المحذوف^(١)، فقال بعض العلماء: قال بعضهم لبعض في سرهم وباطن أمرهم: ﴿اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ (٤٦) واستأذنه لتقعدوا. وقال بعضهم: أذن لهم النبي ﷺ فقال: «﴿اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾» وعلى هذا القول ف (اقعدوا) هو الإذن. وبعضهم يقول: قوله: ﴿مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ (٤٦) أذن لهم إذناً صاحبه لا يرضى عنهم. والمراد بالقاعدين: الذين ليس من شأنهم الحضور، كالصبيان والزمنى والنساء، ونحو ذلك ممن ليس من شأنه الخروج للقتال.

وقال بعض العلماء: هو كوني قدرى، الله يقول للشيء: «كن فيكون»، فقال: «اقعدوا». فكان قعودهم، واختار هذا بعض العلماء.

ثم إن الله قال: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾ [التوبة: آية ٤٧] لو خرج فيكم رؤساء هؤلاء المنافقين الذين يحركونهم ويرأسونهم في الشر كابن أبي ابن سلول والجد بن قيس - قبحهما الله - وأمثالهم ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ﴾ غازين إلى تبوك ﴿مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾ ما حصلت منهم على فائدة ولم يزيدوكم إلا خبالاً. والخبال معناه: الفساد. أي: ما زادوكم إلا فساداً؛ لأنهم يفسدون عليكم.

(١) انظر: القرطبي (١٥٦/٨)، البحر المحيط (٤٨/٥).

وقوله: ﴿وَلَا وَضَعُوا خِلَالَكُمْ﴾ العرب تقول: أوضع يوضع
إيضاعاً. إذا أسرع في سيره. فالإيضاع: الإسراع في السير. واسم
فاعله (مُوضِع) ومنه قول امرئ القيس^(١):

أَرَأَنَا مُوضِعِينَ لِأَمْرِ غَيْبٍ وَنُسَحَرُ بِالطَّعَامِ وَبِالشَّرَابِ

و ﴿خِلَالَكُمْ﴾ معناه: بينكم، يعني: لا يزيدونكم إلا فساداً على
فساد، ولأسرعوا فيما بينكم بالمشي بالنميمة وإلقاء المخالفات
والأراجيف والأكاذيب التي تضر المسلمين ولا تنفعهم. وهذا معنى
قوله: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾ لأن العدو إذا كان في
ثياب صديق يفعل كل شر ويضر كل مضرة من حيث لا يشعر به، فهم
لا يزيدونكم إلا الفساد. أي: لا يزيدونكم شيئاً كائناً ما كان إلا
الفساد والخبال، فإنهم يفسدون عليكم وكأنهم يفسدون وهم في
المدينة، فإذا سافروا كان خبالهم وفسادهم أكثر؛ لأنهم يلقون بينهم
بالنمائم ويلقون الأراجيف والتخويف من المشركين وإلقاء التشاويش
ليخاف المسلمون، ولتفسد ذات بينهم، وهم أعداء — قُبْحَهُمُ اللَّهُ —
وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا وَضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ﴾
﴿يَبْغُونَكُمُ﴾ معناه يطلبون لكم الفتنة. ﴿الْفِتْنَةُ﴾ هي ما يوقعون
بكم من الشر، من المعاداة بينكم بإلقاء النميمة والخوف من الأعداء
بالقاء الأراجيف الكاذبة ونحو ذلك.

وقوله: ﴿وَفِيكُمْ سَمْعُونَ لَهُمْ﴾ في هذا الحرف وجهان من
التفسير للعلماء^(٢):

(١) ديوانه ص ٤٣.

(٢) انظر: ابن جرير (٢٨١/١٤)، القرطبي (١٥٧/٨)، ابن كثير (٣٦١/٢).

قال بعض العلماء: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ أي: عيون يسمعون الأخبار ويأتونهم بها ليقدرُوا بذلك على ما شاءُوا من الفساد والخبال.

وقال بعض العلماء: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ هم سادات وأشراف في قومهم، وفيكم من يسمع لهم لمكانتهم وشرفهم في قبيلته كابن أبيّ والجد بن قيس ومن يكون له شرف وسيادة في قومه يسمعون منه وتؤثر دعايته السيئة عليهم بالقاء الفتن والأراجيف. وهذا معنى قوله: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ وهذه الآية الكريمة نصّ الله (جلّ وعلا) فيها على إحاطة علمه، وأنه (جلّ وعلا) من شدة إحاطة علمه بالأشياء يعلم الأشياء الذي سبق في علمه أنها لا تكون^(١)، هو يعلم أن لو كانت كيف تكون؛ لأن هؤلاء المتخلفين عن غزوة تبوك كالجد بن قيس وعبدالله بن أبي ابن سلول لا يحضرونها أبداً؛ لأن الله كره انبعاثهم فثبطهم عنها لحكمة إلهية، ومصلحة للمسلمين، فهم لا يحضرونها أبداً، وقد سبق في علم الله الأزلي أنهم لا يحضرونها أبداً، وأنهم لا يخرجون معه أبداً، وخروجهم هذا الذي سبق في سابق علمه أنه لا يكون صرح بأنه عالم أن لو كان كيف يكون، فعرفنا من هذا أنه (جلّ وعلا) يعلم الموجودات والمستحيلات والمعدومات والجائزات، حتى إنه من إحاطة علمه ليعلم المعدوم الذي سبق في سابق علمه أنه لا يوجد يعلم أن لو وُجد كيف يكون لشدة إحاطة علمه بالأشياء، فخرج هؤلاء لا يكون، وهو عالم ذلك الخروج الذي لا يكون أن لو كان كيف يكون، كما قال هنا: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِیْكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا...﴾ الآية [التوبة: آية ٤٧] والآيات الدالة على

(١) مضى عند تفسير الآية (٩٦) من سورة الأنعام.

هذا المعنى كثيرة جداً، من ذلك ما قدمنا في سورة الأنعام من أن الكفار يوم القيامة إذا رأوا القيامة وعاینوا الحقيقة تمنوا أن يردوا إلى الدنيا مرة أخرى ليصدقوا الرسل ويؤمنوا بالله، وهذا الرد الذي تمنوه علم الله أنه لا يكون، وقد صرّح بأنه عالم أن لو كان كيف يكون، وذلك في قوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْتُنَا نُرَدُّ وَلَا نَكْذِبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام: آية ٢٧] هذا الرد الذي تمنوه هو عالم أنه لا يكون، وقد صرّح بأنه عالم أن لو كان كيف يكون حيث قال: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الأنعام: آية ٢٨] والآيات بمثل هذا كثيرة في كتاب الله كقوله: ﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [المؤمنون: آية ٧٥] وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَا كُنْبَنَا عَلَيْهِمْ أَنْ أَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِينِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ . . .﴾ [النساء: آية ٦٦].

فهذه الآيات من كتاب الله دلت على إحاطة علم الله (جلّ وعلا) بكل شيء، حتى بالمعدومات التي سبق في علمه أنها لا توجد، فهو عالم أن لو وُجدت كيف يكون، فهو عالم بأن أبا لهب لن يؤمن، وهو يعلم لو آمن أبو لهب أيكون إيمانه تاماً أو ناقصاً، وهكذا. وهذا يدل على أن المحيط بالعلم هو الله (جلّ وعلا) وحده، وخلق الله لا يعلمون من العلم إلا ما علمهم العليم الخبير الأعظم كما دلّ عليه هذا القرآن في آيات كثيرة، وإيضاح ذلك أن أعلم المخلوقين الملائكة والرسل — على جميعهم صلوات الله وسلامه — فالملائكة لما قال لهم الله: ﴿أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿٢١﴾ قَالُوا سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا﴾ [البقرة: الآيتان ٣١، ٣٢] قالوا: قولهم: ﴿لَا عِلْمَ لَنَا﴾ (لا) فيه، هي (لا) التي لنفي

الجنس، فنفوا جنس العلم من أصله عن أنفسهم إلا شيئاً علمهم الله إياه ﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾.

وكذلك الرسل (صلوات الله وسلامه عليهم) مع علمهم وفضلهم وجلالتهم لا يعلمون من أمر الله إلا شيئاً علمهم الله إياه ﴿وَمَا أَوْتِيتُمْ مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: آية ٨٥].

هذا سيد الرسل وأكمل الخلق نبينا محمد (صلوات الله وسلامه عليه) - وهو هو - رُميت أحب أزواجه إليه بفرية وإفك، حيث رُميت بصفوان بن المعطل السلمي في غزوة المريسيع، وهو لا يدري ما قيل عنها أحق أو كذب، وكان يقول لها: يا عائشة إن كنت أَلَمْتَ بِذَنْبِ فَتَوْبِي، فإن الله يتوب عليك^(١). ولم يدرك هل ما قيل عنها حق أو كذب حتى أخبره العليم الخبير (جلّ وعلا) قال: ﴿أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [النور: آية ٢٦].

وهذا نبي الله إبراهيم إمام الأنبياء (صلوات الله عليهم جميعاً) ذبح عجله وتعب هو وامراته في إنضاج العجل يظن أن الملائكة يأكلون، لا يدري من هم، حتى إنه لما رآهم لم يأكلوا خاف منهم كما في قوله: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ﴾ [هود: آية ٧٠] وصرّح لهم بأنه خائف منهم حيث قال: ﴿فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾ [الحجر: آية ٥٢] حتى ضحكت امرأته، ولما ارتحلوا عنه ونزلوا بنبي الله لوط - وهو هو - ضاق بهم ذرعاً وقال: ﴿هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ [هود: آية ٧٧] ولم يدرك أنهم ملائكة حتى قال كلامه المحزن: ﴿لَوْ أَن لِّي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ أَوْيَ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود: آية ٨٠]

(١) مضى عند تفسير الآية (٥٩) من سورة الأنعام.

وما علم أنهم ملائكة حتى قالوا له: ﴿يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ...﴾ الآية [هود: آية ٨١].

وهذا نبي الله نوح — وهو هو — يقول لربه: ﴿رَبِّ إِنِّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ [هود: آية ٤٥] ولا يدري أن ذلك الولد الذي يطلب ربه أن ينجيه أنه كافر ليس من أهله الموعود بنجاتهم حتى قال له العليم الخبير: ﴿يَنْبُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْتَلِنَ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [هود: آية ٤٦] فما قال نوح إلا أن قال: ﴿رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَشْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [هود: آية ٤٧].

وهذا نبي الله يعقوب — وهو هو — قال الله فيه: ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لَمَّا عَلَّمْنَاهُ﴾ [يوسف: آية ٦٨] ابضت عيناه من الحزن فهو كظيم، وولده في مصر بينه وبينه مراحل لا يدري ما شأنه ﴿أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يَوْسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾ الآية [يوسف: آية ٨٧].

وهذا نبي الله سليمان — وهو هو — أعطاه الله الرياح غدوها شهر ورواحها شهر، وسخر له مرده الشياطين والجن، ما كان يدري عن مأرب وجماعة بلقيس حتى ذهب إليهم الضعيف المسكين الهدهد، ولما توعد الهدهد، وكان الهدهد حصّل منهم بعض علم الجغرافيا والتاريخ، وهذا العلم لم يكن عند سليمان في ذلك الوقت، وكان سليمان يهدد الهدهد ويقول: ﴿لَأُعَذِّبَنَّكَ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّكَ أَوْ لَيَأْتِيَنَّكِ سُلْطَانٌ مُبِينٌ﴾ [النمل: آية ٢١] فجاء الهدهد لما عرف بعض علم جغرافية اليمن وتاريخها، وسليمان لا يدري عنه، أفاده هذا العلم قوة ووقف أمام سليمان وقفة الرجل الصامد،

ونسب الإحاطة لنفسه ونفاها عن سليمان وقال: ﴿أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ (٢٢) إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرًا تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيتُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا... ﴿الآيات [النمل: ٢٢ - ٢٤]﴾ فسليمان ما كان يدري عن هذا، ولم يقل له إلا أن قال: ﴿سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (٢٧) أَذْهَبَ بِكَتَبِي هَذَا فَأَلْقَيْتَهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ وأمثال هذا كثير. فالله (جلّ وعلا) هو العليم الأعظم، والملائكة والرسل (صلوات الله وسلامه عليهم) يعلمون من علم الله ما علمهم الله من غيبه وما لم يعلمهم لم يعلموه، وهو (جلّ وعلا) وحده هو المحيط علمه بكل شيء، العالم بما كان وما يكون، وبالمعدوم والموجود، والمعدوم الذي لا يوجد أن لو وُجد كيف يكون ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ (١٥) ﴿النمل: آية ٦٥﴾ وهذا معنى قوله: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا ضَعُفًا خَلَلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ [التوبة: آية ٤٧].

وقوله: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ كقوله: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: آية ٤٤] فقال في الأولى: إن تقوى المتقين لا تخفى عليه، وأن ظلم الظالمين لا يخفى عليه.

وقد قدّمنا في هذه الدروس مراراً^(١) أن أصل معنى الظلم في لغة العرب هو: وضع الشيء في غير محله، مادة الظاء واللام والميم (ظَلَمَ) معناها وضع الشيء في غير محله. هذا هو أصل معنى هذه المادة، وأعظم أنواعها هو الشرك بالله؛ لأن الشرك بالله وضع للعبادة

(١) مضى عند تفسير الآية (٥١) من سورة البقرة.

في غير موضعها؛ لأن من يأكل نعم الله ويتقلب في رزقه وعافيته إذا كان يعبد غيره فقد ظلم، أي: وضع العبادة في غير موضعها، كما قال تعالى عن لقمان: ﴿يَبْتَغِي لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [١٣] لقمان: آية [١٣] وقال: ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [٢٥٤] البقرة: آية [٢٥٤] ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ﴾ [١٠٦] يونس: آية [١٠٦] ولأجل هذا كان الظلم في القرآن يطلق على الشرك وعلى غيره من المعاصي والمخالفات، وثبت في صحيح البخاري عن النبي ﷺ أن قوله: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: آية ٨٢] قال: ولم يلبسوا إيمانهم بشرك^(١). هذا أصل الظلم في لغة العرب.

وهو في الشرع على نوعين: ظلم أكبر، وظلم دون ظلم، فالظلم الأكبر هو وضع العبادة في غير موضعها، وهو الشرك بالله. وظلم دون ظلم وهو أن يطيع عدوه إبليس ويعصي ربه، فالذي أطاع الشيطان وعصى الله قد ظلم نفسه؛ لأنه عرضها لسخط الله ووضع الطاعة في غير موضعها، والمعصية في غير موضعها. وهذا معنى قوله: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: آية ٤٧] وهذا المعنى مشهور في كلام العرب، أن الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه، ومنه قد تقول العرب للذي يضرب لبنه قبل أن يروب: هو ظالم؛ لأنه وضع الضرب في غير موضعه؛ لأن ضربه قبل أن يروب يُضيع زبده، وهو معنى معروف في كلام العرب، ومنه قول الشاعر^(٢):

وقائلة ظلمتُ لكم سقائي وهل يخفى على العكدِ الظلِّمِ

(١) السابق.

(٢) السابق.

«ظلمتُ لكم سقائي» تعني: ضربته لكم قبل أن يروب.
والعكد: عصب اللسان. يعني: أن اللسان لا يخفى عليه الظلم وغير
الظلم، أي الذي ضرب قبل أن يروب وغيره، ومن هذا المعنى قول
الآخر^(١):

وصاحبِ صِدْقٍ لَمْ تَرِدْنِي شَكَاتُهُ ظَلَمْتُ وَفِي ظَلَمِي لَهُ عَامِداً أَجْرُ
ومن هنا قالت العرب للأرض الذي حُفِرَ فيها وليست محلاً
للحفر: «مظلومة» ومنه قول نابغة ذبيان^(٢):

إِلَّا الْأَوَارِيَّ لَأَيَّاماً أُبَيَّتْهَا وَالنَّوِيَّ كَالْحَوْضِ بِالْمَظْلُومَةِ الْجَلَدِ
وقالوا للتراب المنزوع من القبر «ظلم» لأن أصل القبر يُحفر
في محل لم يحفر قبل ذلك عادة، فهو حفر في محل ليس موضعاً
للحفر، ومنه قول الشاعر^(٣):

فَأَصْبَحَ فِي غَبْرَاءَ بَعْدَ إِشَاحَةٍ مِنَ الْعَيْشِ مَرْدُودٌ عَلَيْهَا ظَلِيمُهَا
وجاء الظلم في القرآن الكريم بمعنى النقص في آية واحدة في
سورة الكهف، وهي قوله: ﴿كَلِمَاتُ الْجَنَّةِ نِءٌ آتَتْ أَكْلَهَا وَلَمْ تَظْلِمِ مِنْهُ شَيْئاً﴾
[الكهف: آية ٣٣] أي: لم تنقص منه شيئاً. هذه وحدها في القرآن
جاء فيها الظلم بمعنى النقص. والعلماء يقولون: إن أصلها من المادة
التي ذكرنا؛ لأن صاحب البستان ينفق ويصرف عليه المال، فإذا جاء
بغلةٍ وثمره طيبة فكأنه جاء بشيء في موضعه حيث ردّ لصاحبه المال
ووجد منه ربحاً، أما إذا صرف فيه المال ولم يأتِ بشيء فقد ضاع

(١) السابق.

(٢) السابق.

(٣) السابق.

المال المصروف فيه، ولم يأت شيء بخلف منه، فكأن هذا وضع للشيء في غير موضعه للضياع والرزية. وهذا معنى قوله: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: آية ٤٧].

قال تعالى: ﴿لَقَدْ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ (٤٨) وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَتَذُنُ لِي وَلَا نَفْتِنِي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ (٤٩) إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ (٥٠) قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (٥١) قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ (٥٢) [التوبة: الآيات ٤٨ - ٥٢].

يقول الله (جلّ وعلا): ﴿لَقَدْ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ (٤٨) [التوبة: آية ٤٨].

لَمَّا بَيَّنَّ اللَّهُ (جلّ وعلا) للنبي والمسلمين أنه ثبت عنهم عظماء المنافقين للمصلحة، وأنهم لو خرجوا فيهم ما زادوهم إلا خبالاً، أي: فساداً ومشياً بالنميمة وتبسيطاً وإلقاءً للأراجيف، بين أن هذا الذي ينطوي عليه المنافقون من الشر كان موجوداً فيهم قبل ذلك، قبل أن يُنزل القرآن في شأنهم وأن تطلّعو عليهم؛ لأن عظماء المنافقين بالمدينة كعبد الله بن أبي ابن سلول، والجد بن قيس أخي بني سلمة، عندما جاء رسول الله ﷺ المدينة وآمن الأنصار شق ذلك عليهم وعظم، وأبوا أن يؤمنوا، وصاروا يفكرون في الحالة التي

يبتلون بها دعوة دين الإسلام ويخرجوا النبي ﷺ ويمنعون الناس من الإيمان، فلما جاءت غزوة بدر عرفوا قوة المسلمين. قال لهم ابن أبي: هذا أمر مُسْتَقْبِل فآمنوا ظاهراً^(١). وهم في الباطن يتربصون بهم الدوائر، يجيلون أفكارهم في الحالة التي يضررونهم بها.

﴿لَقَدْ ابْتَغُوا﴾ أي: طلبوا الفتنة، طلبوا لكم الفتنة قبل هذا من رد الناس عن الدين، وإبطال الدين، وعدم اتباع النبي ﷺ، والإفساد بين المسلمين.

﴿وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ﴾ العرب تقول: قلب الأمور، وقلب الأمر. معناه: أن يتفكر بدقة ويدبر في الأمور ويقلبها وجهاً إلى ظهر، وظهراً إلى وجه ليتأمل في الحالة التي يحصل بها مقصوده. فمعنى قلبوا الأمور: أجالوا الأفكار ونظروا في الدهر جنباً إلى جنب من هذا الأمر إلى هذا، واحتمال هذا وهذا ليصلوا بذلك إلى رد الناس عن النبي ﷺ، والعودة في وجه الدعوة إلى الله (جلّ وعلا)، وهذا معنى معروف في كلام العرب، تقول العرب: قلبت أمري، وقلبت أموري، إذا أجلت فكري في المسائل ونظرت فيها وفي احتمالاتها لنعلم أي الأمور هو الذي يعينني على قصدي. وهذا معنى معروف في كلام العرب مشهور نزل به القرآن العظيم، منه قول هبيرة بن أبي وهب المخزومي زوج أم هانئ بنت أبي طالب (رضي الله عنها)، فإن زوجها هبيرة لما فتح النبي ﷺ مكة فرّ كافراً إلى نجران، ولم يزل بها حتى مات - والعياذ بالله - وقد أرسل إلى

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره (٢/ ٣٦١).

أم هانئ من هناك من نجران هذه الأبيات — وفيها محل الشاهد — وهو قوله لها^(١):

لَعَمْرُكَ مَا وَلَّيْتُ ظَهْرِي مُحَمَّدًا وأصحابه جفلاً ولا خيفة القتلِ
ولكنني قَلْبْتُ أَمْرِي فلم أجد لسيفي غناءً إن ضربتُ ولا نبلي
وقفتُ فلما خفتُ ضيعة موقفي رجعتُ لعودِ كالهزبر أبي السبلِ

ومحل الشاهد منه قوله «قَلْبْتُ أَمْرِي» أي: أجلت فكري ونظرت وتأملت في الأمور فوجدت ثباتي وعدم فراري يؤدي إلى قتلي ولا نتيجة بعده. وهذا معنى قوله: ﴿وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ﴾ أجالوا أفكارهم وقلبوا الأمور ونظروا في احتمالاتها لينالوا كيداً يكيدونك به من تشبيط عن الدين، أو إلقاء شر بين المسلمين، أو إعانة عدو عليك حتى يظفر بك — قبّحهم الله —.

﴿حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ﴾ جاء الحق وهو نصر الله لنبيه بدين الإسلام، وقتل صناديد قريش يوم بدر.

﴿وَوَظَّهَرَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ معناها: غلب دين الله وظهر انتصاره واستقباله، فعند ذلك أسلموا إسلاماً غير حقيقي، وهم يتربصون الدوائر بالمؤمنين في باطنهم.

وقوله: ﴿وَهُمْ كَدِرْهُونَ﴾ والحال هم كارهون — قبّحهم الله — لأن كل ما يناله المسلمون من نصر وفتح وخير يكرهونه ويسوؤهم، وكل ما جاءهم من شر يفرحون به، وهذه عادة الكفار، لا يزالون يحاولون رد المؤمنين عن الدين حتى يقنطهم الله من ذلك، كما قال الله في الكفار: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَالِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ

(١) مضى عند تفسير الآية (٤٨) من سورة الأعراف.

أَسْتَطْعَمُوا ﴿البقرة: آية ٢١٧﴾ وَبَيَّنَّ أَنَّهُمْ لَمْ يَسْتَطِيعُوا فِي قَوْلِهِ: ﴿الْيَوْمَ يَنْسَى الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾ [المائدة: آية ٣] كَذَلِكَ الْمُنَافِقُونَ كَانُوا يَطْمَعُونَ فِي ضِيَاعِ الدَّعْوَةِ، وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَضْمَحِلُّ أَمْرَهُ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ذَلِكَ — قَبَحَهُمُ اللَّهُ — وَهَذِهِ مِنْ خَسَائِسِ الْمُنَافِقِينَ يَظْهَرُهَا اللَّهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ، وَمِنْ أَسْمَاءِ هَذِهِ السُّورَةِ الْعَظِيمَةِ: (الْفَاضِحَةُ) لِأَنَّهَا فَضَحَتْ أَسْرَارَ الْمُنَافِقِينَ كَمَا تَقَدَّمَ، وَسَيَأْتِي فِيهَا كَثِيرًا. وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾.

/ وقوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَكْفُلُ أَثَدْنَ لِي﴾ [التوبة: آية ٤٩] قرأ [٨/ب]

هذا الحرف عامة السبعة غير ورش عن نافع والسوسي عن أبي عمرو: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَكْفُلُ أَثَدْنَ لِي﴾ بهمزة محققة، وقرأه ورش والسوسي بإبدال الهمزة واوًا مادةً لِلَّامِ ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَكْفُلُ وَذَنْ لِي﴾ أما عند الوقف فقد أجمع جميع القراء على أنك إن وقفت على ﴿يَكْفُلُ﴾ ابتدأت فقلت: ﴿إِذَنْ لِي﴾^(١) وهو الأمر من أَذِنَ لَهُ يَأْذِنُ لَهُ. تقول العرب: أَذِنَ لَهُ يَأْذِنُ لَهُ. وإذا جاء منها أمر تقول: ائذن لي. أصله: إئذن لي. ولكن القاعدة المقررة في العربية: أن كل همزتين اجتمعتا في كلمة أخراهما ساكنة وجب إبدالها حرف مد مجانساً للشكلة التي قبلها سواء كانت التي قبلها همزة وصل أو همزة قطع، وهذا حكم لا خلاف فيه بين القراء ولا بين علماء العربية ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَكْفُلُ أَثَدْنَ لِي﴾ أي: ائذن لي في القعود ولا تكلفني بالشخص إلى غزوة تبوك. وهذه الآية نزلت في الجعد بن قيس الخبيث المنافق أخي بني

(١) انظر: الإتحاف (٢/٩٢).

سلمة، كان رجلاً سيّداً فيهم، ولما قدم النبي ﷺ قال لبني سلمة: من سيدكم يا بني سلمة؟ قالوا: الجد بن قيس على أنا نبخله؛ لأنه بخيل لا يجود بالمال. فقال: وأي داء أدوأ من البخل؟ إنما سيدكم هذا الشاب الأبيض الجعد^(١). يعني بشر بن البراء بن معرور. وكان حسان (رضي الله عنه) يمدح بشر بن البراء بتسويد النبي ﷺ إياه ويقول^(٢):

وَسُودَ بَشْرَ بِنِ الْبَرَاءِ بِجُودِهِ وَحُقَّ لِبَشْرَ بِنِ الْبَرَاءِ أَنْ يُسَوِّدَا
فَتَى إِنْ أَتَاهُ الْوَفْدُ أَتْلَفَ مَالَهُ وَقَالَ خَذَوْهُ إِنَّنِي عَائِدٌ غَدَا

(١) في بعض روايات الحديث أن النبي ﷺ قال ذلك في عمرو بن الجموح (رضي الله عنه)، كما في الأدب المفرد رقم: (٢٩٧) من حديث جابر (رضي الله عنه)، وهو في صحيح الأدب المفرد رقم: (٢٢٧)، وأخرجه الحاكم (٢١٩/٣)، - وصححه ووافقه الذهبي - من حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) بنحو حديث جابر، وأورده الحافظ ابن عبد البر في الاستيعاب (١/١٤٦)، وعزاه لابن إسحاق، كما أورده الحافظ في الإصابة (١/١٥٠)، وفي الفتح (٥/١٧٨).

أما الرواية التي فيها أن النبي ﷺ قال ذلك في بشر بن البراء (رضي الله عنه) فقد ذكرها الواحدي في أسباب النزول ص ٢٤٧ - ٢٤٨، وأوردها الحافظ في الفتح (٥/١٧٩)، وعزاه للوليد بن أبان في كتاب الجود من حديث كعب بن مالك (رضي الله عنه)، وقد صحح الحافظ هذه الرواية وجمع بينها وبين الرواية الأخرى، بيد أن الحافظ ابن عبد البر في الاستيعاب (١/١٤٦)، وابن الأثير في أسد الغابة (١/٢١٨)، رجحا أنها في بشر بن البراء، والله أعلم.

(٢) البيتان عند الواحدي في أسباب النزول ص ٢٤٨، القرطبي (٨/١٥٩) ونص البيت الثاني هناك:

إِذَا مَا أَتَاهُ الْوَفْدُ أَذْهَبَ مَالَهُ وَقَالَ خَذَوْهُ إِنَّنِي عَائِدٌ غَدَا

فنزلت هذه الآية في الجد بن قيس على ما عليه جماعة المفسرين ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَكْفُلُ أَثَدْنَ لِي﴾ هو الجد بن قيس أخي بني سلمة. ذكر ابن إسحاق وغيره^(١) أن النبي ﷺ في وقت تجهيزه لغزوة تبوك قال له: «يا جد هل لك في جلاد بني الأصفر؟» يعني الروم. فقال له الجد: يا رسول الله — ﷺ — ائذن لي في الجلوس فإنني رجل قد علم قومي أنني لا صبر لي عن النساء، وإن نساء بني الأصفر فيهن جمال ووضاءة وجوه أخاف إن رأيتهن أن لا أصبر عنهن، فائذن لي ولا تفتني بصباحة وجوههن إذا خرجت إليهم. وهذا عذر بارد وليس قصده إلا النفاق، فأنزل الله فيه: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَكْفُلُ أَثَدْنَ لِي وَلَا تَفْتِنِي﴾، أي: بصباحة وجوه نسائهم على ما قاله غير واحد.

وقال بعض العلماء وأسنده ابن جرير^(٢) إن النبي ﷺ قال له: «يا جد بن قيس هل لك في جلاد بني الأصفر لتغنم منهم سراري ووصفاء؟» فقال: ائذن لي ولا تفتني بالنساء. هذا منزع آخر ووجه في الآية.

وجمهور العلماء يقولون: هي في الجد بن قيس، وهو عذر نفاق لا شك فيه، وهو لا عذر له، وإنما يتلمس الأعذار الكاذبة ليجلس — قبّحه الله — .

(١). أخرجه ابن جرير (٢٨٧/١٤) من طريق ابن إسحاق، وأخرجه الطبراني في الكبير (١٢٢/١٢)، وقال الهيثمي في المجمع (٣٠/٧): «فيه يحيى الحماني وهو ضعيف». اهـ، وأورده أيضاً الواحدي في أسباب النزول ص ٢٤٧، ولم يذكر السند.

(٢) ابن جرير (٢٨٨/١٤) عن ابن زيد مرسلًا.

ثم إن الله قال: ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ الفتنه التي يزعم أنه يتوقاها وهي خوفه أن يفتتن بجمال نساء بني الأصفر هذه ليست هي الفتنه، ولكن الفتنه العظيمة هذه التي سقط فيها ووقع فيها وهي تخلفه عن الجهاد واعتذاره الكاذب لرسول الله ﷺ ونفاقه، هذه هي الفتنه والضلال. فالمعنى: هذا الذي سقط فيه باعتذاره هو عين الفتنه العظيمة لا فتنه جمال نسائهم الذي يزعم أنه هو الذي يخاف فتنته. وهذا معنى قوله: ﴿وَلَا نَفْتِي﴾.

﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾^(٤٩)
[التوبة: آية ٤٩] في هذه الآية الكريمة وعيد شديد للمنافقين، وجهنم طبقة من طبقات النار، وتطلق على النار.

وقوله: ﴿لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ لأنها تهلكهم وتغشاهم فتحتوي عليهم من جميع الجهات، وتُغلق أبوابها عليهم، ويُضَيَّق عليهم فيها كما بيّن تعالى ذلك في آيات كثيرة، فبيّن إحاطة النار بهم في قوله في العنكبوت: ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾^(٥١) يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ^(٥٥) [العنكبوت: الآيتان ٥٤، ٥٥] وقوله تعالى في الكهف: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ...﴾ الآية [الكهف: آية ٢٩]. وقال تعالى: ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُوتُ عَنْ وُجُوهِِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ﴾ [الأنبياء: آية ٣٩] ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف: آية ٤١] إلى غير ذلك من الآيات الدالة على إحاطتها بهم. وبيّن (جلّ وعلا) أنها تُطَبَّق عليهم وتُغلق أبوابها، وهو قوله: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ﴾^(٨) فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ^(٩) [الهمزة: الآيتان ٨، ٩] وأنها تضيق عليهم ضيقاً شديداً كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا

مُقَرَّرَيْنَ دَعَوْا هُنَا لَكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ [الفرقان: آية ١٣] أعاذنا الله وإخواننا المؤمنين منها. وهذا معنى قوله: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: آية ٤٩].

﴿إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ﴾ [التوبة: آية ٥٠].

﴿إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾ هذا مما أبداه الله لنبيه من أسرار المنافقين القبيحة ﴿إِنْ تُصِيبَكَ﴾ يا نبي الله ﴿حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾ المراد بالحسنة هنا: غلبة الأعداء والظفر والنصر. يعني: إن ظفرتهم بأعدائكم وغلبتموهم ونصركم الله عليهم تسؤهم تلك الحسنة، ساءهم ذلك لأن العدو الشديد العداوة يسوؤه ما ينال عدوه من الخير، معناه: إن غزوتهم ونصركم الله وغلبتم وظفرتهم ساءهم ذلك وحزنوا من أجله ﴿إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ﴾ كأن يقتل قومك، أو لا ينصروا، أو يأتيك شيء يؤذي ويؤذي قومك ﴿يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلُ﴾ إذا سمعوا أن سرية من السرايا أو جيشاً من الجيوش وقع فيهم قتل أو جراح قالوا: ﴿قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلُ﴾ نحن خفنا من هذا وأخذنا لأنفسنا بالاحتياط فاستأذنا حتى جلسنا وسلمنا من تلك البلايا التي نالتهم من القتل والجراح ﴿وَتَوَلَّوْا﴾ عن دين الله ﴿وَهُمْ فَرِحُونَ﴾ مسرورون من جهتين: أنكم أصابكم ذلك السوء، وأنهم هم ما كانوا معكم — سلموا منه — كما تقدّم إيضاح هذا المعنى في سورة النساء؛ لأن الله أوضحه فيها بقوله: ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: آية ٧٢] معنى قوله: ﴿قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا﴾ حاضرأ معهم فيصيبني

ما أصابهم من القتل والجراح، وهو السبب الذي تولوا به وهم فرحون الآن. فالآية معناها: ﴿إِنْ تُصِيبَكَ﴾ يا نبي الله ﴿حَسَنَةٌ﴾ أي: يعطيك الله ظفراً ونصراً ﴿تَسُوْهُمْ﴾ تلك الحسنه ﴿وَأِنْ تُصِيبَكَ﴾ سيئة كقتل قومك وجراحهم وإدالة الكفار منهم ﴿يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا﴾ أخذنا لأنفسنا بالاحتياط وتخلفنا عن هذا الذي وقعوا فيه حذراً منا واحتياطاً أن يصيبنا مثل ما أصابهم ﴿وَيَكْتُولُوا﴾ عن دين الإسلام، ونصرة رسول الله، أو يتولى بعضهم راجعاً إلى بعض، والحال ﴿وَهُمْ فَرِحُوا﴾ مسرورون بالسوء الذي أصابكم وسلامتهم منه، وأنهم لم يحضروه معكم. هذا معنى قوله: ﴿إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ تَسُوْهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلٍ وَيَكْتُولُوا وَهُمْ فَرِحُوا﴾.

ثم إن الله (جلّ وعلا) أمر نبيه ﷺ أن يقول لهم: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا﴾ [التوبة: آية ٥١] لن يصيبنا أذى من الأذى لا قتل ولا جراح ولا مصيبة كائنة ما كانت إلا ما كتبه لنا ربنا في أزله. وقوله: ﴿مَوْلَانَا﴾ أي سيدنا وناصرنا. والمولى: أصله (مَفْعَل) من الولاية. والمولى في لغة العرب يطلق على كل من ينعقد بينك وبينه معنى تكون تواليه ويواليك به^(١)؛ ولذا كثر إطلاق المولى على ابن العم؛ لأن بني العم يوالوك بعصبية القرابة وتواليهم، ويطلق على المعتق؛ لأن العتق ولاية حصلت بينه وبين المعتق، فهو يطلق على المعتق وعلى المولى. ويطلق المولى على الصديق، وعلى كل من بينك وبينه ولاية كائنة ما كانت^(٢).

(١) مضى عند تفسير الآية (٥١) من سورة الأنعام.

(٢) مضى عند تفسير الآية (٤٠) من سورة الأنعام.

وقوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِي﴾ [النساء: آية ٣٣] أي: عصبه يرثون المال، كبني العم ونحوهم من العصابات، ومن هذا المعنى قول الفضل بن العباس من أولاد أبي لهب^(١):

مهلاً بني عمنا مهلاً موالينا لا تظهروا لنا ما كان مدفونا وإطلاق المولى على ابن العم مشهور في كلام العرب، ومنه قول طرفة بن العبد^(٢):

وَأَعْلَمُ عِلْمًا لَيْسَ بِالظَّنِّ أَنَّهُ إِذَا ذَلَّ مَوْلَى الْمَرْءِ فَهُوَ ذَلِيلٌ

والله (جلّ وعلا) مولى المؤمنين؛ لأنه يواليهم بالنصر والثواب والرحمة وهم مواليه؛ لأنهم يوالونه بالطاعة، حتى إن كل شيء يوالي شيئاً يقال له: (مولى) ولذا جعل الله النار مولاهم كما قال: ﴿مَا وَلَكُمْ آلُ النَّارِ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الحديد: آية ١٥] لأنها تواليهم لما عملوا من الأعمال السيئة المؤدية لها. وهذا معنى قوله: ﴿لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: آية ٥١] في أزاله ﴿هُوَ مَوْلَانَا﴾ سيدنا ومدبر شؤوننا ونحن متوكلون عليه ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ تقديم المعمول هنا في قوله: ﴿وَعَلَى اللَّهِ﴾ يدل على الحصر، أي: لا يتوكل إلا على الله وحده. والتوكل معناه: تفويض الأمور، وكَلْتُ الأمر إليه: فَوَضَعْتُهَا إليه.

وعلى العبد أن يفوض أموره إلى ربه (جلّ وعلا) ويعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه. والتوكل على الله والتفويض عليه لا ينافي الأسباب، فيجب على المسلم أن يأخذ

(١) السابق.

(٢) مضى عند تفسير الآية (١١٢) من سورة الأنعام.

بالأسباب كما جاء به الشرع الكريم، ويكون في قرارة نفسه متوكلاً على الله، وهذا سيد المتوكلين (صلوات الله وسلامه عليه) مرّ عليكم في الأيام الماضية أنه مع شدة توكله على الله وثقته بالله يتسبب في المحافظة من أعدائه بأن يدخل في غار مظلم في جبل ثور ليسن لأمتة التوكل على الله والأخذ بالأسباب مع التوكل على ضوء الشرع الكريم، وهذا هو الحق الذي لا شك فيه، فترك الأسباب من الضلال، والاعتماد بالكلية عليها من الضلال، والحق هو أن يأخذ الإنسان بالأسباب حسب ما جاء به الشرع الكريم متوكلاً قلبه على الله، مفوضاً أمره إليه، عالماً بأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وما أصابه لم يكن ليخطئه كما قال هنا: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: آية ٥١]

وقد أوضح الله لنا في سورة الحديد أن جميع المصائب وجميع الأمور لا يصيب الإنسان منها إلا شيء كان مقدراً قبل أن يخلق الخلق، وقبل أن توجد المصيبة، وربنا يقول لنا في آية الحديد الآتية ما معناه: بينت لكم أن جميع الأمور كتبتها وحتمتها عندي لتحصلوا على أمرين: أحدهما: أن لا تفرحوا بشيء أتاكم فإنه آتيكم لا محالة، ولا تحزنوا على شيء فاتكم لأنه فأت لا محالة، وهذا نص عليه تعالى بقوله: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ أي: أن خلقها ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: آية ٢٢] إنما بينا لكم هذا القدر السابق الأزلي ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾ [الحديد: آية ٢٣] لا تحزنوا على شيء فاتكم فهو فأت لا محالة؛ لأن الله كتب ذلك وقدره ﴿وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ فهو آت لا محالة. وهذه الآيات القرآنية إذا تأملها

المسلم وتدبر معانيها فهم عن الله، وهانت عليه أمور الدنيا فلم تعظم في قلبه، وهذا معنى قوله: ﴿لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: آية ٥١].

﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بَأْيَيْنَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ﴾ [التوبة: آية ٥٢].

﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ﴾ كان المنافقون – قبحهم الله – في المدينة يدأ مع الكفار واليهود على النبي ﷺ وأصحابه يُفشون إليهم أسرارهم، ويُلقون الأراجيف في قلوب المؤمنين، فهم يد مع الكفار والمنافقين على رسول الله ﷺ؛ ولذا كان المنافقون والكفار واليهود كأنهم طائفة واحدة ضد الإسلام والمسلمين؛ ولذا قال هنا: أنتم أيها المنافقون المتعاونون مع إخوانكم من الكفار واليهود الذين تتربصون الدوائر بنا.

التربص في لغة العرب: الانتظار، العرب تقول: «تربص»: إذا انتظر، وتربص بالسلعة إلى وقت الغلاء: انتظر بها. وهذا معروف، وهو مشهور جداً في كلام العرب، ومنه قول الشاعر^(١):

تَرَبَّصْ بِهَا رَيْبَ الْمُنُونِ لَعَلَّهَا تُطَلَّقُ يَوْماً أَوْ يَمُوتَ حَلِيلُهَا

فالتربص الانتظار. ومعنى الآية الكريمة: أنتم أيها المتربصون بنا عواقب الدهر ونوائبه راجين أن تدور علينا الدوائر فتهلكنا لا تتربصون بنا إلا واحدة من اثنتين كلتاهما أحسن من الأخرى. ﴿هَلْ تَرَبَّصُونَ﴾ أصله (تتربصون) حذفت فيه إحدى التاءين.

(١) مضى عند تفسير الآية (٢٤) من سورة التوبة.

﴿يَنَّا﴾ (هل) استفهام بمعنى النفي، ما تنتظرون بنا عاقبة إلا عاقبة هي إحدى الحسنيين. الحسنى: تأنيث الأحسن، وتُجمع على الحُسَن بضم ففتح، تقول: هذه الأنثى هي الحُسنى، أي: الأحسن من غيرها. وتجمعها على الحُسَن بضم ففتح كما هو معروف في محله. فالحسنى صيغة تفضيل، والحسنيين تأنيث الحسنى، وهي صيغة تفضيل. والمعنى لا تنتظرون بنا إلا إحدى خصلتين كلتاها أحسن من غيرها:

إحداهما: أن نغلب أعداءنا وينصرنا الله عليهم فنظفر بالنصر والغنيمة ورضى الله (جلّ وعلا)، وهذه الخلّة لا يوجد أحسن منها، فعاقبتنا إن صارت إليها عاقبة كريمة محمودة.

والثانية: أن يقتلنا أعداؤنا فنموت فننال الشهادة، والشهادة هي أعظم فوز يناله المسلم في دار الدنيا، فهي أيضاً حسنى؛ لأنها أحسن من كل شيء.

وهذه الآية الكريمة من أعظم الآيات التي تجعل المسلم يشقّ إلى الجهاد غاية الاشتياق؛ لأنك لا تجد في الدنيا رجلاً ماله إلى خير عظيم على كل التقديرات إلا المجاهد في سبيل الله؛ لأنه إن مات نال أمنية الدنيا والآخرة، ونال الفوز والحياة الأبدية، والكرامة التي لا نظير لها، وإن نصره الله على عدوه فرجع ظافراً غانماً فائزاً فهذا أيضاً حسن، وهذا لا يكون لأحد إلا للمجاهد في سبيل الله، فمن تأمل معنى هذه الآية الكريمة اشتاق لا محالة إلى الجهاد في سبيل الله. وقد ذكر أصحاب المغازي أن النبي ﷺ لما أراد الخروج إلى المشركين في غزوة أحد كان جابر بن عبد الله أبوه عبد الله بن عمرو بن حرام له بنات سبع، فجابر أخواته سبع، ذكروا أن النبي ﷺ

أشار عليهم أن يبقى مع البنات واحد، الابن أو الأب لئلا يموتا فتبقى الإناث لا قيم عليهن، فقال الوالد وهو عبد الله بن عمرو بن حرام (رضي الله عنه وأرضاه): يا بني كل شيء أوثرك فيه على نفسي إلا الشهادة في سبيل الله، فوالله لا أوثر على نفسي بها أحداً، واستشهد يوم أحد (رضي الله عنه). ولا خلاف بين العلماء في أنه من الذين أنزل الله فيهم: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [١٦٩] إلى آخر الآيات [آل عمران: آية ١٦٩] وهذا معنى قوله: ﴿قُلْ هَلْ تَرْتَبِصُونَ بِنَا﴾ [التوبة: آية ٥٢] أي: ما تتربصون وتنتظرون بنا إلا واحدة من إحدى مسألتين كلاهما أحسن من كل شيء ﴿إِلَّا أَحَدَى الْحُسَيْنَيْنِ﴾ ظفر ونصر وفوز بالظفر والنصر، أو شهادة في سبيل الله. وهذا كله خير، فكل احتمال صرنا إليه هو احتمال كريم، وهو أحسن من غيره. وهذا معنى قوله: ﴿إِلَّا أَحَدَى الْحُسَيْنَيْنِ﴾.

﴿وَنَحْنُ نَرْتَبِصُ بِكُمْ﴾ نتظر بكم خلاف ذلك: إحدى السوأيين، نحن نتظر بكم إحدى السوأيين، كلاهما أسوأ من الأخرى؛ أحدهما: أن يصيبكم الله بعذاب من عنده، كأن ينزل عليكم عقوبة فيهلككم لكفركم وتمردهم وتصيرون إلى النار، أو يسلطنا عليكم ويأمرنا بقتلكم فنقتلكم كما قال في إخوانهم الكفار: ﴿قَتَلُوهُمْ يَعْذِبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَبْغُزُهُمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: آية ١٤] وهذا معنى قوله: ﴿وَنَحْنُ نَرْتَبِصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا﴾ إذا عرفتم أنكم لا تتربصون بنا إلا الخير ونحن لا نتربص بكم إلا الشر إذن فتربصوا ونحن متربصون أيضاً، فكلنا يصير إلى ما يتربص به الآخر إليه.

وهذا معنى قوله: ﴿فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ﴾ [التوبة: آية ٥٢].

يقول الله (جلّ وعلا): ﴿قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِنْ كُنْتُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ [٥٣] وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ. وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ [٥٤] فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ [٥٥] وَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ بِمَنْكُورٍ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ [٥٦] لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأًا أَوْ مَغْرَبًا أَوْ مُدْخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ [٥٧] [التوبة: آية ٥٣ - ٥٧].

قرأ هذا الحرف عامة القراء السبعة غير حمزة والكسائي: ﴿أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ بفتح الكاف، وقرأ حمزة والكسائي: ﴿أَوْ كَرْهًا﴾ بضم الكاف^(١).

وقرأ عامة السبعة أيضاً غير حمزة والكسائي: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ﴾ بالتاء. وقرأ حمزة والكسائي: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ يُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ﴾ بالياء^(٢).

وهذه الآية الكريمة من الآيات النازلة في الجذب بن قيس أخي بني سلمة؛ لأن النبي ﷺ لما دعاه إلى الخروج في غزوة تبوك واعتذر له أعذار المنافقين المتقدمة قال له: ائذن لي في القعود، وهذا مالي أعينك به، خذ مالي نفقة مني في سبيل الله واطركني أنا أتخلف^(٣). فأنزل الله في إنفاقه الذي عرض على النبي ﷺ: ﴿قُلْ﴾

(١) انظر: الإتحاف (٢/٩٣).

(٢) انظر: السبعة ص ٣١٤ - ٣١٥.

(٣) أخرجه ابن جرير (٢٩٤/١٤)، والواحي في أسباب النزول ص ٢٤٧ - ٢٤٨.

يا نبي الله لهؤلاء المنافقين ﴿أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ أي: في حال كونكم طائعين أو كارهين لن يقبل الله منكم نفقة؛ لأنه يعلم أنكم كفار في الباطن، وصيغة الأمر في قوله: ﴿قُلْ أَنْفِقُوا﴾ تقرر في الأصول^(١) أن من الصيغ التي ترد لها (افعل) قصد التسوية بين الأمرين، فمن أساليب اللغة أن تأتي بصيغة (افعل) تقصد بذلك أن تسوي بين الأمرين، المذكورين بعد ذلك، ونظيره في القرآن: ﴿فَأَصِرُوا أَوْ لَا تَصِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ﴾ [الطور: آية ١٦] يعني: صبركم وعدمه سواء لا ينفعكم ذلك. ﴿أَسْتَغْفِرَ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ﴾ [التوبة: آية ٨٠] يعني: استغفارك وعدمه سواء، لا ينفع استغفارك ولا عدمه، كذلك قوله هنا: أنفقوا طائعين أو مكرهين لا ينفعكم ذلك الانفاق؛ لأن الله لا يقبل أعمال الكفرة. وهذا معنى قوله: ﴿قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ [التوبة: آية ٥٣] طوعاً أو كرهاً: مصدران منكران في موضع الحال. أي: في حال كونكم طائعين أو مكرهين. وإتيان التسوية بين الأمرين بصيغة (افعل) معروف في كلام العرب، ذكرنا له أمثلة في القرآن العظيم، ومن أمثله في كلام العرب قول كثير عزة^(٢):

أَسِيئِي بِنَا أَوْ أَحْسِنِي لَا مَلُومَةٌ لَدَيْنَا وَلَا مَقْلِيَّةٌ إِنْ تَقَلَّتِ

يعني: إن أسأت أو أحسنت إلينا فكل ذلك سواء لا يغير ودنا القديم بالنسبة إليك.

وقوله: ﴿لَنْ يُنْقَبَلَ مِنْكُمْ﴾ لن يقبل الله نفقتكم. قال بعض

(١) انظر: شرح الكوكب المنير (٢٧/٣).

(٢) البيت في ابن جرير (٢٩٣/١٤)، القرطبي (١٦١/٨).

العلماء: لم يقبلها رسول الله بل فردها عليهم. وقال بعضهم: لا يقبلها الله، أي: لا يؤتيهم عليها أجراً؛ لأنها لا يُراد بها وجه الله.

ثم قال: ﴿إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ (٥٩) أي: خارجين عن طاعة الله. والفسق في لغة العرب^(١) معناه الخروج. وفي اصطلاح الشرع^(٢): الفسق الخروج عن طاعة الله. تارة يعظم ذلك الخروج فيكون كفراً، وتارة يكون خروجاً دون خروج، وفسقاً دون فسق، فيكون بارتكاب كبيرة؛ ولأجل هذا كان الفسق يطلق في القرآن على الكفر كقوله: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوِيَهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾ [السجدة: آية ٢٠] وتارة يطلق على ارتكاب المحرم الكبير كقوله: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات: آية ٦] وقوله في القاذفين: ﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: آية ٤].

وهذه الآية معلوم تعلق المعتزلة بها في أن السيئات تبطل الحسنات، قالوا: لأن الله صرح بأن فسقهم أبطل نفقتهم. ومن هنا زعموا أن كبائر الذنوب تبطل الأعمال. وهذا مذهب باطل لا شك في بطلانه، وهذه الآية التي تعلقوا بها بين الله (جلّ وعلا) بطلان حجتهم منها في قوله بعده - يليه - : ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنْهُمْ كَفَرُوا﴾ فصرح بأن المبطل للأعمال هو صريح الكفر. وهذا معنى قوله: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ﴾.

(١) راجع ما سبق عند تفسير الآية (٥٩) من سورة البقرة.

(٢) السابق.

والضمير في قوله: ﴿أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ﴾ منصوب في محل المفعول. أعني بقولي: (الضمير) المصدر المنسبك من (أن) وصلتها في قوله: ﴿أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ﴾ المصدر المنسبك من (أن) وصلتها في قوله: ﴿أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ﴾ في محل نصب مفعول به لـ (منع) — أي ما منعهم قبول نفقاتهم — بناءً على أن (منع) تتعدى للمفعول الثاني بنفسها، كمنعت زيداً كذا وكذا. وهو الصحيح^(١).

وأما المصدر المنسبك من (أن) وصلتها في قوله: ﴿إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ﴾ فالتحقيق فيه أنه في محل رفع، وهو فاعل (منع) وتقرير المعنى: ما منع قبول نفقاتهم إلا أنهم كفروا، أي: إلا كفرهم بالله. فإيضاح المعنى: ما منع قبول النفقات منهم إلا كفرهم بالله.

وقال بعض العلماء: إن فاعل (منع) ليس المصدر المنسبك من (أن) وصلتها، وأنه ضمير يعود إلى الله. أي: وما منع الله قبول نفقاتهم إلا أنهم كفروا، إلا لأجل أنهم كفروا. والأول هو الأظهر^(٢).

وقوله: ﴿إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ لأن المنافقين وإن كانوا يظهرون الإيمان ظاهراً فهم في باطن الأمر كفرة فجرة، فهم كافرون في باطن الأمر، والكافر لا يقبل منه صرف ولا عدل، ولا خلاف بين العلماء أن الكفر سيئة لا تنفع معها حسنة، فلا ينتفع الإنسان بعمل إلا إذا كان مبنياً على أساس العقيدة الصحيحة.

(١) انظر: الدر المنصون (٦/٦٦).

(٢) انظر: المصدر السابق (٦/٦٦).

وقد قدّمنا في هذه الدروس مراراً^(١) أن العمل الصالح الذي يُثاب به صاحبه يوم القيامة هو ما استكمل ثلاثة أمور:

الأول: منها أن يكون مطابقاً لما جاء به النبي ﷺ؛ لأن الله لا يقبل أن يتقرب إليه إلا بما شرع على لسان رسوله ﷺ، فمن تقرب إليه بما لم يشرعه لم يقبله منه ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: آية ٢١].

الثاني: أن يكون العبد فيما بينه وبين الله في نيته التي لا يعلمها إلا الله مخلصاً في عمله لله؛ لأن الله يقول: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: آية ٥] ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: آية ١١].

الثالث: هو هذا الذي نحن بصددده: أن يكون العمل مبنياً على أساس الإيمان بالله والعقيدة الصحيحة؛ لأن العمل كالسقف، والعقيدة الصحيحة والإيمان بالله كالأساس، والسقف لا يستقيم إلا على أساس؛ ولذا من عمل أعمالاً صالحة ليست مبنية على أساس الإيمان فهي باطلة منهارة لا ينتفع بها، والله (جلّ وعلا) يقول: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ [النساء: آية ١٢٤] فقيّد بقوله: ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ وهذا لا نزاع فيه؛ لأن كل عمل يعمله الكافر ولو كان مطابقاً للشرع، والكافر مخلص فيه لله، فإن بعض الكفار يبر والديه، ويصل رحمه، ويقرى الضيف، ويعين المظلوم، وينفس عن المكروب، كل ذلك يقصد به وجه الله، فهذه قُرْبٌ صحيحة موافقة للشرع هو مخلص فيها لله، لا ينفعه الله بها يوم

(١) مضى عند تفسير الآية (٥٤) من سورة الأنعام.

القيامة؛ لأن الله يقول: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان: آية ٢٣] وقال (جلّ وعلا): ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود: آية ١٦]، ﴿أَعْمَلْتُمْ كَسْرًا...﴾ [النور: آية ٣٩]، ﴿كِرْمَادٍ﴾ [إبراهيم: الآية ١٨] ونحو ذلك من الآيات، وقد ثبت عن النبي ﷺ أن عمل الكافر الصالح - كأن يبر والديه، وينفّس عن المكروب، ويقرى الضيف، ويعين المظلوم، ويصل الرحم - يقصد بذلك وجه الله، فمثل هذا من الأعمال الصالحة إذا فعله الكفار أثابهم الله به في دار الدنيا فأعطاهم عرض الدنيا من المال وأطعمهم وسقاهم ورزقهم العافية، ولا يكون لهم عند الله جزاء، وقد ثبت هذا المعنى من حديث النبي ﷺ الذي رواه عنه أنس، ورواه مسلم في صحيحه من حديث أنس عن النبي ﷺ: أن الله يطعم الكافر بعمله الصالح في الدنيا، ويثيبه في الدنيا، فإذا جاء الآخرة لم يكن له عمل يُجَازى عليه، أما المسلم فالله يثيبه بعمله في الدنيا ويدخر له في الآخرة^(١).

والآيات الدالة على أن الكفار ينتفعون بأعمالهم في الدنيا جاءت في القرآن، كقوله: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُمْ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ [الشورى: آية ٢٠] وما دلّ عليه هذا الحديث الصحيح من أن الكافر يُجَازى بعمله في الدنيا ولا يجازى به في الآخرة، وما دلّ عليه بعض

(١) مسلم في صفات المنافقين وأحكامهم، باب جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة، وتعجيل حسنات الكافر في الدنيا، حديث رقم: (٢٨٠٨)، (٢١٦٢/٤).

الآيات. وقال بعضهم: إن منه قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُ حِسَابًا﴾ [النور: آية ٣٩] قال بعض العلماء: وفاه حسابه في دار الدنيا بما رزقه على عمله الصالح من العافية. وإن كان الوجه الآخر أصح في الآية، كل هذا الذي هو إثابة الكافر من عمله في الدنيا لا شك مقيد بمشيئة الله؛ لأن ذلك دلت عليه آية سورة بني إسرائيل، وهي قاضية على كل شيء في هذا الباب. أعني قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ [الإسراء: آية ١٨] فقله: ﴿عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾ قيد بالمشيئة للجزاء الثابت في صحيح مسلم عن النبي ﷺ من حديث أنس. وهذا معنى قوله: ﴿إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [التوبة: آية ٥٤].

قد قدمنا في هذه الدروس مراراً^(١) أن أصل مادة الكاف والفاء والراء معناها التغطية والستر، فكل شيء غطيته وسترته فقد كفرته، ومنه قيل للزُّرَّاع: (كفار)؛ لأنهم يكفرون البذر في بطن الأرض، وقيل لليل: (كافر) والعرب تسمي الليل كافراً؛ لأنه يكفر الأجرام ويغطيها بظلامه. وكفر الشيء إذا غطاه وستره، ومن هذا المعنى قول لبید بن ربيعة في معلقته^(٢):

يَعْلُو طَرِيقَةً مَتْنَهَا مُتَوَاتِرٌ فِي لَيْلَةٍ كَفَرَ النُّجُومَ غَمَامُهَا
أي: ستر النجوم وغطاها غمام تلك الليلة. وقوله أيضاً في معلقته هذه في تسمية الليل كافراً^(٣):

(١) مضى عند تفسير الآية (٤٥) من سورة الأعراف.

(٢) السابق.

(٣) السابق.

حتى إذا أَلْقَتْ يَدَا فِي كَافِرٍ وَأَجَنَّ عَوْرَاتِ الثُّغُورِ ظِلَامُهَا
 هذا أصل معنى 'المادة' في لغة العرب، ومنه قيل لتكفير الذنوب
 تكفير الذنوب؛ لأن الله يسترها ويغطيها بحلمه حتى لا يظهر لها أثر،
 من (كفرته) إذا سترته.

والكافر يغطي أدلة التوحيد ويحاول جحدها وتغطيتها وهي
 كالشمس في رابعة النهار، أو يحاول تغطية نِعَمِ الله عليه بأكله رزقه
 وعبادته غيره.

قوله: ﴿إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [التوبة: آية ٥٤] هو
 محمد ﷺ، والرسول بمعنى مُرسل، أي: بالإنسان الذي أرسله الله
 (تبارك وتعالى)، وهو نبينا. والرسول (فَعُول) بمعنى (مُفْعَل) وأصله
 مصدر، وإتيان المصادر على وزن (فَعُول) بفتح الفاء نادر موجود في
 كلمات معدودة^(١) كالقبول، والولوع، والرسول بمعنى الإرسال
 والرسالة. والتحقيق أن أصل الرسول مصدر، والعرب تطلق الرسول
 وتريد المصدر الذي هو الرسالة، ومنه قول الشاعر^(٢):

لَقَدْ كَذَبَ الْوَائِشُونَ مَا فَهَتَ عَنْهُمْ بِقَوْلٍ وَلَا أَرْسَلْتُهُمْ بِرَسُولٍ
 أي: ولا أرسلتهم برسالة، وقول الآخر^(٣):

أَلَا أَبْلُغُ بَنِي عَمْرٍو رَسُولًا بِأَنِّي عَنْ فَتَاحَتِكُمْ غَنِي
 أبلغ بني عمرو رسالة. وإنما قلنا: إن الرسول أصله مصدر
 لنبين بذلك أن في ذلك حلاً لبعض الإشكالات في القرآن العظيم؛

(١) مضى عند تفسير الآية (١٣٠) من سورة الأنعام.

(٢) السابق.

(٣) مضى عند تفسير الآية (٧٨) من سورة البقرة.

لأن الأشياء التي أصلها مصادر إذا تنوسيت فيها المصدرية واستعملت استعمال الأوصاف جاز أن يُرعى فيها أصلها وهو المصدر، والعرب إذا نعتت بالمصدر التزمت الأفراد والتذكير، ومن هنا كان الرسول يجوز إفراده مراداً به الجمع أو التثنية؛ لأن أصله مصدر؛ ولذلك جاء مفرداً في سورة الشعراء في قوله: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: آية ١٦] نظراً إلى أصل مصدريته. وجاء مثني في سورة طه: ﴿إِنَّا رَسُولًا رَبِّكَ﴾ [طه: آية ٤٧] اعتداداً بالوصفية العارضة وإلغاءً للمصدرية الأصلية؛ ولذلك كانت العرب تطلق الرسول وتريد به الجمع على عادتها إذا نعتت بالمصادر، ومنه قول أبي ذؤيب الهذلي^(١):

الْكُنِّي إِلَيْهَا وَخَيْرَ الرَّسُولِ أَعْلَمُهُمُ بِنَوَاحِي الْخَبَرِ
يعني: وخير الرسل. وهذا معنى قوله: ﴿إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ محمد ﷺ.

﴿وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ﴾ هي هذه الصلاة المكتوبة، أقامها الله وأدامها ﴿إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى﴾ إلا والحال هم كسالى، والكسالى جمع الكسلان: المتكاسل عنها الذي هي ثقيلة عليه؛ لأن الله يقول: ﴿وَلَئِنَّا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: آية ٤٥] لأن الصلاة لا تخف إلا على من يريد جزاء الله وثوابه، أما المنافقون والذين لا إيمان لهم، فهي أثقل شيء عليهم؛ ولذا لا يأتونها إلا متكاسلين في غاية الكسل يراؤون الناس ولو كانوا بانفرادهم لا يطلع عليهم الناس لما صلوها كما تقدم في قوله تعالى في سورة النساء:

(١) مضى عند تفسير الآية (٥٠) من سورة الأنعام.

﴿ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالً يُرَاءُونَ النَّاسَ ﴾ [النساء: آية ١٤٢] هذه حالة المنافقين — قبحهم الله — .

﴿ وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَرِهُونَ ﴾ [التوبة: آية ٥٤] فقولهم: ﴿ وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَرِهُونَ ﴾ معناه: أن المنافقين لا يخرجون نفقة طيبة بها أنفسهم، ولا يخرجونها إلا كرهاً لئلا يطلع المسلمون على نفاقهم فيجروا عليهم أحكام الكفرة. وبهذا تعلم أن قوله: ﴿ قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ﴾ [التوبة: آية ٥٣] أنهم كارهون على كل حال، وأن المراد بالآية تسوية جميع الحالات، الحالة الواقعة وغيرها أنهم لا فائدة لهم في ذلك. وهذا معنى قوله: ﴿ وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَرِهُونَ ﴾ أي: كارهون ذلك الإنفاق؛ لأنهم لا يطلبون ما عند الله ولا يرجون عاقبة ولا جزاء من الله، فالإنفاق في سبيل الله يعدونه مغرمًا ويكرهونه غاية الكره كما سيأتي في قوله: ﴿ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ﴾ [التوبة: آية ٩٨].

﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ [التوبة: الآيتان ٥٥، ٥٦].

﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ [التوبة: آية ٥٥].

نهى الله نبيه ﷺ عن أن يستحسن ما أعطى للمنافقين من متاع الدنيا من الأموال والأولاد، لا يعجبك ما أعطيناكم من الأموال والأولاد فإننا أعطيناكم إياه استدراجاً منا وعاقبته سيئة ووخيمة عليهم

في الدنيا والآخرة، لا تستحسن ذلك ولا تعجب به؛ ولا تمدن إليه عينيك كما قال: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفِثَنَّهُمْ فِيهِ وَرَزَقُ رِيكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه: آية ١٣١] وقال: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَيْنٍ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المؤمنون: الآيتان ٥٥، ٥٦]، ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى﴾ [سبا: آية ٣٧]، ﴿مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿٦﴾﴾ [المسد: آية ٢] إلى غير ذلك من الآيات، لما بين الله في هذه الآيات من سورة براءة أن المنافقين لا حظ لهم من الله في الآخرة بين أن ما أعطاهم من زينة الحياة الدنيا من متاعها من الأموال والأولاد أيضاً لا ينبغي أن يستحسن، ولا أن يعجب به؛ لأنه تافه أعطوه استدراجاً وعاقبته سيئة عليهم ﴿إِنَّمَا تُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٧٨﴾﴾ [آل عمران: آية ١٧٨] هذا معنى قوله: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمُ﴾ العرب تقول: أعجبه الشيء يعجبه إذا استحسنته استحساناً يسره، فكل من استحسنت الشيء استحساناً يُسرُّ به تقول العرب: أعجبه، أي: لا تستحسن ما أعطيناكم من متاع الدنيا استحسان سرور ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ﴾ بإعطائه إياهم ليعذبهم، هذه اللام التي تأتي في القرآن بكثرة وفي كلام العرب بعد فعل الإرادة فيها خلاف للعلماء؛ لأنه يكثر في القرآن وفي كلام العرب إتيان هذه اللام بعد فعل الإرادة كقوله: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُثَبِّتَ لَكُمْ﴾ [النساء: آية ٢٦] ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ﴾ [الصف: آية ٨] ونحو ذلك من الآيات، وقوله هنا: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [التوبة: آية ٥٥] تكثر هذه اللام بعد فعل الإرادة ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ﴾ [الصف: آية ٨] ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُثَبِّتَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [النساء:

آية ٢٦] وهي موجودة في كلام العرب نحو هذا، ومنه قول الشاعر^(١):

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثل لي ليلى بكل سبيل
هذه اللام التي تأتي في القرآن وفي كلام العرب بعد فعل
الإرادة اختلف العلماء في معناها، وأظهر أقوالهم فيها قولان:

أحدهما: أنها لام نادرة المعنى تأتي بمعنى (أن)، وأنها لام
مصدرية، وإن لم يكن علماء العربية عدوا حرف اللام من
الموصلات الحرفية المصدرية، قالوا: فهذه اللام بمعنى (أن)
والدليل على هذا القول تعاقب هذه اللام و(أن) في قوله ﴿يُرِيدُونَ
أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ﴾، ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ﴾ [الصف: آية ٨]، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ
اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾ [التوبة: آية ٥٥] ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ﴾ في الآية الآتية.
وعلى هذا القول فاللام مصدرية بمعنى (أن)، وهو قول يقل من يقوله
من علماء العربية.

القول الثاني: أن المفعول محذوف، واللام لام تعليل
لمحذوف، والمعنى على هذا القول: إنما يريد الله إعطاءهم ومتاعهم
بها لأجل أن يعذبهم بها في الحياة الدنيا. وهذا معنى قوله: ﴿إِنَّمَا
يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا﴾ قال بعض العلماء: الضمير عائد إلى الأموال.

وفي هذه الآية وجهان معروفان من التفسير عند العلماء^(٢):
قالت جماعة من العلماء: في الآية الكريمة تقديم وتأخير، والمعنى:
فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا إنما يريد الله

(١) البيت لكثير عزة وهو في تاريخ دمشق (٨٠/٥٠).

(٢) انظر: القرطبي (١٦٤/٨)، البحر المحيط (٥٤/٥)، الدر المصون (٦٧/٦).

ليعذبهم بها - أي في الآخرة - وعلى أن في الآية تقديماً وتأخيراً فلا إشكال في المعنى. وهذا القول مروي عن ابن عباس^(١) وجماعة من السلف.

وقال جماعة من العلماء منهم الحسن البصري وغيره^(٢): إن الآية لا تقديم فيها ولا تأخير، وأن الله يعذب المنافقين بالأموال في الحياة الدنيا. وعلى قولهم فالضمير راجع إلى الأموال فقط دون الأولاد، ومعنى كون الله يعذبهم بأموالهم في الحياة الدنيا أن الله يفرض عليهم فيها الزكاة ويفرض عليهم فيها الحقوق الواجبة فتؤخذ قهراً منهم رغم أنوفهم، وأعظم ما يعظم على الإنسان إذا كان يؤخذ الشيء من تحت يده وهو محب له كرهاً رغم أنفه لا يريد به وجه الله، وأن الله أيضاً يسلط عليها المصائب والبلايا فتحزن قلوبهم وتتعذب، ولأنه يتعذبهم في جمعها أولاً فتأتيهم بمتاعب من جهات متعددة، منها: تعبهم ونصبهم في جمعها أولاً وما ينزل بها من المصائب، وتكليفهم دفع الزكاة فيها، وإنفاقها في سبيل الله للجهاد ونحو ذلك، فهذا تعذيب لهم؛ لأن أشد ما يؤلم المنافق أخذ ماله من تحت يده قهراً لعزة المسلمين ونصر دين الإسلام، هذا أمر يؤلم قلوبهم جداً، وكل ما يؤلم الإنسان يسمى تعذيباً له. وعلى هذا القول فلا تقديم ولا تأخير في الآية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي: ويجمع لهم مع ذلك عذاب الآخرة ﴿وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ﴾ أي: يموتوا ﴿وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ فيتصل لهم عذاب الآخرة الذي لا ينقطع بعذاب الدنيا. وهذا معنى قوله: ﴿وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾.

(١) أخرجه ابن جرير (٢٩٦/١٤)، من طريق علي بن أبي طلحة.

(٢) أورد هذه الروايات ابن جرير (٢٩٦/١٤).

وقوله: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ﴾ [التوبة: آية ٥٦] هذه عادة المنافقين يتقون بالآيمان الكاذبة ﴿وَيَحْلِفُونَ﴾ للنبي والمسلمين ﴿يَاللَّهُ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ﴾ في الباطن والظاهر، والله يقول: ﴿وَمَا هُمْ مِنْكُمْ﴾ بل هم أعداؤكم ولا عاشروكم إلا مرغمين على ذلك لا يجدون عنه مفرأ، كما يأتي في الآية الآتية بعد هذا ﴿وَيَحْلِفُونَ﴾ للنبي وأصحابه قائلين ﴿إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ﴾ باطنأ وظاهراً، والله يقول: ﴿وَمَا هُمْ مِنْكُمْ﴾ هم كفرة أعداء ليسوا منكم ﴿وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾ يفرقون معناه: يخافون. العرب تقول: فرّق الرجل بكسر الراء يفرّق بفتحها على القياس فرّقاً بفتحيتين فهو فرّق إذا كان خائفاً شديد الخوف^(١). وهو معنى معروف في كلام العرب، ومنه قول أبي محجن الهذلي في أبياته المشهورة^(٢):

القوم أعلم أني لساعتهم إذا تطيش يد الرعية الفرق

الذي يرتعد إذا أراد أن يرمي فترتعد يده من الفرق وهو الخوف.

أي: ﴿وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾ أي: يخافون منكم فيتوددون ويحلفون لكم الأيمان الكاذبة أنهم منكم في الباطن وليسوا منكم في الباطن، بل هم أعداء كفرة فجرة، هم أعدى الناس لكم كما سيأتي قريباً. وهذا معنى قوله: ﴿وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾.

ثم يبين شدة عداوتهم لهم فقال: ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً﴾ [التوبة: آية ٥٧] لو كانوا يجدون ملجأ يلجؤون إليه ويعتصمون به دونكم للجوءوا إليه.

(١) انظر: المفردات (مادة: فرق)، ص ٦٣٤.

(٢) البيتان لأبي محجن الثقفي، وهما في تاريخ دمشق (٤٦/٤٧)، وفيه «أنى من سراتهم».

﴿أَوْ مَفَرَاتٍ﴾ المغارات جمع مغارة، والمغارة: هي الغيران في الجبال. المغارة: الغار في الجبل، وهو بفتح الميم. والتحقيق أن أصل ألفه منقلبة عن واو؛ لأن المغارة من غار يغور إذا انحدر في أسفل، ومنه ﴿إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾ [الملك: آية ٣٠] أي: غائراً. وكل غائر منسفل فهو غور. ومعنى مغارة: أي: غاراً منسفلاً ينحدرون في أسفله ويختفون فيه عنكم.

﴿أَوْ مُدْخَلًا﴾ قراءة السبعة وجمهور القراء غيرهم: ﴿مُدْخَلًا﴾ والمُدْخَل أصل وزنه [مفتعلاً] من دخل، أصله (مُدْتَخَل) بالتاء، أبدلت التاء دالاً وأدغمت الدال في الدال^(١). والمُدْخَل هو المكان الذي يُدْخَل فيه كالسَّرَب والنفق في باطن الأرض. أي: لو يجدون غيراناً في الجبال أو أنفاقاً وسروباً في داخل الأرض يدخلون فيها، [١/١] أو ملجأ يعتصمون به لولوا راجعين إليه عنكم / ﴿وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ يجمعون مضارع جمع يجمع إذا أسرع في سيره إسراعاً لا يرد وجهه شيء، ومنه: فرس جموح إذا كان اللجام لا يمسكه ولا يرده عن وجهته شيء، فكل مسرع في جريه لا يرده عن وجهه شيء تسميه العرب جموحاً وجامحاً. أي: لو وجدوا أي موضع يذهبون فيه إليكم ولا يصحبونكم لولوا إليه في غاية الإسراع لا يردهم عنه شيء، ولكنهم لا يجدون طريقاً أبداً غير معاشرتكم فهم مُلْجِؤُونَ إليها يعاشرُونكم مكرهين لا مفر ولا ملجأ لهم، ولو وجدوا أي مفر للجؤوا إليه، وهذا غاية العداوة، بين الله أسرارهم وشدة عداوتهم لنبه ليتحرز منهم؛ لأن العدو إذا كان في ثياب صديق هو أشد الأعداء:

(١) انظر: القرطبي (١٦٥/٨)، الدر المصون (٦٨/٦ - ٦٩)، معجم مفردات الإبدال والإعلال ص ١٠٧.

احذر عدوك مرة واحذر صديقك ألف مرة^(١)

وهذا معنى قوله: ﴿لَوْ يَحْذَرُونَ مَلَجًا أَوْ مَغْرَبًا أَوْ مُدْخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ [التوبة: آية ٥٧].

يقول الله (جلّ وعلا): ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ [٥٨] وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ [٥٩] إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: الآيات ٥٨ - ٦٠] ذكر كثير من أهل العلم أن هذه الآية نزلت في حرقوص بن زهير ذي الخويصرة التميمي رأس المنافقين. قالوا: وجد النبي ﷺ يقسم مالا فقال: يا نبي الله اعدل فإنك لم تعدل - قبّحه الله - وقصة ذي الخويصرة معروفة ثابتة في الصحيح^(٢)، ولكن الذي يظهر أن هذه الآية ليست نازلة فيه، وإن زعم كثير من كبراء المفسرين أنها نازلة في ذي الخويصرة، وإنما قلنا إن الأظهر أنها نازلة في غيره أن المعروف أن القسمة التي قال فيها حرقوص بن زهير التميمي المعروف بذي الخويصرة أصل الخوارج - قبّحه وقبّحهم الله - أن ذلك في قسم

(١) نسبه في قرى الضيف (١٣٧/٣) إلى ابن حجاج، وفي محاضرات الأدباء للراغب (٢١/٣) نسبه إلى علي بن عيسى.

(٢) أخرجه البخاري في المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، حديث رقم: (٣٦١٠)، (٦١٧/٦)، وأخرجه في مواضع أخرى. انظر الأحاديث: (٤٣٥١)، (٦٩٣١)، ومسلم في الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، حديث رقم: (١٠٦٤)، (٧٤١/٢)، من حديث أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه).

النبي لغنائم حنين، قال ذلك فيه، وهذه الآية يصرح الله فيها بأنهم لمزوه في قسم الصدقات وهي الزكوات والصدقات غير الغنائم^(١)، فالأظهر أن الأصوب فيها هو ما قاله ابن جريج (رحمه الله) وغيره أنها نزلت في رجل من الأنصار من المنافقين حضر النبي ﷺ يقسم مالا من الصدقات فقال: يا نبي الله اعدل فإنك لم تعدل — قبّحه الله — فنزلت هذه الآية فيه^(٢).

وهذه الآيات من سورة براءة يبين الله بها أصنافاً من المنافقين يقول: ومنهم من هو كذا، ومنهم من هو كذا، كما تقدم في قوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَكْفُرُ أَتَدْنٰ لِي وَلَا تَفْتِنِي﴾ [التوبة: آية ٤٩] وقال هنا: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَلْعَنُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ وسيأتي قوله: ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ

(١) الذي يظهر أنهما واقعتان متشابهتان:

الأولى: في قسم غنائم حنين، وذلك في الجعرانة حيث قال له رجل: «يا محمد اعدل» كما في حديث جابر (رضي الله عنه) عند البخاري (٣١٣٨)، ومسلم (١٠٦٣).

الثانية: في قسم ذهبية بعث بها علي (رضي الله عنه) من اليمن والنبي ﷺ في المدينة، وقد قسمها رسول الله ﷺ بين أربعة نفر، فقال رجل: يا رسول الله: اتق الله... الحديث. كما في حديث أبي سعيد الذي تقدم تخريجه قريباً، وقد جاء في بعض الروايات عند البخاري ومسلم التصريح باسمه وهو ذو الخويصرة التميمي، وكذا في رواية ابن جرير (٣٠٣/١٤) والواحد في أسباب النزول ص ٢٤٩، وفيهما أيضاً التصريح بأن هذه الحادثة كانت سبب نزول الآية.

قال الحافظ في الفتح (٦٨/٨): «تنبيه: هذه القصة غير القصة المتقدمة في غزوة حنين، ووهم من خلطها بها». اهـ.

وقال في (٢٩٣/١٢): «وقد ظهر أن المعترض في الموضوعين واحد». اهـ.

(٢) أخرجه ابن جرير (٣٠٢/١٤)، وقد رواه ابن جريج عن داود بن أبي عاصم، ولا يخفى أن هذا له حكم الإرسال.

النَّبِيِّ ﴿ [التوبة: آية ٦١] هذه طوائف من المنافقين تعمل قبائح مختلفة الأصناف بينها الله في هذه السورة ﴿وَمِنْهُمْ﴾ أي: من المنافقين ﴿مَنْ يَلْمِزُكَ﴾ يا نبي الله، واللمز معناه: العيب والظعن. تقول العرب: لمزه. إذا عابه وظعن فيه، ومنه قوله: ﴿يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: آية ٧٩] ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [الحجرات: آية ١١] أي: لا يعب أحدكم أخاه ويطعن فيه ومنه ﴿وَيَلِّ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٌ﴾ لأن اللُّمزة فُعلة تدل على المبالغة، أي: كثير لمز الناس، أي: عيهم والظعن فيهم. ومن هؤلاء المنافقين صنف آخر يلمزك يا نبي الله، يطعن عليك ويعيبك في قسم الصدقات ويقولون: هذه قسمة ما أريد بها وجه الله، ولم يراع فيها العدل كما ينبغي.

ثم إن الله بيّن قبائحهم وفضحهم بأن هذا القول الذي تجرؤوا عليه ما حملهم عليه إلا الطمع والشره ومحبة شيء يعطونه في خصوص أنفسهم؛ ولذا قال: ﴿فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا﴾ فإن أعطوا من الصدقات رضوا ذلك العطاء وسكتوا وفرحوا ﴿وَلِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا﴾ (إذا) حرف مفاجأة، وقد قدمنا في هذه الدروس أن (إذا) الفجائية فيها لعلماء العربية ثلاثة أقوال: قيل: هي حرف، وقيل: ظرف مكان، وقيل: ظرف زمان، كما هو مقرر في محله^(١). والمعنى: إذا لم يُعْطُوا من الصدقات شيئاً فاجأ ذلك سخطهم، أي: غضبهم وعدم رضاهم. فبيّن الله أن سخطهم ورضاهم منوطان بمصلحتهم الخاصة إذا أعطوا شيئاً رضوا وفرحوا، وإذا لم يعطوا شيئاً غضبوا وسخطوا. وهذه ليست حالة من يريد وجه الله ولا المصلحة العامة؛ ولذا قال:

(١) مضى عند تفسير الآية (٢٠١) من سورة الأعراف.

﴿ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾ [٥٨] يسخطون مضارع (سخط الأمر) بكسر الخاء (يسخطه) بفتحها (سَخَطًا) على القياس، وسُخْطًا إذا كرهه، وسَخِطَ الرجل بمعنى غضب، ومنه: ﴿ لَيْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ [المائدة: آية ٨٠] أي: غضب عليهم — والعياذ بالله — .

ثم إن الله قال: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾ [التوبة: آية ٥٩] معروف في علم العربية أن (لو) حرف شرط في الماضي، وأن حروف الشرط إنما تتولى الجمل الفعلية، ومعلوم أن (أن) في قوله: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا ﴾ في محل مصدر، والمصدر الذي هي في محله اسم. والعلماء يجيبون عن هذا بأن متعلق (لو) محذوف^(١) عامل في قوله: ﴿ أَنَّهُمْ ﴾ والمعنى: ولو ثبت، أو لو وقع أنهم فعلوا كذا لكان خيراً لهم ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ ﴾ رضوا أصله: (رَضِيُوا) أصله (فَعِلَ) وأصل لامه واو؛ لأن أصل رضي (رَضَوَ) بالواو؛ لأنك تقول منها: الرضوان بالواو، ولا تقول: الرضيان بالياء. أصلها (رَضَوَ) بالواو فتطرفت الواو بعد كسرة فوجب إبدالها ياء، فقل فيها (رضي) بالياء مبدلة من الواو^(٢) ومن المعروف في علم التصريف أن كل فعل ناقص — أعني معتل الآخر — إذا أسند إلى واو الجمع حذفت لامه، أصله (رضيو) والياء مبدلة من واو، فحذفت اللام التي هي ياء أصلها واو وجعلت كسرتها ضمة لمجانسة الواو، فلذا قيل فيه: (رضوا) وأصل وزن الكلمة بالميزان الصرفي (فَعِلُوا) ووزنها الحاضر الآن (فَعُوا) لأنها محذوفة اللام. وهذا معنى

(١) انظر: البحر المحيط (٥/٥٦)، الدر المصون (٦/٧٢).

(٢) انظر: معجم مفردات الإبدال والإعلال ص ٣٨٨ — ٣٨٩.

قوله: ﴿فَإِنْ أَعْطُوا مِنْهَا رِضْوَانًا لَمْ يَعْطُوا مِنْهَا﴾ شيئاً ﴿إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ (إذا) الفجائية تأتي جواباً للشرط كما هو معروف في محله. ثم إن الله قال: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَيْنَاهُمُ اللَّهُ﴾ لو رضوا بنصيب الله الذي قسم لهم كما يُعطى لسائر المسلمين من الصدقات وغيرها ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ﴾ حسبنا معناه: يكفيننا الله (جلّ وعلا)؛ لأن في الله خلفاً من كل شيء، وكفاية من كل شيء، فمعنى ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ﴾ يكفيننا الله ﴿سَيُؤْتِينَا اللَّهُ﴾ سيعطينا الله من فضله، أي: من فضل الله على يد رسوله ﷺ، وسيؤتينا رسوله ما أمره الله به أن يؤتينا، لو حسّنا الظن بالله، وتوكلوا على الله، ورجعوا فيما عند الله، وقالوا: إنا إلى ربنا راغبون. أي: رغبنا إليه، ورهبتنا إليه؛ لأن طمعنا وأملنا كله فيه؛ لأن المؤمن بمعناه الصحيح رغبته إلى الله؛ لأنه يطيع الله ويتقيه ويرغب فيما عند الله (جلّ وعلا) من الخير، كما قال تعالى مادحاً للأنبياء: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ بِالْخَيْرِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء: آية ٩٠] وقال لنبينا ﷺ: ﴿فَإِذَا فَرَعْتَ فَأَنْصَبْ ۖ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ۖ﴾ [الشرح: الآيتان ٧، ٨] لأن الرغبات كلها إلى الله (جلّ وعلا)؛ لأنه هو الذي بيده الخير، وكل شيء بيده، فرغبة المؤمن إليه (جلّ وعلا) يستنزل رحمت الله وما يرجو من الله بطاعة الله (جلّ وعلا) وتقواه. وهذا معنى قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَيْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ [التوبة: آية ٥٩] جواب (لو) محذوف دل المقام عليه، والتقدير: لو أنهم فعلوا ذلك لكان خيراً لهم. وقد جاء في القرآن وفي كلام العرب حذف جواب (لو) إذا دلّ المقام عليه، فهو كثير في القرآن وفي كلام العرب فمن أمثلة حذف جواب (لو) في

القرآن مع دلالة المقام عليه قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ [التكاثر: آية ٥] أي: لو تعلمون علم اليقين لما ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى﴾ [الرعد: آية ٣١] فجواب (لو) محذوف واختلف العلماء في تقديره على قولين متقاربين^(١): قال بعضهم: تقدير جواب (لو) في آية الرعد هذه ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾ لكان هذا القرآن على حد قوله^(٢):

ولو طَارَ ذُو حَافِرٍ قَبْلَهَا لَطَارَتْ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَطِرْ
وقال بعض العلماء: تقديره: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ﴾ لكفروا بالرحمن. ويدل لهذا قوله بعده: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الرعد: آية ٣٠] ومن حذف جواب (لو) في كلام العرب قول الشاعر^(٣):

فَأَقْسِمُ لَوْ شِئْتُ أَتَانَا رَسُولُهُ سِوَاكَ وَلَكِنْ لَمْ نَجِدْ لَكَ مَدْفَعًا
يعني: لو شئت أتانا رسوله سواك لدفعناه. وهذا معنى قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ [التوبة: آية ٥٩].

﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغُرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: آية ٦٠].

(١) مضى عند تفسير الآية (٥٠) من سورة الأنفال وراجع ما تقدم عند تفسير الآية (١٠٩) من سورة الأنعام.

(٢) السابق.

(٣) مضى عند تفسير الآية (٥٠) من سورة الأنفال.

لما كان من المنافقين طائفة يلزمون رسول الله ﷺ في قَسَمِ الصدقات ويفترون عليه أنه لم يعدل في قَسَمِها بَيَّنَّ الله لهم أن الله تولى قسمتها وبيَّنَّها وهو ﷺ منفذ لما أوضحه الله (جلّ وعلا) فقال: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ ﴾ المراد بالصدقات هنا: زكوات المال الواجبة، فالله (جلّ وعلا) بيَّن في هذه الآية من سورة براءة مصارف زكاة المال التي هي إحدى دعائم الإسلام الخمس، جعلها ثمانية، وهي: الفقراء، والمساكين، والعاملون عليها، والمؤلفة قلوبهم، وفي الرقاب، والغارمون، وفي سبيل الله، وابن السبيل، هي ثمانية، و(إنما): أداة حصر وإثبات، يعني: لا يثبت استحقاق الزكاة لشيء غير واحد من هذه المصارف الثمانية بإجماع العلماء.

﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ ﴾ الفقراء: جمع فقير، والفعيل إذا كان وصفاً ينقاس جمعه جمع كثرة على (فُعَلَاءَ) على العادة ما لم يكن معتل اللام أو مُضْعَفًا. وهذا معروف^(١)، كل (فعيل) في القرآن وفي كلام العرب بمعنى (فاعل) لم يكن معتل اللام ولا مُضْعَفًا ينقاس تكسيره جمع كثرة على (فُعَلَاءَ) ككريم وكرماء، وأديب وأدباء، وشريف وشرفاء، وعليم وعلماء، وفقير وفقراء. أما إذا كان معتل اللام أو مُضْعَفًا فالقياس أن يُكْسَرَ على (أفْعِلَاءَ) فمثال معتل اللام: كتقي وأتقياء، وسخي وأسخياء، ونبي وأنبياء. وكذلك المُضْعَف: كحبيب وأحباء، وشديد وأشداء. كما هو معلوم في محله. فالفقراء جمع فقير، وهو جمع على القياس. والمساكين: جمع مسكين كذلك.

(١) مضى عند تفسير الآية (٣) من سورة الأعراف.

واختلف العلماء في الفقير والمسكين أيهما أحوج وأسوأ حالاً؟^(١) والقاعدة المقررة عند علماء التفسير كما قالها غير واحد من المتأخرين ويكادون يطبقون عليها: أن الفقير والمسكين إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا. ومعنى هذا الكلام: أنهما إذا افترقا بأن جاء في آية من كتاب الله أو حديث من سنة رسول الله اسم الفقير وحده، أو المسكين وحده، شملهما معاً، دخل الفقير في المسكين، والمسكين في الفقير؛ لأن كونهما محتاجين يشمل كلا منهما وإن كان أحدهما أشد فقراً من الآخر، وإن اجتمعا كما نص عليهما موجودين كقوله هنا: ﴿لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾ فقد اجتمعا، فيلزم إذا اجتمعا أن يفترقا، فيكون للفقير معنى خاص به، وللمسكين معنى خاص به. والحاصل أنه إذا ذكر الفقير وحده أو المسكين وحده دخل الفقير في المسكين والمسكين في الفقير، وإذا ذكرا معاً في محل واحد كهذه الآية وكمن أوصى للفقراء والمساكين كان لكل منهما معنى يخصه.

والعلماء مختلفون في الفقير والمسكين أيهما أسوأ حالاً؟ فذهب جماعة من فقهاء الأمصار وأهل اللغة إلى أن الفقير أسوأ حالاً من المسكين، وهذا مذهب الشافعي (رحمه الله)، ورواية قوية عن أحمد (رحمه الله)، وبه قال جماعة من السلف، أن الفقير أحوج من المسكين. وقالت طائفة: إن المسكين أحوج من الفقير، وهو مذهب مالك وأصحابه، ومذهب أبي حنيفة (رحمه الله). وكل منهما يوجه قوله، أما مالك فقال: إن المسكين أحوج من الفقير لأن الله قال: ﴿أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبٍ﴾ [البعد: آية ١٦] فوصف المسكين بأنه لاصق

بالتراب لا شيء عنده، والعرب تطلق الفقير على من عنده شيء لا يغنيه، فعنده بُلغة ولكنها لا تغنيه، قال: ويدل لذلك قول راعي نمير وهو عربي قح^(١):

أما الفقير الذي كانت حلوبته وَفَقَ العيال فلم يُترك له سَبْدُ فسمّاه فقيراً وعنده حلوبة قدر عياله. وأما الذين قالوا الفقير أحوج فإنهم قالوا: إن الفقير مشتق من فقرات الظهر؛ لأن الفاقة كأنها فقرت ظهره، أي: قصمته. وقالوا: المسكين. الله قال في سفينة الخضر وموسى: ﴿فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ﴾ [الكهف: آية ٧٩] فسمى أهلها مساكين مع أن عندهم سفينة عاملة في البحر بالإيجار، فدلّ على أن الفقير أسوأ حالاً. وهذا خلاف بين أهل اللغة والعلماء معروف، جماعة يقولون: الفقير أسوأ حالاً، وجماعة يعكسون. وهذا معنى قوله: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا﴾ [التوبة: آية ٦٠] معناه: أن السهم الثاني يعطى للعاملين عليها، وهم الذين يتعبون في تحصيل الزكاة، كالجباة الذين يرسلهم الإمام ليجمعوا الزكاة من أقطار الناس ويأتون بها ويذهبون بها ليفرقونها. فالعاملون عليها كالجباة للزكاة من خارج، والمفرقين لها على الناس، فهؤلاء لهم سهم في الزكوات وهو قدر أجرتهم. وأظهر الأقوال أنه لا يتقدر فيه شيء معين إلا بقدر أجرتهم، وكل ما يعطى أحد من هؤلاء فيه خلاف كثير^(٢)، وأظهرها أنه كله يوكل إلى اجتهد الإمام، ونصيب العاملين عليها يكون بقدر أجرة مثلهم بحسب ما عانوه من التعب، يعطون على قدر

(١) السابق.

(٢) انظر: ابن جرير (٣١١/١٤)، القرطبي (١٧٧/٨).

ذلك، سواء كانوا فقراء أو أغنياء. وهذا معنى قوله: ﴿وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهِ﴾.

والسهم الثالث للمؤلفة قلوبهم، والمؤلفة قلوبهم المراد بهم قوم كانوا في زمن النبي ﷺ عندهم إيمان إلا أن إيمانهم ليس بقوي ولهم مكانة وشوكة إذا حسن إسلامهم اعتز بهم الإسلام والمسلمون وقويت شوكة المسلمين، أو ناس لهم شرف إذا كانوا في الإسلام تابعهم غيرهم، فالمراد أنه يكون رجال دخلوا في الإسلام لهم مكانة وقوة وفائدة للإسلام فيهم، وإيمانهم ليس بقوي، فتجبر خواطرهم وتؤلف قلوبهم بالمال ليستحسنوا الإيمان ويتمكن الإسلام من قلوبهم فتكون في ذلك المصلحة العامة للإسلام والمسلمين، ومعلوم أن المؤلفة قلوبهم يقسمهم كتب الفروع إلى أقسام متعددة^(١) وقصدنا هناك أن نذكر ما يكون مصرفاً للزكاة، وهو الإنسان الذي يكون في إسلامه خير للمؤمنين، والظاهر أنه لا بد أن يكون مسلماً؛ لأن الزكاة لا تدفع للكافر وهي قربة لا يستحقها إلا المسلمون، فمن قال: إنها تدفع للكافر ليسلم فالظاهر أنه خلاف الظاهر.

واعلم أن النبي ﷺ كان في زمنه نصيب المؤلفة قلوبهم، وألغى عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) نصيب المؤلفة قلوبهم، ولم يكن بعد ذلك معروفاً في صدقات المسلمين وزكواتهم^(٢). وهذه الفقرة دخل منها كثير من الذين ينتصرون للقوانين بشيطنة وخفية وراء الستار، ويزعمون أن الشرع يتغير بتغير الأوضاع، قالوا: لأن النبي دفع نصيب المؤلفة قلوبهم وعمر لما رأى المصلحة لا تحتاج إلى

(١) انظر: ابن كثير (٢/٣٦٥).

(٢) انظر: ابن جرير (١٤/٣١٥)، القرطبي (٨/١٨١)، ابن كثير (٢/٣٦٥).

ذلك لم يدفعه لهم؛ ليتصلوا بذلك إلى أن الشرع تابع للمصالح، وأنه قابل للتغيير في كل وقت وزمان تبع المصالح والتطورات الراهنة، وهذا باطل؛ لأن الشرع أنزله الحكيم الخبير العظيم الجليل العالم بكل ما كان وما يكون، فجعله شرعاً خالداً إلى يوم القيامة، مسيراً لجميع التطورات، تمكن مجابهته لكل الأحداث مهما كانت، ولا إشكال في إلغاء عمر لنصيب المؤلفه قلوبهم؛ لأن هذه الأصناف الثمانية لا يعطى منها إلا شيء موجود فإذا عُدِم الشيء فإنما لم يجعل له سهم لعدمه، فالإنسان إذا قطعت يده مثلاً والله يقول في الوضوء: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ﴾ [المائدة: آية ٦] لا نقول: هذا لم يغسل يده لأن يده سقطت!! فالإسلام لما عز وتمكن من قلوب المسلمين وقويت شوكة الإسلام لم يبق هنالك مؤلف، فلما ذهب هذا الصنف ذهب نصيبه بذهابه، وقد أجمع العلماء أن كل ما ذهب من هذه الأصناف الثمانية يذهب نصيبه معه، إذا لم يوجد ابن السبيل فلا نصيب لابن السبيل، فكل ما ذهب منها ذهب نصيبه معه، فعدم إعطاء عمر نصيب المؤلفه نظراً لعدم وجود المؤلفه بالكلية؛ لأن الإسلام قوي وتمكنت شوكته وصار لا تأليف لأحد. وهذا معنى قوله: ﴿وَالْمُؤَلَّفَةُ قُلُوبُهُمْ﴾.

وعلى كل حال فالتحقيق في هذه المسألة أن حكم المؤلفه قلوبهم باق إذا وجدوا وكان رجال لهم مكانتهم وقوتهم في دين الإسلام، والإسلام محتاج إليهم، والمسلمون محتاجون إليهم، فإنه يرجع نصيبهم لتألفهم للمصلحة العامة كما فعل النبي ﷺ وجاء به القرآن العظيم، وإن كان لا تأليف هنالك، ولا حاجة ولا ضعف في الإسلام ولا ضعف في الإيمان، بل المسلمون في قوة

ونشاط وفي عزة وقوة ومنعة فالمؤلفة غير موجودين فيسقط نصيبهم لعدمهم، وكذلك هذه الأصناف الثمانية كل ما عدم منها سقط نصيبه معه.

واعلم أن العلماء مختلفون في هذه الأصناف الثمانية هل يجب أن تكون الزكاة موزعة بينها ثمانية أجزاء ولا يجوز أن يُخرَم واحد منها، أو يجوز أن تعطى الزكاة لواحد منها، أو لاثنتين، أو لثلاثة دون تعميم الآخرين^(١)؟ هذا خلاف معروف بين العلماء، فذهبت جماعة من العلماء منهم مالك وأبو حنيفة (رحمه الله) وجماعة كثيرة من فقهاء الأمصار إلى أنه لا يلزم تعميم هذه الأصناف، بل يجوز أن تعطى الزكاة لصنف واحد منها، وأن كل ذلك موكول إلى نظر الإمام يرى الأصلح فالأصلح فيؤثر أفقرها وأحوجها وأشدّها مصلحة للعامة. هذا قول مالك وأبي حنيفة وجماعة كثيرة من العلماء، قالوا: والآية إنما بينت المصارف الذي لا يجوز أن تُتعدى بها الزكاة إلى غيرها وصنف واحد منها يكفي. وكان بعض علماء المالكية يقول: أكبر دليل على عدم وجوب تعميم الأصناف أنا لو أعطينا الفقراء جزءاً فإننا لا يقول أحد أننا نعمم جميع الفقراء، وإذا أعطينا المساكين جزءاً فلا يمكننا أن نعمم جميع المساكين، فإذا كان الصنف الواحد لا يمكن تعميمه فلا يلزم تعميم الأصناف جميعها؛ لأننا لو مشينا مع التعميم لزمنا أن نعمم نصيب الفقراء على جميع الفقراء ولا نترك فقيراً واحداً، ونصيب المساكين على جميع المساكين ولا نترك مسكيناً واحداً. والحاصل أن هذا خلاف قديم اختلفت فيه أنظار العلماء، فمنهم من يقول: إن المراد بـ ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ﴾

(١) انظر: ابن جرير (٣٢٢/١٤)، القرطبي (١٦٧/٨)، المغني (١٢٧/٤).

أنها لام التملك، واستدلوا بحديث جاء عن النبي ﷺ أن الله لم يكل قسمها إلى نبي وإنما جزأها ثمانية أجزاء، قالوا: واللام للتملك، فهي شركة بين هؤلاء الثمانية، ومن حرّم واحداً من هؤلاء الثمانية فقد ضمن له نصيبه؛ لأنه حرّمه ما أعطاه الله إياه.

وقالت جماعة من العلماء: المراد بالآية: أن هذه هي المصارف الذي لا يجوز تعديها إلى غيرها، ولم يلزم تعميمها، بل يوكل إلى نظر الإمام، فما رآه الإمام أحسن للمصلحة العامة فعله للمسلمين، فلو اقتضى نظره أن يصرفها لواحد من هذه الثمانية دون غيرها لفعل. هذا ملخص كلام العلماء في هذا الموضوع.

وقوله: ﴿وَالْغَرَمِينَ﴾ الغارمون معناه: أصحاب الديون الذين يطلبون بالدين، والغارمون عند العلماء فيهم تفصيل^(١): منهم من يكون غارماً لمصلحة عامة للمسلمين، كالذي يجد بعض القبائل بينها شحناء وفتن وستقع بينها قتلى وبلايا ثم يتحمل الديات ويكون غارماً بتلك الديات للمصلحة العامة، فمثل هذا النوع لم يختلف العلماء في أنه يعطى من زكاة المسلمين ويغرم عنه ما تحمل للمصلحة العامة للمسلمين من زكوات المسلمين ولو كان غنياً. وبعضهم يقول: لا يعطى منه إلا إذا كان فقيراً. وأما إذا كان الإنسان تحمل الديون في خاصة نفسه، كالذي يتحمل لينفق [على]^(٢) أهله وأولاده، وينفق في تجارته ثم يخسر، ونحو ذلك من الأمور فأكثر العلماء على أن هذا إذا كان لم يستدن في سرف، ولم يستدن في معصية، ولم يبذر المال في المعاصي أنه يدخل في الغارمين، وأنه يقضى عنه قدر دينه من

(١) انظر: ابن جرير (٣١٧/١٤)، القرطبي (١٨٣/٨)، ابن كثير (٣٦٥/٢).

(٢) ما بين المعقوفين [زيادة يقتضيها السياق].

الزكاة، وبعض العلماء يقول: ولو عنده مال. وبعض العلماء يقول: لا يعطى هذا الغارم من الزكاة إلا إذا كان لا شيء عنده، أو عنده شيء إذا أعطاه للغرماء بقي فقيراً لا شيء عنده. وأظهر القولين في هذا: أنه يقضى عنه الدين إلا إذا كان ملياً يقدر على قضاء الدين ويبقى عنده ما يكفيه. وبعض العلماء يقول: هو غارم على كل حال، يقضى عنه سواء كان غنياً أو فقيراً. والأول أظهر. وهذا معنى قوله: ﴿وَالْفَرِمِينَ﴾ ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ فُلُوجِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ﴾.

قوله: ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾ اختلف العلماء في المراد به^(١)، فذهبت جماعة من العلماء إلى أن المراد بالرقاب: إعانة المكاتبين خاصة. وذهب إلى هذا الشافعي في طائفة من العلماء، واستدلوا لهذا بقوله تعالى في سورة النور: ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِّنْ مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ [النور: آية ٣٣] قالوا: ﴿مِّنْ مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ هو المذكور في قوله هنا: ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾ وعلى هذا القول الذي قاله الشافعي وجماعة من فقهاء الأمصار إذا كان المكاتب عليه نجوم من كتابته فإنه يعان بما عسر عليه من نجوم كتابته من زكاة المسلمين ليتخلص حراً.

وذهبت جماعة من العلماء منهم مالك بن أنس وأصحابه في طائفة من فقهاء الأمصار إلى أن معنى قوله: ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾ أنه ليس معناه المكاتبين، قالوا: المكاتبون داخلون في قوله: ﴿وَالْفَرِمِينَ﴾ لأن المكاتب غارم لسيده نجوم كتابته. قالوا: أما معنى قوله: ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾ فهو أنه يُشترى من زكاة المسلمين عبيد ويكونون

(١) انظر: ابن جرير (٣١٦/١٤)، القرطبي (١٨٢/٨)، الأضواء (٤٧٠/٢).

أحراراً ولاؤهم للمسلمين. قالوا: وهذا هو معنى قوله: ﴿وَفِي أَرْقَابٍ﴾. و ﴿وَالْفَرِمِينَ﴾ تكلمنا الآن عليه.

وقوله: ﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ لا خلاف بين العلماء أن الغزاة الذين ليسوا في الديوان داخلون في سبيل الله، وإيضاح هذا أن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لما جعل مسألة الديوان كتب أسماء الجند في ديوان قيد أسماءهم فيه، وكل قطر من الأقطار عدّد ما فيه من المُقاتلة وكتبهم في ديوان ليحفظوا الثغور ويعينوا على الجهاد، وكانت لهم أرزاق معروفة في بيت مال المسلمين، وهؤلاء إذا قتل واحد منهم عَقَلَ عنه الآخرون قبل عصبته، فهؤلاء قال العلماء: ليسوا هم المراد هنا؛ لأن لهم أرزاقاً من بيت مال المسلمين وهم مدونون معروفون، وأن المراد بهؤلاء الغزاة: هم الذين يتطوعون ليقاتلوا ويسدوا الثغور مع المسلمين، مع أنهم لم تكن لهم أرزاق مكتوبة، ولم يكونوا مكتوبين في الديوان، فهؤلاء يعطون من زكاة المسلمين وإن كانوا أغنياء، ويعطون ما يشترون به السلاح والمراكب ليسدوا ثغور المسلمين فيجاهدوا في سبيل الله، وكون المراد في سبيل الله الغزاة هو قول الشافعي (رحمه الله) في طائفة من العلماء.

وقال الإمام مالك وأصحابه: إن المراد بسبيل الله كل ما يتعلق بالغزو والرباط فيدخل فيه جميع ما يتعلق بالغزو ك شراء السلاح والكراع، والرباط في سد الثغور المخوفة التي يخشى أن تدخل منها الكفار للمسلمين، أن هذا كله يدخل في سبيل الله.

وذهبت جماعة من العلماء وهو مروي عن الإمام أحمد بن حنبل أن (في سبيل الله) الحُجاج والعُمار، أنه يعطى من بيت مال المسلمين للعاجز عن الحج والعمرة ما يحج به ويعتمر. قالوا:

والحج والعمرة في سبيل الله. هذا ملخص عيون كلام العلماء في هذه المصارف. وهذا معنى قوله: ﴿وَالْفَرِيقَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

﴿وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ السبيل في لغة العرب^(١): الطريق. ومعنى (ابن السبيل) ولد الطريق، وإنما قيل للمسافر الغريب: (ابن السبيل) لأحد أمرين: قال بعض العلماء: لأنه ملازم للطريق لذهابه معها، وكل ملازم لشيء تقول له العرب ابنه، ومنه سميت الطير الملازم للماء (ابن الماء) كما هو معروف، ومنه قول غيلان ذي الرمة^(٢):

وردت اعتسافاً والثريا كأنها على قمة الرأس ابن ماءٍ مُحَلِّقٍ
فسماه ابن الماء لملازمته للماء.

وقالت طائفة من علماء العربية: إنه إنما قيل له (ابن السبيل) لأن السبيل وهي الطريق كأنها تمخضت لنا عنه ورمتنا به كما ترمي النفساء الناس بولدها، كان غائباً في بطن الطريق فرمنا به، كما تكون النفساء ولدها غائب في بطنها فترميناه به. وهذا المعنى يوجد في كلامهم، وقد أوضحه مسلم بن الوليد الأنصاري — وإن كان كلامه إنما يذكر مثلاً لا استدلالاً؛ لأنه في زمن الدولة العباسية، ولكنه أوضح هذا المعنى — بقوله حيث يقول يذكر رجلاً سافر في فلاة من الأرض شهرين إلى أمير ليمدحه قال له^(٣):

تمخضت عنه تمأً بعد محمله شهرين بيداؤ لم تُضرب ولم تلد
ألقته كالنَّصْلِ معطوفاً على همم يعمدن منتجعاتٍ خير مُعْتَمِدٍ

(١) مضى عند تفسير الآية (١١٦) من سورة الأنعام.

(٢) مضى عند تفسير الآية (٤١) من سورة الأنفال.

(٣) هذان البيتان سبق ذكرهما في الموضع السابق.

فصرح بأن هذه الفلاة تمخضت عن هذا وولدت له وأنجته،
فكذلك الطريق كأنها تتمخض عنه وترميهم به. وأكثر العلماء
يقولون: سُمي (ابن السبيل) لملازمته للطريق، وابن السبيل هو
الإنسان الذي فئت نفقته وانقطع زاده وهو متغرب عن أوطانه يعطى
من زكاة المسلمين زاداً وما يبلغه إلى وطنه ولو كان غنياً في محله،
ولا تتبع ذمته ولو كان غنياً في محله؛ لأنه مصرف للزكاة في ذلك
الوقت وإن كان غنياً في بلده، وهذا من محاسن دين الإسلام وما فيه
من مكارم الأخلاق. قال بعض العلماء: ويدخل في ابن السبيل ما لو
كان له سفر يضطر إليه، كما لو كانت له أولاد في دار حرب أو في
ضيعة وهو مضطر إلى الإتيان بهم ولا مال عنده فإنه يُعطى ليذهب
ويجيء ويكون داخلاً في ابن السبيل.

وقد أجمع العلماء على أن ابن السبيل إذا كان مسافراً في
معصية لا يجوز أن يعطى من الزكاة شيئاً لأنه إعانة له على معصيته،
والله يقول: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: آية ٢] وإن كان
سفره في قربة فلا خلاف في أنه يعطى. وإن كان في مباح فقد اختلف
العلماء في ذلك، فقالوا: لا يعطى؛ لأن المباح لا يلزم. وقال بعض
العلماء: يعطى؛ لأن السفر المباح فيه جميع التسهيلات التي في
السفر الواجب، فالسفر المباح تقصر فيه الصلاة، ويفطر فيه
المسافر، ويفعل فيه كل الترخصات، فكذلك يعان صاحبه عليه.
هكذا قال بعضهم والله تعالى أعلم.

وقوله تعالى: ﴿فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ﴾ مصدر، أي: فرض الله هذا
فريضة عليكم ﴿وَاللَّهُ﴾ جلّ وعلا ﴿عَلِيمٌ﴾ لا يخفى عليه شيء
﴿حَكِيمٌ﴾ يضع الأمور في مواضعها ويوقعها في مواقعها.

قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿١٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَلِيداً فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾﴾ [التوبة: الآيات ٦١ - ٦٣].

[٩/ب] / يقول الله (جلّ وعلا): ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [التوبة: آية ٦١].

قرأ هذا الحرف عامة القراء غير نافع: ﴿يُؤْذُونَ النَّبِيَّ﴾ بياء مشددة، وقرأه نافع وحده: ﴿يُؤْذُونَ النَّبِيَّ﴾ بهمزة^(١). وأبدل ورش ومن وافقه همزة ﴿يُؤْذُونَ﴾ فقراً: ﴿يُؤْذُونَ﴾ وقرأ عامة السبعة غير نافع وحده: ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ بضم الذال في الحرفين، وقرأه نافع وحده: ﴿أُذُنٌ﴾ بسكون الذال^(٢). وقرأ عامة السبعة غير الكسائي: ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ بالرفع، وقرأ الكسائي وحده ﴿وَرَحْمَةٍ﴾ بالخفض^(٣).

فعلى قراءة الجمهور فهو عطف على المضاف في قوله: (أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ وَرَحْمَةٌ) وعلى قراءة الكسائي^(٤) فهو عطف على المضاف إليه. أي: (أُذُنٌ خَيْرٌ وَرَحْمَةٌ لَكُمْ)^(٥).

(١) مضى عند تفسير الآية (١١٢) من سورة الأنعام، وانظر: الإتحاف (٩٤/٢).

(٢) انظر: السبعة ص ٣١٥، المبسوط لابن مهران ص ٢٢٧.

(٣) قراءة الخفض إنما هي لحمزة وليست للكسائي. انظر: السبعة ص ٣١٥، المبسوط لابن مهران ص ٢٢٧، وقد استدرك الشيخ ذلك فنبه على الصواب كما سيأتي قريباً.

(٤) الصواب: حمزة كما سبق.

(٥) انظر: حجة القراءات ص ٣٢٠، الدرر المصون (٧٤/٦).

وقوله: ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ﴾ هذا صنف آخر من أصناف المنافقين؛ لأن الله بيّن في هذه الآية أصناف المنافقين، قال: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَكْفُرُ أَتَدْنٰ لِي وَلَا تَفْتِنِي﴾ [التوبة: آية ٤٩]، ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ [التوبة: آية ٥٨]، ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ﴾ [التوبة: آية ٦١] كان في المنافقين طائفة يبسطون ألسنتهم إلى رسول الله ﷺ بالكلام السيء فيعيبونه ويقولون فيه ما لا ينبغي، وهذا هو قوله: ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ﴾ [التوبة: آية ٦١] أي: ومن المنافقين الطائفة الذين يؤذون النبي محمداً ﷺ بالاستطالة في عرضه.

﴿وَيَقُولُونَ هُوَ أُوذِنٌ﴾ معنى هذا أنه إذا قيل لهم: كيف تقدحون في نبي الله ﷺ وتعيبونه وهو إن علم بذلك فعل بكم وفعل بكم؟ فيقولون: لا يهمنا ذلك؛ لأنه أُوذِن!! العرب تقول: فلان أُوذِن. وأُوذِن بالسكون لغة فيه، إذا كان يسمع من كل من جاءه، فإذا كان الرجل كلما جاءه أحد وأخبره سمع منه وصدقه قالت العرب: هذا الرجل أُوذِن. يعنون: هو كلما جاءه أحد بخبر صدقه، ونحن إن قيل عنا إننا آذينا جئناه وكذبنا له وحلفنا له فيصدقنا، فنحن نؤذيه ولا تضرنا عاقبة ذلك؛ لأن ما لنا أن نكذب الحديث ونحلف له عليه، وهو أُوذِن يصدق كل من جاءه بخبر، فيصدقنا ولا ينشأ لنا من ذلك سوء. وهذا معنى قوله: ﴿يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُوذِنٌ﴾ لما عابوا النبي ﷺ آذوه وعابوه بأنه أُوذِن في زعمهم الباطل — قبحهم الله — يعنون: يسمع من كل من حدثه، بيّن الله أنه أُوذِن ولكنه أُوذِن خير خاصة، لا أُوذِن شر، فإذا جاءه الناس بالخير وبالحق صدقهم في الخير والشر، أما الباطل فليس بأُوذِن فيه ولا بمصدق أحداً فيه، ولا ينفعكم اعتذاركم الباطل. وهذا معنى قوله: ﴿قُلْ أُوذِنُ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ هو أُوذِن خير لكم، أي: يسمع — هو سامع — ولكنه سامع خير، سامع من كل من جاءه بخبر وبحق لا من كل من جاءه بشر وبباطل مثلكم فليس بأُوذِن له. وهذا

معنى قوله: ﴿قُلْ أَذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ يصدق بالله (جلّ وعلا) التصديق الكامل من الجهات الثلاث، يؤمن بالله تصديقاً صحيحاً من قلبه ولسانه وجوارحه (صلوات الله وسلامه عليه) ﴿وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ يصدق المؤمنين العدول الأتقياء إذا جاؤوه بمقالة، أما الكفرة الكذبة أمثالكم فلا يصدقهم.

وجرت العادة باستقراء القرآن أن الله تبارك وتعالى إذا كان الإيمان بالله عداه بالباء، كأن يقول: ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ﴾ [الحجرات: آية ١٥، النساء: آية ١٣٦] ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: آية ١١٤] وإذا كان الإيمان معناه تصديق مخلوق فإنه يعديه باللام دائماً؛ ولذا قال هنا: ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ معناه: ويصدق المؤمنين. ولا يكاد هذا التصديق المتعلق بالآدميين يوجد في القرآن إلا مجروراً باللام، كقوله: ﴿فَقَامَنَ لَمْ لُوطٌ﴾ [العنكبوت: آية ٢٦] ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ [يوسف: آية ١٧] وقوله هنا: ﴿وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: ويصدق المؤمنين الأتقياء في الخير الذي جاءه به، ولكن ليس بأذن للكفرة الفجرة أمثالكم. فقوله: ﴿وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ﴾ على قراءة الجمهور هو أذن خير، وهو أيضاً رحمة للمؤمنين، وقد أرسله الله رحمة للعالمين.

وفي هذه الآية سؤال معروف؛ لأن طالب العلم يقول: الله قال في آية براءة هذه: ﴿وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ فقيّد كونه رحمة للذين آمنوا، وفي سورة الأنبياء قال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: آية ١٠٧] فلم يقيد كونه رحمة بالإيمان، بل قال لجميع العالمين، وهذا وجه السؤال.

والجواب عنه: أن الله (جلّ وعلا) أرسله (صلوات الله وسلامه

عليه) رحمة لجميع الخلائق، إلا أن بعضهم قبل من الله التفضل بتلك الرحمة فحازها، فخص في قوله: ﴿وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ وبعضهم لم يقبلها ولم يحزها، ولا ينافي ذلك أن الله أعطاه تلك الرحمة إلا أنه لم يقبلها ولم يحزها. وضرب العلماء لهذا مثلاً قالوا: لو أن سلطان البلد مثلاً - والله المثل الأعلى - أرسل لجميع سكان البلد إنعاماً كثيراً كأن أجرى لهم المياه تأتيهم، وأجرى عليهم الأرزاق والنعم، وبعضهم امتنع أن يأخذ، وبعضهم أخذ فلا ينافي أنه أنعم على الجميع. فالله أرسله رحمة للعالمين، بعض الناس قبل من الله فضله وبعضهم لم يقبل فضله، ولا ينافي ذلك أنه تفضل عليه ببعثه (صلوات الله وسلامه عليه).

وأما على قراءة حمزة الذي قرأ: ﴿وَرَحْمَةً﴾ بالخفض - هو حمزة لا الكسائي^(١) - أما على قراءة حمزة ﴿وَرَحْمَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا﴾ هو أذن خيرٍ ورحمة. معطوف على الخير؛ لأن الله (جلّ وعلا) جعل فيه الخير والرحمة فإذا كان سامعاً من أحد فهو سماع لا يقود إلا إلى خير من خير ورحمة لا سماع شر. ولا يخفى ما في قراءة حمزة من عدم ظهور المعنى، وظهور المعنى على قراءة الجمهور. وهذا معنى قوله: ﴿قُلْ أَذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يَوْمُنِ بِاللَّهِ وَيَوْمُنِ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ﴾.

﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ﴾ بالاستطالة في عرضه بكلام السوء ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ من الله (جلّ وعلا)، وقد بين في الأحزاب أن ذلك العذاب مصحوب باللعنة أيضاً في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ

(١) سبق التنبيه على ذلك قريباً.

لَعَنَهُمُ اللَّهُ ﴿ إلى آخر الآية [الأحزاب: آية ٥٧]. وهذا معنى قوله: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١١).

ثم قال تعالى: ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: آية ٦٢] قال بعض العلماء: كانت جماعة من المنافقين ومعهم غلام حدث من الأنصار يسمى عامر بن قيس، فقال بعض المنافقين لبعض: والله إن كان ما يقوله محمد ﷺ حقاً لنحن شر من الحمير، فغضب ذلك الغلام وقال: أَتَشْكُون في حق ما يقوله، والله إن ما يقوله لحق، وإنكم لشر من الحمير، ثم نما الحديث إلى النبي ﷺ، فلما سألهم: ما حملكم على أن تقولوا ما قلتم، حلفوا بالله ما قلناه، قال من روى هذه القصة في سبب هذا النزول: وكان ذلك الغلام الأنصاري يدعو الله ويقول: اللهم بين المحق منا من الكاذب، فأنزل الله هذه الآية من سورة براءة تصديقاً لذلك الرجل وتكذيباً لأولئك المنافقين (١) ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ﴾ أنما قيل عتاً لكذب، ولا نقول إلا خيراً، ولا نظهر إلا الخير ﴿لِيَرْضَوْكُمْ﴾ بذلك ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾ في باطن الأمر، ولم يكونوا منافقين، ولم يقعوا في نبيه ﷺ بما لا ينبغي.

(١) أخرجه ابن جرير (٣٢٩/١٤) وابن أبي حاتم (١٨٢٨/٦) عن قتادة مرسلًا، وليس فيه تسمية الذي نقل ذلك إلى رسول الله ﷺ، وعزاه في الدر (٢٥٣/٣) لابن المنذر وابن أبي حاتم.

وقد ساق رواية عند ابن أبي حاتم عن السدي مرسلًا وفيها تسمية الأنصاري. وفي المطبوع من ابن أبي حاتم رواية عن السدي تتعلق بتفسير الآية لكن لا علاقة لها بسبب النزول أو تسمية الأنصاري.

وقد رد الضمير هنا على الرسول وحده قال: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾ من أن يعيبوه. قال بعض العلماء^(١): إنما اكتفى بالضمير الواحد لأن إرضاء الله إرضاء لرسوله، وإرضاء الرسول إرضاء الله ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: آية ٨٠] فلما تلازما صارا كأنهما شيء واحد.

وذهب غير واحد من علماء العربية وعلماء التفسير^(٢) إلى أن رجوع الضمير على أحد المتعاطفين اكتفاءً به لأن الآخر مفهوم منه أسلوب عربي معروف كثير في القرآن العظيم وفي كلام العرب وهو كثير، أن العرب ربما حذف بعض الأمرين واستغنت عنه بالآخر، سواء كان في ضمير أو غير ضمير، فمن أمثلته في غير الضمير قول قيس بن الخطيم^(٣):

نحنُ بما عندنا وأنت بما عندك راضٍ والرأي مُختَلِفٌ

فحذف «راضون» لدلالة «راضٍ» عليها وقد أنشد هذا لهذا المعنى سيبويه في كتابه، وأنشد سيبويه لهذا المعنى أيضاً قول عمرو بن أحمَر الباهلي^(٤):

رَمَانِي بِأَمْرِ كُنْتُ مِنْهُ وَوَالِدِي بَرِيئاً وَمِنْ أَجْلِ الطَّوِيِّ رَمَانِي

أي: كنت بريئاً وكان والدي بريئاً، فحذف أحدهما لدلالة الآخر عليه، وأنشد له سيبويه في كتابه أيضاً: قول ضابيء بن

(١) انظر: القرطبي (١٩٤/٨)، الدر المصون (٧٥/٦).

(٢) مضى عند تفسير الآية (٤٥) من سورة البقرة.

(٣) البيت في الكتاب لسيبويه (٧٥/١).

(٤) السابق.

الحارث البرجمي^(١):

فمن يك أمسى بالمدينة رحله فإنني وقياراً بها لغريب
 فإنني لغريب وقيار لغريب. هذا من أمثله في غير الضمير،
 وأمثلة حذف أحد الضميرين اكتفاءً عنه بالآخر كثيرة في كلام
 العرب وفي القرآن العظيم، فمن أمثلتها في القرآن في المتعاطفات
 بالواو كما هنا: قوله: ﴿يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا﴾
 [التوبة: آية ٣٤] ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا﴾ [البقرة: آية ٤٥]
 ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾ ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ﴾
 [الأنفال: آية ٢٠] وأمثال ذلك كثيرة في القرآن. ومن أمثله في كلام
 العرب قول نابغة ذبيان وهو شاهده المشهور^(٢):

وقد أراني ونُعماً لاهيين بها والدهر والعيش لم يههم بإمرار
 يعني: لم يههما. فرد الضمير على واحد من العيش أو الدهر؛
 لأن الآخر مفهوم منه، ومنه قول حسان رضي الله عنه^(٣):
 إن شَرَحَ الشباب والشعر الأ سود ما لم يُعَاصَ كان جُنُوناً
 فلم يقل: ما لم يعاصيا. وهو كثير.

وأما في المعطوف بـ (أو) فالقياس أن يرجع الضمير
 بالافراد؛ لأن الضمير في المتعاطفات بـ (أو) يرجع إلى الأحد الدائر
 بينها، وهو القياس كقوله: ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرَوْهَا﴾
 [النساء: آية ١١٢] وقد رده إلى أحدهما بعينه تعالى في قوله:

(١) الكتاب (٧٥/١).

(٢) مضى عند تفسير الآية (٤٥) من سورة البقرة.

(٣) السابق.

﴿ وَإِذَا^(١) رَأَوْا تِجْرَةً أَوْ لَهْوًا أَنْفَضُوا إِلَيْهَا ﴾ [الجمعة : آية ١١].

وقد يرجع إلى أحدهما في المتعاطفات بالفاء، ومن أمثلة رجوعه إلى أحدهما في المتعاطفين بالفاء قول امرئ القيس في معلقته^(٢) :

فَتَوَضَّحَ فَالْمِقْرَاءَ لَمْ يَعْفُ رَسْمَهَا لِمَا نَسَجْتَهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمَالٍ
فرده لإحداهما. وعلى كل حال فالمعنى: يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله أحق أن يرضوه ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين، ولكنهم لم يكونوا مؤمنين - قبَّحهم الله - . وهذا معنى قوله: ﴿ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة : آية ٦٢].

﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مِنْ يُكَادِي اللَّهُ وَرَسُولُهُ فَأَنْتَ لَهُمْ تَارَ جَهَنَّمَ خَلِيدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة : آية ٦٣].

قدمنا في هذه الدروس مراراً^(٣) أن كل فعل مضارع مجزوم بـ (لم) إذا تقدمتها همزة استفهام بأن قيل فيه (ألم) كل فعل مضارع مسبوق بـ (ألم) فيه لعلماء التفسير وجهان في جميع القرآن :

أحدهما: أن تصير مضارعة ماضوية، ويصير نفيه إثباتاً، فأصله مضارع منفي بـ (لم) فتصير حقيقة معناه أنه ماضٍ مثبت فتقلب المضارعة ماضوية، وينقلب النفي إثباتاً، وهذا مطرد كقوله :

(١) في هذا الموضع انقطاع في التسجيل، وقد أثبت تمام الآية وجعلت ذلك بين معقوفين.

(٢) ديوانه ص ١١٠.

(٣) مضى عند تفسير الآية (١٣٠) من سورة الأنعام.

﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا ﴾ معناه: علموا أن من حاد الله ﴿ أَلَمْ تَجْعَلْ لِّعَيْنَيْنِ ﴾ [البلد: آية ٨] جعلنا له عينين ﴿ أَلَمْ تَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ [الشرح: آية ١] شرحنا لك صدرك. فإن قيل: بأي وجه انقلبت المضارعة ماضوية، وانقلب النفي إثباتاً، مع أن النفي والإثبات نقيضان؟ فالجواب: أن انقلاب المضارعة ماضوية أمر واضح لا إشكال فيه؛ لأن (لم) حرف قلب، تقلب المضارع من معنى الاستقبال إلى معنى الماضي، وهذا أمر معروف لا نزاع فيه ولا إشكال، أما انقلاب النفي إثباتاً فوجهه أن همزة الاستفهام التي قبل حرف (لم) هي استفهام إنكار، والإنكار مضمن معنى النفي، فيتسلط النفي الكامن في الهمزة على النفي الصريح في (لم) فينفيه، ونفي النفي إثبات. هذا وجه من قال هذا القول.

القول الثاني: أن كل فعل مضارع مسبوق بـ (ألم) في جميع القرآن هو استفهام تقرير، والمراد باستفهام التقرير هو حمل المخاطب على أن يقر فيقول: بلى، وليس المراد منه طلب فهم البتة. فالمراد بهذا على هذا القول أن يقولوا: بلى نعلم أنه من يحادد الله ورسوله فإن له نار جهنم ﴿ أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ ﴾ إنما فك الإدغام هاهنا لأن الفعل مجزوم، ومعلوم أن المضعف إذا جزم أو صار أمراً جاز فيه الإدغام وفك الإدغام كما هو معروف في محله. ومعنى قوله: ﴿ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ ﴾ أي: يشاق الله ويخالفه ويعاصيه. وأصل المحادة: من الحد؛ لأن المحاد يكون في الحد الذي ليس فيه من حاده، تقول: زيد محاد لعمر. أي: مشاق له ومعاد له ومعاند؛ لأنه في الحد الذي ليس فيه، فهذا في الحد الذي ليس فيه هذا وذلك بعكس ذلك أيضاً. وهذا معنى معروف في كلام العرب، وأعظم

محادة لله هي إيذاء نبيه ﷺ والتجرؤ على ذلك بالآيمان الباطلة الكاذبة.

﴿ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ ﴾ إذا كانت (أن) مثلاً في جزاء الشرط بعد فاء جاز فيها الفتح كما هنا وجاز فيها الخفض أيضاً، وهما لغتان عربيتان. وقراءة الجمهور منهم السبعة هنا: ﴿ فَأَبْ لَهُ ﴾ بفتح الهمزة، ولو كسرت لجاز لغة لا قراءة؛ لأن القراءة الصحيحة بعكسه ﴿ فَأَبْ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ ﴾ أضاف النار إلى جهنم لأن جهنم طبقة من طبقاتها.

﴿ خَلِيداً فِيهَا ﴾ في حال كونه خالداً فيها، وهي حال مقدرة كما هو معلوم.

﴿ ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴾ أي: الخلود في النار — عياداً بالله — بسبب محادة الله ومشاقته، والخزي العظيم أي: الذل الأكبر والهوان الأعظم. فالخزي في لغة العرب: غاية الذل والهوان والانسفال. وقد صرح الله (جلّ وعلا) بأن من حاد الله في غاية الذل والمهانة والسفالة كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ﴾ [المجادلة: آية ٢٠] فقلوه: ﴿ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ﴾ يبين أن الخزي هنا — عياداً بالله — يتضمن أعلى الذل والحقار والصغار، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كَثُوبًا كَمَا كُتِبَ لِلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ [المجادلة: آية ٥] وذلك الكبت ملتزم لأصناف الذل والمهانة والله (جلّ وعلا) يقول: ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخُلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ ﴾ [آل عمران: آية ١٩٢] أي: أذلته وأهنته — والعياذ بالله أجارنا الله منها وإخواننا المسلمين — وهذا معنى قوله: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُمْ مِنْ مُحَادِدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ الضمير ضمير الشأن، والجملة هي اسم (أن)، و(أن) الثانية فيها

للعلماء أوجه^(١) متعددة أصحابها وأقربها للصواب أنها هي (أن) الأولى كررت لما طال الفصل بينهما، وتكرير (أن) إذا طال الفصل أسلوب عربي معروف كثير في كلام العرب، ومنه هذه الآية على الصحيح. ﴿فَأَن لَّهُم نَارَ جَهَنَّمَ﴾.

﴿خَالِدًا فِيهَا﴾ الخلود معناه: المكث الطويل، والمراد بخلود أهل النار خلود لا انقطاع فيه البتة؛ لأن الله يقول: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: آية ٩٧] فليس للنار خبوة نهائية ليس بعدها زيادة سكير، وقد قدمنا في هذه الدروس^(٢) أن جماعة من العلماء زعموا أن النار تفتنى، وأنهم يخرجون منها، واستدلوا بقوله: ﴿لَيْسَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ [النبا: آية ٢٣] وبقوله: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ في سورة هود [هود: آية ١٠٧] وبقوله: ﴿قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ [الأنعام: آية ١٢٨] وبيننا مراراً أن التحقيق في خلود أهل الجنة وخلود أهل النار أنه خلود أبدي لا انقطاع له أبداً لا يزول ولا يحول فهو باق بقاء سرمدياً لا انقطاع له، أما خلود أهل الجنة فقد صرح الله به في آيات من كتابه كقوله: ﴿عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُوزٍ﴾ [هود: آية ١٠٨] ﴿إِنَّ هَذَا الرَّزْقُ مَالٌ لِّمَن نَّفَادِ﴾ [ص: آية ٥٤] وقوله (جلّ وعلا): ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: آية ٩٦] إلى غير ذلك من الآيات، وأما خلود أهل النار فجاءت فيه آيات كثيرة كقوله: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمَ مَوْتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِّنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر: آية ٣٦]، ﴿فَإِنَّ أُولَٰئِكَ جَهَنَّمُ لَا يَمُوتُ

(١) انظر: ابن جرير (٣٣٠/١٤)، القرطبي (١٩٤/٨)، الدر المصون (٧٧/٦).

(٢) مضى عند تفسير الآية (١٢٨) من سورة الأنعام، والآية (٣٦) من سورة الأعراف.

فِيهَا وَلَا يَجِيئُ ﴿٧٤﴾ [طه: آية ٧٤]، ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾
 [فاطر: آية ٣٦]، ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ ﴿١٧﴾ [الإسراء: آية ٩٧] والحاصل أن من قال من السلف: «إن النار تفتنى ويبقى محلها لا أحد فيه» يجب حملها كما صرح به البغوي في تفسيره^(١)
 على الطبقة التي كان فيها عصاة المسلمين؛ لأن الله يخرجهم بعد أن تطهرهم النار فيؤولون إلى الجنة فتبقى طبقتهم التي كانوا فيها خاوية، أما الكفار فهم باقون معذبون لا يموتون ولا يخفف عنهم العذاب ولا تفتنى النار عنهم، وقد نفى الله فناءها بقوله: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ ﴿١٧﴾ فمن يدعي أن لها خبوة نهائية ليس بعدها زيادة سعي رُد عليه بهذه الآية الكريمة، وكذلك لا يخرجون منها؛ لأن الله يقول: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾ [السجدة: آية ٢٠]، ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا﴾ [الحج: آية ٢٢]، ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ ﴿١٦٧﴾ [البقرة: آية ١٦٧]، ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا﴾ [المائدة: الآية ٣٧] وكذلك لا يموتون فيها كما قال: ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَمِيٍّ﴾ [إبراهيم: آية ١٧]، ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر: آية ٣٦] إلى غير ذلك من الآيات كما أوضحناه في هذه الدروس.

/ (٢) [أما آية النبأ، وهي قوله: ﴿لَيْثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ ﴿٢٣﴾] [النبأ: ١/١٠] آية ٢٣] فقد بينتها غاية البيان آية سورة ص، وإيضاح ذلك أن

(١) تفسير البغوي (٢/٤٠٣).

(٢) في هذا الموضع انقطع التسجيل، وتم استيفاء النقص من كلام الشيخ (رحمه الله) على هذه المسألة عند تفسير الآية (٣٦) من سورة الأعراف، وجعلت ذلك بين معقوفين.

المعنى: ﴿لَيْثِينَ فِيهَا﴾ أي: في النار ﴿أَحْقَابًا﴾ ﴿٢٣﴾ في حال كونهم في تلك الأحقاب ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾ ﴿٢٥﴾ [النبا: الآيتان ٢٤، ٢٥] فإذا انقضت أحقاب الحميم والغساق، عذبوا بأنواع آخر من أنواع العذاب لا نهاية لها ولا يعلمها إلا الله. وإنما قلنا: إن هذه الأحقاب، مختصة بأحقاب الحميم والغساق لأن الله بين ذلك وصرح به في سورة (ص) وخير ما يفسر به القرآن القرآن؛ لأن الله يقول في (ص): ﴿هَذَا وَإِلَى اللَّطِيفِينَ لَشَرِّ مَكَابٍ﴾ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَنَسَّ إِلْهَادُ﴾ ﴿٥٦﴾ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾ ﴿٥٧﴾ وَأَخْرَجَ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجُ﴾ ﴿٥٨﴾ [ص: الآيات ٥٥ - ٥٨] فبين أن هنالك أصنافاً آخر وأشكالاً من أنواع العذاب غير الحميم والغساق. فبيّنت آية (ص) هذه آية النبا، بياناً واضحاً وخير ما يفسر به القرآن القرآن.

وذكرنا^(١) أن بعض الملحدين يقول: أين الإنصاف والحكمة في أن تكون أيام المعصية في دار الدنيا وأيام الكفر مدة محدودة والجزاء في مدة لا تنقضي، فأين العدل والميزان، في عمل في مدة معينة مع جزاء في مُدَد لا تنقضي ولا تفي؟!

والجواب عن هذا: أن خبث الكافر الذي عذب بسببه هو باقٍ دائم لا يزول في جميع المُدَد، فكان العذاب دائماً لا يزول؛ لأن سببه باقٍ لا يزول، والدليل على أن خبث الكفار باقٍ لا يزول أبداً فكان جزاؤه دائماً لا يزول أبداً لأنهم لما رأوا النار وعانوا الحقائق يوم القيامة وندموا على تكذيب الرُّسل فتمنوا الردَّ إلى الدنيا ليتوبوا ﴿فَقَالُوا يَلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نَكْذِبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٢٧﴾ [الأنعام: آية ٢٧] قال الله فيهم: ﴿وَلَوْ رَدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [الأنعام: آية ٢٨]

(١) راجع ما سبق عند تفسير الآية (١٢٨) من سورة الأنعام.

فصرّح (جلّ وعلا) بأنهم لو رُدوا إلى الدنيا بعد معاينة النار والعذاب وبلايا القيامة لعادوا لما نهوا عنه .

وهو تصريح بأن خبثهم الطبيعي منطبعٌ فيهم دائم لا يزول، فلذلك كان جزاؤه دائماً لا يزول . والجزاء بحسب العمل ؛ ولذا قال تعالى: ﴿ جَزَاءُ وَفَاقًا ۝٢٦ ﴾ [النبا: آية ٢٦] موافقاً لأعمالهم فخبثهم لا يزول وجزاؤهم لا يزول، وقد قال تعالى: ﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ ۝٢٣ ﴾ [الأنفال: آية ٢٣] ف (خيراً) نكرة في (١) سياق الشرط وهي تعم، فعرفنا أن الله لم يعلم فيهم خيراً ما في وقت ما كائناً ما كان، ولما كان الخير منتفٍ عنهم أبداً والشر ملازم لهم أبداً، كان جزاؤهم لازماً أبداً. وهذا معنى قوله: ﴿ فَأَبَى لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ ۝٦٣ ﴾ [التوبة: آية ٦٣] - والعياذ بالله - ﴿ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ۝١٢ ﴾ الهوان والخزي الكبير . والعظيم صفة مشبهة من عظم الشيء يعظم فهو عظيم، وهو معنى معروف لا خفاء به .

قال تعالى: ﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَزِرُوا إِلَيَّ اللَّهُ مَخْرُجٌ مَا تَحْذَرُونَ ۝١٤ ﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ۝١٥ لَا تَعْدِرُوا فَمَا كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعَفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ۝١٦ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ۝١٧ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ۝١٨ ﴾ [التوبة: الآيات ٦٤ - ٦٨] .

يقول الله (جَلّ وعلا): ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَزِرُوا إِلَيَّ اللَّهُ مَخْرُجٌ مَا تَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: آية ٦٤].

قرأ هذا الحرف عامة القراء، غير ابن كثير وأبي عمرو: ﴿أَنْ تُنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ﴾ بفتح النون وتشديد الزاي، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿أَنْ تُنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ﴾ ومعنى القراءتين واحد، فالله (جَلّ وعلا) في هذه السورة الكريمة يفضح ما تنطوي عليه ضمائر المنافقين، فبين لنبيه ﷺ في هذه الآية الكريمة أن المنافقين في غاية الخوف والقلق والحذر من أن ينزل الله على نبيه قرآناً يكشف به أسرارهم، ويوضح ما تنطوي عليه ضمائرهم من الكفر والسوء فقال: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ﴾ مضارع حَذَرَ الأمر يحذره إذا كان يخاف وقوعه خوفاً شديداً.

قوله: ﴿أَنْ تُنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ﴾ التحقيق أن المصدر المنسبك من (أَنْ) وصلتها في محل نصب مفعول به ليحذر^(١)؛ لأنه (يحذر) تتعدى بنفسها دون حرف، وأنشد سيبويه لتعدي (حذر) بنفسها قول الشاعر^(٢):

حذرُ أموراً لا تضيئُ وآمنُ ما ليس ينجيهِ من الأقدار

فقوله: «أموراً» مفعول به لـ (حذر) وهو الوصف من حَذَرَ يحذر فهو حَذِرٌ ﴿أَنْ تُنْزَلَ﴾ يعني: يحذر المنافقون تنزيل سورة من الله عليهم. أي: على النبي وأصحابه تفضح المنافقين، وقال بعض

(١) انظر: الدر المصون (٦/٧٩).

(٢) الكتاب (١/١١٣).

العلماء: ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أي: على المنافقين؛ لأنها إذا نزلت في شأنهم مبيّنة فضائحهم وما تنطوي عليه أسرارهم فكأنها نزلت عليهم ﴿قُلْ﴾ لهم يا نبي الله ﴿أَسْتَهِزُّوْا﴾ صيغة الأمر هنا للتهديد، يعني: دوموا على ما أنتم عليه من الاستهزاء بآيات الله وبالله وبرسوله فستلقون جزاء ذلك ﴿إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ﴾ أي: مظهر لنبيه بما يوحى إليه ما أنتم تسرونه وتبطنونه، ذلك الذي تحذرون أن يفضحكم الله فيه، إن الله مخرجه ومظهره، وقد أطلع الله نبيه ﷺ على حقائقهم بعد أن لم يكن يعلمها؛ لأن قوله هنا: ﴿إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ﴾ ﴿٢٩﴾ يدل على أن النبي في هذا الوقت لم يكن يعلمه كما يأتي في قوله: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُّوْا عَلَى الْإِنْفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ [التوبة: آية ١٠١] وقد بين الله لنبيه المنافقين، أشار له إلى معرفتهم بقوله: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَنَهُمْ﴾ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِمَتِهِمْ﴾ ثم قال: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ [محمد: الآيتان ٢٩، ٣٠] وقد أطلع الله نبيه عليه في غزوة تبوك، وأطلع النبي حذيفة بن اليمان على جماعة منهم بأسمائها. وهذا معنى قوله: ﴿قُلِ اسْتَهِزُّوْا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ﴾ ﴿٢٩﴾ [التوبة: آية ٦٤].

قوله: ﴿مَّا﴾ في محل المفعول به لاسم الفاعل الذي هو (مخرج) والسؤال الذي يتبادر في هذا جوابه ظاهر، لأن (مخرج) هنا قد وقع وتعلق بالماضي، والمقرر في علم العربية أن اسم الفاعل إذا كان نكرة لا يعمل إلا بمسوّغ، ولا يعمل في الماضي، وهنا كأنه عمل في الماضي. والجواب واضح؛ لأن هذه الآية تحكي ما كان في ذلك الوقت مستقبلاً؛ لأن وقت نزول هذه الآية يحكي الله (جلّ

وعلا) فيها أنه سيفعل ذلك في المستقبل، فإذا لم يتعلق اسم الفاعل بأمر ماضٍ كما لا يخفى. وهذا معنى قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحَذَرُونَ﴾.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ [التوبة: آية ٦٥] نزلت هذه الآية في غزوة تبوك بإطباق المفسرين في قومٍ استهزؤوا بالله وآياته ورسوله. قال بعض العلماء: كان النبي ﷺ يسير في غزوة تبوك وأمامه ركبٌ من المنافقين، فكان بعضهم يقول لبعض: «يظن هذا أنه يفتح قصور الشام ويقدر على بلاد بني الأصفر، هيهات هيهات» فأطلع الله نبيه على ذلك فاستوقفهم فسألهم: «لَمَ قَلْتُمْ هَذَا؟» قالوا: كنا نخوض ونلعب، لم نقل هذا عن طريق الجد، وإنما قلناه عن طريق الهزل واللعب. فأجابهم الله: ﴿أَيُّ اللَّهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ (٦٥) لَا تَعْذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ (١) [التوبة: آية ٦٥].

وذكر بعض العلماء أن النبي ﷺ ضلّت راحلته في غزوة تبوك فقال جماعة من المنافقين: انظروا إلى هذا الرجل يدّعي أنه يعلم علم الغيب، وأنه ينزل عليه الوحي وهو لا يدري أين ذهب ناقته!! وأن جبريل أتاه فأخبره بموضعها، أمسكتها شجرة كذا بزمامها، فناداهم وقال: «لَمَ قَلْتُمْ مَا قَلْتُمْ؟» قالوا: كنا نخوض ونلعب (٢).

(١) أخرجه ابن جرير (٣٣٤/١٤)، وابن أبي حاتم (١٨٣٠/٦)، والواحدي في أسباب النزول ص ٢٥٠، عن قتادة مرسلاً، وعزاه في الدر (٢٥٤/٣)، لابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٢) أخرجه البيهقي في الدلائل (٢٣٢/٥)، وذكره ابن هشام في السيرة ص ١٣٧٥، من طريق ابن إسحاق، وانظر: الذهب المسبوك ص ٢٤٩، وليس للآية ذكر في =

وعلى كل حال فلا خلاف بين العلماء أن هذه الآية من سورة براءة نزلت في غزوة تبوك في قوم استهزؤوا بالنبي ﷺ واستخفوا به، فسألهم رسول الله ﷺ فأجابوا معتردين اعتذاراً كاذباً قالوا: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ﴾ في الحديث ﴿وَنَلْعَبُ﴾ نهزأ ونضحك فيما بيننا لا نقول ذلك عن جدّ وقصد. وهذا معنى قوله: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾.

﴿قُلْ﴾ لهم يا نبي الله: ﴿أَبِاللَّهِ وَعَٰيِنِيهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾^(١٥) يعني أتستهزئون بالله وبرسوله وبآياته؟! فلاستهزاء بالله وبآياته وبرسوله كفر بواح لا عذر لصاحبه البتة. قال بعض العلماء^(١): يؤخذ من هذه الآية الكريمة أن من استهزأ بالله وبرسوله وبآياته ولو كان هازلاً مازحاً أنه يكون كافراً؛ لأنه لا هزل في الكفر، وقد جاء في الحديث أن بعض المسائل هزلها كجدها، كالطلاق، والعتاق، وهي ثلاث مسائل معدودة في الحديث: «ثلاث جدهن [جد]^(٢): الطلاق والعتاق...» ونسيت الثالثة^(٣) مع أنها مختلف فيها

= الرواية التي وقفت عليها، وقد أخرج ابن أبي حاتم (٦/١٨٣٠)، وكذا أورده السيوطي في الدر (٣/٢٥٤) عن مجاهد في قوله: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ قال رجل من المنافقين: يحدثنا محمد أن ناقة فلان بوادي كذا وكذا في يوم كذا وكذا وما يدرية بالغيب؟! وعزاه السيوطي لابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(١) انظر: القرطبي (٨/١٩٧).

(٢) في الأصل: «هزل»، وهذا سبق لسان، والصواب: جدهن جد وهزلهن جد.

(٣) الثلاث في أشهر الروايات هي: النكاح والطلاق والرجعة.

والحديث أخرجه أبو داود في الطلاق، باب في الطلاق على الهزل، حديث

رقم: (٢١٨٠)، (٦/٢٦٢)، والترمذي في الطلاق، باب ما جاء في الجد =

هل هي الرجعة أو غيرها.

وهذا معنى قوله: ﴿قُلْ أَيْدِيهِمْ وَرَسُولُهُ كُتِرَ تَسْتَهِزُّوْنَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْذِرُوا﴾ الاستهزاء: الاستخفاف، و﴿لَا تَعْذِرُوا﴾ هذا الاعتذار البارد الكاذب، ليس مقبولا منكم حتى تتوبوا توبة نصوحاً ﴿فَدَّ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ أي: بعد إظهاركم الإيمان وإعلانكم إياه.

ثم قال: ﴿إِنْ نَعَفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً﴾ [التوبة: آية ٦٦] قرأ هذا الحرف عامّة القراء السبعة، غير عاصم وحده: ﴿إِنْ يُعَفَّ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً﴾ بأنهم كانوا مجرمين بقوله: ﴿يُعَفَّ﴾ بالياء وبناء الفعل للمفعول، و﴿نُعَذِّبْ﴾ طائفة بالتاء، وضم طائفة على أنه نائب الفاعل، وقرأ عاصم وحده من السبعة: ﴿إِنْ نَعَفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً﴾^(١) بنون العظمة ونصب طائفة الثانية. وفي نظم ابن المرحّل^(٢):

لعاصم قراءة	لغيرها مخالفة
إن نعف عن طائفة	منكم نعذب طائفة

فهذه قراءة عاصم وحده، برواية حفص وشعبة عنه معاً.

= والهزل في الطلاق، حديث رقم: (١١٨٤)، (٤٨١/٣)، وابن ماجه في الطلاق، باب من طلق أو نكح أو رجع لاعباً، حديث رقم: (٢٠٣٩)، (٦٥٨/١)، والدارقطني (٤/١٨، ١٩)، والحاكم (٢/١٩٨)، وابن الجارود (٣/٤٤). وللوقوف على روايات الحديث وألفاظه انظر: التعليق المغني على الدارقطني (٤/١٩)، إرواء الغليل (٦/٢٢٤).

(١) مضت عند تفسير الآية (٥١) من سورة الأعراف.

(٢) السابق.

وهذا معنى قوله: ﴿لَا تَعْذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ. .

قال بعض العلماء^(١): هذا العفو نزل في [مخشي بن الحمير] لأنه كان من الذين خاضوا في الاستهزاء. قال بعض العلماء^(٢): كانوا ثلاثة نفر اثنان استهزؤا وواحد ضحك لهما من كلامهما، ثم إن الثالث الذي هو مخشي بن الحمير (رضي الله عنه) تاب إلى الله، وحسن إسلامه، وعفى الله عنه، وأنزل الله فيه: ﴿إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ نَعْدَبَ طَائِفَةٌ﴾.

وقال غير واحد إن مخشياً (رضي الله عنه) تاب من نفاقه، وحسن إسلامه، وأناب إلى الله، ودعا الله أن يموت شهيداً، وأن لا يطلع أحدٌ على قبره، وقال من قال هذا: قتل باليمامة شهيداً. ولم يطلع عليه أحدٌ، ولم يعثر عليه (رضي الله عنه)، هكذا قال بعضهم^(٣).

﴿إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ﴾ تابت إلى الله وأنابت إليه ورجعت عن النفاق إلى الإيمان الخالص والتوبة النصوح ﴿نَعْدَبَ طَائِفَةٌ﴾ أخرى لم يتوبوا بل كانوا مصرين على النفاق والاستهزاء بالله وآياته ورسوله بسبب أنهم ﴿كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ ﴿٦٦﴾ مرتكبين الجريمة،

(١) أخرجه ابن جرير (٣٣٦/١٤) عن ابن إسحاق مرسلًا، وقد أخرج ابن أبي حاتم (١٨٣١/٦)، كما أورد السيوطي في الدر (٢٥٤/٣) شاهداً له عن كعب بن مالك (رضي الله عنه)، وعزاه لابن إسحاق وابن المنذر وابن أبي حاتم، وأورده أيضاً عن ابن عباس وعزاه لابن مردويه.

(٢) انظر: القرطبي (١٩٩/٨).

(٣) جاء ذلك في أثر كعب بن مالك وابن عباس اللذين أشرنا إليهما قريباً.

وهي الإصرار على الكفر والنفاق من غير إقلاع ولا توبة عنه، والمجرمون^(١) جمع المجرم، والمجرم مرتكب الجريمة، والجريمة هي الذنب العظيم الذي يستحق صاحبه النكال العظيم و (مجرمون) هنا اسم فاعل (أجرم) بصيغة (أفعل) بالهمزة التي صار بها رباعياً، ويستعمل هذا الفعل استعمالين: أجرم رباعياً بصيغة (أفعل) وجرم ثلاثياً مجرداً. وما جاء مستعملاً في القرآن إلا بصيغة الرباعي فقط ﴿مُجْرِمِينَ﴾. ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُجْرِمُوا﴾ [المطففين: آية ٢٩] ولم يأت بصيغة الثلاثي المجرد في القرآن ولكنه جاء بذلك في لغة العرب، ومن ذلك قول الشاعر:

وَنَنْصُرُ مَوْلَانَا وَنَعْلَمُ أَنَّهُ كَمَا النَّاسُ مَجْرُومٌ عَلَيْهِ وَجَارُمُ^(٢)

لأن المجروم اسم مفعول جرمه الثلاثي المجرد بلا نزاع، وهذا معنى قوله: ﴿إِنْ نَعَفْ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ نَعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾.

﴿الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [١٧] وَعَدَ اللَّهُ الْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقَتِ وَالْكَافَرِ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [التوبة: الآيتان ٦٧، ٦٨].

﴿الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾ [التوبة: آية ٦٧] المنافق هو من يظهر الإيمان، ويُسِر الكفر، وهو المسمّى في عرف

(١) مضى عند تفسير الآية (٥٥) من سورة الأنعام.

(٢) تقدم هذا الشاهد عند تفسير الآية (٥٥) من سورة الأنعام.

الفقهاء بالزنديق. قال بعض العلماء: اشتقاقه من النافقاء وهي جحر اليربوع؛ لأن جحر اليربوع يكون له أبواب مختلفة يدخل من باب ويخرج من آخر، فالمنافق يخرج بغير ما دخل به، هكذا قيل.

﴿الْمُنْفِقُونَ﴾ الذكور ﴿وَالْمُنْفِقَتُ﴾ الإناث، هذه الآية الكريمة وأمثالها في القرآن مما استدلّ به جماعة من [أهل] (١) الأصول على مسألة أصولية مختلف فيها وإيضاحها أن الصفات التي يشترك فيها الذكور والإناث إذا جاءت في كتاب الله أو سنة رسوله بصيغة خاصة بالذكور هل يدخل فيها الإناث نظراً إلى اشتراكهنّ مع الذكور في أصل الوصف، أو يختص بها الذكور لأن البناء مختص بالذكور؟! وإيضاح هذا، أن النفاق هو صفة تتصف بها الأنثى والذكر، ولكن قوله: ﴿الْمُنْفِقُونَ﴾ اختصّ بالذكور، فإذا جاء في كتاب الله جمع مذكر سالم أصل معناه يشترك فيه الذكور والإناث، هل يحكم بدخول الإناث أو لا يحكم بدخولهنّ إلا بدليل منفصل؟! هذا خلاف مشهور في الأصول (٢)، قال أكثر أهل الأصول: إن الجموع المذكرة السالمة ونحوها مما يختص بجماعة الذكور، إذا ورد في كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ لا يدخل فيه النساء إلا بدليل خاص، لاختصاص الصيغة بالذكور، وإن كان الوصف شاملاً للجميع، واستدلوا على أن النساء لا يدخلن في الجموع المذكرة بمثل هذه الآية في القرآن، قالوا: لو كانت المنافقات الإناث يدخلن في اسم المنافقين بصيغة الجمع المذكر السالم لكفى ذلك عن عطفهنّ عليهم، قالوا: والعطف دليل على المغايرة وعدم الدخول، واستدلوا لهذا بكثرة نحوه في القرآن كقوله: ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقَتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ﴾ [الأحزاب: آية ٧٣] وقوله:

(١) ما بين المعقوفين زيادة يقتضيها السياق.

(٢) انظر: شرح الكوكب المنير (٣/ ٢٣٥).

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أُنْصُرِهِمْ﴾ [النور: آية ٣٠] ثم قال: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ﴾ [النور: آية ٣١] فقالوا: فعطف النساء على الذكور المجموعين بصيغة الجمع المذكر يدل على عدم دخولهن فيه لاختصاص الصيغة بالذكور، وإن كان الوصف شاملاً للجميع.

وذهبت طائفة أخرى إلى أن النساء يدخلن في الجموع المذكورة وما جرى مجراها؛ لأن الجميع سواء في التكليف، واستدلوا بآيات من كتاب الله جاء مصرحاً فيها بدخول الأنثى في صيغة الجمع المذكر السالم، كقوله تعالى في [بلقيس] ^(١): ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ [النمل: آية ٤٣] فأدخل هذه المرأة في «الكافرين» وهو جمع مذكر سالم. وقوله في مريم ابنة عمران: ﴿وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتٍ وَكِتَابِهِ﴾ [التحریم: آية ١٢] وفي القراءة الأخرى: ﴿وَكُتِبَ عَلَيْهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِنِينَ﴾ ^(٢) [التحریم: آية ١٢] فأدخل مريم وهي امرأة في اسم (القانتين) وهو جمع مذكر سالم، قالوا: ونظيره قوله في امرأة العزيز: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ [يوسف: آية ٢٩] وهذا خلاف معروف في الأصول. وأكثر الأصوليين يقولون: إنهن لا يدخلن. وأجمع العلماء على عدم دخول النساء في صيغة الذكور في قوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَقْرَبِهِمْ حَافِظُونَ﴾ [إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ] [المؤمنون: الآيتان ٥، ٦] فلا يجوز للمرأة أن تتخذ عبداً وتتسراه؛ لأن الإناث لم يدخلن في هذه الصيغة المختصة بالذكور، وعلى كل حال فأظهر قولي الأصوليين - وعليه أكثرهم - أن أصل اللغة يقتضي تغليب الذكور على الإناث، وهذا لا نزاع فيه، أمّا التبادر عند

(١) وقع في الأصل: «امرأة العزيز»، وهو سبق لسان.

(٢) انظر: المبسوط لابن مهران ص ٤٤٠.

الإطلاق، فهل يتبادر دخول النساء في الجموع المذكورة أو لا؟ فالظاهر أنه ما دخلن في جمع مذكر سالم إلا بقريئة زائدة دالة على ذلك، وأنه إذا تجرّد من القرائن لم يدخلن فيه، وعلى هذا أكثر علماء الأصول.

وقوله: ﴿بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾ [التوبة: آية ٦٧] هذه الآية تضمنت تكذيب المنافقين المذكور في قوله: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ﴾ [التوبة: آية ٥٦] وصدقت قوله: ﴿وَمَا هُمْ مِّنكُمْ﴾ [التوبة: آية ٥٦] كأن الله يقول: المنافقون يحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم. الحقيقة هم ليسوا منكم ولكن بعضهم من بعض، وليسوا منكم ولستم منهم، بل هم بعضهم من بعض؛ لأنهم هم المتشابهون في الأخلاق والأهداف، أخلاقهم واحدة وغرضهم واحد، فبعضهم من بعض وبعضهم أولياء بعض، وليسوا منكم ولستم منهم، فهذا معنى قوله: ﴿الْمُتَّقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ بَعْضُهُم مِّنْ بَعْضٍ﴾ ثم بيّن صفاتهم التي يجتمعون فيها وهي ضدّ صفات المؤمنين، على خط مستقيم، وهي قوله: ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ﴾ والمؤمنون يأمرون بالمعروف ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾ والمؤمنون ينهون عن المنكر.

والمنكر: اسم مفعول أنكره، والمراد به كل ما أنكره الشرع ولم يأذن فيه. والمعروف: اسم مفعول (عرفه) وهو كل ما عرفه الشرع ودعا إليه وأمر به.

﴿يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ المراد بقبض اليد هنا كناية عن البخل وعدم مدّ الأيدي بما ألزم الله بإعطائه، فهم لا يزكون ولا ينفقون، فالعرب تقول: فلان يتعوّد قبض اليد، ويده مقبوضة، ويقبض يده يكون بذلك عن

البخل. يعنون: لا يجود. فبسط اليد معناه الجود، وقبض اليد معناه البخل، قال بعض العلماء: قبضهم أيديهم: بخلهم بما يلزمهم من الزكوات وسائر الإنفاق. وقال (...)(١).

(...) وهذا معنى معروف في كلام العرب، ومنه قول زهير (٢):

تَعَوَّدَ بَسَطَ الكَفِّ حَتَّى لَوْ أَنَّهُ دَعَاها لَقَبَضَ لَمْ تُجِبْهُ أَنَامِلُهُ
وهذا معنى قوله: ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾.

﴿نَسُوا اللَّهَ﴾ المراد بالنسيان هنا: الترك عمداً، معناها: تركوا أوامر الله وجعلوها وراء ظهورهم.

﴿فَنَسِيَهُمْ﴾ الله، تركهم الله من كل خير ومن كل ثواب. والعرب تطلق النسيان على الترك عمداً (٣)، ومنه قوله: ﴿نَسِيَهُمْ﴾ أي: الله تركهم من كل خير، ومن كل ثواب. والله (جل وعلا) يستحيل في حقه النسيان الذي هو ذهاب الشيء عن العلم، فمعنى ﴿نَسِيَهُمْ﴾: تركهم عمداً وإرادة؛ لأن الله (جل وعلا) لا ينسى كما قال تعالى: ﴿لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ [طه: الآية ٥٢]، ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: الآية ٦٤]، وهذا معنى قوله: ﴿نَسُوا اللَّهَ﴾ فَنَسِيَهُمْ.

(١) في هذا الموضع انقطع التسجيل.

(٢) البيت لأبي تمام، وهو في ديوانه (٢٩/٣)، البحر المحيط (٢/٢٤٨)، الدر المصون (٤/٣٤٣).

(٣) تقدم عند تفسير الآية (٤٢) من سورة الأنعام.

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ قبهم الله ﴿هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ﴿٦٧﴾
 الخارجون عن طاعة الله خروجاً عظيماً وإن زعموا أنهم مؤمنون،
 وحلفوا للنبي وأصحابه على أنهم مؤمنون مطيعون لله ولرسوله.
 وهذا معنى قوله: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ ﴿هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ﴿٦٧﴾ [التوبة:
 الآية ٦٧].

ثم قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ﴾
 [التوبة: الآية ٦٨]، المراد بـ ﴿الْمُنَافِقِينَ﴾ من يظهرون الإسلام
 ويبطنون الكفر. ﴿وَالْكُفَّارَ﴾ أعلنوا كفرهم فهم كلهم كفار، والفرق
 بينهم: أن بعضهم يتظاهر بكفره وبعضهم يخفي كفره، فهؤلاء الكفار
 جميعاً المتعالنون بكفرهم والجاحدون له وعدهم الله جميعاً نار
 جهنم، كما تقدم في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ
 جَمِيعًا﴾ [النساء: الآية ١٤٠]، وقال هنا: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ
 وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ﴾.

﴿وَعَدَ﴾ تأتي بلا نزاع في الخير والشر، إلا أن مصدر ذات
 الشر: (وعده وعيداً) ومصدر ذات الخير: (وعده وعداً). وأما
 (أوعد) بزيادة (الهمزة) فلا تكاد العرب تطلقها إلا بالوعد بالشر
 خاصة^(١). وهذا معنى قوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ
 وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ﴾.

﴿نَارَ جَهَنَّمَ﴾ هو المفعول الثاني لوعد، ونار جهنم معروفة،
 وجهنم طبقة من طبقاتها، وربما أطلقت على جميع طبقات النار^(٢).

(١) تقدم عند تفسير الآية (١٣٤) من سورة الأنعام.

(٢) تقدم عند تفسير الآية (١٧٩) من سورة الأعراف.

واختلف علماء العربية في لفظة جهنم هل هي عربية أصلاً أو مُعَرَّبَةٌ^(١)؟ والتحقيق أن القرآن العظيم ليس فيه عجمي أصلاً^(٢) إلاّ الأعلام، وإن كان بعض الكلمات معروفة في كلام العجم، فبدلاً من أن نقول: إن العرب أخذوها من العجم نقول: إن العجم أخذوها من العرب؛ لأن الله يقول في القرآن: ﴿يَلْسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [الشعراء: الآية ١٩٥]. ولا يمكن أن نحكم بأن شيئاً منه غير عربي إلاّ بدليل قاطع كالأعلام، فإن الأعلام تُذكر في جميع اللغات حسب ما وُضعت بوضعها الأول.

وعلى أن ﴿جَهَنَّمَ﴾ أصلها عربية وأصلها من كلام العرب لا مُعَرَّبَةٌ: فأصل مادتها (الجيم، والهاء، والميم) والنون المشددة فيها زائدة - فعلى هذا القول يكون وزنها بالميزان الصرفي: (فَعْلَلٌ)^(٣) بزيادة النون المشددة بين العين واللام، وعليه فحروفها الصحيحة هي: (الجيم) في محل (الفاء)، و (الهاء) في محل (العين) و (الميم) في محل (اللام) من (جَهَمَه يَجْهَمُهُ) إذا لقيه بوجه عابس مقطَّب كرية؛ لأن أصحابها إذا دخلوا فيها تلقّتهم بوجه عابس كرية وتقطّبت وعبست وجوههم فيها، والعرب تقول: (جَهَمَه) (يَجْهَمُهُ) إذا تلقّاه بوجه عابس كرية، ومنه قول عمرو بن الفضففاض الجهني^(٤):

ولا تَجْهَمِينَا أُمَّ عمرو، فإنما بنا داءٌ ظبي لم تَخْنه عَوَامِلُهُ

(١) السابق.

(٢) السابق.

(٣) السابق.

(٤) السابق.

وقال بعض العلماء: هذه أصلها فارسية مُعَرَّبَةٌ، وزعم من قال هذا أن في الفارسية القديمة: (كَهَنَام) ^(١) يطلق على النار، وأن العرب عَرَّبَتِهَا وأبدلت كافها جيماً فقالت فيها: (جَهَنم) ^(٢)، والله تعالى أعلم.

وهذا معنى قوله: ﴿نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أي [ماكثين] ^(٣) فيها على الدوام ﴿خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ﴾، أي: مقدّرين الخلود فيها على الدوام ﴿هِيَ حَسْبُهُمْ﴾ أي: كفايتهم من العقاب. معناه: أن الجرائم التي ارتكبوها إذا جُوزوا بالنار ففي النار كفاية تامة لجزاء ذلك السوء الذي ارتكبه؛ لأنها جزاء فظيع ﴿جَزَاءٌ وَفَاقًا﴾ ^(٤) [النبا: الآية ٢٦] فمن عُدِّبَ بالنار فقد جُوزي جزاءً بالغاً وافياً هو حسبه أي: يكفيه؛ لأنه لا جزاء أعظم منه ولا أشد، وهذا معنى قوله: ﴿هِيَ حَسْبُهُمْ﴾.

﴿وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ أي: طردهم وأبعدهم عن رحمته. واللعن في لغة العرب التي نزل بها القرآن: معناه الطرد والإبعاد ^(٤)، فالرجل إذا كان صاحب جنایات: قتل من هؤلاء، وقتل من هؤلاء، وخاف قومه أن يجز لهم حروب القبائل وذحول الدماء ^(٥)، إذا تبرؤوا منه، وأعلنوا البراءة منه، وطرده وأبعدوه سُمي رجلاً لعيناً؛ لأن قومه

(١) وبعضهم يضبطها بكسر الكاف والهاء.

(٢) السابق.

(٣) في الأصل: «ماكثاً» وذلك أن الشيخ (رحمه الله) ذهب إلى قوله تعالى: ﴿فَأَبَ لَكُمْ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا﴾ فجزى التعديل.

(٤) تقدم في الأعراف عند تفسير الآية (٤٤).

(٥) أي: ثارات الدماء. انظر: القاموس (فصل الذال من باب اللام)

طروده وأبعدوه، ومن هذا المعنى قول الشماخ^(١):

ذَعَرْتُ بِهِ الْقَطَا وَنَفَيْتُ عَنْهُ مَقَامَ الذِّيبِ كَالرَّجُلِ اللَّعِينِ

واللعنة في اصطلاح الشرع^(٢): هي الطرد والإبعاد عن رحمة الله (جل وعلا) أعاذنا الله وإخواننا المؤمنين منها.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾^(١٨) أي: دائم أبداً لا يزول ولا يحول ولا ينقطع كما أوضحناه في الدروس الماضية.

قال تعالى: ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَكَثَرَ أَمْوَالُهُمْ وَأُولَدًا فَاسْتَغْتَبُوا بِخَلْقِهِمْ فَاَسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضُّهُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(١٩) أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَنَّهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^(٢٠) [التوبة: الآيتان ٦٩، ٧٠].

يقول الله (جل وعلا): ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَكَثَرَ أَمْوَالُهُمْ وَأُولَدًا فَاسْتَغْتَبُوا بِخَلْقِهِمْ فَاَسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضُّهُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(١٩) [التوبة: الآية ٦٩].

اعلم أولاً أن تفسير هذه الآية الإجمالي قبل أن نشرع في تحليل ألفاظها أن مضمونها أن الله يُهدد الكفرة والمنافقين في زمن النبي ﷺ

(١) تقدم في الأعراف عند تفسير الآية (٤٤).

(٢) السابق.

بأن الأمم التي كانت قبلهم كانت أشد منهم وأكثر قوة وعتاداً وأموالاً وأولاداً لما عتوا على الله وتمردوا وكذبوا رسله أهلكتهم الله الإهلاك المستأصل، فكأنه يقول لهم: إذا كنا أهلكتنا الأمم قبلكم التي هي أقوى منكم وأشد تمكناً في الدنيا من جميع النواحي، فعليكم أن تخافوا، ولا تكذبوا نبينا لئلا ننزل بكم ما أنزلنا بمن هو أقوى وأعظم منكم. والآيات القرآنية في هذا المعنى كثيرة جداً، كقوله: ﴿فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الزخرف: الآية ٨]، ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ﴾ [الدخان: الآية ٣٧] فكيف لا يخافون أن نهلكهم؟ ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾ [الروم: الآية ٩]، يعني: إن كنا أهلكتنا هؤلاء الذين هم أقوى منكم بأضعاف لما كذبوا رسلنا فعليكم أن تحذروا لئلا ننزل بكم ما أنزلنا بمن هو أقوى منكم. فهذا المعنى الإجمالي للآية الكريمة والآيات الموضحة له في القرآن كثيرة جداً.

واعلم أن علماء التفسير اختلفوا في محل الكاف من قوله: ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ هل هي في محل نصب؟ أو محل رفع^(١)؟ قال بعضهم: هي في محل نصب. والذين قالوا: الكاف في محل نصب اختلفوا على قولين: قال بعضهم: هو يتعلق بقوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ [التوبة: الآية ٦٨]، ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ يعني: سيعدكم الله كما وعد الذين من قبلكم، واستبعد بعضهم هذا القول. وقال بعض العلماء: هو في

محل نصب على أن المعنى: فعلتم ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ أي: كفعل الذين من قبلكم فسينزل بكم من العقوبات مثل ما نزل بهم. واختار بعض المحققين من العلماء أن الكاف في محل رفع. والمعنى: أنتم أيها الكفرة والمنافقون كالذين كانوا من قبلكم، أنتم مثلهم، كقوله: ﴿كَذَّابٌ ءَالٍ فِرْعَوْنَ وَآلِئِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [آل عمران: الآية ١١] أنتم كالذين من قبلكم كفروا وتمتعوا بخلاقهم في الدنيا، وآثروا الدنيا على الآخرة، وتمردوا على الله وكذبوا رسله، فأنزل الله بهم نِقَمَه في الدنيا، وعذبهم العذاب الأبدي في الآخرة. ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ وهؤلاء الذين من قبلهم سيأتي إيضاح إجمالهم في قوله بعد هذا: ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ﴾ إلى آخر المذكورات الآتية.

﴿كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً﴾ ﴿قُوَّةً﴾ تمييز محول عن الفاعل، ومعلوم أن فاعل صيغة التفضيل قد يكون تمييزاً كثيراً محولاً عن الفاعل^(١)، أي: ﴿كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً﴾ لقوة أبدانهم وعتادهم وكثرة أموالهم.

﴿وَأَكْثَرُ أَمْوَالًا﴾ منكم وأكثر أولاداً. ﴿فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ﴾ وكذبوا الرسل وآثروا الحياة الدنيا على الآخرة فأهلكناهم.

والخلاق في لغة العرب: النصيب^(٢). يعني: استمتعوا بنصيبهم في الدنيا مؤثرين الدنيا على الآخرة، مغترين بزخارف

(١) انظر: التوضيح والتكميل (١/٤٩٧).

(٢) انظر: المفردات (مادة: خلق) ص ٢٩٧.

الدنيا، معرضين عن الله، مكذبين رسله صلوات الله وسلامه عليهم.

وقال بعض العلماء^(١): الخلاق: الدين، قالوا: لأن كل فرقة تتحل ديناً وهي تفرح بذلك الدين وتتمتع به وتزعم أنها على هدى، وهو الهدى الذي كان عليه آبؤها في زعمها، كما ذكرنا مراراً، وكما في قوله: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾ أي: دين وملة ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ أَثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: الآية ٢٣] وقال (جل وعلا) في أخريات سورة المؤمن: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ وزعموا أنهم على دين ﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [غافر: الآية ٨٣].

فالحاصل أن الأظهر المعروف في اللغة أن معنى: ﴿فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ﴾ تمتعوا بنصيبيهم وحظهم الدنيوي الذي أعطاهم الله إياه استدراجاً. وقال بعض من الصحابة فمن بعدهم: ﴿بِخَلْقِهِمْ﴾ أي: دينهم كما بينا.

﴿فَاسْتَمْتَعْتُمْ﴾ أيها الكفار والمنافقون (بخلأقكم) أي: بنصيبيكم الدنيوي مؤثرين الدنيا على الآخرة، أو فرحين بما عندكم من الدين زاعمين أن ما كان عليه آبؤكم حق، كما قالوا: ﴿حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ [المائدة: الآية ١٠٤].

﴿فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ﴾ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضِعْتُمْ لِذَلِكَ خَاضِعُونَ ﴿وخضتم في الباطل والكفر وتكذيب الرسل.

(١) انظر: القرطبي (٢٠١/٨).

﴿كَالَّذِي خَاضُوا﴾ قال بعض العلماء^(١): (الذي) هنا حرف مصدرى، والمعنى: كالخوض الذي خاضوه. وعلى هذا فلا إشكال في الآية، وعليه فالتشبيه في نفس الخوض، لا بين الخائضين والخائضين.

وقالت جماعة من العلماء: التشبيه بين الخائضين والخائضين، و (الذي) بمعنى (الذين) أي: وخضتم في الباطل والكفر وتكذيب الرسل كخوض الذين خاضوا في ذلك من قبلكم.

وقد تقرر عند العلماء^(٢) أن لفظة (الذي) تأتي بمعنى (الذين)، وإتيان (الذي) بمعنى (الذين) أمر لا شك فيه، وهو كثير في القرآن. وفي كلام العرب، وإيضاحه: أن لفظ (الذي) مفرد، وأن معناها جمع؛ لأنه اسم موصول، والموصولات صيغ عموم. تعم كل ما تشمله صلاتها فقد يراعى لفظ (الذي) فيفرد، وقد يراعى معناه، وهو شامل لكل ما تشمله صلاته فيعم، ويكون بمعنى الجمع. وإتيان (الذي) بمعنى (الذين) في القرآن العظيم وفي كلام العرب كثير جداً، فمن أمثلته في القرآن العظيم ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ﴾ [البقرة: الآية ١٧] أي: كمثل الذين استوقدوا، بدليل قوله بعده يليه: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَةٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [البقرة: الآية ١٧]، وكقوله تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: الآية ٣٣] لأن معناه: والذين جاؤوا بالصدق وصدقوا به، بدليل قوله بعده: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: الآية ٣٣]، وكقوله تعالى:

(١) انظر: الدر المصون (٦/٨٣).

(٢) السابق (١/١٥٦) وراجع ما ذكره الشيخ (رحمه الله) في الأضواء (٧/٥٤)،

(٣٨٧)، دفع إيهام الاضطراب ص ١١.

﴿كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [البقرة: الآية ٢٦٤] أي: كالذين ينفقون أموالهم رثاء الناس بدليل قوله في آخر الآية: ﴿لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا﴾ [البقرة: الآية ٢٦٤] فدل قوله: ﴿لَا يَقْدِرُونَ﴾ أن (الذي) بمعنى (الذين) ونحو هذا من الآيات. وورود هذا في كلام العرب معروف، وأنشد له سيبويه قول الأشهب بن رميلة^(١):

وإن الذي حانت بفلج دماؤهم هم القوم كل القوم يا أم خالد
فقوله: (الذي حانت) يعني: الذين حانت دماؤهم. ومنه قول عديل بن الفرخ العجلي^(٢):

وبت أساقي الموت إخوتي الذي غَوَايَتُهُمْ غَيِّي وَرِشْدُهُمْ رُشْدِي
وقول الراجز^(٣):

يارب عبس لا تبارك في أحد في قائم منهم ولا في من قعد
إلّا الذي قاموا بأطراف المسد

يعني: إلّا الذين قاموا.

(١) البيت في الكتاب لسيبويه (١/١٨٧)، المحتسب (١/١٨٥)، رصف المباني ص ٣٤١، دفع إيهام الاضطراب ص ١١، أضواء البيان (٧/٥٥)، (٣٨٨).

(٢) البيت في سر صناعة الإعراب (٢/٥٣٧)، المعجم المفصل في شواهد النحو الشعرية (١/٢٥٩)، دفع إيهام الاضطراب ص ١٢، أضواء البيان (٧/٥٥)، (٣٨٨).

(٣) رصف المباني ص ٢٧٠، اللسان (مادة: ذا)، المعجم المفصل في شواهد النحو الشعرية (٣/١١٤٠)، مع شيء من المغايرة في اللفظ، وقد أثبتته الشيخ (رحمه الله) كما هنا في الأضواء (٧/٥٥)، (٣٨٨)، دفع الإيهام ص ١١.

والخوض لا تكاد العرب تطلقه إلا على الخوض في الباطل^(١). وأصله الخوض في الماء؛ لأن الخائض في الماء يتخبط فيه بغير انتظام، ليس كالماشي على الأرض.

ثم قال: ﴿أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ أي: بطلت واضمحلت في الدنيا حيث لم يكن معتداً بها عند الله، وكذلك هي باطلة في الآخرة، وعكس هذا قوله في إبراهيم: ﴿وَأَتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّا فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [العنكبوت: الآية ٢٧].

وقد قدمنا انتفاع الكفار بأعمالهم في الدنيا خاصة^(٢)، وأن ذلك مقيد بمشيئة الله كما دل عليه قوله: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾ الآية [الإسراء: الآية ١٨].

وقوله: ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ أي: بطلت واضمحلت حتى لا يظهر لها أثر ينتفعون به يوم القيامة. قال بعض العلماء: أصل اشتقاق ﴿حَبِطَتْ﴾ من الحَبَط بفتحتين، وهو نبت في البادية إذا أكلته الدواب انتفخت بطونها فماتت^(٣)، كانوا يقولون: «حبطت الماشية» إذا أكلت الحَبَط فهلكت، وصارت العرب تستعمله في الهلاك حتى كان أغلب استعماله في هلاك الأعمال واضمحلالها وعدم الاعتداد بها.

(١) انظر: المفردات (مادة: خوض) ص ٣٠٢.

(٢) راجع كلام الشيخ (رحمه الله) على هذه المسألة في الأضواء (٣/ ٤٩٣)، دفع إيهام الاضطراب ص ١٥١، معارج الصعود إلى تفسير سورة هود ص ٦٩.

(٣) انظر المفردات (مادة: حبط) ص ٢١٦، معارج الصعود إلى تفسير سورة هود ص ٧١.

﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(١١) أي: المغبونون حظوظهم من الله (جل وعلا). ومن غُبن في حظه من خالقه فهو الذي خسر الخسران المبين — والعياذ بالله (جل وعلا) — وهذا الخسران أقسم الله في آيات من كتابه أنه لا ينجو منه إنسان إلاً بالإيمان والعمل الصالح، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، حيث قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرُ﴾^(١٢) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ﴾ معناه: أن كل إنسان كائنًا من كان لفِي خسر ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالْحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ﴾^(٢٣) [العصر: الآيات ١ — ٣].

وقد قدمنا^(١) أن بعض العلماء ضربوا لهذا الخسران المذكور في القرآن بكثرة، ضربوا له مثلين:

أحدهما: أنكم تعلمون أولاً أن الخسران نقصان مال التاجر الذي يحركه لإرادة الربح، سواءً كان النقص في الربح أو في رأس المال، والله (جل وعلا) أعطى كل إنسان كائنًا من كان أعطاه رأس مال، وأمره بالتجارة مع الله فيه، ورأس المال هذا هو الجواهر النفيسة التي لا مثيل لها في الدنيا يشبهها ألبتة، ألا وهي ساعات العمر، فالجواهر العظيمة هي أصل مال كل إنسان هي دقائق عمره وثوانيه وساعاته، هذا رأس المال، أعطاه الله لكل معمر، أعطاه عمراً في الدنيا وأمره أن يحرك رأس هذا المال مع عظيم كريم شديد الوفاء، وسمى معاملة العبد لربه بالتجارة معه برأس هذا المال الذي هو ساعات العمر وأيامه سماها بيعاً، وسماها شراء، وسماها تجارة، وسماها قرضاً، أما تسميتها بيعاً وشراء فقد نصَّ الله عليه في هذه السورة الكريمة

(١) مضى عند تفسير الآية (٩) من سورة الأعراف.

— سورة براءة — في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِآتٍ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ إلى قوله: ﴿فَاسْتَبَشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: الآية ١١١] وسماه تجارة في قوله: ﴿هَلْ أَذِلُّكُمْ عَلَىٰ تَحَرُّرٍ تُنجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [تؤمنون بالله ورسوله...].

الآية [الصف: الآيتان ١٠، ١١] ﴿يَرْجُونَ تَجْرَةً لَّنْ تَكُونُ﴾ [فاطر: الآية ٢٩]، وسماه قرضاً في آيات كثيرة ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقرضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: الآية ٢٤٥] ونحوها من الآيات. فإذا كان الإنسان عاقلاً لبقاً كيساً. يفهم عن الله استعمل رأس هذا المال وحركه تحريكاً سديداً بانتظام على ضوء ما جاء به الرسول ﷺ فإذا اتجر مع الله في ساعات عمره وأيامه ولياليه ودقائقه وثوانيه، نظر في الأوقات التي تتوجه إليه فيها أوامر من السماء من رب العالمين فاشتري نفسه وما عند الله من الجزاء بامثال تلك الأوامر وتلك النواهي، ونظر في الأوقات التي لم تجب فيها أوامر معينة فاستكثر من الخير بحسب استطاعته، وكف أذاه وشره، وكف جوارحه عن معاصي الله، فإذا حرك رأس هذا المال وهي ساعات هذا العمر وأيامه تحريكاً سديداً فيما يرضي الله ربح من رأس هذا المال مجاورة رب غير غضبان، والحدود والجنان، ونعيماً لا ينفد، ومجاورة رب غير غضبان، والنظر إلى وجه الله الكريم، فهذا هو الرابح حقاً، فهي التجارة الربحية، وإذا كان المسكين سفيهاً لا يدري ما قيمة رأس هذا المال الذي عنده كالجاهل الذي يجد الياقوتة فيلقئها في المزبلة لا يلقي لها بالاً، وضيع رأس هذا المال، وضيع أوقاته في قيل وقال، وألعاب وملاهي، وربما كان في معصية الله، حتى انتهى رأس المال والساعات المقررة له، وفاتت الفرصة، وضاع الأوان، جاء الندم حيث لا ينفع الندم، وجُر إلى

القبر وقد ضيع رأس المال، ومن ضيع رأس المال فالتجارة أضيع، وهذا هو الخاسر الخسران المبين تماماً؛ لأن الآخرة دار لا تصلح للفقراء ولا للمفاليس من الحسنات؛ لأنها دار لا إرفاق فيها ولا خلة ولا شفاعة ولا بيع، ليس للإنسان فيها إلا ما قدم، فالمضيع لرأس هذا المال — أيام الدنيا في إمكان الفرصة — هو الخاسر كل الخسران — والعياذ بالله — ولا سيما الذي يضيعها ويفنيها في معاصي الله (جل وعلا) وفي محادة خالقه، ويستعمل نعمه في ما يسخطه ويغضبه (جل وعلا). هذا أحد المثلين اللذين ضربهما العلماء للخسران المذكور بالقرآن.

الثاني: قال بعض العلماء: إنه جاء حديث^(١) عن النبي ﷺ [أن لكل إنسان]^(٢) منزلاً بالجنة ومنزلاً بالنار، فإذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار أطلع أهل الجنة على مساكنهم في النار لو كانوا كفروا وعصوا الله ليزداد بذلك سرورهم وغبطتهم، وعند ذلك يقول الواحد منهم: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف: الآية ٤٣]. ويطلع الكفار على مساكنهم في الجنة لو أنهم أطاعوا الله وآمنوا بالله ورسوله لتزداد ندامتهم وحسرتهم — والعياذ بالله — وبعد ذلك تصير منازل أهل الجنة في النار لأهل النار، ومنازل أهل النار في الجنة لأهل الجنة، ومن استبدل منزله في الجنة بمنزل غيره في النار فصفقته خاسرة كما ترى، قال هذا بعض العلماء. وهذا معنى قوله: ﴿حِطَّتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [التوبة: الآية ٦٩].

(١) مضى تخريجه عند تفسير الآية (٩) من سورة الأعراف.

(٢) في هذا الموضع انقطع التسجيل، وما بين المعقوفتين زيادة يتم بها الكلام.

﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَنْتَهُمْ رُسِلَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [التوبة: الآية ٧٠].

لما قال (جل وعلا): ﴿ كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَكَثَرَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَدًا ﴾ وبين أن الكفار بأنواعهم في زمن النبي ﷺ فعلوا كما فعل كفار الأمم الماضية، وهددهم أن ينزل بهم مثل ما أنزل بهم ذكر بعضاً من تلك الأمم الماضية التي أجملت في قوله: ﴿ كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ ذكر منها أمثلة يكثر ذكرها في القرآن العظيم؛ لأن الرسل كثير منها ذكره الله وقص خبره، وبعضه لم يذكره ولم يقص خبره، وبعض الأمم لا يعلم تاريخه إلا الله وحده؛ لأن الله يقول في الرسل: ﴿ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾ [غافر: الآية ٧٨]، ويقول في الأمم: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ [إبراهيم: الآية ٩].

﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ ﴾ قدمنا قريباً الوجهين المذكورين في ﴿ أَلَمْ ﴾ إذا جاءت مع المضارع. ألم يأت هؤلاء الكفرة الفاعلين مثل ما فعلت الأمم المتقدمة؟ ألم يبلغهم ما فعلنا بهم من النكال والعذاب المستأصل ليكون ذلك رادعاً لهم وزاجراً عن أن يعملوا مثل عملهم؟ ﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾.

﴿النبأ﴾ في لغة العرب أخص من الخبر، فكل نبأ خبر، وليس كل خبر نبأ، لأن العرب لا تكاد تطلق في لغتها النبأ إلا على الخبر

الذي له خطب وشأن^(١)، فالنبا ليس كل خبر يُسمى نبأ، وإنما النبا الخبر الذي له أهمية، وله خطب وشأن، فلو قلت: «جاءنا نبأ الجيوش، وجاءنا نبأ ما وقع من الزلازل والبلايا، أو كذا من الأمور العظام»، لكان ذلك من لغة العرب، ولو قلت: «جاءنا نبأ عن حمار الحجام» لما كان هذا من كلام العرب، لأن هذا لا أهمية له. أي: خبر ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾.

﴿قَوْمِ نُوحٍ﴾ لم يذكر في القرآن اسم قوم نوح إلا بقوله: ﴿قَوْمِ نُوحٍ﴾ وقد بين الله قصة قوم نوح وشرحها في آيات كثيرة من كتابه، ذكر طغيانهم وتمردهم، وشدة عصيانهم لنبي الله، وطول مكثه فيهم وهم لا يزدادون إلا عتواً، فأهلكهم الله هلاكاً مستأصلاً، وهذا ذكره الله في آيات كثيرة مشهورة، كقوله: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً﴾ [الفرقان: الآية ٣٧]. وكقوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: الآية ١٤]. وكقوله: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ﴾ ① فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ② وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ③ [القمر: الآيات ١٠ - ١٢]. والآيات بمثل ذلك كثيرة، وقد بين تعالى في سورة نوح شدة عناد قومه، وشدة معالجه لهم وصبره عليهم في قوله: ﴿رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لِنِيلَا وَنَهَارًا﴾ ④ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا ⑤ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَعَهُمْ فِيءَ إِذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ⑥ إلى آخر الآيات [نوح: الآيات ٥ - ٧]. حتى دعا عليهم نبي الله نوح،

(١) مضى عند تفسير الآية (٨٩) من سورة الأنعام.

وطلب ربه والتجأ إليه في أهلاكهم فأهلكهم ﴿ وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوحًا فَلَنِعَمَ الْمُجِيبُونَ ﴾ [الصافات: الآية ٧٥]، ﴿ فَجَعَلْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴾ [الشعراء: الآية ١٧٠] ونحوها من الآيات، وقد قال نوح: ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾ [نوح: الآية ٢٦]، وما دعا عليهم نوح حتى أوحى الله إليه أنه لا يؤمن منهم أحد، وأن الأمل في الخير منهم انقطع في قوله: ﴿ وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ ﴾ [هود: الآية ٣٦] فعند ذلك دعا عليهم.

﴿ وَقَوَّيْ إِِبْرَاهِيمَ ﴾ أرسل إبراهيم إلى نمرود وقومه في سواد العراق، وقد صرح الله بأنه أرسل إبراهيم كما صرح بذلك في قوله: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النَّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ﴾ [الحديد: الآية ٢٦]، وذكر الله تفاصيل قصته مع قومه في آيات كثيرة، وبين أنه جاء إلى قوم يدعوهم إلى التوحيد في سورة العنكبوت في قوله مصحوباً بقصة نوح: ﴿ فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ [العنكبوت: الآية ١٤، ١٥]، ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ ﴾ أي: وأرسلنا إبراهيم ﴿ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [النبا: الآية ١١] ﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَثْنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ﴾ إلى قوله: ﴿ فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ ﴾ [العنكبوت: الآية ١٦ - ٢٤] وقد أمر الله نبيه أن يتلو على هذه الأمة قصة إبراهيم مع قومه في سورة الشعراء في قوله: ﴿ وَأَنْتَ عَلَيْهِمْ نَبَأُ إِبْرَاهِيمَ ﴾ [الشعراء: الآية ٦٩] ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ [الشعراء: الآية ٧٠] ﴿ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَّلُهَا عَلَكَيْنِ ﴾ [الشعراء: الآية ٧١] ﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ ﴾ [الشعراء: الآية ٧٢] ﴿ أَوْ يَنْفَعُونَكَ أَوْ يَضُرُّونَ ﴾ [الشعراء: الآية ٧٣] ﴿ قَالُوا بَلْ

وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ وِءَابَاؤُكُمْ
الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ ﴿الشعراء: الآيات ٦٩ -
٧٧﴾، وقال: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ
قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا
عِبَادِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنْتُمْ وِءَابَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا
بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ ﴿٥٥﴾ . . . إلى قوله: ﴿ قُلْنَا يَنْتَارُ كُوفِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى
إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الأنبياء: الآيات
٥١ - ٧٠]، وهؤلاء قوم إبراهيم كذبوه وأهلكهم الله (جل وعلا) قال
بعض العلماء: أشار الله إلى إهلاكهم في سورة النحل بقوله: ﴿ فَخَرَّ
عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَنَّهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [النحل: الآية ٢٦] كما سيأتي بيانه في سورة النحل - إن شاء الله
تعالى - .

وقوله: ﴿ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ ﴾ هم قوم شعيب، واعلم أن
العلماء اختلفوا في أصحاب مدين هل هم أصحاب الأيكة؟ وعليه
فشعيب أرسل لأمة واحدة، أو أصحاب مدين غير أصحاب الظلة؟
فيكون شعيب أرسل إلى أمتين^(١) .

﴿ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ ﴾ بين الله تمردهم وكذبهم، ونقصهم في
المكيال والميزان، وتمردهم على شعيب، وقولهم له: ﴿ لَنُخْرِجَنَّكَ
يَشْعَبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾ [الأعراف:
الآية ٨٨] وبين طغيانهم وكفرهم، وقطعهم للطريق، ونقصهم
المكيال والميزان في آيات كثيرة من كتاب الله، وبين مصيرهم

(١) مضى عند تفسير الآية (٨٥) من سورة الأعراف.

في آيات، كقوله في سورة هود فيهم: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا
وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾ وهم مدين بلا
نزاع ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيارِهِمْ جِثِيمٍ﴾ [هود: الآيتان ٩٤، ٩٥] والآيات في مثل هذا
معروفة، وهذا معنى قوله: ﴿وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ﴾.

﴿وَالْمُؤْتَفِكَاتِ﴾ المؤتفكات: هي قرى قوم لوط، وهي
المذكورة في قوله: ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى﴾ [النجم: الآية ٥٣] وقد
قدمنا^(١) أن (الأفك) في لغة العرب معناه قلب الشيء، وسُمي أسوأ
الكذب إفكاً لأنه قلب للحقيقة عن وجهها الصحيح إلى وجهها
الباطل، وإنما قيل لقرى قومه ﴿الْمُؤْتَفِكَاتِ﴾ وسُميت (المؤتفكة)
لأن جبريل - عليه السلام - أفكها أي قلبها حيث اقتلعها من الأرض
ورفعها إلى السماء، وجعل أعلاها أسفلها، فمعنى اتفأكها أوضحه
الله بقوله: ﴿فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا﴾ [الحجر: الآية ٧٤] فما جعل عاليه
سافله فقد أفك ﴿وَالْمُؤْتَفِكَاتِ﴾ أي: المجعل أعلاها أسفلها؛
لأن الملك قلبها، كما صرح به بقوله: ﴿فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا﴾ وهذا
معنى قوله: ﴿وَالْمُؤْتَفِكَاتِ﴾.

﴿أَنَّهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ ورسلم معروفون، فكذبوا الرسل
فأهلكهم الله ودمرهم بالإهلاك المستأصل، وعذبهم في الآخرة.

﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ هذه اللام هي التي يسميها علماء
العربية (لام الجحود)، وهي بعد الكون المنفي خاصة، والمضارع

(١) راجع تفسير الآية (٨٠، ١١٧) من سورة الأعراف، والآية (٥٤) من سورة
الأنفال، والآية (٣٠) من سورة التوبة.

بعدها منصوب بـ (أن) مضمرة^(١)، يعني: ما كان الله مريداً لأن يظلمهم، أو مقدرأ لأن يظلمهم، أو نحو ذلك.

﴿ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [التوبة: الآية ٧٠] لأن الله لا يظلم مثقال ذرة ﴿ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَعِفَهَا ﴾ [النساء: الآية ٤٠]، ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [يونس: الآية ٤٤]، ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِّنْ حَرْدَلٍ ﴾، وفي القراءة الأخرى^(٢): ﴿ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ حَرْدَلٍ ﴾ ﴿ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَسِيبًا ﴾ [الأنبياء: الآية ٤٧]، وهذا معنى قوله: ﴿ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾^(٣).

* * *

(١) انظر: مغني اللبيب (١/١٧٧)، معجم الإعراب والإملاء ص ٣٥٤.

(٢) انظر: المبسوط لابن مهران ص ٣٠٢.

(٣) هذا آخر ما وُجد من دروس التفسير المسجلة، والحمد لله رب العالمين.

obeikandi.com

ثبت مصادر التعليق

- ١ - الأحاد والمثاني: ابن أبي عاصم. تحقيق: باسم الجوابرة. ط: دار الراية، الرياض، الطبعة الأولى، (١٤١١هـ).
- ٢ - آداب البحث والمناظرة: محمد الأمين الشنقيطي. ط: شركة المدينة للطباعة والنشر، جدة.
- ٣ - آداب الزفاف في السنة المطهرة: محمد ناصر الدين الألباني. المكتبة الإسلامية، الأردن - عمان، الطبعة الأولى، (١٤٠٩هـ).
- ٤ - الآداب الشرعية والمنح المرعية: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن مفلح المقدسي الحنبلي. ط: مؤسسة قرطبة، القاهرة.
- ٥ - الآيات البيّنات: أحمد بن قاسم العبادي الشافعي. تحقيق: زكريا عميرات. ط: دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٦ - الأباطيل والمناكير والصحاح والمشاهير: الحسين بن إبراهيم الجوزقاني. تحقيق: عبد الرحمن الفيرواني. ط: المطبعة السلفية بنارس. الناشر: إدارة البحوث الإسلامية، بالجامعة السلفية بنارس؛ الطبعة الأولى، (١٤٠٣هـ).
- ٧ - الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة: عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري. تحقيق: رضا نعيان معطي، دار الراية، الرياض، الطبعة الأولى، (١٤٠٩هـ).

- ٨ - إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراف الساعة: حمود بن عبد الله التويجري. دار الصميعي، الرياض، الطبعة الأولى، (١٤١٤هـ).
- ٩ - إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر: أحمد بن محمد البنا. تحقيق: شعبان محمد إسماعيل، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٠٧هـ).
- ١٠ - إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة: أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني. ط: مجمع الملك فهد ومركز خدمة السنة والسيرة النبوية بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى، (١٤١٥هـ).
- ١١ - الإتيان في علوم القرآن: جلال الدين السيوطي. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. ط: المكتبة العصرية، بيروت، (١٤٠٧هـ).
- ١٢ - أثر الاختلاف في القواعد الأصولية في اختلاف الفقهاء: مصطفى سعيد الخن. ط: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، بيروت، (١٤٠٢هـ).
- ١٣ - الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة: بدر الدين الزركشي. تحقيق: سعيد الأفغاني. ط: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، (١٤٠٠هـ).
- ١٤ - الأحاديث المختارة: ضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي. تحقيق: عبد الملك بن دهيش. ط: مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، (١٤١١هـ).
- ١٥ - الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر: حمود بن عبد الله التويجري. ط: مكتبة دار العليان، بريدة، الطبعة الثانية، (١٤٠٦هـ).
- ١٦ - الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان: علاء الدين علي بن بلبان الفارسي. قدم له وضبط نصه: كمال يوسف الحوت. ط: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، (١٤٠٧هـ).

- ١٧ - أحكام أهل الذمة: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية. تحقيق: صبحي الصالح. ط: دار العلم للملايين، الطبعة الثالثة، بيروت، (١٩٨٣م).
- ١٨ - أحكام الجنائز وبدعها: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، (١٤١٢هـ).
- ١٩ - أحكام الفصول في أحكام الأصول: أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي. تحقيق: عبد الله محمد الجبوري. ط: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، بيروت، (١٤٠٩هـ).
- ٢٠ - الإحكام في أصول الأحكام: أبو محمد علي بن حزم الأندلسي الظاهري. تحقيق: أحمد شاكر. مطبعة العاصمة، القاهرة.
- ٢١ - أحكام القرآن: محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي. تحقيق: علي محمد البجاوي. ط: دار المعرفة، لبنان.
- ٢٢ - أدب الكاتب: عبد الله بن مسلم بن قتيبة. تحقيق: محمد الدالي. ط: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، (١٤٠٥هـ).
- ٢٣ - الأدب المفرد: محمد بن إسماعيل البخاري. ترتيب: كمال يوسف الحوت. ط: عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٠٤هـ).
- ٢٤ - الأذكار: يحيى بن شرف النووي. تحقيق: بشر بن محمد بن عيون. ط: مكتبة المؤيد، الطائف، الطبعة الأولى، (١٤٠٨هـ).
- ٢٥ - إرشاد طلاب الحقائق إلى معرفة سنن خير الخلائق: يحيى بن شرف النووي. تحقيق: عبد الباري السلفي. ط: مكتبة الإيمان، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، (١٤٠٨هـ).
- ٢٦ - إرواء الغليل: محمد ناصر الدين الألباني. ط: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، (١٣٩٩هـ).

٢٧ - أسباب النزول: أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري. تحقيق: عصام الحميدان. دار الإصلاح، الدمام، الطبعة الأولى، (١٤١١هـ).

٢٨ - أسباب النزول: جلال الدين السيوطي. ط: دار ابن قتيبة، دمشق، الطبعة الأولى، (١٤٠٧هـ).

٢٩ - الاستذكار: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر. تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي. ط: دار قتيبة للطباعة والنشر ودار الوعي، القاهرة، الطبعة الأولى، (١٤١٣هـ).

٣٠ - الاستيعاب في معرفة الأصحاب: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر. ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، (١٣٢٨هـ).

٣١ - أسد الغابة في معرفة الصحابة: عز الدين بن الأثير. تحقيق: محمد إبراهيم البناء، محمد أحمد عاشور. ط: دار الشعب.

٣٢ - أسرار البلاغة في علم البيان: عبد القاهر الجرجاني. تحقيق: محمد رشيد رضا. ط: دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى، (١٤٠٩هـ).

٣٣ - الأسماء والصفات: البيهقي. ط: دار الكتب العلمية، لبنان.

٣٤ - أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب: محمد درويش الحوت. دار الكتاب العربي، بيروت، (١٤٠٣هـ).

٣٥ - الأشباه والنظائر: جلال الدين السيوطي. تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد. ط: مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، (١٣٩٥هـ).

٣٦ - أشراف الساعة: يوسف بن عبد الله الوابل. ط: دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى، (١٤٠٩هـ).

- ٣٧ - الإصابة في تمييز الصحابة: أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر. ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، (١٣٢٨هـ).
- ٣٨ - إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم: الحسين بن محمد الدامغاني. تحقيق: عبد العزيز سيد الأهل. ط: دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة، بيروت، (١٩٨٥م).
- ٣٩ - الأصنام: هشام بن محمد الكلبي. تحقيق: أحمد زكي. مصورة عن طبعة دار الكتب سنة (١٣٤٣هـ). الناشر: الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة.
- ٤٠ - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، عالم الكتب، بيروت.
- ٤١ - الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي. صححه: أحمد محمد مرسى. ط: المطبعة العربية، باكستان.
- ٤٢ - الأعلام: خير الدين الزركلي. دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة، (١٩٨٠م).
- ٤٣ - إعلام الساجد بأحكام المساجد: محمد بن عبد الله الزركشي. تحقيق: مصطفى المراغي. الطبعة الثانية، (١٤٠٣هـ).
- ٤٤ - إعلام الموقعين عن رب العالمين: شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية. تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، (١٩٧٣م).
- ٤٥ - أعلام النساء: عمر رضا كحالة. ط: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، (١٣٩٧هـ).
- ٤٦ - الأغاني: عبد الستار أحمد فراج. ط: دار الثقافة، بيروت.

- ٤٧ - الاقتصاد في الاعتقاد: الغزالي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٠٣هـ).
- ٤٨ - اقتضاء الصراط المستقيم: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية. تحقيق: ناصر العقل. توزيع: وزارة الشؤون الإسلامية. الطبعة السابعة، (١٤١٩هـ).
- ٤٩ - الإقناع في القراءات السبع: أبو جعفر أحمد بن علي ابن الباذش. تحقيق: عبد المجيد قطامش. ط: دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، (١٤٠٣هـ).
- ٥٠ - الإكسير في علم التفسير: سليمان بن عبد القوي الصرصري البغدادي. تحقيق: عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، القاهرة.
- ٥١ - إكمال الإعلام بتلخيص الكلام: محمد بن عبد الله بن مالك الجياني. تحقيق: سعد بن حمدان الغامدي. ط: مكتبة المدني، الطبعة الأولى، جدة، (١٤٠٤هـ).
- ٥٢ - إكمال إكمال المعلم: أبو عبد الله الأبي. ط: مكتبة طبرية، الرياض.
- ٥٣ - ألفية ابن مالك (الخلاصة): محمد بن عبد الله بن مالك. ط: دار طيبة للنشر، الطبعة الثانية، (١٤٠٩هـ).
- ٥٤ - الأم: محمد إدريس الشافعي. ط: دار المعرفة، لبنان.
- ٥٥ - الأمالي: أبو علي القالي. ط: دار الكتاب العربي، لبنان.
- ٥٦ - الأمثال: أبو عبيد القاسم بن سلام. تحقيق: عبد المجيد قطامش. ط: دار المأمون، دمشق، الطبعة الأولى، (١٤٠٠هـ).
- ٥٧ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصوله وضوابطه وآدابه: خالد بن عثمان السبت. ط: المنتدى الإسلامي، الطبعة الأولى، لندن، (١٤١٥هـ).

- ٥٨ - الأموال: أبو عبيد القاسم بن سلام. تحقيق: محمد خليل هراس. ط: مكتبة الكليات الأزهرية، الطبعة الثالثة، (١٤٠١هـ).
- ٥٩ - الأنساب: عبد الكريم بن محمد السمعاني. تحقيق: عبد الله البارودي. ط: الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٠٨هـ).
- ٦٠ - الإنصاف: علاء الدين أبو الحسن بن سليمان المرداوي. تحقيق: محمد حامد الفقي. ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، (١٣٧٦هـ).
- ٦١ - أهل الفترة ومن في حكمهم: موفق أحمد شكري. ط: مؤسسة علوم القرآن، عجمان، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى، (١٤٠٩هـ).
- ٦٢ - الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف: محمد بن إبراهيم بن المنذر. ط: دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى، (١٤٠٥هـ).
- ٦٣ - إثبات الحق على الخلق: أبو عبد الله محمد بن المرتضى اليماني. ط: دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٦٤ - الإيضاح في علوم البلاغة: الخطيب القزويني. ط: الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٠٥هـ).
- ٦٥ - الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه: مكّي بن أبي طالب القيسي. تحقيق: أحمد حسن فرحات. ط: دار المنارة، جدة، الطبعة الأولى، (١٤٠٦هـ).
- ٦٦ - إيضاح المبهم من معاني السلم: أحمد بن عبد المنعم الدمنهوري. تحقيق: عبد الجليل العطا البكري. ط: مكتبة البيروتي، دمشق، الطبعة الأولى، (١٤١٣هـ).
- ٦٧ - الإيمان: أبو بكر عبد الله محمد بن أبي شيبة. تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني. ط: دار الأرقم، الكويت.

- ٦٨ - الإيمان: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية. ط: المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، (١٤٠١هـ).
- ٦٩ - الإيمان: محمد بن إسحاق بن يحيى بن منده. تحقيق: علي بن ناصر الفقيهي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، (١٤٠٦هـ).
- ٧٠ - الإيمان: محمد بن يحيى العدني. تحقيق: حمد الحربي. ط: الدار السلفية، الكويت، الطبعة الأولى، (١٤٠٧هـ).
- ٧١ - الإيمان الأوسط: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية. توزيع: مكتبة الفرقان ومكتبة الإيمان.
- ٧٢ - الإيمان ومعالمه وسننه: أبو عبيد القاسم بن سلام. تحقيق: الألباني. مطبعة المدني، مصر.
- ٧٣ - البحر المحيط: محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي الغرناطي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، الطبعة الثانية، (١٤١٣هـ).
- ٧٤ - البحر المحيط في أصول الفقه: بدر الدين محمد بن بهادر الشافعي الزركشي. تحقيق: عبد الستار أبو غدة. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، الطبعة الثانية، (١٤١٣هـ).
- ٧٥ - بدائع الصنائع: لأبي بكر بن مسعود الكاساني. ط: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، (١٤٠٢هـ).
- ٧٦ - بدائع الفوائد: شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية. دار الفكر، بيروت.
- ٧٧ - البداية والنهاية: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير. مكتبة المعارف، بيروت، الطبعة الرابعة، (١٤٠١هـ).
- ٧٨ - البدع والنهي عنها: محمد بن وضّاح القرطبي. تحقيق: محمد أحمد دهمان. دار الصفا، القاهرة، الطبعة الأولى، (١٤١١هـ).

٧٩ - البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة: عبد الفتاح بن عبد الغني القاضي. ط: مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، (١٤٠٤هـ).

٨٠ - البرهان في أصول الفقه: أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني. تحقيق: عبد العظيم محمود الديب. ط: دار الوفاء للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة، المنصورة، (١٤١٢هـ).

٨١ - البرهان في توجيه متشابه القرآن: محمود بن حمزة الكرمانى. تحقيق: عبد القادر عطا. ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٠٦هـ).

٨٢ - البرهان في علوم القرآن: محمد عبد الله الزركشي. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. ط: دار المعرفة، لبنان، الطبعة الثانية، (١٣٩١هـ).

٨٣ - بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي. تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت.

٨٤ - بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب: محمود شكري الألوسي. تحقيق: محمد الأثري. ط: دار الكتب العلمية، لبنان.

٨٥ - بلوغ المرام من أدلة الأحكام: ابن حجر العسقلاني. تحقيق: محمد حامد الفقي. ط: دار الكتب العلمية، لبنان.

٨٦ - البهجة في شرح التحفة: أبو الحسن علي بن عبد السلام التسولي. ط: مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية، (١٣٧٠هـ). وكذا: طبعة دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثالثة، (١٣٩٧هـ).

- ٨٧ - بهجة المجالس وأنس المجالس: أبو عمرو يوسف بن عبد البر. تحقيق: محمد مرسي الخولي. ط: دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٨٨ - البيان والتبيين: أبو عثمان الجاحظ. تحقيق: عبد السلام هارون. ط: دار الجيل، بيروت.
- ٨٩ - تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الزبيدي. دار مكتبة الحياة، بيروت.
- ٩٠ - تاريخ الأمم والملوك: ابن جرير الطبري. ط: دار الفكر، (١٣٩٩هـ).
- ٩١ - تاريخ بغداد: أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي. ط: دار الكتاب العربي، بيروت.
- ٩٢ - التاريخ الكبير: إسماعيل بن إبراهيم البخاري. ط: دار الكتب العلمية، لبنان.
- ٩٣ - تأويل مشكل القرآن: ابن قتيبة. تحقيق: السيد أحمد صقر. المكتبة العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، (١٤٠١هـ).
- ٩٤ - التبصرة في أصول الفقه: إبراهيم بن علي الشيرازي. تحقيق: محمد حسن هيتو. ط: دار الفكر، دمشق، (١٤٠٠هـ).
- ٩٥ - التبيان في أقسام القرآن: شمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية. صححه وعلق عليه: محمد حامد الفقي. ط: دار المعرفة، بيروت.
- ٩٦ - التبيان في شرح الديوان: أبو البقاء العكبري. تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الأنباري، وعبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة، بيروت.
- ٩٧ - التحرير والتنوير: محمد الطاهر ابن عاشور. ط: الدار التونسية للنشر.
- ٩٨ - تحفة المحتاج إلى أدلة المنهاج: عمر بن علي المعروف بابن الملقن. تحقيق: عبد الله بن سعاف اللحياني. ط: دار حراء للنشر، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، (١٤٠٦هـ).

- ٩٩ - تخريج الأحاديث الضعاف من سنن الدارقطني: أبو محمد عبد الله بن يحيى الغساني. تحقيق: أشرف بن عبد المقصود بن عبد الرحيم. ط: دار عالم الكتب، الرياض، الطبعة الأولى، (١٤١١هـ).
- ١٠٠ - تخريج أحاديث متقدمة في كتاب التوحيد: فريح بن صالح البهلال. دار الأثر، الرياض، الطبعة الأولى، (١٤١٥هـ).
- ١٠١ - تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري: أبو محمد عبد الله بن يوسف الزيلعي. تحقيق: سلطان بن فهد الطبيشي. ط: دار ابن خزيمة، الرياض، الطبعة الأولى، (١٤١٤هـ).
- ١٠٢ - تخلص الشواهد وتلخيص الفوائد: عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري. تحقيق: عباس مصطفى الصالحي. ط: دار الكتاب العربي، لبنان، الطبعة الأولى، (١٤٠٦هـ).
- ١٠٣ - تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي. تحقيق: عبد الوهاب بن عبد اللطيف. ط: المكتبة السلفية.
- ١٠٤ - تذكرة الأريب في تفسير الغريب: أبو الفرج ابن الجوزي. تحقيق: علي حسين البواب. ط: مكتبة المعارف، الطبعة الأولى، الرياض، (١٤٠٧هـ).
- ١٠٥ - التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة: محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي. ط: دار الفكر، لبنان.
- ١٠٦ - التراتيب الإدارية: عبد الحي الكتاني. ط: دار الكتاب العربي، بيروت.
- ١٠٧ - تسهيل المنطق: عبد الكريم بن مراد الأثري. ط: سجل العرب، الطبعة الثانية، (١٩٨٤م).

- ١٠٨ - التعريفات: علي بن محمد الجرجاني. تحقيق: عبد الرحمن عميرة. ط: عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٠٧هـ).
- ١٠٩ - تعظيم قدر الصلاة: محمد بن نصر المروزي. تحقيق: عبد الرحمن الفيروزآبادي، مكتبة الدار، المدينة النبوية، الطبعة الأولى، (١٤٠٦هـ).
- ١١٠ - تغليق التعليق على صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. تحقيق: سعيد عبد الرحمن موسى القزقي. ط: المكتب الإسلامي، بيروت، دار عمار، الأردن، الطبعة الأولى، (١٤٠٥هـ).
- ١١١ - تفسير سورة النور: محمد الأمين بن محمد الشنقيطي. عناية: عبد الله بن أحمد الأهدل. ط: دار المجتمع للنشر، جدة، الطبعة الأولى، (١٤١٠هـ).
- ١١٢ - التفسير الصحيح: حكمت بشير. ط: دار المآثر، المدينة النبوية، الطبعة الأولى، (١٤٢٠هـ).
- ١١٣ - تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن أبي حاتم): عبد الرحمن بن محمد ابن إدريس (ابن أبي حاتم). تحقيق: أسعد محمد الطيب. ط: مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، (١٤١٧هـ).
- ١١٤ - تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير. ط: دار المعرفة، بيروت، (١٤٠٢هـ).
- ١١٥ - تفسير مبهمات القرآن: أبو عبد الله محمد بن علي البنسي. تحقيق: حنيف بن حسن القاسمي. ط: دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، (١٤١١هـ).
- ١١٦ - تفسير المشكل من غريب القرآن: مكّي بن أبي طالب القيسي. تحقيق: علي حسين البواب. ط: مكتبة المعارف، الرياض، (١٤٠٦هـ).

١١٧ - تفسير المنار: محمد رشيد رضا. دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية.

١١٨ - تفسير النصوص في الفقه الإسلامي: محمد أديب صالح. ط: المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، بيروت، (١٤٠٤هـ).

١١٩ - تقريب التهذيب: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. تحقيق: صغير أحمد شاغف الباكستاني. ط: دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، (١٤١٦هـ).

١٢٠ - التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير: أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر. تحقيق: عبد الله هاشم اليماني المدني.

١٢١ - تلخيص كتاب الاستغاثة: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية. ط: الدار العلمية، الهند، الطبعة الثانية، (١٤٠٥هـ).

١٢٢ - التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي. تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد بن عبد الكبير البكري. ط: المملكة المغربية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الطبعة الثانية، (١٤٠٢هـ).

١٢٣ - تنقيح التحقيق في أحاديث التعليق: محمد بن أحمد بن عبد الهادي الحنبلي. تحقيق: عامر حسن صبري. ط: المكتبة الحديثية، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، (١٤٠٩هـ).

١٢٤ - التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني. ط: حديث أكاديمي، فيصل آباد، باكستان، الطبعة الأولى، (١٤٠١هـ).

١٢٥ - تهذيب الأسماء واللغات: أبو زكريا محيي الدين بن شرف النووي. ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

- ١٢٦ - تهذيب التهذيب: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٠٤هـ).
- ١٢٧ - تهذيب سنن أبي داود: ابن القيم الجوزية. تعليق: محمد حامد الفقي. ط: دار المعرفة، بيروت، (١٤٠٠هـ).
- ١٢٨ - تهذيب الكمال في أسماء الرجال: أبو الحجاج يوسف المزي. تحقيق: بشار عواد معروف. ط: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، (١٤٠٣هـ).
- ١٢٩ - تهذيب اللغة: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. دار القومية العربية للطباعة، (١٣٨٤هـ).
- ١٣٠ - توضيح النحو: عبد العزيز محمد فاخر.
- ١٣١ - التوضيح والتكميل لشرح ابن عقيل: محمد بن عبد العزيز النجار، الطبعة الثانية، (١٣٩٩هـ).
- ١٣٢ - تيسير التحرير: محمد أمين المعروف بأمير بادشاه. ط: دار الكتب العلمية، لبنان. الناشر: دار الباز، مكة المكرمة.
- ١٣٣ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر السعدي. ط: المطبعة السلفية.
- ١٣٤ - جامع الأصول في أحاديث الرسول: المبارك بن محمد بن الأثير الجزري. تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط. ط: دار الفكر، الطبعة الثانية، بيروت، (١٤٠٣هـ).
- ١٣٥ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري. تحقيق: محمود وأحمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، ومكتبة البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثالثة، (١٣٨٨هـ).

- ١٣٦ - جامع بيان العلم وفضله: أبو عمر يوسف بن عبد البر. تحقيق: أبو الأشبال الزهيري. دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى، (١٤١٤هـ).
- ١٣٧ - جامع التحصيل في أحكام المراسيل: خليل العلائي. تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي. ط: الدار العربية، الطبعة الأولى، (١٣٩٨هـ).
- ١٣٨ - جامع التفسير من كتب الأحاديث: أشرف على إخراجه: خالد آل عقدة. ط: دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى، (١٤٢١هـ).
- ١٣٩ - جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم: أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين بن رجب الحنبلي. تحقيق: طارق عوض الله، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى، (١٤١٥هـ).
- ١٤٠ - الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (١٩٦٥م).
- ١٤١ - الجامع لشعب الإيمان: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي. تحقيق: مختار أحمد الندوي. الدار السلفية، بومباي، الطبعة الأولى، (١٤١٦هـ).
- ١٤٢ - الجدل على طريقة الفقهاء: أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي الحنبلي. الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، مصر.
- ١٤٣ - الجهل بمسائل الاعتقاد وحكمه: عبد الرزاق بن طاهر بن أحمد معاش. ط: دار الوطن، الطبعة الأولى، الرياض، (١٤١٧هـ).
- ١٤٤ - الجواب الواضح المستقيم في التحقيق في كيفية إنزال القرآن الكريم: محمد بن إبراهيم آل الشيخ. مطبعة الحكومة، مكة المكرمة، (١٣٦٩هـ).

- ١٤٥ - جواهر البلاغة في المعاني والبيان البديع: السيد أحمد الهاشمي. ط: دار الكتب، بيروت.
- ١٤٦ - حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية الزرعي الدمشقي، دار الفكر، بيروت.
- ١٤٧ - حاشية البناني على جمع الجوامع: ط: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة الثانية، (١٣٥٦هـ).
- ١٤٨ - حاشية الروض المربع: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم. ط: المطابع الأهلية، الرياض، الطبعة الثانية، (١٤٠٣هـ).
- ١٤٩ - حاشية محمد علي الصبان على شرح علي بن محمد الأشموني لألفية ابن مالك. دار الفكر، بيروت.
- ١٥٠ - الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة: إسماعيل بن محمد بن الفضل الأصبهاني. تحقيق: محمد بن ربيع. دار الراية، الرياض، الطبعة الأولى، (١٤١١هـ).
- ١٥١ - حجة القراءات: أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة. تحقيق: سعيد الأفغاني. مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الرابعة، (١٤٠٤هـ).
- ١٥٢ - حجب القرآن: أحمد بن محمد الرازي. ط: دار الرائد العربي، بيروت، الطبعة الثانية، (١٤٠٢هـ).
- ١٥٣ - الحروف العاملة في القرآن الكريم بين النحويين والبلاغيين: هادي عطية مطر الهلالي. ط: عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٠٦هـ).
- ١٥٤ - حصول الأجر في أحكام وفضائل العمل في أيام العشر: سعود الخماس. ط: دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى، (١٤٢١هـ).

- ١٥٥ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني. ط: دار الكتب العلمية، بيروت.
- ١٥٦ - حلية الفقهاء: أبو الحسين أحمد بن فارس. تحقيق: عبد الله التركي. ط: الشركة المتحدة، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٠٣هـ).
- ١٥٧ - الحماسة: الوليد بن عبيد البحتري. ط: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، (١٣٨٧هـ).
- ١٥٨ - حياة الحيوان الكبرى: كمال الدين الدميري. المكتبة الإسلامية، بيروت.
- ١٥٩ - الحيوان: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. ط: مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية.
- ١٦٠ - خزنة الأدب ولب لباب لسان العرب: عبد القادر بن عمر البغدادي. ط: دار صادر، بيروت.
- ١٦١ - الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني. تحقيق: محمد علي النجار. دار الكتاب العربي، بيروت.
- ١٦٢ - الخصائص الكبرى: جلال الدين السيوطي. تحقيق: محمد خليل الهراس. مطبعة المدين، مصر، دار الكتب الحديثة، مصر.
- ١٦٣ - خلاصة البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير: سراج الدين عمر بن علي بن الملقن. تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي. مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، (١٤١٠هـ).
- ١٦٤ - درء تعارض العقل والنقل: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية. تحقيق: محمد رشاد سالم. ط: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، (١٣٩٩هـ).

١٦٥ - الدراية في تخريج أحاديث الهداية: أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر. تحقيق: عبد الله هاشم اليماني المدني. ط: دار المعرفة، بيروت.

١٦٦ - درة التنزيل وغرة التأويل: محمد بن عبد الله الإسكافي. ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤١٦هـ).

١٦٧ - الدرر المنتشرة في الأحاديث المشتهرة: جلال الدين السيوطي. تحقيق: خليل محيي الدين الميس، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٠٤هـ).

١٦٨ - الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي. تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤١٤هـ).

١٦٩ - الدر المنثور في التفسير بالمأثور: جلال الدين السيوطي، دار المعرفة، بيروت.

١٧٠ - الدعاء المأثور وآدابه وما يجب على الداعي اتباعه واجتنابه: أبو بكر الطرطوشي الأندلسي. تحقيق: محمد رضوان الداية. ط: دار الفكر، لبنان، الطبعة الأولى، (١٤٠٩هـ).

١٧١ - دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب: محمد الأمين الشنقيطي (مطبوع في آخر أضواء البيان).

١٧٢ - دلائل النبوة: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي. تحقيق: عبد المعطي قلعجي. ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٠٥هـ).

١٧٣ - ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس: تحقيق: مهدي محمد ناصر الدين. دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٠٧هـ).

- ١٧٤ - ديوان الأقيشر الأسدي: تحقيق: محمد علي دقه. ط: دار صادر، الطبعة الأولى، (١٩٩٧م).
- ١٧٥ - ديوان امرىء القيس: تحقيق: مصطفى عبد الشافي. دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٠٣هـ).
- ١٧٦ - ديوان أوس بن حجر: شرح محمد بن يوسف نجم. الطبعة الثالثة، (١٣٩٩هـ).
- ١٧٧ - ديوان البحري: ط: دار بيروت للطباعة والنشر، (١٤٠٨هـ).
- ١٧٨ - ديوان بشار بن برد: شرح وتكميل محمد الطاهر بن عاشور. ط: لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، (١٣٨٦هـ).
- ١٧٩ - ديوان تأبط شرأ: تحقيق: طلال حرب. ط: دار صادر، الطبعة الأولى، (١٩٩٦م).
- ١٨٠ - ديوان حاتم الطائي: شرحه: أحمد رشاد. ط: دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى، (١٤٠٦هـ).
- ١٨١ - ديوان حسان بن ثابت: تحقيق: عبد الأمير مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٠٦هـ).
- ١٨٢ - ديوان الحطيئة برواية وشرح ابن السكيت: تحقيق: نعمان محمد أمين طه. ط: مطبعة المدني، القاهرة، الطبعة الأولى، (١٤٠٧هـ). وكذا: بشرح أبي سعيد السكري. ط: دار صادر.
- ١٨٣ - ديوان حميد بن ثور الهلالي: صنعه: عبد العزيز الميمني. ط: دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، (١٣٧١هـ).
- ١٨٤ - ديوان ابن دريد: تحقيق: عمر بن سالم. ط: الدار التونسية، (١٩٧٣م).
- ١٨٥ - ديوان أبي دلالة الأسدي: إعداد: رشدي علي حسن. ط: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، بيروت، (١٤٠٦هـ).

- ١٨٦ - ديوان الراعي النميري: شرح واضح الصمد. ط: دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤١٦هـ).
- ١٨٧ - ديوان ابن الرومي: شرح وتحقيق: عبد الأمير علي مهنا. ط: دار مكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤١١هـ).
- ١٨٨ - ديوان ابن الرومي: تحقيق: حسين نصار.
- ١٨٩ - ديوان زهير بن أبي سلمى: ط: دار صادر.
- ١٩٠ - ديوان شعر ذي الرمة: تعليق: زهير فتح الله. ط: دار صادر، الطبعة الأولى، (١٩٩٥م).
- ١٩١ - ديوان الشنفرى: ط: دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، (١٩٩٦م).
- ١٩٢ - ديوان طرفة بن العبد: تحقيق: درية الخطيب. مطبوعات مجمع اللغة العربية، مطبعة دار الكتاب، (١٣٩٥هـ).
- ١٩٣ - ديوان الطرماح: تحقيق: عزة حسن. ط: دار الشرق العربي، بيروت، الطبعة الثانية، (١٤١٤هـ).
- ١٩٤ - ديوان العباس بن مرداس: تحقيق: يحيى الجبوري. مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، (١٤١٢هـ).
- ١٩٥ - ديوان عبيد بن الأبرص: تحقيق: حسين نصار، القاهرة، الطبعة الأولى، (١٣٧٧هـ).
- ١٩٦ - ديوان عروة بن حزام: تحقيق: أنطوان محسن القوال، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤١٦هـ).
- ١٩٧ - ديوان علقمة بن عبدة: شرح: سعيد نسيب مكارم. ط: دار صادر، الطبعة الأولى، (١٩٩٦م).
- ١٩٨ - ديوان علي بن أبي طالب: جمعه: حسين الأعلمي. الناشر: مؤسسة النور للمطبوعات، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤١٩هـ).

- ١٩٩ - ديوان عمر بن أبي ربيعة: ط: الهيئة المصرية العامة، (١٩٧٨م).
وكذا: ط: دار صادر، الطبعة الأولى، (١٤١٢هـ).
- ٢٠٠ - ديوان أبي فراس: ط: دار صادر، الطبعة الأولى، (١٤١٢هـ).
- ٢٠١ - ديوان قيس بن الخطيم: تحقيق: ناصر الدين الأسد. ط: دار صادر،
الطبعة الثالثة، (١٤١١هـ).
- ٢٠٢ - ديوان كثير عزة: شرح قدري مايو. ط: دار الجيل، بيروت، الطبعة
الأولى، (١٤١٦هـ).
- ٢٠٣ - ديوان لبيد بن ربيعة: ط: دار صادر، بيروت، (١٣٨٦هـ).
- ٢٠٤ - ديوان المثقب العبدى: شرح حسن حمد. ط: دار صادر، الطبعة
الأولى، (١٩٩٦م).
- ٢٠٥ - ديوان مجنون ليلى: شرح عدنان زكي درويش. ط: دار صادر،
(١٤١٤هـ).
- ٢٠٦ - ديوان مهلهل بن ربيعة: عناية: طلال بن حرب. ط: الدار العالمية
للطباعة والنشر، بيروت، (١٤١٣هـ).
- ٢٠٧ - ديوان النابغة الجعدي: تحقيق: عباس عبد الساتر، دار الكتب
العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٠٥هـ).
- ٢٠٨ - ديوان أبي نواس: شرح: عمر فاروق الطباع. ط: شركة دار الأرقم،
بيروت، (١٤١٨هـ).
- ٢٠٩ - ديوان أبي الوليد مسلم بن الوليد: ط: بريل، ليدن، (١٨٧٥م).
- ٢١٠ - ديوان يزيد بن معاوية: ط: المجمع العلمي بدمشق. تحقيق: سامي
الدهان.
- ٢١١ - الرؤية: علي بن عمر الدارقطني. تحقيق: إبراهيم العلي وزميله. ط:
مكتبة المنار، الأردن، الطبعة الأولى، (١٤١١هـ).

٢١٢ - الرد على الجهمية: عثمان بن سعيد الدارمي. تحقيق: زهير الشاويش وتخرّيج محمد ناصر الدين الألباني. ط: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الرابعة، (١٤٠٢هـ).

٢١٣ - الرد على من قال بفناء الجنة والنار وبيان الأقوال في ذلك: أبو العباس ابن تيمية الدمشقي. تحقيق: محمد بن عبد الله السمهوري، دار بلنسية، الرياض، الطبعة الأولى، (١٤١٥هـ).

٢١٤ - الرد على من كذب بالأحاديث الصحيحة الواردة في المهدي: عبد المحسن العباد. ط: مطابع الرشيد، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، (١٤٠٢هـ).

٢١٥ - الرسالة: محمد بن إدريس الشافعي. تحقيق: أحمد شاكر.

٢١٦ - الرسل والرسالات: عمر سليمان الأشقر. ط: مكتبة الفلاح، الطبعة الثالثة، الكويت، (١٤٠٥هـ).

٢١٧ - رصف المباني في شرح حروف المعاني: أحمد بن عبد النور المالقي. تحقيق: أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.

٢١٨ - رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار: محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني. تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني. ط: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٠٥هـ).

٢١٩ - الروح: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية. تحقيق: السيد الجميلي. ط: دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة، بيروت، (١٤٠٨هـ).

٢٢٠ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين الألوسي. ط: دار الفكر، بيروت.

٢٢١ - روضة المحبين ونزهة المشتاقين: شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٢٢ - رياض الجنة بتخريج أصول السنة: محمد بن عبد الله الأندلسي (ابن أبي زمنين). تحقيق: عبد الله البخاري. ط: مكتبة الغرباء، المدينة النبوية، الطبعة الأولى، (١٤١٥هـ).

٢٢٣ - زاد المسير في علم التفسير: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي. المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، (١٤٠٤هـ).

٢٢٤ - زاد المعاد في هدي خير العباد: ابن قيم الجوزية. تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط. ط: مؤسسة الرسالة، سوريا، الطبعة الثانية، (١٤٠١هـ).

٢٢٥ - الزهد: عبد الله بن المبارك المروزي. تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي. ط: دار الكتب العلمية.

٢٢٦ - زهر الآداب وثمر الألباب: إبراهيم بن علي القيرواني. تحقيق: علي محمد البجاوي. ط: عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثانية.

٢٢٧ - زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه: عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد. ط: مكتبة دار القلم والكتاب، الرياض، الطبعة الأولى، (١٤١٦هـ).

٢٢٨ - السبعة في القراءات: لابن مجاهد. تحقيق: شوقي ضيف. دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية.

٢٢٩ - سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام: محمد بن إسماعيل الصنعاني. تحقيق: محمد صبحي حلاق. ط: دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الثانية، (١٤٢١هـ).

٢٣٠ — سبل الهدى والرشاد: محمد بن يوسف الصالحي. تحقيق: عادل عبد الموجود، وعلي معوض. ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤١٤هـ).

٢٣١ — سلسلة الأحاديث الصحيحة: محمد ناصر الدين الألباني. (المجلد الأول والثاني) المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الرابعة، (١٤٠٥هـ)، (المجلد الثالث) نشر: الدار السلفية، الكويت، الطبعة الأولى، (١٣٩٩هـ)، (المجلد الرابع) نشر: المكتبة الإسلامية، الأردن، الطبعة الأولى، (١٤٠٣هـ) (المجلد الخامس) مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، (١٤١٢هـ).

٢٣٢ — سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ على الأمة: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة، (١٣٩٨هـ).

٢٣٣ — السنّة: عمرو بن أبي عاصم الضحاك بن مخلد الشيباني. تحقيق: الألباني. المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٠٠هـ).

٢٣٤ — السنّة: محمد بن نصر المروزي. تحقيق: أبو محمد سالم بن أحمد السلفي. ط: مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٠٨هـ).

٢٣٥ — سنن الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي. تحقيق: إبراهيم عطوة عوض. مطبعة البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية، (١٣٩٥هـ).

٢٣٦ — سنن الدارقطني: علي بن عمر الدارقطني. ط: حديث أكاديمي، نشاط أباد، فيصل أباد، باكستان.

٢٣٧ — سنن الدارمي: الدارمي. تخريج وتحقيق: السيد عبد الله بن هاشم اليماني. ط: حديث أكاديمي للنشر والتوزيع. باكستان، (١٤٠٤هـ).

- ٢٣٨ - سنن سعيد بن منصور: سعيد بن منصور. تحقيق: سعد بن عبد الله آل حميد. ط: دار الصميعي، الرياض، الطبعة الأولى، (١٤١٧هـ).
- ٢٣٩ - السنن الكبرى: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي. تحقيق: عبد الغفار البنداري، وسيد كسروي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤١١هـ).
- ٢٤٠ - السنن الكبرى: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي. ط: دار المعرفة، بيروت.
- ٢٤١ - سنن النسائي: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي. تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٠٦هـ).
- ٢٤٢ - سير أعلام النبلاء: محمد بن أحمد الذهبي. تحقيق: شعيب الأرنؤوط وزملائه. ط: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٠١هـ).
- ٢٤٣ - السيرة النبوية: أبو محمد عبد الملك بن هشام. تعليق جماعة من العلماء. ط: دار الفكر، القاهرة.
- ٢٤٤ - شرح الأشموني على ألفية ابن مالك: دار إحياء الكتب العربية، ط: مطبعة البابي الحلبي.
- ٢٤٥ - شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: هبة الله بن الحسن الطبري اللالكائي. تحقيق: أحمد سعد حمدان. ط: دار طيبة، الرياض.
- ٢٤٦ - شرح تنقيح الفصول: شهاب الدين أبو العباس القرافي. تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد. ط: مكتبة الكليات الأزهرية، دار الفكر، الطبعة الأولى، (١٣٩٣هـ).
- ٢٤٧ - شرح الجلال شمس الدين محمد بن أحمد المحلي على متن جمع الجوامع: ط: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية.

- ٢٤٨ - شرح ديوان أبي تمام: شاهين عطية. ط: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، (١٤٠٧هـ).
- ٢٤٩ - شرح ديوان جرير: مهدي محمد ناصر الدين. ط: دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، (١٤١٢هـ).
- ٢٥٠ - شرح ديوان الخنساء: تحقيق: عبد السلام الحوفي. ط: دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى، (١٤٠٥هـ).
- ٢٥١ - شرح ديوان زهير: أبو العباس ثعلب. تحقيق: فخر الدين قباة. ط: دار الآفاق، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٠٢هـ).
- ٢٥٢ - شرح ديوان صريع الغواني: مسلم بن الوليد الأنصاري. تحقيق: سامي الدهان. ط: دار المعارف بمصر.
- ٢٥٣ - شرح ديوان أبي العتاهية: دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٢٥٤ - شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة: عبد الأمير علي مهنا. ط: دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الثانية، (١٤١٢هـ).
- ٢٥٥ - شرح ديوان عنتره: (بدون مؤلف). ط: دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى، (١٤٠٥هـ).
- ٢٥٦ - شرح السنة: البغوي. تحقيق: زهير الشاويش وشعيب الأرناؤوط. ط: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، (١٣٩٠هـ).
- ٢٥٧ - شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب: عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن هشام الأنصاري.
- ٢٥٨ - شرح الشفا: الملا علي القاري. ط: الكتب العلمية، بيروت.
- ٢٥٩ - شرح صحيح مسلم: محيي الدين النووي. تحقيق: عبد الله أحمد أبو زينة. ط: الشعب، القاهرة.

- ٢٦٠ - شرح العقيدة الطحاوية: علي بن علي بن محمد بن أبي العز. تحقيق: عبد الله التركي، شعيب الأرنؤوط. ط: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، (١٤١٣هـ).
- ٢٦١ - شرح القصائد المشهورات الموسومة بالمعلقات: ابن النحاس، أحمد بن محمد المرادي. ط: دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى، (١٤٠٥هـ).
- ٢٦٢ - شرح قصيدة كعب بن زهير: جمال الدين محمد بن هشام الأنصاري. تحقيق: الدكتور محمود حسن أبو ناجي. ط: مؤسسة علوم القرآن، الطبعة الثالثة، دمشق، (١٤٠٤هـ).
- ٢٦٣ - شرح القصيدة الميمية: مصطفى عراقي. ط: مكتبة ابن تيمية، القاهرة.
- ٢٦٤ - شرح قطر الندى وبل الصدى لابن هشام: محمد محيي الدين عبد الحميد. ط: إحياء التراث، لبنان، (١٣٨٣هـ).
- ٢٦٥ - شرح القواعد الفقهية: أحمد الزرقاء. صححه وراجعته: عبد الستار أبو غدة. ط: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٠٣هـ).
- ٢٦٦ - شرح الكافية الشافية: جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجبائي. تحقيق: عبد المنعم أحمد هريدي. ط: دار المأمون للتراث، الطبعة الأولى، (١٤٠٢هـ).
- ٢٦٧ - الشرح الكبير: شمس الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي عمر بن قدامة، دار الكتاب العربي، (١٣٩٢هـ).
- ٢٦٨ - شرح الكوكب المنير: محمد بن أحمد بن عبد العزيز الفتوحى الحنبلي. تحقيق: محمد الزحيلي ونزيه حماد، دار الفكر، بيروت، (١٤٠٠هـ).

- ٢٦٩ - شرح مختصر الروضة: نجم الدين أبي الربيع سليمان بن عبد القوي الطوفي. تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي. مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٠٧هـ).
- ٢٧٠ - شرح معاني الآثار: أبو جعفر أحمد بن سلامة الطحاوي. تحقيق: محمد سيد جاد الحق. ط: الأنوار المحمدية، القاهرة.
- ٢٧١ - شرح مقامات الحريري: يوسف بقاعي. ط: دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى، (١٩٨١م).
- ٢٧٢ - شرح منتهى الإرادات: منصور بن يونس البهوتي. ط: دار الفكر، بيروت.
- ٢٧٣ - شرح المواقف في علم الكلام: علي بن محمد الجرجاني. تحقيق: أحمد المهدي، مكتبة الأزهر.
- ٢٧٤ - الشرك الجاهلي وآلهة العرب المعبودة قبل الإسلام: يحيى الشامي، دار الفكر العربي، بيروت، (١٩٩٣م).
- ٢٧٥ - الشريعة: أبو بكر محمد بن الحسين الآجري. تحقيق: محمد حامد الفقي. ط: حديث أكاديمي، باكستان، الطبعة الأولى، (١٤٠٣هـ).
- ٢٧٦ - شعر الدعوة الإسلامي في عهد النبوة والخلفاء الراشدين: جمعه وحققه: عبد الله الحامد. ط: دار الأصالة للثقافة والنشر، الطبعة الثانية، الرياض، (١٤٠٥هـ).
- ٢٧٧ - الشعر والشعراء: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة. تحقيق: محمد عبد المنعم العمران، دار إحياء العلوم، بيروت، الطبعة الثالثة، (١٤٠٧هـ).
- ٢٧٨ - شعراء مقلون: حاتم صالح الضامن، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، الطبعة الأولى، (١٤٠٧هـ).

- ٢٧٩ - شعراء النصرانية قبل الإسلام: لويس شيخو. دار المشرق، الطبعة الثالثة، (١٩٦٧م)، المطبعة الكاثوليكية، (١٩٨٢م).
- ٢٨٠ - شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل: ابن القيم الجوزية، دار المعرفة، بيروت، (١٣٩٨هـ).
- ٢٨١ - شمائل الرسول ﷺ: ابن كثير. تحقيق: مصطفى عبد الواحد. دار القبلة، جدة، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، الطبعة الثانية، (١٤٠٩هـ).
- ٢٨٢ - الصاحبى: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا. تحقيق: السيد أحمد صقر. مطبعة البابى الحلبي، القاهرة.
- ٢٨٣ - صبح الأعشى في صناعة الإنشا: أبو العباس أحمد بن علي الفلقشندي. ط: كوستانتسوماس، القاهرة.
- ٢٨٤ - صحيح الجامع الصغير وزيادته: محمد ناصر الدين الألباني. ط: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، (١٤٠٢هـ).
- ٢٨٥ - صحيح ابن خزيمة: أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة. تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي. ط: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، (١٣٩٩هـ).
- ٢٨٦ - صحيح سنن الترمذي باختصار السند: محمد ناصر الدين الألباني. المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٠٨هـ).
- ٢٨٧ - صحيح سنن أبي داود باختصار السند: محمد ناصر الدين الألباني. المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٠٩هـ).
- ٢٨٨ - صحيح سنن ابن ماجه: محمد ناصر الدين الألباني. ط: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٠٧هـ).
- ٢٨٩ - صحيح سنن النسائي باختصار السند: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٠٩هـ).

- ٢٩٠ - صحيح مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة الإسلامية، استانبول.
- ٢٩١ - الصواعق المرسلة: شمس الدين ابن قيم الجوزية. تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله. ط: دار العاصمة، الطبعة الأولى، الرياض، (١٤٠٨هـ).
- ٢٩٢ - الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة: أحمد بن حجر الهيتمي. ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٠٣هـ).
- ٢٩٣ - ضعيف الجامع الصغير وزيادته: تأليف: محمد ناصر الدين الألباني. ط: المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، بيروت، (١٣٩٩هـ).
- ٢٩٤ - ضعيف سنن ابن ماجه: محمد ناصر الدين الألباني، إشراف: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، (١٤٠٨هـ).
- ٢٩٥ - ضياء السالك إلى أوضح المسالك: محمد عبد العزيز النجار.
- ٢٩٦ - الطبقات الكبرى: محمد بن سعد (كاتب الواقدي). ط: دار التحرير، القاهرة، (١٣٨٨هـ).
- ٢٩٧ - الطرق الحكمية في السياسة الشرعية: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي المشهور بابن قيم الجوزية. راجعه: أحمد عبد الحليم العسكري. ط: دار الفكر، بيروت.
- ٢٩٨ - طريق الهجرتين وباب السعادتين: شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن القيم. ط: دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى، (١٤٠٢هـ).
- ٢٩٩ - ظلال الجنة في تخريج السنة: محمد ناصر الدين الألباني. ط: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٠٠هـ).

٣٠٠ - المُجَاب في بيان الأسباب: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. تحقيق: عبد الحكيم محمد الأنيس. ط: دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى، (١٤١٨هـ).

٣٠١ - العذب الفائض شرح عمدة الفارض: إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم الفرضي. ط: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى، (١٣٧٢هـ).

٣٠٢ - العرف وأثره في التشريع الإسلامي: مصطفى عبد الرحيم أبو عجيبة. ط: المنشأة العامة، طرابلس، الطبعة الأولى، (١٣٩٥هـ).

٣٠٣ - عقد الدرر في أخبار المنتظر: يوسف بن يحيى المقدسي. تحقيق: مهيب بن صالح البوريني. مكتبة المنار، الأردن، الطبعة الأولى، (١٤٠٥هـ).

٣٠٤ - العلل المتناهية في الأحاديث الواهية: عبد الرحمن بن الجوزي. تحقيق: إرشاد الحق الأثري. إدارة ترجمان السنة، لاهور.

٣٠٥ - العلل الواردة في الأحاديث النبوية: أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد الدارقطني. تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله السلفي. ط: دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى، (١٤٠٥هـ).

٣٠٦ - علماء ومفكرون عرفتهم: المؤلف: محمد المجذوب. ط: دار الاعتصام، الطبعة الثالثة، القاهرة.

٣٠٧ - عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ: شهاب الدين أحمد بن يوسف الحلبي الشافعي. تحقيق: محمود السيد الدغيم. ط: دار السيد، تركيا، الطبعة الأولى، (١٤٠٧هـ).

٣٠٨ - عمل اليوم والليلة: أبو بكر بن السني. تحقيق: عبد القادر أحمد عطا. ط: دار المعرفة، لبنان، (١٣٩٩هـ).

- ٣٠٩ - عون المعبود شرح سنن أبي داود: أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثالثة، (١٣٩٩هـ).
- ٣١٠ - عيون الأخبار: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري. ط: دار الكتاب الإسلامي.
- ٣١١ - غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام: محمد ناصر الدين الألباني. ط: المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، (١٤٠٢هـ).
- ٣١٢ - غريب الحديث: أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي. ط: دار الكتاب العربي، الهند، الطبعة الأولى، (١٣٨٤هـ).
- ٣١٣ - غوث المكذوب بتخريج منتقى ابن الجارود: أبو إسحاق الجويني الأثري. ط: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٠٨هـ).
- ٣١٤ - فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. ط: دار المعرفة، لبنان.
- ٣١٥ - فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن: زكريا الأنصاري. تحقيق: محمد الصابوني. ط: دار القرآن الكريم، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٠٣هـ).
- ٣١٦ - الفتح السماوي بتخريج أحاديث تفسير القاضي البيضاوي: زين الدين عبد الرؤوف المناوي. تحقيق: أحمد مجتبي بن نذير عالم السلفي. ط: دار العاصمة، الرياض، النشرة الأولى، (١٤٠٩هـ).
- ٣١٧ - فتح القدير: محمد بن علي الشوكاني. ط: دار الفكر.
- ٣١٨ - فتح المجيد شرح كتاب التوحيد: عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب. تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط. ط: مكتبة دار البيان، دمشق، الطبعة الأولى، (١٤٠٢هـ).

٣١٩ - الفروع: محمد بن مفلح. ط: عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثالثة، (١٤٠٢هـ).

٣٢٠ - الفروق: شهاب الدين أبي العباس أحمد بن إدريس القرافي. ط: عالم الكتب، بيروت.

٣٢١ - الفروق اللغوية: أبو هلال العسكري. تحقيق: حسام الدين القدسي. ط: دار الباز، مكة المكرمة، (١٤٠١هـ).

٣٢٢ - فضائل الصحابة: أحمد بن حنبل. تحقيق: وصي الله عباس. ط: مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، (١٤٠٣هـ).

٣٢٣ - فضائل القرآن ومعالمه وآدابه: أبو عبيد القاسم بن سلام. دراسة وتحقيق: الأستاذ أحمد بن عبد الواحد الخياطي. ط: مطبعة فضالة، المغرب، (١٤١٥هـ).

٣٢٤ - فقه السيرة: محمد الغزالي، بتخريجات الشيخ ناصر الدين الألباني، دار الكتب الحديثية، مصر، الطبعة السادسة، (١٩٧٦م).

٣٢٥ - فقه اللغة وسر العربية: أبو منصور الثعالبي. تحقيق: فائز محمد وإميل يعقوب. دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤١٣هـ).

٣٢٦ - الفقيه والمتفقه: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي. تحقيق: عادل بن يوسف العزازي. ط: دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، الدمام، (١٤١٧هـ).

٣٢٧ - فيض القدير شرح الجامع الصغير: محمد عبد الرؤوف المناوي. ط: دار المعرفة، الطبعة الثانية، بيروت، (١٣٩١هـ).

٣٢٨ - القاديانية: إحسان إلهي ظهير. الناشر: إدارة ترجمان السنة، باكستان، الطبعة الخامسة عشر، (١٤٠١هـ).

- ٣٢٩ - القاموس الفقهي لغةً واصطلاحاً: سعدي أبو حبيب. ط: دار الفكر، الطبعة الثانية، (١٤٠٨هـ).
- ٣٣٠ - القاموس المحيط: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي. تحقيق: مكتب تحقيق التراث. مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٠٦هـ).
- ٣٣١ - القراءة خلف الإمام: محمد بن إسماعيل البخاري. ط: مكتبة الإيمان، المدينة المنورة، الطبعة الثانية، (١٤٠٥هـ).
- ٣٣٢ - القراءة خلف الإمام: أحمد بن الحسين البيهقي. تحقيق: محمد السعيد زغلول. ط: دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى، (١٤٠٥هـ).
- ٣٣٣ - قصص العرب: محمد أبو الفضل إبراهيم وزملاؤه. ط: دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، الطبعة الرابعة، (١٣٨٢هـ).
- ٣٣٤ - القطع والائتناف: أبو جعفر النحاس. تحقيق: أحمد خطاب العمر، مطبعة العاني، بغداد، (١٣٩٨هـ).
- ٣٣٥ - القواعد: محمد بن محمد المقري. تحقيق: أحمد عبد الله بن حميد مطبوعات جامعة أم القرى.
- ٣٣٦ - قواعد الأحكام في مصالح الأنام: عز الدين عبد العزيز عبد السلام. تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد. ط: مكتبة ابن تيمية، مصر.
- ٣٣٧ - قواعد الترجيح عند المفسرين: حسين بن علي الحربي. ط: دار القاسم، الرياض، الطبعة الأولى، (١٤١٧هـ).
- ٣٣٨ - قواعد التفسير جمعاً ودراسةً: خالد بن عثمان السبت. ط: ابن عفان، الخبر، الطبعة الأولى، (١٤١٧هـ).
- ٣٣٩ - القواعد الحسان لتفسير القرآن: عبد الرحمن بن ناصر السعدي. ط: دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، الدمام، (١٤١٣هـ).

- ٣٤٠ - القواعد الفقهية الخمس الكبرى من مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: إعداد: إسماعيل بن حسن علوان. ط: دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى، (١٤٢٠هـ).
- ٣٤١ - القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنی: محمد صالح العثيمين. دار ابن القيم ومكتبة ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى، (١٤٠٦هـ).
- ٣٤٢ - القواعد والفوائد الأصولية: أبو الحسن علاء الدين ابن اللحام. تحقيق: محمد حامد الفقي. ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٠٣هـ).
- ٣٤٣ - قواعد وفوائد لفقه كتاب الله: لعبد الله بن محمد الجوعي. ط: دار الوطن، الطبعة الأولى، الرياض، (١٤١٤هـ).
- ٣٤٤ - الكافي الشافي في تخريج أحاديث الكشاف: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني [ملحق بتفسير الكشاف] دار المعرفة، بيروت.
- ٣٤٥ - الكافي في فقه أهل المدينة المالكي: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر. ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٠٧هـ).
- ٣٤٦ - الكافية في الجدل: عبد الملك عبد الله بن يوسف الجويني. تحقيق: فوقية حسين محمود. ط: عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، (١٣٩٩هـ).
- ٣٤٧ - الكامل: أبو العباس محمد بن يزيد المبرد. تحقيق: محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٠٦هـ).
- ٣٤٨ - الكامل في التاريخ: عز الدين بن الأثير، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الخامسة، (١٤٠٥هـ).

٣٤٩ - الكامل في ضعفاء الرجال: عبد الله بن عدي الجرجاني. ط: دار الفكر، لبنان، الطبعة الثانية، (١٤٠٥هـ).

٣٥٠ - الكتاب: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (سيويه). تحقيق: عبد السلام هارون. ط: عالم الكتب، الطبعة الثالثة، (١٤٠٣هـ).

٣٥١ - كتاب مناهل العرفان للزرقاني دراسة وتقويم: خالد بن عثمان السبت، دار ابن عفان، الخبر، الطبعة الأولى، (١٤١٨هـ).

٣٥٢ - الكتاب الموضح في وجوه القراءات وعللها: لنصر بن علي بن محمد الشيرازي الفارسي الفسوي. تحقيق: عمر حمدان الكيسي. ط: الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بجدة، الطبعة الأولى، (١٤١٤هـ).

٣٥٣ - كتاب الوقوف من مسائل الإمام أحمد بن حنبل الشيباني: أحمد بن محمد الخلال. تحقيق: عبد الله بن أحمد الزيد. ط: مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، (١٤١٠هـ).

٣٥٤ - الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: محمود بن عمر الزمخشري. ط: دار المعرفة، لبنان.

٣٥٥ - كشف القناع عن متن الإقناع: منصور بن يونس البهوتي. ط: عالم الكتب، بيروت، (١٤٠٣هـ).

٣٥٦ - كشف الأستار عن زوائد البزار: علي بن أبي بكر الهيثمي. تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي. ط: مؤسسة الرسالة، سوريا، الطبعة الثانية، (١٤٠٤هـ).

٣٥٧ - كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس: إسماعيل بن محمد العجلوني. تحقيق: أحمد القلاش. ط: مؤسسة الرسالة، سوريا، الطبعة الثالثة، (١٤٠٣هـ).

- ٣٥٨ — كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: حاجي خليفة. ط: دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤١٣هـ).
- ٣٥٩ — الكشف عن وجوه القراءات السبع: مكي بن أبي طالب القيسي. تحقيق: محيي الدين رمضان. مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الرابعة، (١٤٠٧هـ).
- ٣٦٠ — كفاية الإنسان من القصائد الفرر الحسان: جمع: محمد بن أحمد سيد أحمد. ط: دار ابن القيم، الدمام، (١٤٠٩هـ).
- ٣٦١ — الكفاية في علم الرواية: الخطيب البغدادي. ط: المكتبة العلمية، المدينة المنورة.
- ٣٦٢ — كلمة الحق: أحمد شاكر، دار الكتب السلفية، القاهرة، الطبعة الأولى، (١٤٠٧هـ).
- ٣٦٣ — الكليات: أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي. تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري. ط: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤١٢هـ).
- ٣٦٤ — كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: علي بن حسام الدين الهندي. تحقيق: بكري حياني. ط: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الخامسة، (١٤٠٥هـ).
- ٣٦٥ — الكنى والأسماء: أبو بشر محمد بن أحمد بن حماد الدولابي. ط: دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، بيروت، (١٤٠٣هـ).
- ٣٦٦ — الكوكب الدرّي فيما يتخرج على الأصول النحوية من الفروع الفقهية: جمال الدين الأسنوي. تحقيق: محمد حسن عواد. ط: دار عمان، الطبعة الأولى، (١٤٠٥هـ).
- ٣٦٧ — لامية الشنفرى: عناية: عبد المعين الملوحي. ط: مديرية إحياء التراث القديم، دمشق.

- ٣٦٨ - لباب النقول في أسباب النزول: جلال الدين السيوطي. ط: دار قتيبة، دمشق، الطبعة الأولى، (١٤٠٧هـ).
- ٣٦٩ - لسان الميزان: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الثانية، (١٣٩٠هـ - ١٩٧١م).
- ٣٧٠ - اللمع في أصول الفقه: إبراهيم بن علي الشيرازي. ط: دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى، (١٤٠٥هـ).
- ٣٧١ - لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية: محمد بن أحمد السفاريني. ط: المكتب الإسلامي، مكتبة أسامة.
- ٣٧٢ - المبسوط: السرخسي. ط: دار المعرفة، بيروت، (١٤٠٦هـ).
- ٣٧٣ - المبسوط في القراءات العشر: أبو بكر أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهاني. تحقيق: سبيع حمزة حاكمي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، دمشق.
- ٣٧٤ - مجالس ثعلب: تحقيق: عبد السلام هارون. ط: دار المعارف، مصر.
- ٣٧٥ - المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين: محمد بن حبان البستي. تحقيق: محمود إبراهيم زايد، نشر: دار الوعي، حلب، الطبعة الثانية، (١٤٠٢هـ).
- ٣٧٦ - مجلة الحكمة: مجلة بحثية علمية شرعية ثقافية. تصدر من بريطانيا.
- ٣٧٧ - مجمع الأمثال: أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني. تحقيق: أبو الفضل إبراهيم. ط: البابي الحلبي.
- ٣٧٨ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي. ط: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، (١٤٠٢هـ).
- ٣٧٩ - مجمل اللغة: أحمد بن فارس الرازي. تحقيق: شهاب الدين أبي عمرو. ط: دار الفكر، بيروت، (١٤١٤هـ).

- ٣٨٠ - المجموع شرح المذهب: أبو زكريا محيي الدين النووي. ط: دار الفكر.
- ٣٨١ - مجموع فتاوى شيخ الإسلام: أحمد ابن تيمية. جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وساعده ابنه محمد. طبع بإشراف الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين.
- ٣٨٢ - محاسن التأويل: محمد جمال الدين القاسمي. ط: دار الفكر، لبنان، الطبعة الثانية، (١٣٩٨هـ).
- ٣٨٣ - المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: أبو الفتح عثمان بن جني. تحقيق: علي النجدي وزملاؤه. يشرف على إصدارها محمد توفيق عويضة، القاهرة.
- ٣٨٤ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: عبد الحق بن غالب بن عطية. تحقيق: المجلس العلمي بفاس. ط: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (١٣٩٥هـ).
- ٣٨٥ - المحلى: أبو محمد علي بن أحمد بن حزم. ط: دار الفكر.
- ٣٨٦ - محنة الإمام أحمد بن محمد بن حنبل: تقي الدين عبد الغني المقدسي. تحقيق: عبد الله التركي. ط: هجر للطباعة والنشر، والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، (١٤٠٧هـ).
- ٣٨٧ - مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر: محمد بن مكرم المعروف بابن منظور. تحقيق: رياض عبد الحميد مراد وزملاؤه. ط: دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، (١٤٠٤هـ).
- ٣٨٨ - مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة لابن القيم: محمد بن الموصلي. ط: مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.
- ٣٨٩ - مختصر العلو لعلی الغفار: شمس الدين الذهبي. تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني. ط: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٠١هـ).

- ٣٩٠ - مختصر الفتاوى المصرية: بدر الدين أبو عبد الله محمد بن علي الحنبلي البعلبي. صححه: محمد حامد الفقي. ط: دار ابن القيم، الطبعة الثانية، الدمام، (١٤٠٦هـ).
- ٣٩١ - مختصر قيام الليل: أبو عبد الله محمد بن نصر المروزي. ط: المطبعة العربية، الطبعة الأولى، باكستان، (١٤٠٢هـ).
- ٣٩٢ - مختصر المزني: ط: دار المعرفة، لبنان.
- ٣٩٣ - مختصر المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة: الزرقاني. تحقيق: محمد الصباغ. ط: مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، الطبعة الأولى، (١٤٠١هـ).
- ٣٩٤ - مختصر من قواعد العلائي وكلام الأسنوي: محمود بن أحمد حمودي (ابن خطيب الدهشة). تحقيق: مصطفى محمود البنجويني، (١٩٨٠م).
- ٣٩٥ - مدراج السالكين بين منازل «إياك نعبد وإياك نستعين»: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية الدمشقي. تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، (١٣٩٢هـ).
- ٣٩٦ - المدخل إلى الصحيح: الحاكم أبو عبد الله النيسابوري. تحقيق: ربيع بن هادي. ط: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٠٤هـ).
- ٣٩٧ - المدخل لعلم تفسير كتاب الله تعالى: أبو النصر أحمد بن محمد بن أحمد السمرقندي المعروف بالحدادي. تحقيق: صفوان عدنان داوودي. ط: دار القلم بدمشق، دار العلوم، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٠٨هـ).
- ٣٩٨ - المدهش: أبو الفرج جمال الدين ابن الجوزي. تعليق: مروان قباني. ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، (١٤٠٥هـ).

- ٣٩٩ — المدونة الكبرى: للإمام مالك التي رواها سحنون بن سعيد التنوخي عن ابن القاسم عن الإمام مالك. ط: مطبعة السعادة.
- ٤٠٠ — مذكرة أصول الفقه: محمد الأمين بن المختار الشنقيطي. ط: المكتبة السلفية، المدينة المنورة.
- ٤٠١ — المراسيل: أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني. تحقيق: شعيب الأرنؤوط. ط: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٠٨هـ).
- ٤٠٢ — المزهري في علوم اللغة وأنواعها: عبد الرحمن جلال الدين السيوطي. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وزملاؤه. ط: دار التراث، القاهرة، الطبعة الثالثة.
- ٤٠٣ — مسائل الإمام أحمد بن حنبل: رواية صالح. تحقيق: فضل الرحمن دين محمد. ط: الدار العلمية، الهند، الطبعة الأولى، (١٤٠٨هـ).
- ٤٠٤ — المساعد على تسهيل الفوائد: بهاء الدين بن عقيل. تحقيق: محمد كامل بركات. ط: دار الفكر بدمشق، (١٤٠٠هـ).
- ٤٠٥ — المستدرک: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم. ط: دار الباز، مكة المكرمة.
- ٤٠٦ — المستصفى من علوم الأصول: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي. ط: دار العلوم الحديثة، بيروت.
- ٤٠٧ — المسند: أبو عبد الله أحمد بن حنبل. ط: المكتب الإسلامي.
- ٤٠٨ — المسند: أبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدي. تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي. ط: عالم الكتب، بيروت، مكتبة المتنبي، القاهرة.
- ٤٠٩ — مسند أبي داود الطيالسي: سليمان بن داود بن الجارود. ط: دار المعرفة، لبنان.

- ٤١٠ - مسند أبي يعلى: أحمد بن علي بن المثنى التميمي. تحقيق: حسين سليم أسد. ط: دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الأولى، (١٤٠٤هـ).
- ٤١١ - المسودة في أصول الفقه: أبو العباس الحنبلي الحراني. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. ط: دار الكتاب العربي، لبنان.
- ٤١٢ - مشاهد الإنصاف على شواهد الكشف: محمد عليان المرزوقي الشافعي. [ملحق بتفسير الكشف]، دار المعرفة، بيروت.
- ٤١٣ - مشكاة المصابيح: محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي. تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني. ط: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، (١٤٠٥هـ).
- ٤١٤ - مشكل الآثار: أبو جعفر أحمد بن محمد الطحاوي. ط: مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند، الطبعة الأولى، (١٣٣٣هـ).
- ٤١٥ - مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور: برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي. تحقيق: عبد السميع محمد أحمد حسنين، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، (١٤٠٨هـ).
- ٤١٦ - المصباح المنير: أحمد بن محمد الفيومي المقرئ. ط: مكتبة لبنان.
- ٤١٧ - المصنف: أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني. تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي. ط: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، (١٤٠٣هـ).
- ٤١٨ - مصنف ابن أبي شيبة: أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي. تحقيق: مختار الندوي. إدارة القرآن والعلوم الإسلامية، كراتشي، (١٤٠٦هـ).

- ٤١٩ - معارج الصعود إلى تفسير سورة هود: محمد الأمين بن المختار الجكني الشنقيطي. ط: دار المجتمع للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، جدة، (١٤٠٨هـ).
- ٤٢٠ - معارج القبول: حافظ بن أحمد حكيم. ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٠٣هـ).
- ٤٢١ - المعارف: ابن قتيبة. تحقيق: ثروت عكاشة. ط: دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية.
- ٤٢٢ - معالم التنزيل: أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي. تحقيق: خالد العك ومروان سوار، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٠٦هـ).
- ٤٢٣ - معالم السنن: أبو سليمان الخطابي. تحقيق: أحمد شاكر، محمد الفقي، دار المعرفة، لبنان.
- ٤٢٤ - معاني القرآن: يحيى بن زياد الفراء. تحقيق: أحمد يوسف نجاتي وزميله. ط: دار السرور.
- ٤٢٥ - معاني القرآن وإعرابه: إبراهيم بن السري الزجاج. تحقيق: عبد الجليل شلبي. ط: عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٠٨هـ).
- ٤٢٦ - معجم الأدباء: ياقوت الحموي، دار الفكر، الطبعة الثالثة، (١٤٠٠هـ).
- ٤٢٧ - معجم الإعراب والإملاء: إميل بديع يعقوب. ط: دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، (١٩٨٨م).
- ٤٢٨ - معجم الأمثال العربية: رياض عبد الحميد مراد. ط: جامعة الإمام، (١٤٠٧هـ).

- ٤٢٩ - المعجم الأوسط: سليمان بن أحمد الطبراني. تحقيق: أبو معاذ طارق عوض الله وزميله. ط: دار الحرمين، مصر، (١٤١٥هـ).
- ٤٣٠ - معجم البلدان: ياقوت بن عبد الله الحموي. ط: إحياء التراث العربي، بيروت، (١٣٩٩هـ).
- ٤٣١ - المعجم الصغير: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني. تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان. المكتبة السلفية، المدينة المنورة، (١٣٨٨هـ).
- ٤٣٢ - المعجم الكبير: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني. تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي. ط: مكتبة ابن تيمية، الطبعة الثانية.
- ٤٣٣ - معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع: عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي. تحقيق: مصطفى السقا. ط: عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثالثة، (١٤٠٣هـ).
- ٤٣٤ - معجم مفردات الإبدال والإعلال في القرآن الكريم: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، (١٤٠٩هـ).
- ٤٣٥ - المعجم المفصل في شواهد النحو الشعرية: إميل بديع يعقوب. ط: دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى، (١٤١٣هـ).
- ٤٣٦ - المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية. ط: المكتبة الإسلامية، استانبول، الطبعة الثانية، (١٣٩٢هـ).
- ٤٣٧ - معرفة الصحابة: أبو نعيم الأصفهاني. تحقيق: محمد راضي بن حاج عثمان. ط: مكتبة الدار بالمدينة المنورة، مكتبة الحرمين بالرياض، الطبعة الأولى، (١٤٠٨هـ).
- ٤٣٨ - المعرفة والتاريخ: يعقوب بن سفيان البسوي. تحقيق: أكرم العمري. ط: مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، (١٤١٠هـ).

٤٣٩ - المغازي: محمد بن عمر بن واقد. تحقيق: مارسون جونس. ط: عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثالثة، (١٤٠٤هـ).

٤٤٠ - المغني: موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة. تحقيق: عبد الله التركي عبد الفتاح الحلو. ط: دار هجر، الطبعة الأولى، (١٤٠٦هـ).

٤٤١ - مغني اللبيب: جمال الدين بن هشام الأنصاري. ط: دار إحياء الكتب العربية.

٤٤٢ - مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة: محمد بن أبي بكر ابن القيم. تحقيق: علي حسن عبد الحميد. ط: دار ابن عفان، الخبر، الطبعة الأولى، (١٤١٦هـ).

٤٤٣ - مفحمت الأقران في مبهمات القرآن: جلال الدين السيوطي. تحقيق: إياد خالد الطباع. ط: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٠٦هـ).

٤٤٤ - مفردات ألفاظ القرآن: الراغب الأصفهاني. تحقيق: صفوان عدنان داوودي. دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، (١٤١٢هـ).

٤٤٥ - المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: جواد علي، الطبعة الثانية، (١٤١٣هـ).

٤٤٦ - المفضليات: المفضل بن محمد بن يعلى الضبي. تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون. ط: دار المعارف، القاهرة، الطبعة السابعة.

٤٤٧ - المقاييس في اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا. تحقيق: عبد السلام هارون. دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤١١هـ).

- ٤٤٨ - المقتصد في شرح الإيضاح: عبد القاهر الجرجاني. تحقيق: الدكتور كاظم بحر المرجان.
- ٤٤٩ - ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي. تحقيق: سعيد الفلاح. ط: دار الغرب، لبنان، الطبعة الأولى، (١٤٠٣هـ).
- ٤٥٠ - المنتخب: عبد بن حميد. تحقيق: أبو عبد الله مصطفى بن العدوي. ط: دار الأرقم، الكويت، الطبعة الأولى، (١٤٠٥هـ).
- ٤٥١ - المنتخب من كُنَايَات الأدباء وإشارات البلغاء: أحمد بن محمد الجرجاني. تحقيق: محمد شمس الحق شامي. ط: بإعانة وزارة المعارف والشؤون الثقافية للحكومة العالية الهندية، الهند، الطبعة الأولى، (١٤٠٣هـ).
- ٤٥٢ - المنهاج الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى: زين محمد شحاته. ط: مكتبة العواصم، دار بلنسية، الرياض، الطبعة العاشرة، (١٤٢٢هـ).
- ٤٥٣ - منهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد: عثمان علي حسن. ط: دار إشبيلية، الرياض، الطبعة الأولى، (١٤٢٠هـ).
- ٤٥٤ - منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات: محمد الأمين الشنقيطي. الدار السلفية، الكويت، الطبعة الرابعة، (١٤٠٤هـ).
- ٤٥٥ - الموافقات: أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي. تحقيق: مشهور حسن سلمان. ط: دار ابن عفان، الطبعة الأولى، الخبر، (١٤١٧هـ).
- ٤٥٦ - الموسوعة الفقهية: إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت.

- ٤٥٧ - الموضح في وجوه القراءات وعللها: نصر بن علي بن محمد المعروف بابن أبي مريم. تحقيق: عمر حمدان الكبيسي. ط: بإشراف الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بجدة، الطبعة الأولى، (١٤١٤هـ).
- ٤٥٨ - الموضوعات: أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي. تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن عثمان. ط: دار الفكر، الطبعة الثانية، (١٤٠٣هـ).
- ٤٥٩ - موطأ الإمام مالك: رواية يحيى بن يحيى الليثي. ط: دار النفائس، بيروت، الطبعة الخامسة، (١٤٠١هـ).
- ٤٦٠ - موقف ابن تيمية من الأشاعرة: عبد الرحمن صالح المحمود. ط: مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، (١٤١٥هـ).
- ٤٦١ - ميزان الاعتدال: أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي. تحقيق: علي بن محمد البجاوي. ط: دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، (١٣٨٢هـ).
- ٤٦٢ - الناسخ والمنسوخ: أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس. تحقيق: سليمان بن إبراهيم اللاحم. ط: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤١٢هـ).
- ٤٦٣ - الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز: أبو عبيد القاسم بن سلام. تحقيق: محمد المديفر. ط: مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، (١٤١١هـ).
- ٤٦٤ - النبوات: أحمد ابن تيمية. ط: دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤٠٢هـ).
- ٤٦٥ - نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار: ابن حجر العسقلاني. تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي. ط: مكتبة المثنى، بغداد، (١٤٠٦هـ).

٤٦٦ - نثر الورود على مراقبي السعود: محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي. تحقيق: محمد ولد سيدي ولد حبيب الشنقيطي. ط: دار المنارة، الطبعة الأولى، جدة، (١٤١٥هـ).

٤٦٧ - النحو الوافي: عباس حسن. ط: دار المعارف بمصر، الطبعة الخامسة.

٤٦٨ - نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي. تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي. ط: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٠٤هـ).

٤٦٩ - النشر في القراءات العشر: أبو الخير محمد بن محمد ابن الجزري الدمشقي. تحقيق: علي محمد الصباغ، دار الكتاب العربي.

٤٧٠ - نصب الراية لأحاديث الهداية: جمال الدين أبي محمد عبد الله بن يوسف الزيلعي. ط: دار المأمون، القاهرة، الطبعة الأولى، (١٣٥٧هـ).

٤٧١ - النكت والعيون: أبو الحسن علي بن محمد الماوردي. تحقيق: السيد عبد المقصود. ط: المؤيد، الرياض، الطبعة الأولى، (١٤١٢هـ).

٤٧٢ - نهاية السؤل: جمال الدين عبد الرحيم الأسنوي. ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٠٥هـ).

٤٧٣ - النهاية في غريب الحديث: مجد الدين أبو السعادات ابن الأثير. تحقيق: محمود محمد الطناحي، المكتبة الإسلامية، اسطنبول.

٤٧٤ - النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى: محمد الحمود. ط: مكتبة الإمام الذهبي، الكويت، الطبعة الثانية، (١٤١٧هـ).

٤٧٥ - نواقض الإيمان الاعتقادية: محمد بن عبد الله بن علي الوهبي. ط: دار المسلم، الطبعة الأولى، الرياض، (١٤١٦هـ).

- ٤٧٦ — نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار: محمد بن علي الشوكاني. ط: دار القلم، بيروت.
- ٤٧٧ — الهداية شرح بداية المبتدي: أبو الحسن علي بن أبي بكر المرغيناني. ط: مكتبة الحلبي، مصر.
- ٤٧٨ — الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع: عبد الفتاح عبد الغني القاضي. ط: مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، (١٤٠٤هـ).
- ٤٧٩ — الوسيط في تراجم أدباء شنقيط: أحمد بن الأمين الشنقيطي. ط: مطبعة المدني، مصر. الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، مؤسسة منير، موريتانيا، (١٤٠٩هـ).
- ٤٨٠ — وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان. تحقيق: إحسان عباس. دار صادر، بيروت.



obeikandi.com

فهرس الآيات القرآنية

الآية	الصفحة	الآية	الصفحة
		﴿سورة الفاتحة﴾	
٦	٦١٤/٢	١٩	٤٣٠/٣
٧	١٩٦/٢ ، ١٧٠/٤ ، ٣٣٧	٢٠	٢٣٥/٢ ، ٥٣٥ ، ٣٣/٣
	٥٤٤		١٩/٤ ، ٣٦٤ ، ٣١٩
	﴿سورة البقرة﴾	٢١	٤٢١/٤ ، ٤٢٥ ، ٩٣/١
٢-١	٨/٣	٢٢	٥٨٩/٢
٢	٤٥٥/٤ ، ١٥/٣	٢٣	٥٧٩ ، ٤٥٢/٤
٤-٢	١٠٤/٥	٢٤	٥٧٩/٤ ، ٤٣٠/١
٥	١٨٤/٤	٢٥	٢٢٧/٥ ، ٦١٠/٢
٦	٤٢٢ ، ٥٢/٤	٢٦	٤٣٦ ، ٤٣٥/٣ ، ٥٩/٤
٧	١٣٠ ، ١٢٩/٢ ، ٢٢٢/١		٢٩٥/٥ ، ٢٨٤
	٣٩/٤	٢٨	٢٣٦ ، ٢٢٠/٤
١٠	١٢٨/٢ ، ٣٩/٤ ، ٥٤	٣٠	١١٠/٣
	١٠٥/٥	٣٢-٣١	٥٤٦/٥ ، ٣٨/٢
١٣	٥٦٠/٤	٣١	٦٠٢ ، ٣٣٢ ، ١١٠/٣
١٤	٢٥١/١ ، ٢٥٢ ، ١٤٤/٢	٣٢	١١٠/٣ ، ٣٨٦ ، ٢٨٤/١
	٣٢٤/٤		٦٠٢ ، ٣٣٢
١٥-١٤	٣٠٧/٣	٣٣	١١١ ، ١١٠/٣
١٨	٢٢٨ ، ٢٢٠ ، ١٩٤/١	٣٤	٢٢ ، ٢٠/٣
		٣٧	١٠٠/١

١٤١، ١٤٠، ١٣٥		٦٠، ٥٩، ٥٦ — ٥١، ٤٥/١	٤٧-٤٥
١٢٥ ، ١٢٤ ، ١٢٢/١	٦٧	٢٧٣ ، ١٧٧ ، ٥٠ — ٤٧/١	٤٥
١٤١، ١٣٨		١٢٩/٤ ، ٦١٨/٣ ، ٢٧٤/٢	
١٢٨ ، ١٢٧ ، ١٢٥ ، ٩٨/١	٦٨	٦٠٤ ، ٥٧٤ ، ٤٥٥/٥	
٥٠٠/٢ ، ٢٧٤		٢٠٠/٢	٤٦
٢١٥/٥	٦٩	٦٢٤/٣	٤٧
١٤٥ ، ١٤٤ ، ١٤١ ، ١٢٠/١	٧٤-٧٢	٧٤-٦٩ ، ٦٧ ، ٦٣ — ٦٠/١	٤٩-٤٨
٥٠٠/٥ ، ٢٢٥/٣	٧٢	٨٥ ، ٨٢ ، ٨١ ، ٧٧ — ٧٤/١	٥٣-٥٠
١٤٥ ، ١٤٢ ، ١٠٤/١	٧٣	٨٨-٨٦	
٤٧٠ ، ١٥٢ ، ١٥٠ ، ١٤٧		١٣٢/٤	٥٠
٢١٣ ، ١٥٤ — ١٥٢/١	٧٤	١٠٣ ، ١٠٢ ، ٩٠/١	٥٦-٥٤
٣٨٣/٣		١٠٠ — ٩١ ، ٨٢ ، ٧٧/١	٥٤
١٦٧-١٦٢ ، ١٥٩ — ١٥٥/١	٧٩-٧٥	٢٢٠/٢ ، ٤٨٢ ، ١٢١	
١٧٢ ، ١٧٠ — ١٦٨/١	٧٩	٢١٥/٥ ، ٣٨٨ ، ٢٩٧	
٥٠٢ ، ٢٠٩ ، ٢٠٨		١٠٣ ، ١٠١ ، ١٠٠/١	٥٥
٢٩٨/٤ ، ١٧٥/٣ ، ٣٥٨/٢		١٩٤ ، ١٩٢/٤ ، ١٠٣/٣	
٥٨٤		١٩٨ ، ١٩٥	
١٠٠ ، ٣٧/٣	٨٥	١١٨ ، ١١٦ — ١١٠ ، ١٠٦/١	٥٩-٥٧
٢٦٠/١	٨٧	٤٣٧ ، ١١٠ — ١٠٦/١	٥٧
٢٩٨/٥	٩٠	٤٢٠/٤ ، ١٠٣/٣	
١٥٣/٤	٩٥	٢٦١/٤	٥٨
٥٦/٤	١٠٠	٢٧٠/٤ ، ٣٥٧ ، ٣٥٣/٣	٥٩
٨٥/٤	١٠٢	٣٥٠/٥	
٤٠٥/٥	١٠٥	٢٥٥/٤ ، ١٤٨/١	٦٠
٤١٨/٥	١٠٦	٢٦٠/٤ ، ١٠٣/٣ ، ١١١/١	٦١
٤١٩/٥ ، ٣٦٤/٣ ، ٥٠٤/١	١٠٩	٤٢٠ ، ٣١٩ ، ٣٠٦/٤	٦٣
١٦٧/١	١١١	٢٧٣ ، ٢٧١/٤ ، ٥٩/١	٦٥
٦٠٢/٢	١١٣	٢٨٩ ، ٢٨٠	
٤١١/٥ ، ٢٠٩/٣ ، ٥١٢/١	١١٤	— ١٢٨ ، ١٢١ ، ١٢٠/١	٧١-٦٧

٣٢٩/٥	١٦٢	٢٥٨/٥	١١٧
٥٧٠، ٤٠٥/٢	١٦٣	٤٧٨/٣	١١٨
٩١/٣	١٦٤	٤٦٧/١	١٢٠
١٢١/٥	١٦٥	٩٧، ٤٠/٢، ٣٧٣/١	١٢٤
٢٢٧/٣، ٥٢٧/١	١٦٦	٣٣٣، ١٨٧، ١٧١/٣، ٦١٨	
٦٠٩/٥، ٥٩٥/٤	١٦٧	١٧١/٣	١٢٦
٢٢٧، ٢٢٤/٣	١٦٧-١٦٦	١٢٤/٢، ٤٢٤، ٩٤/١	١٢٨
٣٥٠/٤	١٧١	١٤٦، ١٤٥/٤	
٣٦١، ٢٣٢، ٢١٩، ٧٦/٢	١٧٣	٥٧٥/٢	١٢٩
٢٨/٣، ٥٧٢، ٣٨٤		٦٢٩/٢	١٣١
٤٤٢/٥، ٢٣٠/٤		٦٢٨/٢	١٣٢
١٢١/٥	١٧٤	٣٨٧/٢، ١٦٧/١	١٣٥
٢٠٨/٣	١٧٥	٥٥٥/٤	١٣٧
٢٠٣/٤، ٤٨١/١	١٧٨	٥٠٣، ٥١/٢، ٣١٧/١	١٤٠
٥٣٨، ١٧٧/٢، ٤٨١/١	١٧٩	٣٦٢، ٣٤٩/٣، ٥٦٤	
١٢٠/٣	١٨٠	١٠/٤	
٢٠٣/٤	١٨٣	١٩/٣، ٢١٥/٢، ٢٨٣/١	١٤٣
٢٦٨/٥، ٤٧٥/١	١٨٤	٦٢٤، ٣٧٠، ٢٥١، ٥٩	
٣٦٥، ٢٥٨/٣، ٢٢١/٢	١٨٥	١٧٦/١	١٤٤
٥٦٤، ٤٥٥، ٢١٣/٤		٤٧١/١	١٤٥
٤٥٠، ٢٦٨/٥		٢٠٨/٤، ١٦٧/٢	١٤٦
٢٣٩/١	١٨٦	١٥/٣	١٤٧
٥٥٧/٣	١٨٧	١٩/٤	١٤٨
٣٨٦/٣، ٥٤٥/١	١٨٩	٤٤٠، ٩٩/٣، ٣٣٥/١	١٥٢
٧٨/٢	١٩٠	١٥٩/٤، ٤٤١	
٢٦٨/٢، ١٧٩، ١٤٢/١	١٩١	٢٥٩/١	١٥٥
٢٦٦/٥، ٥٨٦/٤، ٥١٧/٣		٤٠١/٢، ٣٣٣، ٨٦/١	١٥٨
٤٩٩، ٢٨٧، ٢٦٨		٤٤٠، ٢١٨، ٩٧/٣	
		٥٦٤، ٤١٥، ١٥٧/٤	

١٠٦-١٠٤/١	٢٤٣	١٧٩/٣، ٥٣٨/٢، ٣٢٦/١	١٩٣
١٠٥/١	٢٤٤	١٩٨/٤	
٨٦، ٨١/٣	٢٤٥	٤٩٩/٥، ١٧٥/٣	١٩٤
٣٤٢، ١٧٤/٤	٢٤٦	١٤٢، ١٤١/٤، ٤٧٤/١	١٩٦
١١٢/٢، ٥٥٧، ١٥١/١	٢٤٨	٢٨٠/٣، ٢٨٥/١	١٩٧
٣٦١/٤، ٩٠/٣، ٢١٣		٣٠٥/٣	١٩٨
٣٦٥/٥، ٢٣٦/٣، ٢٠٠/٢	٢٤٩	٣٠٥/٣	١٩٩
٤٨١/٣، ٢٦٧/٢، ١٨٣/١	٢٥٣	٢٠٠/٤	٢٠١
٢٢٦/٤		٣٩٥/٢	٢٠٨
٢٦١، ٨٤ — ٨٢/١	٢٥٤	٥٦٢، ١٤٣/٢، ٢٦٩/١	٢١٠
٢٩٤، ٥١/٣، ٢٦٠/٢		٥٨٩	
١٦٩، ٦٤، ٦٢/٤، ٢٩٦		٣٢٨/١	٢١٢
٥٥٠، ٣٥٧، ١٢٩/٥، ٢٦٩		٢٤٢/٤، ١٨٧/٣، ٩٧/٢	٢١٣
٣٠٩، ٣٠٨، ٦٧، ٦٦/١	٢٥٥	٣٢٢/٥، ٢٨٥/٤	٢١٤
٥٧١، ٥٦٧، ٤٠٦/٢		٥٢٥، ٤٨٤، ٤٨٣/٤	٢١٦
٣٧٠، ٣٦٥، ٢٨٠/٣		٥٥٥/٥، ٥٣٨/٢، ٤٦٩/١	٢١٧
٢٤، ٢٠/٤، ٣٧٥		٢٦٧/٥، ٤٣٨/٤	٢١٩
٣٤/٣	٢٥٧	٣٧١/٣، ٥١٢/٢	٢٢٠
٣٦٩/٣، ٤٤٥/١	٢٥٨	٥٥٧/٣	٢٢٢
١٠٤/١	٢٥٩	٥٥٨ — ٥٥٥، ٣٢٥/٣	٢٢٣
١٠٥، ١٠٤/١	٢٦٠	٣٩٣/٤	
٨١/٣، ٦٠٩/٢	٢٦١	١٧٩/٣، ٥٤٠، ٥٦/٢	٢٢٨
٥٧٢/٢	٢٦٣	٣٢٣/٥	
٣٢٩، ٣٢٠، ٣١٨/٢	٢٦٧	٤٦٢/٤، ٤٥٢، ١٩٦/٣	٢٢٩
٣٦٩/٣	٢٦٩	١٣٨/٥	
٢٧٢/١	٢٧٠	١٣٤، ١٣٣/٣، ٣٧١/٢	٢٣٠
١٨٧/١	٢٧٢	٦٧/٥	٢٣١
٩٥/٢	٢٧٩-٢٧٨	٣٦٨/٣، ٥٧٤/٢	٢٣٣
		٥٣٩/٥، ٣٩٣/١	٢٣٥

١٠١/٥	٣٣	٥٦٨ ، ١٩٨/٢ ، ٢٣١/١	٢٨٢
٤٥٩/١	٣٨	١٧٠ ، ٢١ ، ٢٠/٤ ، ٦١٧	
٢٢١ ، ١٧٨/٤	٣٩	٣٣٩	
٥٥٨/٣	٤٠	٤١/٤	٢٨٣
٢٥٢/٤ ، ١٤٨/٢	٤١	٥٧٨/٢	٢٨٤
٢٢١/٤	٤٥	٢٣٩ ، ٢٢١/٤ ، ٢٦٩/١	٢٨٥
٣٩١/٢	٥٠	٢٢١ ، ٢٢٠/٢ ، ٤٨٢/١	٢٨٦
٢١٥/٣ ، ٤٠٠ ، ٣٩٨/٢	٥٥	٤٠١/٥ ، ١٨٩/٤ ، ٥١٧	
٢١٩ ، ٢١٨ ، ٢١٦		﴿سورة آل عمران﴾	
١٣٩/٣ ، ٧/٢ ، ٤٦١/١	٥٩	٨/٣	٣-١
٤٦٠/٢	٦٤	٦٨/٥	٥
٥٩٧/٣ ، ٤١٥/١	٦٧	١٠٣/٣ ، ٤٣/٢ ، ٥١٠/١	٦
٥١٠/١	٧٨	١٠٧ ، ١٠٦	
٤٥٢/٥ ، ٤٦٠/٢	٨٠	٥٥٧/٤ ، ٤٤٥ ، ١٦٨/٢	٧
١٦٧/٢	٨١	٥٥٧/٤	٨
٢٠٨/٤	٨٢-٨١	٣٠٧/٢	٩
٤٥٠ ، ٤٢٠ ، ٢٠٨ ، ٥٦/٥	٨٥	٧١ ، ٥٦/٥ ، ٥٥١/١	١٣
٢٨٤/٢	٩١	١٨٥/٣	١٤
٣٩٥ ، ٣٩٤/٢ ، ٥٠٦/١	٩٣	٢٠٧ ، ٥٦/٥ ، ١٥١/١	١٩
٤٥١/٥ ، ٢٨٧/٤ ، ٥٢٦		٤٥٠ ، ٤٢٠	
٩٣/٥	٩٩	٢٥٦/٥ ، ٣٩٣/٢ ، ٢٨٠/١	٢١
٢٣٣ ، ٢٣٢/٣ ، ٥٣٤/٢	١٠٣	٢٥٧	
١٦٦ ، ١٥٤/٥		٢٤/٤ ، ٣٦٩/٣ ، ٥٧٢/٢	٢٦
٦٢٤ ، ٦٢٣/٣ ، ٥٦/١	١١٠	٥٣٥/١	٢٧
٢٩٦/٤ ، ٦١٥/٢	١١٣	٣٢٣ ، ٢١٨/٥ ، ١٩٩/٣	٢٨
٢٤٤/٤	١١٤-١١٣	٤٣٢	
٦٠٠/٥	١١٤	٦١٢ ، ٦٠٧/٢ ، ٣٤٢/١	٣٠
٣٢٤/٥	١١٨	٢٥٣/٣ ، ٤٨٥ ، ٣٥١/١	٣١
٥٥٨/٢ ، ٢٦٩/١	١١٩	٣٦٢/٥ ، ٥٣٤ ، ٢٤٠/٤	

١٩٠	١١١/١ ، ٤٤٣ ، ١١٣/٢	٩٢/٤	١٢٠
	٣٦٢/٤ ، ٢١٤	١٠٠/٢ ، ٣٤٣/١ ، ٩٥/٥	١٢٢
١٩١	٤٦٥ ، ٤٦٤/٤	٩٦	
١٩٢	٦٠٧/٥	٥٣٨ ، ٢٧٧/٤ ، ٤٥٦/٢	١٢٣
١٩٥	٩٠ ، ٧٩/٤	٣٩٣/٥ ، ٥٣٦/٤	١٢٤-١٢٣
١٩٩	٢٩٦ ، ٢٤٤/٤	٥٣٧ ، ٥٣٦ ، ٥٠٥ ، ٥٠٤/٤	١٢٥-١٢٤
٢٠٠	٤٦/١	٥٣٨/٤	١٢٤
	﴿سورة النساء﴾	٣٨٧/٥ ، ٥٤١ ، ٥٣٧/٤	١٢٦
١	١٤٠/٣ ، ٧ ، ٦/٢	٥٣٧/٤	١٢٧
	٤٠٤ ، ٣٩٠ ، ٣٨٩/٤	٥٧٢/٢	١٢٩
	٥٠٣ ، ١٧٢/٥	٣٢٢/٥	١٤٢
٢	٨٨/٤ ، ٣٦٩/٣	٢١٢/٣	١٤٥
٣	٤٠٧/٤ ، ٢٥١/٢	٨٤/٥	١٥٢
٤	٥٥٨ ، ١٤٢/٢ ، ٢٦٨/١	٦٨/٥	١٥٣
٦	٥٠٧ ، ٤٠٦/٢ ، ١٨٩/١	٦٨/٥ ، ٥٤٤ ، ٥٤٣/٤	١٥٤
	٥٧٠ ، ٥٠٩ ، ٥٠٨	٣٢٠	
٨	٣٦٨/٣ ، ٥٧٤/٢	٣٩٧ ، ٣٩٤/٥ ، ٥٣٧/٤	١٥٥
٩	١١٠/٥ ، ١٣٨/٤ ، ٧٢/١	١٧٦/٢	١٥٩
١٠	١٣١/٣ ، ٥٠٣ ، ٣٧٠/٢	٣٦٩/٣	١٦٤
	٥٨٤/٤	٨٤/٥	١٦٥
١١	٢٣٤/٥ ، ٥٧/٢ ، ٤٦١/١	٣٢٢/٥	١٦٧-١٦٦
١٢	١٢٧/٣	٢٠٩ ، ٢٠٨ ، ١٧٠/١	١٦٧
١٦	٥٥٤/٣	٥٦٥/٥	١٦٩
١٨	٢٨٤/٢	١٧٠/٥	١٧٣
٢٠	٣٦٩/٣	١٤٨/٥ ، ٤٢٩/٤	١٧٥
٢٢	١٧٤/٣ ، ٢٢٥/٢	٥٧٦/٥ ، ٣٣٠/١	١٧٨
٢٤	٥٧/٢	٣٢٢/٥ ، ٦٠١/٤ ، ٣٩٢/١	١٧٩
٢٦	٥٧٧ ، ٥٧٦/٥	٣٤٣/٥	١٨٥
٢٨	٥٦٨/٢	٤٠٥ ، ٢٧٠/٥	١٨٦

٤٠٢ ، ٣٩٤ ، ٢٢٨/٢	٨٧	١٨٠/٣	٢٩
٣٤٩/٣		٥٦١،٩/٥	٣٣
٢٥٩/٥	٩٠-٨٩	٥٧١ ، ٥٠٥ ، ٤٠٦/٢	٣٤
١٥٨/٥ ، ٦٣٣/٢ ، ٤٧٢/١	٩٢	٢٤/٤ ، ٣٧٠ ، ٣٢١/٣	
٤٨٨/٢	٩٣	٣٩٨	
٥١٠/٤ ، ٢١٣ ، ٢١٢/٣	٩٧	١١٨/٥ ، ٧١ ، ٤٩/٣	٤٠
١٠٧ ، ١٠٦/٥		٢٧٦/٢	٤٢
١٠٦/٥	٩٩-٩٧	٢٦٧/٥	٤٣
٢٣٣/٣ ، ٥٤٥/٢ ، ٥٤٦/١	١٠٢	٢٦٦/١	٤٧
٧٧ ، ٧٦/٥ ، ٥٨٣/٤		— ٤٥٢ ، ٣٠٩ ، ٢٨٤/٢	٤٨
١٨٦ ، ١٨٥/٢	١٠٣-١٠٢	٦٢٩ ، ٤٩٥	
١٥١/٥	١٠٥	١٣٠/٥	٥١
٦٠٤ ، ٤٥٥/٥ ، ٢٧٢/١	١١٢	١٢١ ، ١٠٣/٥ ، ٥٥٦/٤	٥٦
٣٠/٣ ، ٥٢٤ ، ٣٧٤/١	١١٧	٥١٨/٢	٥٨
٤٨٦ ، ٤٤٣ ، ٢٥٧/٥		٣٠/٣ ، ٥٢٤ ، ٣٧٥/١	٦٠
٣٤٠/٢	١١٩	٤٤٤/٥ ، ٢٣٣/٤ ، ٣١	
٣٤٩/٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩٤/٢	١٢٢	٤٨٨	
١٦٧/١	١٢٣	١٣٤/٢	٦٤
٥٧٠/٥ ، ٢٥٣/٣ ، ٣٦٠/١	١٢٤	١١٣/٣ ، ٤٦١ ، ١٢١/٢	٦٥
٤١٦ ، ٨٣/١	١٢٥	٤٨٨ ، ٤٤٤/٥	
٥٠٦/٢	١٢٧	٥٤٦/٥	٦٦
٤٠٦/٤	١٢٩	٢٦٨/١	٦٩
٥١١/٥ ، ٣٠٥/٢	١٣٣	٥٥٩/٥	٧٢
٥٢٠ ، ٥١٩/٢ ، ٢٧٢/١	١٣٥	١٠٦/٤	٧٨
٤٥٥/٥ ، ٥٨٨ ، ١٨١/٣		٢٥٣/٣ ، ٤٨٥ ، ٣٥١/١	٨٠
٦٠٠/٥	١٣٦	٦٠٣/٥ ، ٥٣٤ ، ٢٤٠/٤	
٢١١/٥	١٤١	٢٣٦/٢ ، ١٣/١	٨٢
٥٧٥/٥ ، ٢٨٨ ، ٥١/١	١٤٢	٣٠٧ ، ٦٤/١	٨٥
٢٩٨/٢	١٤٥	٢٨٢/٥ ، ٣٩٤/٣ ، ٣٥٢/٢	٨٦

٢	٢٣٠/٢ ، ٣٨٦ ، ٥٤٢	١٠١/١	١٥٣
	٥٩٧/٥ ، ٥٥٨/٤	٣٠٦/٤	١٥٤
٣	٢١٧/٢ ، ٤٧١ ، ٤٧٠/١	١٣٠/٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٢/١	١٥٥
	٣٨٢ ، ٣٦١ ، ٢١٩ ، ٢١٨	٥٣ ، ٣٩/٤ ، ٣٩٣	
	١١٦/٤ ، ٦٢١/٣ ، ٣٨٤	٣٩٦/٢	١٥٦
	٤٥٠ ، ٤٤٢ ، ٤١٧ ، ٥٦/٥	٣٩٣/٢	١٥٧-١٥٦
	٥٥٥	٣٩٧/٢	١٥٩-١٥٦
٤	٢٥/٤ ، ٣٦٩/٣ ، ٥٧٥/٢	٤٠٢ ، ٣٩٦/٢ ، ٤٣٤/١	١٥٧
٥	٤٦٩/١	٢١٧ ، ٢١٦/٣	
٦	٥٥٨ ، ١٤٢/٢ ، ٢٦٨/١	٢١٦/٣ ، ٤٠٢/٢	١٥٨-١٥٧
	٥٩٣/٥ ، ٥٥/٣	٥٩١ ، ٣٩٧ ، ٣٩٦/٢	١٥٩
٨	٥١٩/٢ ، ٩٧/١	٢١٩ ، ٢١٧/٣	
١٢	٢٤٩/٤	٣٩٣ ، ٣٩١/٢	١٦١-١٦٠
١٥	٥٠٥ ، ٥٠٣ ، ٣٥٥/١	٢٧٦/٣ ، ٥٢٦/٢ ، ٥٠٥/١	١٦٠
	٤٥١ ، ٤٤٨/٥	٤٧٧ ، ٣٩٠/١	١٦٣
١٨	١٦٧/١	٢١/٤ ، ٥٦٨/٢ ، ١٨٣/١	١٦٤
١٩	٥٧٨ ، ٤٥٠/٣ ، ٢٩١/٢	١٦٢	
	٦٢٣	٢٩٣ ، ٢٨٣ ، ٢٨٠/٢	١٦٥
٢١	٢٧٦/٤ ، ١١١/١	٢٨١ ، ٢٢٦/٤ ، ٤٩/٣	
٢٢	٢٧٦/٤ ، ٥٩/١	٣١٢	
٢٦-٢٤	٢٥٠/٤	٦٧/٣ ، ٥٦٨/٢	١٦٦
٢٤	٢٧٦/٢٤ ، ٥٩ ، ٥٨/١	٣٧٨/٤	١٧١
	٤٨٨	٢١٤/٤ ، ٣١٩/٣ ، ٥٣٥/٢	١٧٤
٢٥	٧٥/١	٤٤٨/٥	
٢٦	٣٠٦/٣ ، ٤٤٩/٢	١٢٧/٣ ، ٥٥٣/٢ ، ٣٧٩/١	١٧٦
٢٨	٥١٧/١	٣٩٥/٤ ، ٣٢٠ ، ١٢٨	
٢٩	١٥٢/٢	٥٣٨ ، ٢٣٤/٥ ، ٤٠٥	
٣٣	٤٨٩/٢	﴿سورة المائدة﴾	
٣٤	١٩/٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٤/٣	٥٢١/٢	١

٢٨١/٤، ١٠١/٢، ٣٤٥/١	٧٩	٦٠٩/٥، ٢٤٩/٢	٣٧
٩٧/٥		٤٢٧/٤، ١٨١/٣	٣٨
٥٨٤/٥	٨٠	٥٢٧/٢، ١٩٣، ١٨٧/١	٤١
٤٠٥، ٢٧٠/٥	٨٢	٣٧٣/٤، ٦٠٠، ٤٩٠/٣	٤٥٥
٣٩٤/٣	٨٦		
١٦٠/٣	٨٧	١٢٤/٣	٤٧-٤٤
٤٧٤، ٤٧٣، ٤٧٢/١	٨٩	٦٣٠، ٣٩٢/٢، ٤٨٤/١	٤٤
٢٦٧/٥، ١٨٠/٣، ١٨١/٢	٩٠	٢٠٦/٤	
٥٤٠/٢	٩١	٤٨١/١	٤٥
٢٧٧، ٢٧٦/٤، ٥٩/١	٩٤	٣٩٢/٢	٤٧
٦٨/١	٩٥	٤٩٣، ٤٨٤، ٤٨٣/١	٤٨
٨٠/١	٩٧	٤٥١/٥، ٣٩٤/٢، ٥٠٥	
٢١/٣	١٠٥	١٢٤/٣	٤٩
٥٨، ٥٧/٣	١٠٩	٢١٨/٥	٥١
٣٩٨/٢	١١٧-١١٦	٢٢١/٥، ٤٣٦/٤، ٥٤٤/٢	٥٤
٢١٦/٣	١١٦	٥١١	
٢١٥/٣، ٣٩٨/٢	١١٧	٢٢٢/٥، ٤٣٠، ١٩٨/٤	٥٥
١٧٩، ١٧٨/٥، ٥١٢/٤	١١٨	٨٥/٥	٥٨
﴿سورة الأنعام﴾		٩٧/٥، ١٠١/٢، ٣٤٥/١	٦٣
٣٨٩/٤، ١٤١/٢، ١٥٣/١	١	٤٥٦، ٥٤/٤	٦٨-٦٤
٣٣٨، ١٣٢/٥		٣١٥/٣	٦٤
٦/٢	٢	٢٤٥/٤، ٦٣٠/٣، ٥٦/١	٦٦
١٢٥/٢	٧	٤٣٢/٤	٦٧
١٣١، ١٠٨، ١٠٧/٢	٨	٣٠٦/٣، ٢٨٤/٢	٧٢
٢٨٧، ١٩٤/٣	٩	٣٧٨، ٣٧٧/٤، ٤٢٦/٢	٧٣
٣٦٠/١	١٣	٤٠٢/٥، ١٨٦/٤، ٣٤١/١	٧٤
١٧١/٢، ٤٢٦/١	١٤	٤٨/٤	٧٥
٢٢٤، ٢٠٢/٤، ٤٢٦/٢	١٩	٣٣٧/٤	٧٧
٣٥١		٢٧١/٤	٧٨

٢٠٧ ، ٢٠٦ ، ١٧٠/١	٣٨	٢٨٦/١	٢١
٢١٤ ، ٢١٢ ، ٢١٠ ، ٢٠٩		٢٧٦ ، ٦٢/٢ ، ٣٢٦/١	٢٣
٢٤٣ ، ٢١٨ ، ٢١٧ ، ٢١٦		٢١٨/٥ ، ٥٦٠ ، ١٩٨/٤	
١٧٥/٣ ، ٣٥٠ ، ٢٢٨/٢		١٩٧ ، ١٩٦/٢ ، ٢٣٠/١	٢٤
٥٨٤ ، ٥٥٨/٤		١٧١/٤	
٢٢٨ ، ٢٢٣ ، ٢٢٠/١	٣٩	٤٥٠/٤	٢٥
٢٣٢ ، ٢٢٩		٣٦١/١	٢٦
٢٣٣/١	٤١-٤٠	٣٧/٢ ، ٥٥٣ ، ٤٤٩/١	٢٧
٢٣٨ ، ٢٣٧/١	٤٠	٢٠٦/٣ ، ٢٥٠ ، ٢٤٩	
٢٣٩ ، ٢٣٨/١	٤١	٣٢١ ، ١٩٧/٥ ، ٣٣٥	
٢٤١ ، ٢٤٠/١	٤٥-٤٢	٦١٠ ، ٥٤٦	
٣٦٣/٤ ، ١١١/٢	٤٤	٣٧/٢ ، ٥٥٣ ، ٤٤٩/١	٢٨
٢٤٣ ، ٢٤١ ، ٢٤٠/١	٤٧-٤٢	٣٣٥ ، ٢٠٦/٣ ، ٢٥٠	
٢٤٩ ، ٢٤٨ ، ٢٤٥ ، ٢٤٤		١٩٧/٥ ، ٥٢/٤ ، ٦٠١	
٢٥٦ ، ٢٥٥ ، ٢٥٤ ، ٢٥٠		٦١٠ ، ٥٤٦ ، ٣٣٠ ، ٣٢١	
٢٦١ ، ٢٦٠ ، ٢٥٩ ، ٢٥٨		— ١٧٦ ، ١٧٤ ، ١٧٣/١	٣٦-٣٣
٢٧١ ، ٢٦٧ ، ٢٦٤ ، ٢٦٢		١٨٧ ، ١٨٥ ، ١٨١ ، ١٧٨	
٢٧٨ ، ٢٧٧ ، ٢٧٦ ، ٢٧٥		١٩٤ ، ١٩٣ ، ١٩١-١٨٩	
٢٧٨/١	٤٩-٤٨	١٣٧ ، ٨٥/٢	٣٥-٣٣
٢٨٥ ، ٢٨٣ ، ٢٧٨/١	٥٢-٤٨	١٧٧ ، ١٧٦ ، ١٧٤/١	٣٣
٢٩١ ، ٢٩٠ ، ٢٨٩ ، ٢٨٦		٣١٤ ، ١٣/٣ ، ١٨١ ، ١٧٨	
٣٠٤ ، ٣٠١ ، ٣٠٠ ، ٢٩٤		١٨٤ ، ١٨٣ ، ١٨١/١	٣٤
٣٨٧ ، ٣٠٥		١٣٧/٢ ، ١٨٥	
٢٩٤ ، ٢٩١ ، ٢٩٠/١	٥٠	٤١٧ ، ٤١٢ ، ٧٩/٢	٣٥
٣٨٧ ، ٣٠١ ، ٣٠٠		١٩٨-١٩٦ ، ١٩٤ ، ١٠٦/١	٣٦
٣٨٥ ، ٣٨٤/٤ ، ٣٣٢/٣		٢٠٢ ، ٢٠١ ، ١٩٩/١	٣٧
٣٢١ ، ٣١٤ ، ٣١٢/١	٥٢	٢٧٩ ، ٢٠٧ ، ٢٠٥ ، ٢٠٤	
٥٢٠ ، ٥١٩ ، ٣٢٣		٢٠٥/١	٤١-٣٨
٣١٢/٣	٥٣		

٤٤٠ ، ٤٣٧ ، ٤٣٦/١	٨١	٣٣٣ ، ٣٣٢ ، ٣٢٤/١	٥٥-٥٣
٣٣٣/٥ ، ٤٢٩/٤		٣٤٦ ، ٣٤١ ، ٣٣٧ ، ٣٣٦	
٢٦٠/٢ ، ٤٣٧ ، ٨٣/١	٨٢	٣٥٢	
٢٦٩/٤ ، ٢٩٤ ، ٥١/٣		٢٧٧/٣ ، ٤١١ ، ٣٥٣/١	٥٥
٥٥٠ ، ٣٥٨ ، ١٢٩/٥		٤٨/٤ ، ٥٨٤	
٤٥٨ ، ٤٣٩/١	٨٥-٨٣	٣٧٠ ، ٣٦٥ ، ٣٦٠/١	٥٩-٥٦
٤٣٩ ، ٤٢٢ ، ٤١٥/١	٨٣	٣٩١ ، ٣٨٣ ، ٣٨٠ ، ٣٧٩	
٤٤٦ ، ٤٤٣		٣٩٥ ، ٣٩٣	
٤٥٣ ، ٤٥١ ، ٤٥٠ ، ٧٩/١	٨٤	٧٨ ، ٧٥/٢	٥٧
٣١٠/٣ ، ٤٧٦ ، ٤٧٥ ، ٤٥٤		٣٧٨/٤	٥٩
٤٦٢/١	٨٦	٢١٩/٣ ، ٤٠٠/٢	٦٠
٤٦٦/١	٨٧	٢١٣ ، ٢١٢/٣ ، ٥٦١/٢	٦١
٤٦٩ ، ٤٦٧/١	٨٨	١٠/٥	٦٢
٤٨٥/١	٨٩	٢٥٥/١	٦٨
٤٨٣ ، ٤٧٨ ، ١٩٢ ، ٧٩/١	٩٠	٤٠٢/١	٧١
٤٩٤ ، ٤٨٩ ، ٤٨٨ ، ٤٨٤		٤١٠ ، ٤٠٩ ، ٤٠١/١	٨٢-٧٤
٣١٠/٣ ، ٦١٩/٢ ، ٤٩٦		٤٢٢ ، ٤١٥ ، ٤١٤ ، ٤١١	
٤٥٤/٤		٤٦٨ ، ٤٢٤ ، ٤٢٣	
٤٩٨ ، ٤٩٦ ، ١٦٩/١	٩١	٤٠٥ ، ٤٠٣ ، ٤٠٢/١	٧٤
٥٠٢ ، ٥٠١ ، ٥٠٠ ، ٤٩٩		٥٣٩/٣ ، ٤٤٢ ، ٤٠٨ ، ٤٠٧	
٢٩٨/٤ ، ٥٢٥ ، ٢١٧/٢		٦٢٤/٢	٧٥
٥٠٨ ، ٥٠٧ ، ٥٠٤ ، ٧/١	٩٢	٤٢٢ ، ٤١٥ ، ٤١٢/١	٧٦
٥٢٥/٢ ، ٥١١		٤٤٤ ، ٤٤٢ ، ٤٤٠ ، ٤٢٧	
٥١٢ ، ٥١١ ، ٤٩٧/١	٩٣	٦٢٤ ، ٦٢٣ ، ٦٢١/٢	
٥٢١ ، ٥٢٠ ، ٥١٦ ، ٥١٥		٥٩٧ ، ٥٤٤/٣	
٥٧٩/٤ ، ٢١٧/٢ ، ٥٢٤		٤٤٤ ، ٤٢٧-٤٢٤ ، ٤١٤/١	٧٩-٧٨
١١٣/٥		٤٢٧ ، ٤٢٢ ، ٤١٥/١	٨٠
٥٢٨ ، ٥٢٥ ، ٥٢٠/١	٩٤	٤٤٦ ، ٤٢٨	
٥٥٩ ، ٥٥٤ ، ٥٣٧ ، ٥٣٠/١	٩٧-٩٥		

١٩١، ١٦٥، ١٦٢، ٧٢/٢	١١٥	٦١، ٤١، ٣٤/٢	٩٥
٢٠٢، ٢٠١، ١٩٤/٢	١٢٠-١١٦	٣٤، ١٦، ١٣/٢	٩٧
٢٠٨، ٢٠٦، ٢٠٥		٥/٢	٩٩-٩٨
١٩٩، ١٩٨، ١٩٥/٢	١١٦	٤١، ٣٤، ١٦، ١٣، ٦، ٥/٢	٩٨
٥٦/٤، ٦٠٣، ٢٠١		٢١، ١٨، ١٧/٢، ٥٣٢/١	٩٩
٣٨٣/١	١١٧	٤٢٢/٣، ٤١، ٣٤، ٣٢	
٣٨١، ٢١٨، ٢١٥/٢	١١٩	٤٢، ٤١، ٣٨، ٣٦، ٣٣/٢	١٠٤-١٠٠
٢٥٧/٣		٥٧، ٥٦، ٥٣، ٤٦، ٤٥	
١٧٣/٣، ٤٨٣، ٢٢٤/٢	١٢٠	٥٠١/٥	١٠١
٧٦/٢، ٥٢٢، ٣٧١/١	١٢١	١٥٢/٤	١٠٣
٢٨، ٢٧/٣، ٢٣٢، ١٤٩		٧٥، ٧٤، ٧٠، ٦٦، ٦٠/٢	١٠٤
٢٣٢، ٢٣١/٤، ٣٧، ٢٩		٧٤، ٧٠، ٦٩، ٦٦/٢	١٠٥
٤٤٤٢، ٤٠٧، ٤٠٦/٥		٧٠/٢	١٠٧-١٠٦
٤٨٥، ٤٤٣		٧٩، ٧٨، ٧٤، ٧٠/٢	١٠٦
٥٣٤/٢، ١٩٧، ١٠٦/١	١٢٢	١٣٠، ١٢٦، ٧٩/٢	١١٠-١٠٧
٣١٩/٤، ٥٩٥/٣	١٢٤	٤٣٧، ٤١٢، ٨٥، ٨٤، ٧٩/٢	١٠٧
١٤/٣، ١٩٢/١	١٢٥	٩٨، ٩٦، ٩٥، ٨٥/٢	١٠٨
٢٣١، ٢٢٨، ٢٢٦/٢	١٢٨	٤٧٦، ١٠٦	
٢٤٤، ٢٤٣، ٢٤٢، ٢٣٣		٥٦٠/٢	١١١-١٠٩
٢٦٤، ٢٥٧، ٢٥٦، ٢٥٠		١٢٤، ١٠٨، ١٠٧/٢	١٠٩
٦٠٨/٥، ٢٠٤، ٢٠٣/٣		١١٣/٣، ٤٦٢، ١٢٦	
٢٦٤، ٢٥٦، ٢٥٥/٢	١٣٤-١٢٩	١١٠/٤، ٢٢٣/١	١١٠
٣٠٧، ٢٧٨، ٢٧٤		١٣١، ١١٧، ١٠٨/١	١١١
٢٨٣، ٢٨٢، ٢٧٨/٢	١٣٤-١٣١	١٥٣، ١٣٧، ١٣٦/٢	١١٥-١١٢
٣٠٠، ٢٩٨		١٧٠، ١٦٨، ١٥٨، ١٥٧	
٥١١/٥، ٣٠٩/٤	١٣٣	٣٤٢، ٢٥٢، ٢٥١/١	١١٢
٣١٠/٢	١٣٥	١٤٠، ١٣٧، ١٣٥، ٩٨/٢	
٤٤٤/٢	١٣٦	٣٢٤/٤، ١٥٢، ١٤٩	
٧٧/٢، ٥٢٣، ٣٧٤/١	١٣٧	٩٤/٥، ٤٣٤، ٣٨٨	

٤٧/٤، ٢٦/١	١٥٧	٤٣٧/٢	١٣٨
٥٨٩، ٥٨٨، ٥٧٨، ٥٦٠/٢	١٥٨	٤٣٧/٢	١٣٩
٦٠٨، ٦٠١/٢	١٥٩	٤٢٣/٤	١٤٠
٢٢٨/٣، ٦١٠، ٦٠٨/٢	١٦٠	٣٣٣، ٣٣١، ٣٣٠/٢	١٤١
٢٥٥		١٢٩/٤، ٤١٠، ٣٣٧	
٦١٣/٢	١٦١	٣٤٤، ٣٣٣/٢	١٤٢
٦٢٦/٢ ١٦٣-١٦٢		٤١٠، ٣٥٨، ٣٤٤، ٣٣٤/٢	١٤٣
٦٣٠/٢	١٦٤	٣٥٦/٢	١٤٤
٦٣٥، ٤٠٧/٢	١٦٥	٣٥٧، ٢١٨/٢، ٤٧٠/١	١٤٥
﴿سورة الاعراف﴾		٣٦٤، ٢١٧/٢، ٤٧١/١	١٤٦
٨/٣	٢-١	٣٨٦	
٥/٣	٣-١	٤٠٧، ٤٠٣/٢	١٤٧
٣٧، ٣٤، ٣٢، ٢١، ٢٠/٣	٣	٢١٨، ٢١٧/٢، ٤٧١/١	١٤٨
١٢٣، ٩٢، ٩١، ٤١		٤١٦، ٤١١، ٤٠٩، ٣٦٤	
٥٤، ٤٩، ٤٨، ٤١، ٤٠/٣	٧-٤	٤٣٤، ٤٢٩، ٤٢٨، ٤٢٦	
٥٧، ٥٦		٤١٧، ٨٢/٢، ٢٢٥/١	١٤٩
٧٠، ٦٧، ٦٣، ٦١/٣	٧-٦	٣٣٤، ٣٦/٤، ٤٣٧-٤٣٥	
٦١، ٥٨/٣، ٥٧٦/٢	٦	١٦٩/٣، ٤٣١، ٤٣٧/٢	١٥٠
٣٤٨/٥، ١٢/٤، ٣٥٣		٥١٦، ٥٠٤، ٤٤٤/٢	١٥٣-١٥١
٢٥٥/٢، ٣٩٥، ٣٩٤/١	٧	٥٢٣، ٥٢٠، ٥١٨	
٥٦٨، ٤٨٤		٤٤٤، ٢١٧/٢، ٤٩٧/١	١٥١
٩٢، ٩١، ٨٩، ٨٥، ٦٩/٣	٩-٨	٤٨٢، ٤٧٤، ٤٦٨، ٤٤٥	
٢٨٥، ٨١، ٧٩/٣، ٦١٠/٢	٨	٥٢٣، ٥٠٠، ٤٨٨، ٤٨٧	
١٠٠، ٩٦، ٩٤-٩٢/٣	١٣-١٠	٤٠٩/٤، ١١٣/٣، ٥٢٥	
١١٥، ١١٢-١٠٨، ١٠٣		١٠٨/٣	١٥٤-١٥٣
١١٩، ١١٨		٥٣٥/٢، ٢٣٣/١	١٥٣
١٢١، ٢٠/٣	١٢-١١	٥٢٥، ٥٢٤/٢	١٥٤
١٥٢/٥، ٤١٩/٤	١١	٥٣٦، ٥٢٥، ٥٢٤/٢	١٥٥
		٥٥٣/٢	١٥٧-١٥٦

٢٧٤ ، ٢٧٢ ، ٢٧١/٣	٤٤	١٢١ ، ١٨/٢ ، ٢٣/١	١٢
٦٢١ ، ٦٢٠ ، ٢٧٦		١٥٢/٥ ، ٤٦١	
٢٨٨ ، ٢٨٣ ، ٢٨٢/٣	٥١-٤٦	٣٤٠/٢	١٧-١٦
٢٩٦ ، ٢٩٣ ، ٢٩١ ، ٢٨٩		٢٧٦/٥ ، ٣٤٤/٢	١٦
٣٠٨ ، ٣٠٧ ، ٣٠١ ، ٢٩٧		٤٣٧ ، ٣٥٦/٢	٢٨
٣١٣ ، ٣١٢		٥١٣/١	٣٠
٣٢٧/١	٤٩	١٥١ ، ١٤٩/٣ ، ٣٣٢/٢	٣١
٣٠٣ ، ٢٩٩/٣ ، ٢٨٤/٢	٥٠	١٦٥ ، ١٥٩ ، ١٥٦ ، ١٥٤	
٣٠٥		١٦٧	
٢٤٠/١	٥١	١٧٢ ، ١٧٠ ، ١٦٨/٣	٣٢
٣٠٠/٥	٥٢	١٧٨ ، ١٧٧ ، ١٧٥ ، ١٧٣/٣	٣٣
٣١٨ ، ٣١٥ ، ٣١٤/٣	٥٤-٥٢	١٩٠ ، ١٨٥ ، ١٨٤/٣	٣٧-٣٤
٣٤٠ ، ٣٣٧ ، ٣٣٦ ، ٣٣١		١٩٧ ، ١٩٦ ، ١٩٥ ، ١٩١	
٣٤١		٢٠٧ ، ٢٠١ ، ٢٠٠	
٤٢٨/٢	٥٣	١٨٩ ، ١٨٧ ، ١٨٥/٣	٣٤
٣٤٢/٣ ، ٥٨٤/٢ ، ٢٣/١	٥٤	٢٢١ ، ٢٢٠ ، ٢١٣-٢٠٩/٣	٣٧
٣٧٦ ، ٣٥٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٣		٢٢٦ ، ٢٢٤ ، ٢٢٢-٢٢١/٣	٤٠-٣٨
٣٩٠ ، ٣٨٤ ، ٣٨٢ ، ٣٨١		٢٤٩ ، ٢٤٠ ، ٢٢٨-	
٤٩٤ ، ٣٩٦		٢٧١ ، ٢٥٧/٢ ، ٢٤٢/١	٣٨
٣٧٣ ، ٣٤٢ ، ٣٤١/٣	٥٧-٥٤	٥٠٠/٥	
٤٠٤ ، ٤٠٢ ، ٣٩٩ ، ٣٩٧		٢٤٢ ، ٢٤١ ، ٢١٣/٣	٤٠
٤١٣ ، ٤١٢ ، ٤٠٨ ، ٤٠٦		٢٤٧ ، ٢٤٤	
٤٢٩ ، ٤٢٥ ، ٤٢١ ، ٤١٦		٥٥٨/٥	٤١
٣٠٠/١	٥٥	٢٨٢ ، ٢٧٨ ، ٢٧٦ ، ٢٤٩/٣	٤٦-٤٢
١٨-١٧/٢ ، ٢٣/١	٥٧	٢٦٠-٢٥٥ ، ٢٥١-٢٤٩/٣	٤٣-٤٢
٤٤٢ ، ٤٣٧ ، ٤٣١ ، ٤٣٠/٣	٥٨	٢٦٩-٢٦٣ ، ٢٦١ ، ٨٩/٣	٤٣
٤٤٣ ، ٤٤٢/٣	٦٢-٥٩	١٧٦/٤ ، ٦١٩ ، ٢٧١	
٤٤٨ ، ٤٤٣/٣ ، ٤٥١/٢	٥٩	٣٤٤ ، ٣٤٣	
٤٧٦ ، ٤٧٣ ، ٤٥٦ ، ٤٥٢			

٥٩١ ، ٥٨٩ ، ٥٨٨/٣	٨٩-٨٥	٥٧٧ ، ٥٣٩ ، ٥٠٩ ، ٥٦٩	
— ٥٩٨ ، ٥٩٥ ، ٥٩٤ ، ٥٩٢		٥٧٤	
٦١٠ ، ٦٠٦ ، ٦٠٠		٤٦٠ ، ٤٥٦ ، ٤٥٣/٣	٦٠
٥٧٤/٣ ، ٥١٤ ، ٤٥١/٢	٨٥	٤٧٨ ، ٤٧٣	
— ٥٨٤ ، ٥٨١ ، ٥٧٨ ، ٥٧٦		٤٨٠ ، ٤٧٤ ، ٤٥٦ ، ٤٥٤/٣	٦١
٦٠٨ ، ٦٠٠ ، ٥٩٠ ، ٥٨٧		٤٥٦ ، ٤٥٥/٣	٦٢
٦٧/٤ ، ٤٠٣ ، ٨٧/١	٨٦	٤٦٧ ، ٤٦٦ ، ٤٥٦/٣	٦٤-٦٣
٢٧٥/٥ ، ٥٣٠ ، ٤٠٩ ، ٣٠٥		٤٧٣ ، ٤٧٢ ، ٤٧٠ ، ٤٦٨	
١٦٥/١	٨٩	٤٥٩-٤٥٦ ، ١٩٥/٣	٦٣
٦١٢ ، ٦٠٧ ، ٦٠٦/٣	٩٠	٤٨٠ ، ٤٧٩ ، ٤٧٨-٤٧٣/٣	٦٨-٦٥
٦٢٠ ، ٦١٥ ، ٦١٢/٣	٩٢-٩١	٤٧٧ — ٤٧٤/٣ ، ٤٥١/٢	٦٥
٦٠٩ ، ٦٠٨ ، ٥٣٢/٣	٩١	٥٧٤ ، ٥٧٠ ، ٥٣٩ ، ٥٠٩	
٦١١ ، ٦١٠		٤٨٣/٣	٧٢-٦٩
٦٢٥ ، ٦٢١ ، ٦٢٠/٣	٩٣	٤٨٦ — ٤٨٤ ، ٤٧٥/٣	٦٩
٦٢٨-٦٢٥/٣ ، ٢٤٦/١	٩٥-٩٤	٥٢٢ ، ٤٩٠	
٦٣٠ ، ٦٢٩/٣	٩٦	٥٠٥ ، ٤٩٥ ، ٤٩٣-٤٩١/٣	٧٢-٧٠
٤٨/٣	٩٩-٩٧	٥٠٨-	
٦٠٥/٤	١٠١-٩٧	٥٢٣ ، ٥٢٢ ، ٥٠٨/٣	٧٥-٧٣
٧٠٦/٤	٩٨	٥١١ ، ٤٧٦/٣ ، ٤٥١/٢	٧٣
٢٧ ، ٢٦ ، ١٣ ، ٨ ، ٧/٤	٩٩	٥٣٩ ، ٥٢٠ ، ٥١٩ ، ٥١٢	
٤٣ ، ٤٠ — ٣٨ ، ٣١ — ٢٧/٤	١٠٠	٥٧٤ ، ٥٧٠	
٦٠ — ٥٢ ، ٥٠ ، ٤٧ — ٤٤/٤	١٠٥-١٠١	٥٣٤ ، ٥٢٧/٣	٧٩-٧٥
٦٥		٥١٧ ، ٥١٦ ، ٥٩/٣	٧٧
٣٦٥/١	١٠١	٥٣٤ ، ٥٣٢ ، ٥١٩/٣	٩١-٧٨
٥٧٢/٣	١٠٣	٦١٢ ، ٦٠٩	
٧٣-٧١ ، ٦٨ ، ٦٧ ، ٦٥/٤	١٠٥-١٠٤	٥٤١ ، ٥٣٩ ، ٥٣٥/٣	٨٤-٨٠
٧٤ ، ٧٣/٤	١٠٦	٥٦٨-٥٦٣ ، ٥٤٧ ، ٥٤٣	
٥٥٨/٤ ، ٢٢٧/٢	١١١	٥٩٣ ، ٥٩٢ ، ٥٦٩/٣	٨٧-٨٥
٧٥ ، ٧٤/٤	١١٤		

٢٧٧/٣، ١٩٨/٢، ٢٥٤/١	١٤٦	٨١، ٧٨-٧٥/٤	١١٦-١١٥
٢٩٨، ٩٣/٥		٩٢، ٩٠-٨٨، ٧٦، ٧٥/٤	١٢٤-١١٥
١٦٨، ١٦٥، ١٦٣، ١٦٢/٤	١٥٠-١٤٨	٨٧، ٨٦، ٨٢، ٨١/٤	١١٩-١١٧
٨٢، ٨١/١	١٤٨	٨٨-٨٦، ٨٤/٤	١٢٠
١٧٢، ١٦٩/٤	١٤٩	- ١٠٠، ٩٨ - ٩١، ٨٧/٤	١٢٩-١٢٥
- ١٨٢، ١٧٧، ١٧٦/٤	١٥٥-١٥٠	١٣٦، ١٠٣	
١٩٤، ١٩١ - ١٨٩، ١٨٥		١١١، ١٠٩، ١٠٦-١٠٣/٤	١٣٥-١٣٠
١٩٩		١٢٣، ١٢٠ - ١١٧، ١١٣-	
١٥٨، ١٠٢/١	١٥٥	١٢٥-	
٤٦٠/٣	١٥٧-١٥٦	١٢٠/٥	١٣٢
٢٠٠، ١٩٩/٤	١٥٩-١٥٦	١٢٠/٥	١٣٥-١٣٤
٤٠٣، ٣٨٧/٢، ٣٤٠/١	١٥٦	١٣٢/٤	١٣٦
٢٠٥، ٢٠٠/٤		١٣٠-١٢٥/٤	١٣٧
٥٣٥، ٢٢٠/٢، ٤٨٢/١	١٥٧	١٣٠/٤	١٣٩-١٣٨
٢٠٨ - ٢٠٥، ٢٠٠/٤		٥٨٢، ١٣٣، ١٣٠/٤	١٣٨
٤٤٨/٥، ٢١٧، ٢١٦		٣٦٧/٥	
٢٢٠، ٢١٨/٤، ٥٠٧/١	١٥٨	١٣٥، ١٣٤، ١٣٠/٤	١٤٠-١٣٩
٢٢٨، ٢٢٣، ٢٢٢		١٣٦، ١٣٥، ١٢٦/٤	١٤١
٢٤٤، ٢٢٢/٤، ٥٣٧/١	١٥٩	١٤٠، ١٣٩	
٣٥٨، ٢٩٤، ٢٤٧، ٢٤٥		١١٥، ٢٢/٣، ٧٨/١	١٤٢
٢٤١/٤	١٦٠-١٥٩	١٧٩، ١٤٣ - ١٤٠/٤	
٢٥١، ٢٤٩ - ٢٤٧/٤	١٦٠	١٥٢/٥	
٢٥٩، ٢٥٤		١٤٧، ١٤٤، ١٤٣/٤	١٤٤-١٤٣
٢٦٣، ٢٦٠، ٢٥٩/٤	١٦١	١٩٢، ١٥٦-١٥٤، ١٤٨	
٢٦٧، ٢٦٤		٤٨، ٤٦/٢	١٤٣
٢٧٠، ٢٦٧، ٢٦٢/٤	١٦٢	٢١/٤، ٥٦٨، ٤٠٤/٢	١٤٤
٢٧٤، ٢٧٠/٤، ٥٩/١	١٦٣	١٦٠، ١٥٧	
٢٧٨، ٢٧٥		١٥٧/٤، ٣٩٢/٢	١٤٥

٣٨٥/١	١٨٧	— ٢٧٨ ، ٢٧٣ ، ٢٧٢/٤	١٧٠-١٦٤
٣٨٩، ٣٨٧-٣٨٣/٤	١٩٠-١٨٨	، ٢٩٣ ، ٢٩١ ، ٢٨٩ ، ٢٨١	
٣٣٣/٣ ، ٣٨٧ ، ٢٩١/١	١٨٨	٣٠٤ ، ٣٠٣ ، ٣٠١	
٢٧٩ ، ٢٧٨/٣ ، ٧/٢	١٨٩	٢٨٤ ، ٢٨٣ ، ٢٨١ ، ٢٧٢/٤	١٦٥
— ٤١٩ ، ٤١٥ ، ٤٠٤/٤	١٩٤-١٨٩	٢٨٩ ، ٢٨٤ ، ٢٧٦ ، ٢٧٢/٤	١٦٦
٤٢١ ، ٤٢٢		، ١٤٠/٤ ، ٢٤٥ ، ٧٤/١	١٦٨
— ٤٣٢ ، ٤٣٠ — ٤٢٤/٤	٢٠٣-١٩٤	، ٢٩٦ ، ٢٩٣ ، ٢٩٢ ، ٢٧٨	
، ٤٤٢ ، ٤٣٩ ، ٤٣٨ ، ٤٣٥		٢٩٧	
، ٤٤٨ ، ٤٤٧ ، ٤٤٥ ، ٤٤٤		١٨١/٥	١٦٩
٤٥٦ ، ٤٥٥ ، ٤٥٣		٣١٨ ، ٣٠٤/٤	١٧٤-١٧١
١٥٠/٢	١٩٩	، ٣١٤ ، ٣١٠ ، ٣٠٨ ، ٥٢/٤	١٧٣-١٧٢
١٥٠/٢	٢٠٠	٣١٨-٣١٦	
٤٤٦ ، ٤٤٥/٤ ، ١٢٨/٢	٢٠١	٢٧٣/٣	١٧٢
٤٦١ ، ٤٥٦/٤	٢٠٤	٣٣٠ ، ٣٢٦ ، ٣١٨/٤	١٧٧-١٧٥
، ٤٦٤ ، ٤٦١/٤ ، ٤٠١/٣	٢٠٥	٤٣٦/٣	١٧٦
٤٦٥		، ٣٥١ ، ٣٣١ ، ٣٣٠/٤	١٨٦-١٧٨
٤٦٦ ، ٤٦٥/٤	٢٠٦	٣٥٧ ، ٣٥٦	
﴿سورة الأنفال﴾		، ٣٤٠ ، ٣٣٧ ، ٣٣٦/٤	١٧٨
، ٤٧٤ ، ٤٧٢ ، ٤٦٧/٤	٦-١	٤٥٤ ، ٣٤٤	
، ٤٨٤ ، ٤٨١ — ٤٧٩ ، ٤٧٦		، ٣٤٧ ، ٣٤٤/٤ ، ٥٥٩/١	١٧٩
٤٨٩-٤٨٦		٢٩٤/٥ ، ٣٩٧ ، ٣٥١	
٥٥ ، ١٦/٥	١	٣٥٩ ، ٣٥٧ ، ٢٤٧/٤	١٨١
١٩/٣	٢	٥٢٢/٣ ، ٣٣٠/١	١٨٣-١٨٢
٢٢٤ ، ٢٢٣/٥	٤	، ٣٦٢ ، ٣٦٠ ، ٣٥٩/٤	١٨٧-١٨٢
٧١/٥	٦-٥	— ٣٧٣ ، ٣٧٠ — ٣٦٦ ، ٣٦٤	
، ٥٠٠ ، ٤٨٦/٤ ، ٤٥٦/٢	٧	٣٨٣ ، ٣٧٥	
، ٥٢٨ ، ٥٢٧ ، ٥٢٥ ، ٥٢٤		٣٦٦ ، ٣٦٤ ، ٣٦٠ ، ٨/٤	١٨٣
٥٤٧ ، ٥٣٧ ، ٥٣٠		، ٣٧٠ ، ٣٤٣/٤ ، ٤١٠/١	١٨٥
٤٥٦/٢ ، ٢٣٤/١	٩	٣٧٣ ، ٣٧٢	

— ٥٧٠ ، ٨/٤ ، ١٣٥/٢	٣٠	٨٠/٥	١٠
، ٥٧٨ ، ٥٧٥ ، ٥٧٣		، ٥٠٥ — ٥٠٣ ، ٤٨٩/٤	١١—٧
٥١٤، ٣٠٨/٥		، ٥٣١ ، ٥٢٩ ، ٥٢٨ ، ٥٢٣	
٥١٦/١	٣١	، ٥٤٢ ، ٥٣٩ ، ٥٣٧ — ٥٣٥	
، ٥٨٥ — ٥٨١ ، ٥٢١/٤	٣٣—٣٢	٥٤١	
٥٨٨، ٥٨٧		٥٤٦، ٥٤٤ ، ٥٤٣ ، ٤٩٩/٤	١١
٤٩٢/٣، ٣٨٠، ٣٦٧/١	٣٢	٧١، ٦٥/٥، ٥٤٨—	
٣٢٦/٥، ٥٨٩—٥٨٥/٤	٣٤	، ٥٣٥ ، ٥٠٦ ، ٤٨٤/٤	١٢
، ٥٩٤ — ٥٩٢ ، ٥٨٩/٤	٣٧—٣٥	، ٥٥٣ ، ٥٥٠ — ٥٤٧ ، ٥٣٨	
٦٠٢—٥٩٩، ٥٩٧، ٥٩٦		٣٩٣/٥، ٥٥٤	
٥/٥	٤٠—٣٨	٥٥٥/٤	١٣
، ٧ ، ٦ ، ٥/٥ ، ٣٤١/١	٣٨	٢٦٩/١	١٥
٤٠٢، ٤٧٩		٣٩٣/٥	١٦
، ١٧٩/٣ ، ١٧٧ ، ١٧٦/٢	٣٩	١٦٥، ١٦٤/١	١٩
٢١٧، ٨، ٧/٥، ١٩٨/٤		، ٤٥٥/٥ ، ٢٧٣ ، ٤٩/١	٢٠
١١، ١٠، ٨/٥	٤٠	٦٠٤	
١٢/٥	٤٢—٤١	٣٣٠/٥	٢١
٤٩/٥	٤٤—٤١	٢٥٠/٢	٢٣—٢٢
، ٣٧٣/٤ ، ٥٥١ ، ٢٥/١	٤١	٦١١/٥، ٢٠٧/٣	٢٣
، ١٥ — ١٢/٥ ، ٥٦٩ ، ٤٧٤		١٦٦/٥، ٥٥٨—٥٥٧/٤	٢٤
— ٥٣ ، ٥٠ ، ٤٥ ، ٤٣ ، ٢٦		، ٥٦٠ ، ٥٥٩/٤ ، ٤٦٤/٣	٢٥
٦٧، ٦١، ٦٠، ٥٦		٥٦١	
٦٦/٥	٤٣—٤٢	، ٣٠٥/٤ ، ٤٠٣ ، ٨٧/١	٢٦
، ٦٢ ، ٦١ ، ٥٦/٥ ، ٥٥١/١	٤٢	٥٦٤—٥٣٠	
٧٠، ٦٧—٦٤		٥٦٦، ٥٦٥/٤	٢٧
٧٢—٧٠/٥	٤٣	٥٦٨، ٥٦٧/٤	٢٨
٧٤—٧٢/٥	٤٤	٥٨١—٥٧٨، ٥٦٨/٤	٣٣—٢٩
٧٥، ٧٤/٥	٤٨—٤٥	٥٧٠، ٥٦٩، ٥٦٦/٤	٢٩

١٦٣ — ١٦١/٥ ، ٢٣٢/٣	٦١	٥٤٥ ، ١٨٦/٢ ، ٥٤٧/١	٤٥
١٦٥		٥٧٨ ، ٧٧ ، ٧٥/٥ ، ٢٣٤/٣	
١٦٥ — ١٦٣/٥	٦٢	١٥٧ ، ١٠٦ ، ٨٩ ، ٨٠	
١٦٧ ، ١٦٦/٥	٦٣	٨٠/٥ ، ٢٣٢/٣ ، ٥٣٤/٢	٤٦
١٧٤ ، ١٧٣ ، ١٧١ — ١٦٧/٥	٦٤	١٥٤ ، ٨٩ — ٨٤	
١٧٦ — ١٧٤/٥	٦٥	٩٣ ، ٩٢ ، ٩٠ ، ٨٩/٥	٤٧
١٧٧/٥	٦٦	٩٩ ، ٩٤/٥ ، ٤٩٦ ، ٤٩٥/٤	٤٨
١٧٨/٥	٦٩ — ٦٧	١٠٢ —	
٥١٣/٤ ، ٥٦٨/٢ ، ٣٠٠/١	٦٧	١٠٣/٥	٥٤ — ٤٩
١٨١ ، ١٨٠ ، ١٧٨/٥		— ١٠٦ ، ١٠٤ ، ١٠٣/٥	٤٩
١٧٩/٥ ، ٥٦٤ ، ٥١٣/٤	٦٨	١١٠ ، ١٠٨	
١٨١		١١٦ ، ١١٥ ، ١١٠/٥	٥١ — ٥٠
١٨٠/٥ ، ٥٦٤ ، ٥١٣/٤	٦٩	٢١٤ ، ٢١٣/٣ ، ٥١٧/١	٥٠
١٨٢/٥	٧٥ — ٧٠	١١٤ — ١١٠/٥	
١٧٨ ، ١٨٢/٥ ، ٥١٤/٤	٧٠	١١٨ — ١١٦/٥	٥١
١٩٤ — ١٨٩		١٢١ ، ١٢٠ ، ١١٨/٥	٥٢
١٩٦ — ١٩٤/٥	٧١	١٢٤ — ١٢٢/٥	٥٣
— ٢٠٤ ، ٢٠٢ ، ٢٠١/٥	٧٢	١٢٩ ، ١٢٧ — ١٢٤/٥	٥٤
٢٣٣ ، ٢٢٨ ، ٢١٠		١٣٠/٥	٥٨ — ٥٥
٢١٠/٥	٧٥ — ٧٣	١٣١ ، ١٣٠/٥	٥٥
٢١٤ ، ٢١٢ ، ٢١٠/٥	٧٣	١٣٣ ، ١٣٢ ، ١٣١/٥	٥٦
٢٢٢ ، ٢١٩ ، ٢١٦		١٣٤ ، ١٣٣/٥ ، ١٩١/٣	٥٧
٢٢٧ ، ٢٢٤ ، ٢٢٢/٥	٧٤	١٣٧ ، ١٣٦	
٢٠٢/٥ ، ٢١ ، ٢٠/٤	٧٥	٢٤٩ ، ١٤٤ ، ١٤٢ — ١٣٧/٥	٥٨
٢٣٦ ، ٢٣٣ — ٢٣١ ، ٢٢٨		١٥٠ — ١٤٨ ، ١٤٦ — ١٤٤/٥	٥٩
﴿سورة التوبة﴾		١٥٠/٥	٦١ — ٦٠
— ٢٤٩ ، ٢٤٧ ، ٢٤٥/٥		٥٣٣ ، ١٨٥/٢ ، ٥٤٦/١	٦٠
٢٨٥ ، ٢٥٨ ، ٢٥١		٤٣٦ ، ١٥٩ — ١٥٦/٥	
٢٤١/٥	٤ — ١	١٦٠/٥	٦٩ — ٦١

— ٣٢٥/٥، ٣١٠/٤، ٢٧٥/٢	١٧	٢٦٥، ٢٥٨، ٢٥١، ١٥٠/٥	٢
٣٣٠		٢٥٣، ٢٥١/٥، ٢٩٠/٤	٣
٣٣٤، ٣٣٢—٣٣٠/٥	١٨	٢٥٨، ٢٥٦	
٣٣٨ — ٣٣٦، ٣٣٤/٥	١٩	٢٦٠ — ٢٥٨، ٢٥٠/٥	٤
٣٤٣—٣٤٠		٢٨٧، ٢٦٢	
٣٤٢/٥	٢٤—٢٠	٢١٢/٥	٨—٥
٣٤٣، ٣٤٢/٥	٢٢—٢٠	٤٩١، ٧٨/٢، ٣٢٦/١	٥
٣٥٤، ٣٥٣، ٣٤٥/٥	٢١	٢٤٧، ١٦٣/٥، ٤٩٥	
٣٥٥، ٣٥٤/٥	٢٢	٢٦٦، ٢٦٥، ٢٦٣، ٢٦٢	
٣٥٨، ٣٥٦، ٣٥٥/٥	٢٣	٢٧٤، ٢٧٣، ٢٧٠، ٢٦٨	
٣٦٤، ٣٦١، ٣٥٩، ٣٥٨/٥	٢٤	٢٧٨، ٢٧٧، ٢٧٦	
٣٦٥—٣٦٤/٥	٢٧—٢٥	٢١/٤، ٥٦٨، ٤٠٤/٢	٦
٣٨٦/٥	٢٦—٢٥	٢٨٠، ٢٧٩/٥	
٣٩/٣، ٤٠٢/٢، ٣٢٦/١	٢٥	٢٨٥، ٢٨٤/٥	١١—٧
٣٧١، ٣٦٥/٥، ٥٨٠، ٤٠		٢٨٥، ٢٥٩، ٢٥٠، ٢٤٩/٥	٧
٤٩٨، ٣٨٩—٣٨٦		٤٠٤، ٢٩٠، ٢٨٨—	
٣٩٢ — ٣٩٠/٥، ٥٣٨/٤	٢٦	٢٩٦—٢٩٤، ٢٨٩، ٢٨٨/٥	٨
٣٩٥، ٣٩٤		٢٩٩، ٢٩٨، ٢٩٦/٥	٩
٣٩٧، ٣٩٦، ٣٩٤/٥	٢٧	٢٩٩/٥	١٠
٤٠٢/٥	٢٩—٢٨	٣٠٠، ٢٩٩، ٢٧٨/٥	١١
٤٠٤ — ٤٠٢، ٢٨٧/٥	٢٨	٣٠١، ٣٠٠/٥	١٦—١٢
٤١٨—٤١٣		٣٠٧—٣٠١/٥	١٢
— ٤١٨، ٤٠٦، ٣٦٩/٥	٢٩	٣٠٨، ٣٠٧، ٣٠١/٥	١٣
٤٣٠—٤٢٧، ٤٢١		٥٣٠، ٣٣٤، ٣١٣—٣١٠	
٤١٨/٥	٣١—٢٩	— ٣١٣، ٢٥١/٥، ٥٣٩/٤	١٤
٤٢٩/٥	٣١—٣٠	٥٦٥، ٣٩٤، ٣١٥	
٤٣٩/٥	٣٣—٣١	٣١٧، ٣١٣/٥	١٥—١٤
٤٣٢، ٤٢٩، ٤٠٦/٥	٣٠	٣١٨/٥	١٩—١٦
٤٤٠—٤٣٧		٣٢٥—٣٢١، ٣١٩، ٣١٨/٥	١٦

٥٣٨ ، ٥٣٦/٥ ، ٢٤/١	٤٤	٥٢٤ ، ٣٧٤/١ ، ٧٧/٢	٣١
٥٤٩ ، ٥٤٠		٢٣٤/٤ ، ٣٥/٣ ، ٢٣٤	
٥٤١-٥٣٩/٥	٤٥	٤٠٨ ، ٤٠٦ ، ٢٧٠/٥	
٥٤٢/٥ ، ٤٥٠ ، ٤٤٩/١	٤٧-٤٦	٤٤٨ ، ٤٤٧ ، ٤٤٠ ، ٤٣٩	
٣٨ ، ٣٧/٢ ، ٥٥٤/١	٤٦	٤٨٧	
١٩٧/٥ ، ٦٠١ ، ٣٣٥/٣		٣٦٥/٣ ، ٤٥٣ ، ١٨٢/١	٣٢
٥٤٣ ، ٥٤٢ ، ٣٢١		٥٧٧ ، ٤٥٠-٤٤٨/٥	
٣٣٥/٣ ، ٣٨/٢ ، ٥٥٤/١	٤٧	٤٥٢ ، ٤٥٠/٥	٣٣
٦٠٢ ، ٦٠١ ، ٣٣٦		٦٠٢/٤	٣٥-٣٤
٥٤٣ ، ٣٢١ ، ١٩٧/٥		٤٥٢/٥	٣٦-٣٤
٥٥٠ ، ٥٤٩ ، ٤٥٤ ، ٥٤٤		٢٧٣ ، ٤٩ ، ٢٤/١	٣٤
٥٥٢/٥	٥٢-٤٨	٤٥٦ - ٤٥٢ ، ٣٤٤/٥	
٥٥٥-٥٥٢/٥	٤٨	٦٠٤ ، ٤٥٩	
٥٥٨ ، ٥٥٧ ، ٥٥٥/٥	٤٩	٢٧٣/١	٣٥
٥٩٨ ، ٥٨٢		٢٦٢/٥ ، ٦٤/٤ ، ٦١٢/٢	٣٦
٥٦٠ ، ٥٥٩/٥	٥٠	٢٣٨/٤ ، ٣١/٣ ، ١٣٩/٢	٣٧
٥٦٣-٥٦٠/٥	٥١	٤٨٠ ، ٤٧٩ ، ١٦٨/٥	
٥٦٥ ، ٥٦٣/٥ ، ٦٠١/٢	٥٢	٤٩٦-٤٩١ ، ٤٨٧ ، ٤٨٥	
٥٦٦		٤٩٩/٥	٣٩-٣٨
٥٦٦/٥	٥٧-٥٣	٥٠٠/٥ ، ٢٢٥/٣ ، ١٤٣/١	٣٨
٥٧٥ ، ٥٦٨-٥٦٦/٥	٥٣	٥٠٧ ، ٥٠٣	
٥٧٢ ، ٥٦٩ ، ٥٦٨/٥	٥٤	٥١٣-٥٠٨/٥	٣٩
٥٧٥ ، ٥٧٣		٥٧٨/٤ ، ٢٣٧/٣ ، ١٨٩/٢	٤٠
٥٧٥/٥	٥٦-٥٥	٥١٤-٥١٢ ، ٣٩٣ ، ٨٨/٥	
٥٧٨-٥٧٥/٥	٥٥	٥٣٤-٥٣٠	
٦٢١-٥٧٩/٥	٥٦	٥٣٤/٥	٤٣-٤١
٥٨١ ، ٥٨٠ ، ٥٧٩/٥	٥٧	٥٣٥ ، ٥٣٤/٥	٤١
٥٨١/٥	٦٠-٥٨	٣٠٠/١	٤٣
٥٩٩ ، ٥٨٥-٥٨٢/٥	٥٨	٥٣٦ ، ٥٣٥/٥	٤٥-٤٤

٢٨٥/٢	١١٣	٥٨٦، ٥٨٥، ١٧٠/٥	٥٩
٥٧٣، ٢٨٥/٢، ٤٠٥/١	١١٤	٥٩٧—٥٩٤، ٥٨٩—٥٨٦/٥	٦٠
٤٩، ٢٥/٤، ٣٧١/٣		٥٨٣/٥، ١٥٦، ١٠١/١	٦١
٥٤٥/٢	١٢٣	٦٠٢، ٦٠١، ٥٩٩، ٥٩٨	
٣١٦، ٣١٥/٣، ٦٧/٢	١٢٥—١٢٤	٦٠٢/٥، ٢٧٣، ٤٩/١	٦٢
٤٥٦، ٤٠، ٣٩/٤		٦٠٥، ٦٠٤	
٤٧٨/٤	١٢٤	٦١١، ٦٠٧—٦٠٥/٥	٦٣
٥٤/٤، ١٣٠/٢	١٢٥	٦١١/٥	٦٨—٦٤
٥٦٥/٢، ١٧٨، ١٧٧/١	١٢٨	٦١٣، ٦١٢/٥	٦٤
٢٥/٤، ٣٧١/٣		٣١١/٣	٦٦—٦٥
١٧٠/٥، ٥٧١/٢	١٢٩	٦١٦—٦١٤/٥، ٣١١/٣	٦٥
﴿سورة يونس﴾		٦١٨—٦١٦/٥	٦٦
٨/٣	١	٦٢١، ٦١٨/٥، ٢٨٢/٤	٦٧
٤٨٣، ١٩٥/٣، ٣٠٤/١	٢	٦١٨/٥	٦٨—٦٧
٤٨٤		١٢٦/٥	٧٠
٣٧٦/٣	٦—٣	٤٣٦/٤، ٥٤٥، ١٥١/٢	٧٣
٢٨٠/٣	٣	٩٤/٤	٧٤
٣٩٨/١	٥	٥٨٣/٥	٧٩
٢٦٥/٣، ٢٨٣/١	٩	٥٦٧/٥	٨٠
٤٤٩/٤، ٦٩/٢	١٥	٥٧٥/٥	٩٨
٥٢٧، ٣٠٧، ٦٦/١	١٨	٢٢٥، ٢٢٤/٥	١٠٠
٣٤١/٣، ٩٦/٢	-	٦١٣، ١٥٩/٥	١٠١
٢٨٨، ٢٨٧/٢، ٢٣٦/١	٢٣—٢٢	٢٦٢، ٢٦١، ٧٣/٢	١٠٢
٤٥٨		٢٤٦/٤	
٢٩٨، ٢٢٥/٣، ١٤٣/١	٢٤	٤٥٦/٥	١٠٣
٥٠٠، ٣٨٨/٥		٣٢٠/٥	١٠٥
٤٢٥/٢	٢٥	٣٢٣/٤	١٠٧
٢٦٧/٤، ٥٦/٢	٢٦	٦١٨، ٦١٧، ٨٦/٣	١١١
٣٣٧/٤	٣٠	٥٠٢/٥، ٣٤٢، ١٧٤/٤	

٢٦٩ ، ١٦٩ ، ٦٤ ، ٦٢/٤		٣٤٢/٣ ، ٥٦٧/٢	٣١
٥٥٠ ، ٣٥٨ ، ١٢٩/٥		١٧٠/٢	٣٢
سورة هود		٤٢٢ ، ١٦٨/٤	٣٥
١٦٨/٢	١	٤٣١ ، ٢٠٠/٢ ، ١٦٨/١	٣٦
٣٦٨/٣ ، ٤٧٤/٢	٦	١٢٤/٣ ، ٤٣٤	
١٩٣/٢ ، ٤٧٨ ، ٢٩٤/١	٧	٢٠٤/١	٣٧
٤٠٨ ، ٦٦/٣ ، ٢٥٥ ، ٢٥٤		٥٧٩ ، ٤٥٢/٤	٣٨
٢٠٠ ، ٦٨/٥ ، ٢٦٥/٤		١١٨/٥	٤٤
٣٨٠ ، ٣٦٧ ، ٢٤٢/١	٨	٩٧/٢ ، ٢٤٢/١	٤٧
١٨٨ ، ١٨٧/٣ ، ٩٧/٢		٢٥٨/١	٥٨
٢٤٣/٤		٢٢٩/٤ ، ١٦٩/٣ ، ٢٣٣/٢	٥٩
٢٥٨ ، ٢٥٦/١	١٠-٩	٦٥/٣ ، ٤٨٧ ، ٣٩٣/١	٦١
٢٥٨/١	١٠	٣٤/٣	٦٢
٥٦٣/٢ ، ٢٥٦/١	١١	٤٣٠ ، ١٩٨/٤	٦٣-٦٢
٤٧١ ، ١٥/٣ ، ١٧٦/١	١٢	٦٣٠/٢	٧٢
٥٨٠ ، ٤٥٢/٤	١٣	٢٢٢/١	٧٤
٥٨٠/٤	١٤	٨٦/٤	٨٢-٨١
٣٢٩ ، ٣٢٨/٥ ، ٢٥٤/٣	١٦-١٥	١٢٣/٤ ، ٤٠٤ ، ٤٠٣/٣	٨٨
٤٣٢/٥ ، ٣٥٢ ، ٢٥٠/١	١٦	١٧٩/٥ ، ٥١٢	
٥٧١		٤٥٩ ، ١٢٣/٤	٨٩-٨٨
٣١٥/٣ ، ١٩٤ ، ٦٧/٢	١٧	٤٠٤/٣	٨٩
٤٥٦ ، ٢٢٤/٤		٥٣/٢ ، ٣٧٨/١	٩٠
٣٨/٤	٢٠	٥٢٣/٣	٩٣
٣٠١/١	٢٤	١٥/٣	٩٤
٥١٠/٥	٢٥	٤٩٦ ، ٣٦٤/٥ ، ٣٥٧/٢	٩٧-٩٦
٣٢٣ ، ٣٢١ ، ١٨٢/١	٢٧	٦٢٦/٣	٩٨
٥١٩ ، ٣٢٤		٣٧٢/٤ ، ٤١٠/١	١٠١
٤٩٥ ، ٤٩٤ ، ٣٢٤ ، ٣٢١/١	٢٩	٢٦١ ، ٨٤ ، ٨٣/١	١٠٦
٣٢٤ ، ٣٢١/١	٣٠	٢٩٤ ، ٥١/٣ ، ٢٦٠/٢	

٥٣٢/٣	٦٨-٦٧	٣٨٥/٤، ٣٨٧، ٢٩٠/١	٣١
١٢٦/٥، ٥١٩/٣	٦٧	٤٥٣، ١٨٢/١	٣٢
٥٣٢/٣	٩٤-٦٧	٢٤٨/٣	٣٥
٣٨٨، ١٦٩/١	٦٩	٤٦٦، ٤٦١/٣	٣٦
٤٠/٢، ٣٨٩، ٣٨٨/١	٧٠	٤٦٨/٣	٣٧
٥٤٧/٥، ٣٣٣/٣		١٨٢/١	٣٨
٤٥١، ٤٥٠/١	٧١	٤٦٣، ٣٠٨، ٣٠٧/٣	٣٩-٣٨
٤٤/٤، ٤٥١/١	٧٢	٣٣٤، ٣٣٣، ١٨٨/٣	٤٠
٧٧/١	٧٣	٤٦٦، ٤٦٥، ٤٦٣	
٥٦٤/٣	٧٨-٧٧	٤٦٣/٣	٤٣-٤٢
٢٧٣/٢، ٣٨٩، ٦١/١	٧٧	٤٦٦، ٤٦٢/٣	٤٢
٦٠٣، ٤٥١، ٣٣٣/٣		٤٦٦، ٣٧٩/٣، ٥٧٥/٢	٤٤
٥٤٧/٥		٤٦٢/٣	٤٦-٤٥
٥٦٥/٣	٧٨	٦٠٤، ٣٣٣/٣، ٣٩٠/١	٤٥
٦٠٣، ٣٣٣/٣، ٣٨٩/١	٨٠	٥٤٨/٥	
٥٤٧/٥		٦٠٤/٣	٤٧-٤٦
٣٣٣، ٤٨/٣، ٣٨٩/١	٨١	٥٤٨/٥، ٣٣٤/٣، ٣٩٠/١	٤٦
٥٤٨/٥، ٦٠٣، ٥٦٧-٥٦٥		٥٤٨/٥، ٣٣٤/٣، ٣٩٠/١	٤٧
٥٦٩-٥٦٧، ٥٤١/٣	٨٣-٨٢	٤٠٥/٣، ٥٧٣/٢	٥٢
١٢٦/٥	٨٢	٥٩/٣، ١٨٢/١	٥٣
٥٨٥/٣	٨٤	٤٢٩/٤	٥٥-٥٤
٥١٤/٢	٨٥	٣٣٣/٥، ٤٤١/١	٥٦-٥٤
٥٥٦/٤	٨٨	٦٢٤/٣، ٤٤١، ٤٤٠/١	٥٤
٥٩٢، ٥٠٩/٣	٨٩	٤٢٩/٤	٥٦
١٧٦/٥، ٥٧١/٣	٩١	٣٠٥/٢	٥٧
٥٩٣/٣	٩٥-٩٤	٤٩٥/٣	٥٨
٦١٠، ٦٠٩/٣، ٢٧٨/١	٩٤	١٨٢/١	٦٢
٦٢٠		٥٣٢، ٥١٨/٣، ٤٩٣/١	٦٥
		٢٧٨/١	٦٦

١٨٧/٣ ، ٩٧/٢ ، ٢٤٢/١	٤٥	٢٥٩ ، ٢٥٨ ، ٢٤٤/١	١٠٢
٢٤٣/٤		١٢٠/٥ ، ٣٦٦/٤	
٥٧٢ ، ٥٧١/٢	٥٠	١٩٤/٢	١٠٣
٣٧١/٣ ، ٥٧٣/٢	٥١	٢٠٢/٢	١٠٥
٢٤ ، ٢١/٤ ، ٥٦١ ، ٤٠٤/٢	٥٤	٢٠٣/٣ ، ٢٤٦/٢	١٠٧-١٠٦
٤٩٢/١	٦٦	٦٠٨/٥ ، ٢٠٤/٣ ، ٢٥٠/٢	١٠٧
٤١٧ ، ٤١٦/٥	٦٧	٣٥٤/٥ ، ٢٥٩ ، ٢٠٤/٣	١٠٨
٣٣٤/٣ ، ٥٦٨/٢ ، ٣٨٩/١	٦٨	٦٠٨	
٤١٦/٥ ، ٢١/٤ ، ٦٠٤		١٨٦/٥ ، ١٥٣ ، ١٥٢/٣	١١٤
٥٤٨		٥٨٧/٤	١١٧
٤٩٢/١	٧٢	١٨٥ ، ١٨٢/١	١٢٠
١٤١/٣	٧٧	﴿سورة يوسف﴾	
١٥٣/٤	٨٠	٨/٣	١
٦٠٤/٣ ، ٣٨٩/١	٨٤	٣٤٥/٤	٢
٦٠٤ ، ٤٠٧/٣ ، ٣٨٩/١	٨٧	٣٣٩/٤ ، ٣٧٩ ، ٣٦٨/١	٣
٥٤٨/٥		٩٥/٢ ، ٢١٨/١	٤
٤٠٥ ، ١٩٧/٢ ، ٣٢١/١	٩٥	٣٣٩ ، ١٠٧/٤ ، ١٩٧/٢	٨
٢٢/٤ ، ٣٦٧/٣ ، ٥٧٠		١٧/٣ ، ٢١٤/٢ ، ١٥٦/١	١٧
٣٣٩ ، ١٧٠		٦٠٠/٥ ، ٢٣٦/٤	
٧٠/٥	١٠٠	٤٩٠/١	٢٥
٦٣٠/٢	١٠١	٤٩٠/١	٢٧-٢٦
٥٦/٤ ، ٦٠٤ ، ٦٠٣/٢	١٠٣	٤٩٠/١	٢٦
٤١٠/١	١٠٥	١٠١ ، ١٠٠/١	٢٧
١٠١ ، ٣٦/٣ ، ٤٣٨/١	١٠٦	٤٩٠/١	٢٨
١٩٨ ، ٦٢/٢ ، ٣٥٤/١	١٠٨	٦٢٠/٥	٢٩
٩٣/٥ ، ٤٥٣/٤ ، ٢٧٧/٣		٢٣٨/١	٣٣
٢٩٨		٤٤٤/٥	٤٠
٤٨٤ ، ٤٥٧ ، ١٩٤/٣	١٠٩	١٩٠/٤ ، ٣٧٠/٣ ، ٥٧٢/٢	٤٣
		١٩١	

١٢١/٥	٢	٤٨٤ ، ٤٨٣ ، ٢٥٠/١	١١١
٣٥٦/٥	٣	٩١/٤ ، ٥٣٦ ، ٤٧٣/٣	
٥٧٨/٣	٤	﴿سورة الرعد﴾	
٤٠٥ ، ٣٠٤/٢ ، ١١٠/١	٨	٣١ ، ٣٠/٢	٤-١
٥١٢/٥ ، ٥٧٠ ، ٤١٥		٨/٣	١
١٤٢/٣	١٠	٤٤٣/٢	٥-١
١٤٢/٣	١١	٣٧٧ ، ٣٧٦/٣	٤-٢
١٨٤/١	١٤-١٣	١٦ ، ١٤/٤	٢
١٠٣/٥ ، ٥٥٦/٤ ، ٨٤/٣	١٧	٥٧٠ ، ٤٠٥/٢	٤
٦٠٩ ، ١٢١		٣٣١/٥	٥
٥٧١/٥ ، ٢٥٤/٣ ، ٣٥٢/١	١٨	٢٥٠/٣ ، ٥٧٢ ، ٤٠٨/٢	٦
٥١١/٥	٢٠-١٩	٣٧٠/٣ ، ٥٦٣ ، ٣٩٨/١	٩
٤٤٣ ، ٤٠٧ ، ١٠١/٥	٢٢	٢٤/٤	
٥٢٨/٤	٢٤	٢٩٤/١	١١
١٧٤ ، ١٤٣/٢ ، ٢٦٩/١	٣٤	٢٤٢/٣	١٤
٥٣٣/٣		٤٥/٢ ، ٤٢٥ ، ٩٣/١	١٦
٤٢٤/١	٣٥	٤٢١/٤	
١٧٩/٥	٣٦	٣١٩/٣ ، ٥٣٦ ، ٢٣٥/٢	١٩
٤٥١/١	٣٩	٤٤٩/٥ ، ٢١٥/٤ ، ٤٧٣	
٣٠٠/٢	٤٢	٤٩١	
٤٩/٤	٤٥	٤٧٩/٤	٢٨
﴿سورة الحجر﴾		٥٨٦ ، ١١٥/٥	٣٠
٨/٣	١	٥٨٦ ، ١١٥/٥ ، ١١١/٢	٣١
١٥٧/٢	٣	٢٤٤/٤	٣٦
١٣٢/٢	٨	١٩٤ ، ٧٧/٣	٣٨
٣٤/٣ ، ٢٣٦ ، ٢٢٧/٢	٩	٨٥ ، ٦٥/٢ ، ١٨٧/١	٤٠
٤٥٢/٤		١٩١/٣	
١١٧/٢	١٥	﴿سورة إبراهيم﴾	
٢٩١/١	٢١	٨/٣	١

٣٧١/٣ ، ٥٧٣ ، ٣٣٤/٢	٧	٦/٢	٢٦
٤١٢		١٠٩ ، ١٠٢/٣	٢٩-٢٨
٣٦/٥	٨	١١١/٣	٣٠
٤٦٨/٣	١٤	٣٤١/٢	٤٠-٣٩
٥٥٥ ، ٤٢٥/١	١٦	٣٤٤ ، ٣٤٠/٢	٣٩
٩٣/١	١٧	٣٤٢/٢	٤٠
٥٥٨ ، ٣١٠/٢ ، ٥٤/١	١٨	٦٠٠ ، ٣٤٤/٤ ، ٢٤٨/٢	٤٤
٦٩/٢	٢٤	٢٦٤/٣	٤٧
٣٥٠/١	٢٥	٢٥٠/٣ ، ٤٠٨ ، ٤٠٧/٢	٥٠-٤٩
٤٣٠ ، ٤١٨/١	٢٧	٦٠٣ ، ٢٣٣/٣ ، ٤٠/٢	٥٢
٣١٤/٤ ، ٢٧٦ ، ٦٢/٢	٢٨	٥٤٧/٥	
٣٦٤ ، ٢١٨/٢ ، ٤٧٢/١	٣٥	٤٧٧/٤	٥٣-٥٢
٤١٨ ، ٤١١ ، ٤٠٩		٢١/٤	٥٣
٥٧٤ ، ٤٧٦/٣ ، ٤٥٠/٢	٣٦	٤٣٠/١	٥٤
٥٧٥		٣٣٣/٣ ، ٤٠/٢	٥٨-٥٧
٦٠٠/٣ ، ١٩٣ ، ١٨٧/١	٣٧	٥٥٨ ، ٣١٠ ، ١٤٣/٢	٦٨
٤٥٥ ، ٣٧٣/٤		٥٣٣/٣	
٢٨٦/٤ ، ٣٩٢/٣	٤٠	٥٦٤/٣	٧٠
٣٢٦ ، ١٣/١	٤٤	٨٣/٤ ، ٥٦٨/٣	٧٤
٤٨/٣	٤٧-٤٥	٥١٠/٣	٨٣-٨٠
٢٥/٤	٤٧	٤٣٦/٤ ، ٥٤٥ ، ١٧٦/٢	٨٨
٢٥٢/٤ ، ١٤٩/٢	٦٨	١٢/٤ ، ٦٠/٣ ، ٥٧٦/٢	٩٣-٩٢
٤١٨/٥	٧١	٣٤٨/٥	
٥٦٤ ، ٥٠/٢ ، ٣١٦/١	٧٤	٣٥٣/٣	٩٢
١٦٢/٤ ، ٣٥٢ ، ٣٤٩/٣		١٣/٣ ، ١٧٧ ، ١٧٦/١	٩٧
٥٠٢ ، ٤٣٦/٢ ، ٢٦٥/١	٧٨	١٧٧/١	٩٨
١٠٥/٤ ، ٢٢٨ ، ٢٢٦/٣		﴿سورة النحل﴾	
٦٤/٥	٧٩	٣٩٣/٣ ، ٤٢٧/٢	١
٣٣٦/٢ ، ١٩٨/١	٨٠	٣٣٦/٢	٥

٢٩٢، ٢٩١/٤	٨	٣٦٠/١	٨١
٤١٣/٤، ٦١٤/٢	٩	٢٢٨، ٢٢٦/٣، ٥٥٧/٢	٨٨
٧٢، ٦٣/٣	١٤-١٣	١٦١/٢، ٢١٧/١	٨٩
٧٨/٣، ٦٠٧، ١٠٥/٢	١٤	١٢١/١	٩٠
٢٨٣، ٢٨٢، ٢٨٠/٢	١٥	٣٠٢/٥	٩٢
٣١٢/٤، ٢٩٣، ٢٩١، ٢٨٦		٢٠٤/٣، ٥٧٠، ٤٠٥/٢	٩٦
٥٧٢/٥	١٨	٣٥٤/٥، ٢٢/٤، ٣٦٧	
٢١٦/٢	١٩	٦٠٨	
٤٨١/٤، ٢٩٨/٢	٢١	٥٥/٣	٩٨
١٤٧/٥	٢٢	٤٤٣، ٤٠٨/٥	١٠٠
١٦٣، ٥٤/٢، ٢٩٦/١	٢٣	٦٨/٢	١٠٣
١٣٠/٣، ٤٦٥، ٣٦٩		٨/٥، ٢٢٢/٢	١٠٦
٤٤١، ٤٤٠/٢	٢٤-٢٣	٥٢٥/١	١١١
٢٢٤/٣	٢٧	٣٦١، ٢١٩/٢، ٤٧٠/١	١١٥
٤٤١/٢	٢٨	١٦٩/٣	١١٦
١٤٧/٥، ٣٣٢/٢	٢٩	٣٦٤، ٢١٧/٢، ٤٧١/١	١١٨
٤٧٤، ٤٧٢، ٤٦٨/٢	٣١	٥٩٧/٣، ٩٧/٢، ٢٤٢/١	١٢٠
٢٤/٤، ٣٧٠/٣، ٥٧١		٢٤٣/٤	
٤٠٩، ٢٦٤		٦١٨، ٤٠/٢، ٤١٥/١	١٢٣
١٧٩/٣، ١٨٢، ١٨١/٢	٣٢	٦٢١	
٤٨١/١	٣٣	٢٠٤/٢	١٢٥
١٥٩/٥	٣٦	٣٦٣/٢	١٢٦
٤٤١/٢	٣٩	٨٥/٢	١٢٧
٢٤/٤، ٣٧٠/٣، ٥٧١/٢	٤٠	٨٨/٥	١٢٨
٦٢٣/٢	٤٢	﴿سورة الإسراء﴾	
٢٨٣/٣، ٢١٣، ٢١٢/١	٤٤	٤٠٤، ٥٥/٥	١
٣٨٤		٣٣٣/١	٣
١٨٨/١	٥١-٥٠	٢٩١/٤	٥-٤
٥٧/٤، ١٣٦/١	٥٨	٥٠٨/٥، ٢٩١، ١٣٤/٤	٧

﴿سورة الكهف﴾		٥٩	٢٠١/١ ، ٢٠٥ ، ٥١٩/٣
١	١ ، ٢٦٢ ، ٧٢/٢ ، ٥٠٥/١	٤٥١/٤	
	٤٣٩ ، ٢٧٨/٣	٥٠٣/٥	٦١
٥	١٨٨/١	٣٤٤ ، ٣٤٠/٢	٦٢
٦	١٨٦ ، ١٧٨/١ ، ٨٥/٢	٤٢٠/٤	٦٤
	١٥/٣	٢٣٦/١ ، ٢٨٧/٢ ، ٤٥٧	٦٩-٦٧
٧	١ ، ٣٩٤/٢ ، ١٩٣/٢ ، ٢٥٥	٥٣٣/٤ ، ٤٥٨	
	٣ ، ٦٦/٣ ، ٤٠٨ ، ٢٦٥/٤	٢٣٥/١	٦٧
	٢٠٠ ، ٦٨/٥	٣٠٩/٥	٧٦
١٨	١٤٥/١	١٥٠/٥ ، ٢١/٣	٧٨
٢٤-٢٣	٢ ، ٢١٢/٤ ، ٤٧٦	٢٨٠/٣ ، ٣٠٨ ، ٦٧/١	٧٩
٢٦	١ ، ٣٧٠/٢ ، ٧٦ ، ٧٧	٦٧/٢ ، ٧٠ ، ٣١٥/٣	٨٢
	٣ ، ٢٩/٤ ، ٢٢٩/٤ ، ٤٤١/٥	٤٥٦ ، ٥٤/٤ ، ٣٣٧	
	٤٨٥	٥٤٧/٥	٨٥
٢٧	٢٢٩/٤	٥٨٠ ، ٤٥٢/٤	٨٨
٢٨	١ ، ٤٦/٣ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣٣٧	٧٤/٢	٨٩
	٤٠٢ ، ٩٥/٤ ، ٨٧/٥	٤٤٩/٤	٩١-٩٠
٢٩	٢ ، ١٥٧/٤ ، ٥٩٢/٥ ، ٥٥٨	٢٠٤/١	٩٢-٩٠
٣٠	٤/٤ ، ٣٠٤	١٠٧/٢ ، ٢٧٩/١	٩٣-٩٠
٣٣	١ ، ٩١/٢ ، ٢٥٩/٢ ، ٢٦٠	٤٥٠/٤ ، ٢٠٤/١	٩٠
	٣ ، ٥٤/٤ ، ٦٤/٤ ، ٢٦٩	٢٠٥ ، ٢٠٤/١	٩٣-٩٢
	٢٧٠ ، ١٢٨/٥ ، ٣٥٧ ، ٥٥١	١٣٢ ، ١٣١/٢	٩٢
٣٥	٣ ، ٢٥٩	٤٨٣ ، ٤٥٧ ، ١٩٤ ، ١٤٢/٣	٩٤
٣٦	١ ، ٣٣٠	٢٠٥/٣ ، ٢٤٨/٢ ، ٢٢٨/١	٩٧
٤٧	٢ ، ٢٢٨/٤ ، ٣٨٠ ، ٥٥٨	٦٠٩ ، ٦٠٨ ، ٣٢٩/٥	
٤٨	١ ، ٥٢٩	١٦/٢	٩٩
٤٩	١ ، ٥٢٩/٢ ، ١٠٥/٢ ، ٦٠٨	١١٩/٥ ، ٦٢/٤ ، ٣٤٣/٣	١٠٢
	٣ ، ٦٣	٢٤٤/٤	١٠٨-١٠٧
		٤٦٣ ، ٣٥١/٤	١١٠

١٥	٣٧٥ ، ٣٦٥/٣ ، ٥٦٧/٢	٥٠	٢٥٢ ، ١١٨ ، ٨٥/١
	٢٠/٤		٥٢/٣ ، ٣٤٠ ، ٢٦٠/٢
١٦	٤٩٣/١		٢٦٩ ، ٥٩/٤ ، ١١٨-١١٦
٢٥	٤١٧/٥		٢٩٥/٥ ، ٢٨٤
٢٦	٤٣٣ ، ١٥٣/٤	٥٣	١٠١/٥ ، ٢٠٠/٢ ، ٥٣/١
٢٨	٢٠/٤ ، ١٣٩/٣ ، ٣٩٥/٢	٥٤	١٨٧/٥ ، ١٥٤ ، ١٥٣/٣
٣١	٣٩٨/٢	٥٧	١٣٠/٢ ، ٥١٢ ، ٢٢٢/١
٣٨	٣٦٦/٣ ، ٥٦٧/٢		٣٩/٤ ، ٤٧٢/٣
٣٩	٥١١ ، ٣٨٢ ، ٣٨١/١	٦٣	٢٥٥/١
	٥٠٧ ، ٥٠٦/٥	٦٥	٥٧٤/٢
	٤٠٥/١	٧٥	١٦٧/٤
٤٢	٤٤١ ، ٤٠٦/١	٧٩	٤٣/٣ ، ٥٧٢/٢ ، ١٣٦/١
٤٤	٢٣٣/٢ ، ٥٢٣ ، ٣٧٣/١		٥٣/٥ ، ٥٧/٤ ، ٣٧٠ ، ٤٤
	٤٨٦ ، ٤٤٣ ، ٤٠٨/٥		٥٨٩
٤٧-٤٦	٢٨٦ ، ٢٨٥/٢	٩٧	٢٨٩/٥
٤٦	٨٩/٥ ، ٣٦٤/٤	١٠١	٣٨/٤
٤٧	٣٨٢/٤	١٠٤-١٠٣	٥١٤ ، ٥١٣/١
٤٩	٤٥٣/١	١٠٨	٣٥٤/٥ ، ٢٥٩ ، ٢٥٨/٣
٥٠	٢٤/٤ ، ٣٧٠/٣ ، ٥٧١/٢	١٠٩	١٦٨/٤ ، ١٧٤/٢ ، ١٨٤/١
٥٤	٤٦١/١		٢٣٩
٥٧	٢٤/٤ ، ٣٧٠/٣ ، ٥٧١/٢	١١٠	٢٢٩/٤ ، ٢٩/٣ ، ٧٤/٢
٦٣	٢٧٠/٣		٤٨٥ ، ٤٤١/٥
٦٤	٢٨٢/٥ ، ٢٥٥/١		﴿سورة مريم﴾
٦٥	٣٤٩/٣ ، ٥٦٤ ، ٥٠/٢	٢-١	٨/٣
	٣٥٢	٣-١	٣٩٩/٣
٦٨-٦٦	١٦/٢	٢	٤٥٩/١
٦٧	٤٢٦/٢	٥	٥٥٨/٣
٧٣	٣٢٧/١	٩	٥٥٣/١
٧٧	٣٣٠/١	١١	٢٥٢/٤ ، ١٤٨/٢

٦٠٩/٥، ٨٤/٣	٧٤	٤٢٦/٤، ٥٢٨/١	٨٢-٨١
١٣١، ١٣٠/٤، ٧٥/١	٧٧	٦٠٠/٤	٨٦
١٨٠/٤	٨٠	٥٢٩/١	٩٥
١٨٦/٤	٨٢	٣٨٦/٤، ١٧/٣	٩٧
١٤٣/٤	٨٤-٨٣	سورة طه	
١٩٧، ١٨١/٤	٨٥	٣٧٧/٣	٦-١
١٨٠/٤	٨٦	٥٨٠، ٥٧٨، ٥٧٥/٢	٥
١٦٣/٤	٨٧	١٥/٥، ٣٥٦/٣، ٥٨٥	
١٦٧/٤	٨٨	٣٧٧/٣	٨-١
١٨٢/٤	٩١-٩٠	٣٩٩/٣	٧
١١٣/٣، ٤٦١/٢	٩٣-٩٢	٣٥١/٤	١٨
١١٤/٣	٩٢	١٤٣/٤	٣٦
١١٥، ٢٢/٣	٩٣	٤٢٩/٣، ٥٠٢/٢، ٢٤٨/١	٤٤
١٨٢/٤	٩٤-٩٣	٣٠٦/٥، ٢٤١، ١٠٥/٤	
١٥٢/٥، ٣١٠/٣	٩٤	٥٣١/٥	٤٦
١٦٤/٤	٩٦-٩٥	٥١/٤، ٤٨١/٣، ٢٦٧/٢	٤٧
٨٢، ٨١/١	٩٦	٥٧٤، ٣١٠/٥، ٢٢٦	
١٦٦/٤	٩٧	١٩٨/٢، ٢٥٥، ٢٣١/١	٥٢
٥٠٧/٥	١٠٤	٢٨٢، ١٧٠/٤، ٣١٣/٣	
٥٢/٢، ٣٢١، ٣١٩/١	١١٠	٣٣٩	
٥٨٨، ٥٨٧، ٥٧٩، ٥٦٦		٢٢/٢	٥٤
٣٧٤، ٣٥٤، ٣٥٢/٣		١٦٦/٤	٥٧
١٦٢، ٢٧، ١٢/٤، ٣٨٠		٧٦، ٧٥/٤	٦١
٣٥٢، ٣٥١، ٣٤٩، ٣٤٨/٥		٧٦/٤	٦٤-٦٢
٢٨٢/٤	١١٥	٧٨/٤	٦٧-٦٥
٣٤١، ٣٤٠/٢	١١٧	٨٠، ٧٩/٤	٦٦
٣٤٢/٢	١١٩-١١٨	٧٨/٤	٦٧
٤٥٠/٤	١٢٢	١٢١، ٩٠/٤	٧١
		٩٣، ٩٢، ٩١، ٨٧/٤	٧٢

٥٧١، ٢٨٧/٢، ٤١٧/١	٦٣	٥٧٦/٥	١٣١
٢٨٧/٢، ٤٠٨/١	٦٥	٢٥٨/٤، ٢٠٦/٢، ٤٧/١	١٣٢
٤٤١، ٤٠٨/١	٦٧	٢٨٣، ٢٨١، ٢٨٠/٢	١٣٤
٤٠٨/١	٧٠-٦٨	٣١٢/٤، ٤٩/٣	
٤٢٨/٣، ٢١/٢	٦٩	﴿سورة الأنبياء﴾	
٤٢٢/١	٧٤	٥٨٦/٣، ٥١٤/٢، ٢٩١/١	٨
٤٦١/٣	٧٧-٧٦	١٦٦/٤	
١٤٤/٣	٧٨	٤٥/٣	١٥-١١
١٤٤/٣	٧٩	٣٣٨/٥	١٥
٤٥٩/١	٨٩	٥٨٠، ٣٠/٤، ١٩١/١	١٧
٥٨٥/٥	٩٠	٦٢٣/٢، ٤٤٣/١	٢٢
٢٤٣/٤، ١٨٧/٣، ٩٨/٢	٩٢	٤٥٠، ٤٢٦/٢، ٢٠٧/١	٢٥
١١٣/٣، ٤٤٩، ١٢٠/٢	٩٥	٥٧٤، ٤٧٦، ٤٥٠/٣	
٣٠٦		٣٧٥، ٣٦٥/٣، ٥٦٧/٢	٣٠
٨٦، ٤٢/٢	٩٨	٢٠/٤	
١٤/٢	١٠٤	٦٩/٤	٣٣
٦٠٠/٥	١٠٧	٥٤٤/٣، ٦٢٤/٢	٣٤
٥٧٥، ٤٧٧/٣	١٠٨	١٩٧/٤، ٢٤٥، ٧٤/١	٣٥
٢٧٤/٣	١٠٩	٢١٧/٥، ٥٥٩	
﴿سورة الحج﴾		٥٥٨/٥	٣٩
٢٧٩/٣	١	٨٠، ٧٦/٣	٤٧
١٥، ١٤، ٦/٢، ٢٦٨/١	٥	٨٩/١	٤٨
٥٠٣/٥، ٥٥٠، ١٤٢		٤٠٥/١	٥٢-٥١
١٤/٢	٧-٦	٤٠٧/١	٥٤-٥١
٣٠٤/٣	٢٠	٦١٣/٢، ٤١٥/١	٥١
٦٠٩/٥	٢٢	٤٠٧/١	٥٥
٤٩٩/٣	٢٦	٤٠٧/١	٥٦
٣٨٠/٢، ٢١٠/١	٢٧	٤٠٧، ٤٠٦/١	٥٧
٣٨٠/٢	٢٨	٤٠٨/١	٦٣-٥٧

١٠/٢	١٦-١٢	١٥١/٥، ٢١/٣، ٥٢٠/٢	٢٩
٣٩٠/١	٢٧	٢٤٤/٣، ٢٨٤/٢	٣١
٣٧٩/٣	٢٨	٤١/٤	٣٢
٤٥٧/٣	٣٤-٣٣	٣٨٠/٢	٣٧
١٤٢/٣	٣٣	٢٦٨/٥، ٧٨/٢	٣٩
١٩٤، ١٤٢/٣	٣٤	٥٥٢/٢	٤١-٤٠
٦/٥، ١٨٧/٣، ٢٤٤/١	٤٤	٣٠٩/٥، ٩٥/٤	٤٠
٢٤٢/١	٥٢	٤٥، ٤٤/٣	٤٥
٥٧٦/٥، ٣٦٤/٤، ٣٣٠/١	٥٦-٥٥	٣٠٢، ٣٠١، ١٦٠/١	٤٦
٣٢٢/٥، ٤١٨/٢	٦٣	٥٠٣، ١٣١، ٦٤/٢، ٣٠٣	
٣٢٦-٣٢٥/٥	٦٧-٦٦	٣٧٠، ٤٠/٤، ٤٧٢/٣	
٥٥٨، ١٤٢/٢، ٢٦٨/١	٦٧	٢٩٤/٥، ٤٤٦، ٤٢٤	
٦٠٢، ٣٣٦/٣، ٣٨/٢	٧٥	٣٤٥، ١٨٨/٣، ٢٧٧/٢	٤٧
٥٤٦/٥		٣٧٣/٤	
٢٦٥/١	٧٨	٢٠٥/٤	٥٢
٤٣٥/٤، ١٥١/٢	٩٨-٩٦	٢٥/٤، ٣٧١/٣، ٥٧٣/٢	٥٩
٧٦/٣	١٠٤-١٠١	٣٦٥/٣	٦١
٢٢٩/٢	١٠٨-١٠٧	٤٥٧/٤	٧٢
٢٨٦/٤	١٠٨	٤٢١/٤، ٤٣٦/٣	٧٣
٤٩٨/١	١١٥	٥٦٧، ٢٦٦/٢، ٢٧٩/١	٧٥
٤٩٨/١	١١٦	١٩٥/٣	
١٧٦/٣، ٤٩٨/١	١١٧	٢٥٨، ١٤/٣، ٢٢١/٢	٧٨
﴿سورة النور﴾		٢١٣/٤	
١٧٩/٣، ١٨٢/٢	٢	﴿سورة المؤمنون﴾	
١٣٣، ١٣٢/٣، ٢٨٧/١	٤	٥٦١، ٨٣/٣	١
٥٦٨/٥، ٢٨٤/٤، ١٨٠		٦٢٠/٥، ٥٦١/٣	٦-٥
٥٤١/٢	٥-٤	٢٥١/٢	٦
٤٣٤/٢	١٠	٥٦١/٣	٧
٤٠، ٣٩/٢، ٢٨٨، ٢٨٧/١	١١	٤٥/٢، ٥١٥/١	١٤-١٢

﴿سورة الفرقان﴾		١٩٩/١	١٤
٥٠٨ ، ٥٠٧ ، ٣٠٤/١	١	٢٤٩ ، ٢٠٠/١	١٦
٢٢٤/٤ ، ٣٢/٢		٢٠٤/٤ ، ٢٤٨/١	٢١
٦٨ ، ٦٧/٢	٤	١٣٣/٣ ، ٣٧٠/٢	٢٣
٥٨١/٤ ، ٦٩ — ٦٧/٢	٥	٣٣٢/٣ ، ٣٩/٢ ، ٣٨٨/١	٢٦
١٩٤/٣ ، ١٣٢/٢ ، ٢٩١/١	٧	٦٠٣	
٤٥٧		٦٢٠/٥	٣٠
٣٨/٤	٩	٥٥٨ ، ١٤٢/٢ ، ٣٤٧/١	٣١
٣٣١/٥	١١	٦٢٠/٥ ، ١٨٦/٤	
٥٥٩/٥ ، ٦٨/٣ ، ١٠٦/٢	١٣	٥٦٢ ، ٣٩٨/٢	٣٢
٤٥٧/٣ ، ٣٢٧ ، ٢٩١/١	٢٠	٥٩٤/٥	٣٣
١٣٢ ، ١٣١ ، ١٠٧/٢	٢١	٣٩١/٣ ، ٢٨/٢	٣٥
١٣٢ ، ٦٢/٢	٢٢	٤١١/٥	٣٦
١٣٤/٤ ، ٢٥٤/٣ ، ٣٥٢/١	٢٣	٥٧١/٥ ، ٢٥٤/٣ ، ٣٥٢/١	٣٩
٥٧١ ، ٣٤٢ ، ٣٢٨/٥		٥٧٢	
٢٧٧/٢	٢٤	٤٩١/٥	٤٠
٢٧٨/٢	٢٦	٢١٢/١	٤١
٩٧/٥ ، ١٠١/٢ ، ٣٤٤/١	٣٠	٢٠ ، ١٩/٢ ، ٥٣٢/١	٤٣
١٣٨/٢	٣١	٤١٨ ، ٤١٧ ، ٤١٦/٣	
٣٥٧/١	٣٣	٦٠٢/٤ ، ٤١٩	
١٢٦/٥	٣٧	١٤٥/٤ ، ١١٦/٢ ، ٩٤/١	٥٢
٥٦٨/٣	٤٠	٦٢٢/٣ ، ٦٥/٢	٥٤
١٣١/٥ ، ٣٤٣/٣ ، ٥٥٩/١	٤٤	٥١١/٢	٥٩
٥٤١/١	٤٧	٢٦٩/١	٦١
٤٢٤ ، ٤٢٣ ، ٤٢٠/٣	٥٠ — ٤٨	٥٤٦ ، ٢٦٩ ، ٥٤/١	٦٣
١٩/٢		١٨٥ ، ١٧٤ ، ١٤٣/٢	
٢٠/٢	٥٠	٢٢ ، ٢١/٣ ، ٥٥٨ ، ٣١٠	
٤٢٠/٣	٥١ — ٤٨	١٥٢/٥ ، ٤٥٩/٤ ، ٥٣٣	
٣٧٧/٣	٥٩ — ٥٨		

٥٣١/٥	٦٢	٥٨	٥٦٧/٢ ، ٣٦٥/٣ ، ٣٧٥
٣٧٠/٣ ، ٥٧١/٢ ، ٧٥/١	٦٣		٢٠/٤
١٣١، ٢٤/٤		٥٩	٣٤٩/٥
٤٠٥/١	٧٠-٦٩	٦٥	٢٠٥/٣
٤٤١/١	٧٣-٧٢	٦٧	٣٣٢/٢
٥٧٠، ٤٠٥/٢	٧٦	٦٩-٦٨	٤٥٣/٢
٤٠٥/١	٨٦	٧٠	٤٥٣/٢
٦٥/١	١٠٠	٧٢	٤٤٢/٤
٤٩٤/١	١٠٩	٧٤	١٤٢/٢ ، ٢٦٨/١
٥١٩، ٣٢٤/١	١١١	٧٥	٥٥٨، ١٤٢/٢ ، ٢٦٩/١
٣٢٤/١	١١٣-١١٢		﴿سورة الشعراء﴾
٣٢٤، ٣٢٢/١	١١٤	٣	٨٥/٢ ، ١٨٦ ، ١٧٨/١
٥٠٢/٢ ، ٢٤٧ ، ٨٥/١	١٢٩	٤	١١٤/٢
٢٤٠ ، ١٠٥/٤ ، ٤٥٩/٣		٨	٥٦/٤ ، ٦٠٣ ، ١٩٤/٢
٣٠٦، ٧٨/٥		١٦	٥١/٤ ، ٤٨١/٣ ، ٢٦٧/٢
٣٧١/٣ ، ٥٧٢/٢	١٣٠		٥٧٤، ٣١٠/٥ ، ٢٢٦
٥١٤/٣	١٥٥	١٩-١٨	٦٥/٤
٥٤٨، ٥٤٧/٣	١٦٦-١٦٥	٢٢	٥٤٤/٣
٥٤١/٣	١٦٨	٢٣	٣٤٣/٣
٥٦٨/٣	١٧٣	٢٤-٢٣	٥٥/١ ، ٢٦٤ ، ٤٦٦
٥٧٣/٣	١٧٧-١٧٦		٨٨، ٦٦/٤ ، ٤٥٤ ، ٣٩٧/٣
٥٧٢/٣	١٧٦	٣٦	٢٢٧/٢
٦٠٩/٣	١٨٠	٤٤	٧٧، ٧٦/٤
٥١٤/٢	١٨٢-١٨١	٥٠-٤٩	٨٧/٤
٥٨٥/٣	١٨١	٥٠	٩٢/٤
٣٤٥/٤	١٩٥	٥١	٩٣، ٩٢/٤
٣٦١/٥ ، ٥٠٨/١	٢١٤	٥٥-٥٤	١٣٠/٤
٤٢٦/٤ ، ٥٤٥/٢	٢١٥	٥٩	١٦٣، ١٢٧ ، ١٢٦/٤
٣٧٨/١	٢٢٢	٦١	٥٣/٢

٥٣٢/٤، ٢٣٤/١	٥٩	٥٩٠/٣	٢٢٧-٢٢٥
٥٣٢/٤	٦٢-٦٠	٩٣/٤	٢٢٧
٢٣٤/١	٦٠	﴿سورة النمل﴾	
٢٣٤/١	٦١	٤٨، ٤٧/٤	١
٢٣٥/١	٦٢	٦٢/٤، ٣٤٣، ٨٩/٣	١٤
٢٣٥/١	٦٣	١١٩/٥، ١٠٣	
٢٣٥/١	٦٤	٩٩، ٩٧/٣، ٣٣٥/١	١٩
٣٩٥، ٣٩١، ٣٨٦/١	٦٥	١٥٨/٤، ٤٤١	
٦٠٤/٣		٣٣٤/٣، ٣٩٠/١	٢١-٢٠
٥٠٠/٥	٦٦	٥٤٨/٥، ٦٠٤/٣، ٤٩٢/١	٢١
١٠/٤	٧٤	٥٤٩/٥	٢٤-٢٢
٥١٨/٢، ٥٠٣/١	٧٦	٣٣٤/٣، ٣٩١، ٢١٤/١	٢٢
٥٩٧/٢	٨٢	٦٠٤	
٣٨٠/٤	٨٨-٨٧	٣٩١/١	٢٤-٢٣
١٠/٤، ٣٧٣، ٣٤٨/٣	٨٨	٥٧١/٢، ٢٥٧/١	٢٣
٣٤٦/٥، ٣٨٠		٥٤٩/٥	٢٨-٢٧
٤٣/٥	٩١	٣٩١/١	٢٧
٦٢٥/٣	١٢٧	٢١٤/١	٢٨
﴿سورة القصص﴾		٣٤٦/٣	٤٢
١٢٨/٤	٦٠	٢٩٤/٣، ٤٠٨/٢، ٤٢٨/١	٤٣
٩٩/٤	٧	١٢٥/٤، ٥٧٧، ٤٣٨	
٣٠٦/٣	١٢	٦٢٠، ٥١٢، ٢٠٩/٥، ٢٤٢	
٤٩٣/١	٢٧	٥١١/٣	٤٥
١٢٥/٥	٣٨	١٠٧/٤، ٢٢٥/٣، ١٤٣/١	٤٧
٣٠٤/٥	٤١	٥٠٠/٥	
٢٤٥/٢	٤٥	٥١٥/٣	٤٨
٢٢٦، ٢٩٠/٢، ٢٠٦/١	٤٦	٥٠/٣	٥٦
٥٧٨/٣		٥٦٨/٣	٥٨
٣١٢/٤، ٤٩/٣، ٢٨١/٢	٤٧	٤٥٦، ٤٥٥/٢	٦٤-٥٩

٤٦١، ٥٩/٣	١٤	٥٢٥/٢	٤٨
٤٦٨، ٤٦٣/٣، ٤٠١/٢	١٥	٢٩٥، ٢٩٤، ٢٤٤/٤	٥٤-٥١
٤٢٦/٤، ٢٢٤/٣، ٥٢٧/١	٢٥	٤٤٢/٤	٥٥
٤٦٥، ٤٥٢، ١٥٦/١	٢٦	٣٧٣/٤، ٢٨٥/٢، ١٩٣/١	٥٦
٦٠٠/٥، ٥٤٠، ٥٣٩/٣		٤٥٥، ٤٥٤	
٤٥٤/١	٢٧	٢٥٧/١	٥٧
٥٦٧، ٥٦٦/٣	٣٢	٤٢٦/٢	٥٨
٤٦٢/٣	٣٣	٥٧/٤، ٤٣/٣، ١٣٦/١	٥٩
٥٣٢/٣	٣٧	٥٧/٣	٦٦-٦٥
٤٣٥/٣	٤٣	٥٨/٣	٦٥
٣٦٧، ٤٧/١	٤٥	٦٩/٤	٦٦
٢٣٩، ٢٠٧/٤	٤٨	٤٤٥/٥	٧٣-٧٠
٤٥٢/٤، ١١٠/٢	٥١-٥٠	٤٩٠، ٤٤٤/٥	٧٠
٥٧٩/٣، ٢٠٤، ٢٠٢/١	٥١	٣٨٢/٣	٧٢-٧١
٥٥٨/٥	٥٥-٥٤	٥٤١/١	٧٣-٧١
٥٢٣/٣	٥٨	٤٩١، ٤٩٠/٥	٧١
٤٥٧، ٢٨٧/٢، ٢٣٦/١	٦٥	٣٨٢/٣	٧٣
٥٣٣/٤		٦٩/٤	٧٦
٤٠/٤	٦٩	٦٠/٣	٧٨
﴿سورة الروم﴾		٥١٩/٥، ٥٧٥/٤	٨٥
٥٠٦/٥، ٥١٠/١	١٦-١٤	٤٩٠، ٤٤٦/٥، ٢٠٢/٤	٨٨
٢٨١/٣	١٤	﴿سورة العنكبوت﴾	
٢٨١/٣	١٦-١٥	٣٢٢/٤	
١٧/٢	١٩-١٧	١٤٦/٥	٤
٤٢٤، ٣٧٥، ٣٦٥/٣	١٩	٥٣/١	٥
١٢/٢	٢١-٢٠	٤٦٧/٢	٨
٦/٢	٢٠	٦٣١/٢	١٣-١٢
١٤٧/٥	٢٤	٢٧٧/٣، ٣٥٠/١	١٣
٢٨٠/٣، ٥١٠/١	٢٥	٤٧٠/٣	١٥-١٤

٣٧٨/٣	٩-٣	١٤/٢	٢٧
١٩٦/٢ ، ٥٢٨ ، ٢٣٠/١	١٠	٤٨٨ ، ٤٨٧/١	٣١-٣٠
٣٣٨ ، ١٧١/٤ ، ١٩٧		٢٨١/٣	٤٣
٢١٢/٣ ، ٥٦١/٢	١١	٤١٥/٣	٤٦
٤٣٧ ، ٤١٧ ، ٤١٢ ، ٧٩/٢	١٣	٢٣٦/٤ ، ٤١٦/٣ ، ١٧/٢	٥٠
٦١/٥		١٢١/٥ ، ٥٧٣/٢	٥٤
٢٥٥/١	١٤	٥٠٧/٥	٥٥
٣٦٩/٣ ، ٥٧٤ ، ٢٧/٢	١٧	﴿سورة لقمان﴾	
٣٥٤/٥ ، ١٧٤/٤		٤٣٧ ، ٢٦١ ، ٨٤ ، ٨٣/١	١٣
٢٤٩ ، ٢٤٨/٢ ، ٢٨٧/١	٢٠	٢٩٤ ، ٥١/٣ ، ٢٦٠/٢	
٦٠٩ ، ٥٦٨/٥ ، ٢٨٤/٤		٢٦٩ ، ١٦٩ ، ٦٤ ، ٦٢/٤	
٥٢٦/٤ ، ٤٢٩/٢	٢١	٥٥٠ ، ٣٥٨ ، ١٢٩/٥	
٣٧٩/١	٢٥	٤٦٥/٢ ، ٣٣٥ ، ٣٣٣/١	١٤
٦٠٦/٣	٢٩	٤٤٠ ، ٩٩ ، ٩٧ ، ٩٦/٣	
﴿سورة الأحزاب﴾		٤١٥ ، ١٥٩ ، ١٥٧/٤ ، ٤٤١	
٤٨٧ ، ٤٨٦/١	٢-١	٤١٧-	
١٧١/٢	١	٤٦٧/٢	١٥
٦٣٣ ، ٥١٨ ، ٥١٧/٢	٥	٦٢٢/٣	١٧
٣٢٤/٣		١٦٨/٤ ، ١٧٤ ، ١٣٤/٢	٢٧
٢٣٤ ، ٢٢١/٥ ، ٤٣٠/٤	٦	٢٣٩	
٢١٨/٣ ، ٤٠٠/٢	٧	٣٧٥ ، ٣٦٥/٣ ، ١٤٧/١	٢٨
٣٩٢/٥ ، ٥٣٨/٤ ، ٥٥٠/٢	٩	٥١٣/٥	
٥٤٩ ، ١٨٨/٢ ، ٥٤٨/١	١١-١٠	٢٨٨/٣	٢٩
٥٧/٥ ، ٢٣٤/٣		٤٥٧ ، ٢٨٧/٢ ، ٢٣٦/١	٣٢
٥٦٨/٢	١٣	٥٣٣/٤	
١٠٥/١	١٦	٣٧٨/٤ ، ٣٨٤/١	٣٤
٤٣٩/٢ ، ١٧٦/١	١٨	﴿سورة السجدة﴾	
٢٢٠ ، ١٩٥/١	١٩	٢٩١/٢	٣
١٦٥/٣ ، ٤٨٥ ، ٢٩٥/١	٢١	٢٧٧/٢	٥

٢٢٦/٣	٣٣-٣١	٢٣٥/٣، ٥٤٩/٢، ٥٤٨/١	٢٢
٢٤١/٣	٣٢	١٩٢، ٥٨/٥	
٥١٩/١	٣٤	١٩٢، ٥٨/٥، ٥٤٩/٢	٢٥
٥٧٦/٥، ١٤٢/٢، ٣٣٠/١	٣٧	٢٣٥/٣، ٥٤٩، ٥٤٨/١	٢٧-٢٥
٥٧٤/٢	٣٩	٥٤٩/٢	٢٧-٢٦
٤٨٦/٥	٤٠	٦٠، ٥٩/٥	٢٧
٤٨٦، ٤٤٣، ٤٠٨/٥	٤١	٤٨٦/١	٢٩-٢٨
٢٩٠/٢	٤٤	١٠٥/٥	٣٢
٢٥٧/٥، ٣٦٧/٤	٤٦	١٥٢/٥، ٢٢/٣	٣٦
٤٩٦-٤٩٤/١	٤٧	٦٢١/٣، ٤٨٧/١	٣٧
١٢٤/٣	٥٠	٤٦٠/١	٤٠
﴿سورة فاطر﴾		٤١٢/٣، ٣٠٤/٢، ٣٥٣/١	٤٣
١٩٥/٣، ٢٠٩/١	١	١٨٨، ١٥/٥، ٤٨٧/١	٥٠
١٠٧/٥	٥	١٨٨/٥، ٢٨٣/٣	٥٣
٣٤٠/٢	٦	٦٠٢/٥	٥٧
١٨٦، ١٧٨/١	٨	٣٧٦/٤، ٤١١/٣، ١٢٤/٢	٦٣
٢٤٢/٣	١٠	٣٨٣	
٤١٤، ٤٣١/٤	١١	٥٦٧/٤، ٣٨٤/٣، ٢١٣/١	٧٢
٤٢٥/٤	١٤-١٣	٦١٩/٥	٧٣
٦٠/٢	١٤	﴿سورة سبا﴾	
٣٠٥/٢	١٧-١٥	٣١٤/٤، ٢٧٣/٣	٣
٣٠٣/٢، ١١٠/١	١٥	٢٠٤/١	٩
٦٣١، ٣٢٢/٢، ٣٠٤/١	١٨	٤٦٩/٣	١١-١٠
٣٨٨/٤، ٤٣٨/٣		٤٦٩/٣	١١
١٩٧، ١٠٦/١	٢٢	٥٦٤، ٤١٥، ١٥٧/٤	١٣
٢٤٢/١	٢٤	٣٤١/٢	٢٠
٣٤٢/٤	٢٩	٣٠٨، ٦٧/١	٢٣
٧٢، ٧١/٢	٣٦-٢٩	٦٠٦/٣	٢٦
		٢٢٤/٤، ٥٠٧/١	٢٨

٣٩	٣٩٨/١ ، ٤٠٥/٢ ، ٥٦٩	٣٢	٥٦/١ ، ٨٤ ، ٥٠٥
	٥٧٠ ، ٣٦٧/٣ ، ٢٢/٤		٢٦١/٢ ، ٤٣٩/٣ ، ٦٤/٤
٤٤-٤١	٤٦٧/٣		٣١٩ ، ٣١٣ ، ٢٤٥
٤١	٤٦٨/٣	٣٣	٥٦/١ ، ٨٥ ، ٥٧ ، ٢٤٥/٤
٤٧	٤١٠/٢	٣٥-٣٣	٢٤٦ ، ٢٤٥/٤ ، ٢٦٢/٢
٥٠	٣٨١/٤	٣٥-٣٤	٢٦٦/٣
٦١-٦٠	٣٧٣/١ ، ٤٠٨/٥	٣٤	٨٦/١ ، ٣٣٣ ، ٩٧/٣
٦٠	٣٧٣/١ ، ٢٣١/٢ ، ٤٤٣/٥		٥٦٤ ، ٤١٥ ، ١٥٧/٤ ، ٤٤٠
	٤٨٦	٣٧-٣٦	٢٨١/٢ ، ٢٨٢ ، ٣١٣/٤
٦٢-٦٠	٢٣٣ ، ٢٣٢/٤	٣٦	٣٢٣/١ ، ٢٤٩/٢ ، ٨٤/٣
٦٥-٦٠	٥٢٣/١ ، ٧٧/٢ ، ٢٣٢		٢٤٦/٤ ، ٦٠٨/٥ ، ٦٠٩
	٣٠/٣	٣٧	٣٤١ ، ١٧٥/٤ ، ٦١٨/٣
٦٢-٦١	٤٨٦/٥	٤٣-٤٢	٥٦٠/٢
٦٢	٣٧٣/١ ، ٢٣١/٢ ، ٢٣٣		﴿سورة يس﴾
	٤٨٦ ، ٤٠٨/٥	٦	٢٩٠/٢
٦٤-٦٣	٤٨٦ ، ٤٠٨/٥	٧	٤٩٦/٥
٦٥-٦٣	٣٧٣/١ ، ٢٣٣/٤	٩	٢٤٢/٢ ، ٣٨١/٣ ، ٥٤٣/٤
٦٥	٦٢/٢ ، ١٠٤ ، ٢٣٣ ، ٢٧٦		٥١٧/٥ ، ٥٧٣
	٢٧٧ ، ٤٠٤ ، ٥٦٩ ، ٦٢/٣	١١	٣٠٤/١ ، ٥٥٧ ، ٣٢/٢
	٢١/٤		١٧٢/٣ ، ٤٣٨ ، ١٩٠/٤
٧٠	١٩٧/١		٣٨٨ ، ٣٠٠/٥
٧٢-٧١	٣٣٧ ، ٣٣٦/٢	١٢	٢٢٧/٢
٧١	٥٧٤/٢ ، ٣٦٩/٣	١٥	١٩٤/٣ ، ٤٥٧
٧٢	٣٢٦/٢	١٩-١٨	١٠٧/٤
٧٩-٧٨	١٥/٢	٢١-٢٠	٤٩٤/١
٧٨	١٥/٢	٣٠	٥٩٥/٤
٧٩	١٤١/٣	٣٥-٣٣	٥٣٣/١
٨١	٢٧٣/٣	٣٨-٣٧	٢٨١/٣ ، ٣٨٢
		٣٨	٣٨٨/٣

٤٨٤/١	١٣٨-١٣٧	٣٩٢ ، ٣٦٥/٣ ، ٤٢٧/٢	٨٢
٤٦٤/١	١٤١-١٤٠	١٨١/٥ ، ٢٨٦/٤	
٤٦٤/١	١٤٤-١٤٢	﴿سورة الصافات﴾	
٤٦٤/١	١٤٨-١٤٧	٣٥٧/٤	٤
١١٧/٣ ، ٢٣١ ، ٢٣٠/٢	١٥٨	٥٠٣/٥ ، ٦/٢	١١
١٨٤/١	١٧٣-١٦١	٢٦٤/٢	٢٢
٢٩٥/٤	١٦٤	٦١/٣	٢٥
﴿سورة ص﴾		٢٧٧/٤	٣٩
٣٥٧/٤ ، ٤٢٨/١	٥	٣٠١ ، ٣٠٠/٣ ، ٣٢٩/١	٥٧-٤٨
٤٥٠/٤	٧	٥٦/٤ ، ٦٠٣ ، ١٩٤/٢	٧١
٣٠٨/٢	١٤	٥٧٠ ، ٤٠٥/٢ ، ٤٥٤/١	٧٧
٣٨٠ ، ٣٦٧ ، ٣٦٦/١	١٦	٢٢/٤ ، ٤٦٧ ، ٣٦٧/٣	
٤٩٢ ، ١٨٨/٣		٦٠٦/٢	٨٣
٢١٣/١	١٨	٤٠٧ ، ٤٠٦/١	٨٩-٨٨
٥٤١/٤ ، ٣٧١/٣ ، ٥٧٣/٢	٢٣	٤١٦/١	٩٣-٨٨
٥٣٣ ، ١٦٧/٥		٤٠٧/١	٩١
٧٣/٢	٢٤	٤٠٧/١	٩٣
٤٩٨/١	٢٧	٤٤١/١	٩٥
١٣/١	٢٩	٤٥٢/١	١٠٢-١٠١
٦٠٨/٥ ، ٢٥٩ ، ٢٠٤/٣	٥٤	٢٥/٤ ، ٣٧١/٣ ، ٥٧٣/٢	١٠١
٢٠٦/٣ ، ٢٥٢ ، ٢٥١/٢	٥٨-٥٥	٤٥٢/١	١٠٢
٦١٠/٥		١٤٠/١	١٠٣
٢٢٦/٣	٦٤	١٤٠/١	١٠٥-١٠٤
١٠٢/٣	٧٢-٧١	١٤٠/١	١٠٦
١٠٩/٣	٧١	١٤٠-١٣٩/١	١٠٧
٤٥٣ ، ١٢١/٢ ، ٣٠٩/١	٧٥	٤٥٢/١	١١٣-١١٢
١١٥ ، ١١٢/٣		١٧١/٣	١١٣
﴿سورة الزمر﴾		٦١٤/٢	١١٨
٣٤١/٣ ، ٩٦/٢	٣	٤٦٢/١	١٢٦-١٢٣

٤٩٣/٣، ٤٢٨، ٤٢٧/٢	٧٣-٦٩	٥٨٠، ٣٢٦/٤، ١٩١/١	٤
٥٨٩، ٢٧٥/٢	٦٩	٩، ٧/٢، ٥١٠، ٥٠٩/١	٦
٦١/٣، ٢٨١، ٢٧٥/٢	٧١	٣٤٦، ٤٥، ٤٤، ٤٣، ١٢	
٦٠٠، ٣١٣/٤		٣٨٩/٤، ٢٧٩، ١٠٧/٣	
٥٢٣، ٢٧٢/٣	٧٤	٥٠٤/٥، ٣٩٠	
﴿سورة غافر﴾		٤١٢/٢، ٣٠٨، ٦٥/١	٧
٢٩٣/٤، ٢٥٠/٣	٣-١	٥١٢/٥، ٤٢٤، ٤١٨	
٤٠٨/٢	٣-٢	١٥٧/٢، ٢٣٨/١	٨
٢٣٩/٤	٨-٧	٩٥/٤، ٤٦/١	١٠
٢٣٨/٤	٧	٥٧٠/٥، ٢٥٣/٣، ٣٥٢/١	١١
١٠١/٥	١٠	٢٥٣/٣	١٥
٢٣٥، ٢٢٠، ٢١٩/٤	١١	٥٥٨، ١٤٢/٢، ٢٦٩/١	٢٠
٧٨، ٧٥/٢، ٣٧٠/١	١٢	٣٧٣/٤	٢٣
٤٩٠/١٢، ٢٢٨/٤، ٢٩/٣		٢٧٨/٣	٢٨
٣٧٩، ٣٦٨/١	٢٠	٢٠٩/٣	٣٢
١٠٠/٤	٢٥	٣٣٣/٥، ٤٢٨/٤، ٤٤١/١	٣٦
٥٣١، ٥٣٠/٢	٢٨	٤٤١/١	٣٨
٣٧١، ٣٧٠/٣، ٥٧٢/٢	٣٥	٢١٢/٣، ٥٦١، ٤٠٠/٢	٤٢
٣٦٧/٢	٣٧-٣٦	٢١٩	
٢٨٢، ٢٧٦/٢	٥٠-٤٩	٣٠٧/١	٤٤
١٨٤/١	٥١	٢٢٩/٣	٤٧
١٤١/٣، ١٦/٢	٥٧	٤٥٣/٢، ٣٤١/١	٥٣
٥٦/٤	٥٩	٦١٩، ٢٦٩، ٨٩/٣	٥٧
٥٦٧/٢	٦٥	٣٤٤، ١٧٦/٤	
٢٨٦/٢	٧٤	٣٧١/٣، ٥٧٢/٢	٦٠
١٨٥، ١٨٣/١	٧٨	٤٢٩/١	٦٤
٣٣٧/٢	٧٩	٢٦٢/١	٦٦-٦٥
٣٧٨/١	٨٤	١٦٥/٢، ٤٦٩، ٤٦٨/١	٦٥
		٤٢٥/٣	٦٨

٤٩٠، ٤٤٤/٥، ٧٨/٢	١٠
— ٤٩/٢، ٣١٩ — ٣١٦/١	١١
، ٥٧٩ ، ٥٦٦ — ٥٦٤ ، ٥٢	
، ٣٤٨ /٣ ، ٥٨٨ ، ٥٨٣	
، ٣٦٦ — ٣٦٠ ، ٣٥٥ — ٣٥٠	
— ١٠/٤ ، ٤٩٤ ، ٣٧٨ ، ٣٧٤	
، ١٦١ ، ٢٧ ، ١٨ ، ١٥ ، ١٢	
٣٤٧، ٣٤٥/٥، ١٦٢	
٤٨٤، ٥٠/١	١٣
٢٦٩، ١٦٤/١	١٥
٤٢٧/١	١٦
٤١١/٣، ١٢٤/٢	١٧
٣٧٦/٤، ٣٦٧/١	١٨
٥٧١، ٣٢٩/٥	٢٠
٥٧٠/٥، ٢٣٣/٢، ٣٥١/١	٢١
٥٠٩/٥، ٢٣٢/٤، ٣٨/٣	٣٠
١٧٥/٣	٤٠
٥٧٢/٢، ٤٦/١	٤٣
١٣٧/٤	٤٩
، ٣١٩/٣، ٥٣٥/٢، ١٩٣/١	٥٢
، ٣٤٠ ، ٣٣٩ ، ٢١٤/٤	
٤٤٨/٥، ٤٥٥، ٤٥٤	
٧٤/٥	٥٣
﴿سورة الزخرف﴾	
٤٢٥، ٤٢٤/٣	١١
٣٧٩/٣، ٥٧٥/٢	١٣
٣٩٦، ٣٩٥/٤، ٣٢١/٣	١٨
٣٣٧/٥، ٣٨٨/٤، ١٤٠/٢	١٩
٤١٨، ٤٠٩/٢	٢٠

﴿سورة فصلت﴾

٢٠٥/٤	٧-٦
٣٤٤، ٣٤٣/٣	١٠-٩
٣٤٤/٣	١٢-١١
٩٥/٢، ٢١٨/١	١١
١٢١/٥، ٤٨٨/٣، ٢٧٣/٢	١٥
، ٢٨/٤ ، ١٩٢ ، ١٩١/١	١٧
٣٥٦/٥، ٤٥٤	
، ٢٧٦ ، ١٠٤ ، ٦٢/٢	٢١
٢٢١، ٦٢/٣	
٦٣، ٦٢/٣	٢٣-٢٢
٢٧٦، ١٠٤، ٦٢/٢	٢٢
٤٧٥/٣	٢٥
٥٩٠، ٤٥٧/٤	٢٦
٣٨٢/٣	٢٧
٩٤/١	٢٩
، ١١٣/٣ ، ٤٦٢ ، ١٢١/٢	٣٤
٤٣٥/٤، ١١٥	
٤٣٥/٤، ٤٦/١	٣٥
٤٣٥/٤	٣٦-٣٥
١٩١/٣، ١٥١/٢	٣٦
١٤٠/٣، ١٧/٢	٣٩
١٣٧/٢، ١٨٥، ١٨٢/١	٤٣
، ٣٣/٣ ، ٢٣٥ ، ٧٠ ، ٦٧/٢	٤٤
٤٥٦، ٤٥٥/٤، ٣٣٧، ٣١٥	
٣٣٠/١	٥٠
﴿سورة الشورى﴾	
٢٠٢/٢	٧
٤٩٠—٤٤٥/٥	١٢-١٠

﴿سورة الجاثية﴾		٩٧/٢	٢٢
٥٤٠، ٣٨٧/٤	٨-٧	٢٤٣/٤، ١٨٧/٣، ٢٤٣/١	٢٣
٥٧٢/٢	١٤	٣٠٣/٥	
٣٦٣/١	٢٣	٥٣١/٢، ٣٣١/١	٣١
١٣٢/٢	٢٥	٤١٨/٥، ٣٣١/١	٣٢
١٦٨/١	٣٢	١٦٩/٣	٣٥-٣٣
٢٢٢/١	٤٥	٢٣٧/٣	٣٩
﴿سورة الأحقاف﴾		٤٤٣/٤، ١٩١/٣	٤١
٤٢٦/٤، ٢٥٨/١	٦-٥	٤٧٧، ٤٧٦/٣، ٤٥٠/٢	٤٥
٤٢٦/٤	٥	٥٧٥	
٥٢٨، ٥٢٧/٢	١٠	٢٢٤/٣	٤٨
٣٣٢، ٣٣٠، ٣٢٧/١	١١	١٢٥، ٥١/٥	٥٢-٥١
٣١٢/٥		١٢٥/٥	٥٢
٥٢٥/٢	١٢	٣٤٣/٣	٥٤
٥٠٩/٢	١٥	٥٩٥، ٥٨٨/٤، ٢٧٧/٣	٥٧
٤٨١/٤	١٩	٥٠١/٥	٦٠
٤٧٦/٣، ٤٠٣، ٨٧/١	٢١	٢٠٥/٣	٧٥
٥٣٠، ٣٠٥/٤، ٤٨٥		١٢١/٥، ٣٤١، ٨٤/٣	٧٧
٤٩٨/٣	٢٤	٣٤٢/٣	٨٧
٣٤٧/٤، ٢٢٨، ١٩٥/١	٢٦		
٢٦٩/٢	٢٩	﴿سورة الدخان﴾	
٥٢٥/٢	٣٠	٤٧/٤	٢
٢٢٣/٣، ٢٧٢، ٢٧١/٢	٣١	٥٨٤/٢	١٠
٣٤٦/٤، ٢٨٧		٥٢٦/٤	١٦
١٤١/٣، ١٦/٢	٣٣	١٣١/٤	٢٤
١٣٧/٢، ١٨٥/١	٣٥	١٢٧، ١٢٦/٤	٢٨
﴿سورة محمد﴾		١٣٢/٢	٣٦
١٥١/٤، ٥٥٠/٤، ٢١/٣	٤	٤٩٨/١	٣٩-٣٨
٢٧١، ١٨٠		٢٨٠/٢	٣٨

٢٩ ، ٤٣٦/٤ ، ٥٤٤ ، ١٥٢/٢

٢٢١/٥

﴿سورة الحجرات﴾

٦ ، ٥٥٣/٢ ، ٢٨٩ ، ٢٨٨/١

٤٩/٤ ، ٢٨٤ ، ٢٩٥/٥

٥٦٨،٥٣٨

١٠ ٢٢٤/٣

١١ ٤٢٨/١ ، ٣١١/٢ ، ٣١٢

٤٠٨ ، ٥٤١ ، ١٧٩/٣

١٨٠ ، ٢٩٣ ، ٤٣٨ ، ٥٧٧

٤١٢٤/٤ ، ٢٤٢ ، ٦٠٨/٥

٥٨٣،٥١١

١٢ ١٧٩/٣،٥٤١/٢

١٥ ٦٠٠/٥

﴿سورة ق﴾

٢ ٤٨٤/٣

٨-٦ ٣٧١/٤،٤١٠/١

١١-٩ ١٨،١٧/٢

١٤ ٣٠٨/٢

١٦ ٣٩٣ ، ٥٥٤ ، ١٦٤/١

١٩١/٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٥

٤٨٦ ، ٢٦٦/٤ ، ١٩٢/٥

٥٣٩،٢٠٠

١٨ ٤٨٦/٢

١٩ ٢٥٣/٢

٢٠ ٩٧/١

٢٩-٢٨ ٣٠٨/٢

٣٥ ٢٦٧/٤

٣٧ ١٦٠/١

١٠ ١٤٠/٣

١١ ١٠/٥

١٣ ٥٣٠،٣٠٩/٥

١٥ ٢٦٨/١ ، ١٤٢/٢ ، ٥٥٨

٢٦٥/٣

١٧ ٤٠/٤،٤٥٨،١١٥/١

٢٣ ٢٢٢/١

٢٤ ١٣/١

٢٨-٢٥ ١١٤-١١٣/٥

٢٦ ١١٤/٥

٣٠-٢٩ ٦١٣/٥

٣١ ٣٢٢/٥

٣٢ ٥١٢/٥

٣٥ ١٦٢/٥

٣٨ ٥١١/٥

﴿سورة الفتح﴾

١ ٢٢٩/٥

٤ ٤٧٨/٤،١٩/٣

١٠ ٢٣٢/٥

١١ ٢٠٨/١

١٨ ٢٣٦/٣،٥٥٠/٢،٥٤٩/١

٢٣١،١٩٢،٥٩/٥

٢٠ ١٩٢/٥،٦١٤/٢

٢١ ٢٣٦/٣،٥٥٠/٢،٥٤٩/١

١٩٢،٦٠/٥

٢٥ ٥٩/٥ ، ٥٨٨ ، ٥٨٦/٤

٢٢٨

٢٧ ٢١٢ ، ٢١١ ، ٢١٠/٢

٣١٢/٥،٤٧٦/٤

٣١٨/٣ ، ٥٦٤ ، ٥٠٣		٣٢/٢ ، ٥٥٦ ، ٣٠٤/١	٤٥
٨١/٥ ، ١٠/٤ ، ٣٤٩		٤٣٨ ، ٤٣٧ ، ١٧٢/٣	
٢٠٠/٢	٢٨	٢٦٧ ، ١٩٠/٤ ، ٥٧٧	
٦١٨ ، ٤٠/٢ ، ٣٧٣/١	٣٧	٣٠٠/٥ ، ٣٨٨	
١٢٦/٥ ، ٨٢/٤	٥٣	﴿سورة الذاريات﴾	
٥٤٣/٤ ، ٣٨١/٣	٥٤	٤٣١ ، ٢٠١ ، ١٩٩/٢	١٠
﴿سورة القمر﴾		٢١٦/٥ ، ٥٥٩/٤ ، ٣٢٥/١	١٣
٢٠٣/١	١	٤٤/٢	٢١
٤٦٣/٣	١٢-١٠	٥٦٨/٢	٢٨
٤٦١/٣	١٠	٤٥١/١	٢٩
٥٠٧/٣ ، ٢٤/٢	٢٠	٥٦٧ ، ٥٦٤/٣	٣٣-٣١
١٩٤ ، ١٤٢/٣ ، ٣٣١/١	٢٤	٥٦٣/٣	٣٦-٣٥
٤٥٧		١٨٨/٣	٤٢
٣٣١/١	٢٥	١٢٦/٥ ، ٥٦٣ ، ٣٧١/٤	٤٧
٥١٤/٣	٢٨	١٦٥	
٢٨٦/٤ ، ٥١٦/٣	٢٩	٦٢٢/٣	٥٤
٣٣٣/٣ ، ٣٨٩/١	٣٧	٢٨١/٤ ، ١٨/٣	٥٥
٥٦٧/٣	٣٩-٣٧	٦٦/٣ ، ٢٤٠/٢ ، ٤٧٨/١	٥٦
٥٥٨ ، ١٤٢/٢ ، ٢٦٩/١	٤٥	٢٦٥/٤	
٥٢٧ ، ٥٢٦/٤		٣٦٨/٣ ، ٥٧٤ ، ٥٧٣/٢	٥٨
٤٢١/٢	٥٠-٤٩	﴿سورة الطور﴾	
٤٢/٣	٤٩	٦١/٣	١٥
٣٤٥/٣	٥٠	٥٦٧/٥ ، ٣٧٧/٤	١٦
٥٥٨ ، ١٤٢/٢ ، ٢٦٨/١	٥٤	٣٦٧/٤	٢٩
٣٧٠/٣	٥٥	٥٧٢/٤	٣٠
﴿سورة الرحمن﴾		٥٨٠ ، ٤٥٢/٤	٣٤
٢٥/٤	٢-١	٣٥٠/٢	٣٥
٣٦٩/٣	٣-١	﴿سورة النجم﴾	
٥٧٤/٢	٤-١	٥١/٢ ، ٣١٧ ، ٣٠٠/١	٤-٣

٥٤١/٥	١٤	٥١٤/٢	٩-٧
٥٦١،٩/٥	١٥	٣٤٧/٤	١٣
١٥٣/١	١٦	٣٤٠/٣	١٩
٥٦٢/٥	٢٢	٣٤٠/٣	٢٠
٥٦٢/٥	٢٣	٣١٥/١	٢٧
٤٥٤/١	٢٦	٢٦٩/٢	٣٢
٦٤/١	٢٨	٢٦٩/٢	٣٣
١١٤، ١١٣/٣، ٤٦١/٢	٢٩	٦٠/٣	٣٩
﴿سورة المجادلة﴾		٢٢٣/٣، ٢٧٣، ٢٧٢/٢	٤٦
٢٠/٤	١	٣٤٧/٤، ٢٨٨، ٢٨٧	
١٦٢/٣، ٤٧٣، ٤٧٢/١	٣	٢٢٣/٣، ٢٧٣، ٢٧٢/٢	٤٧
٣٣٩/٣، ٤٧٤، ٤٧٣/١	٤	٢٨٨	
٦٠٧/٥	٥	٣٤٧/٤، ٢٢٣/٣، ٢٧٢/٢	٥٦
٨٨/٥	٧	٢٢٣/٣	٧٤
٢٥٥/١	١٩	﴿سورة الواقعة﴾	
٦٠٧/٥	٢٠	٣٨٠/٤	٥
١٨٤/١	٢١	٤٣٤/١	٢٦-٢٥
﴿سورة الحشر﴾		٢٢٨/٢	٥٠-٤٩
٤٣١/٥	٢	١٤٦/٥، ٣٩٧/٣	٦١-٦٠
٤٠٥/٣	٥	١٤١/٣، ١٤/٢	٦٢
٣٨، ١٥، ١٤/٥	٦	٢٠٧/٣	٧٣
٢٣/٣، ٣٥١، ٢١٧/١	٧	٢٧٧/٤	٧٦
١٤/٥، ٢٥٣، ٢٥٢		﴿سورة الحديد﴾	
٢٥/٥	١٠-٨	٣٧٨/٣	٥-٣
٢٢٥/٥	٨	٣٦٧/٣، ٥٦٩، ٣٠٥/٢	٣
٢٢٦، ٢٢٤/٥	٩	٢١/٤، ٣٦٨	
٢٢٦، ٢٥/٥	١٠	٨٩/٥	٤
٨٥/٥، ٥٣٤/٢	١٤	٢٢٥/٥	١٠
١٠٠/٥	١٦	٥٤١/٥، ٢٨٣/٣، ٢٢٨/١	١٣

٤١٠/٤، ٤٧٤/٢	٧	٢٥٥/١	١٩
٥٤٢، ٥٤١/٤	٨	٤٣٥/٣، ٢١٣/١	٢١
٥٤٤/٢	٩	٣٧٠/٣، ٥٧٢، ٥٧١/٢	٢٣
٢٤٩/١	١٠	٢٤/٤	
﴿سورة التغابن﴾		٣٩٢/٣، ٩٢/١	٢٤
٢٠٢/٢	٢	﴿سورة الممتحنة﴾	
٣٠٤/٢، ١١٠، ١٠٩/١	٦	٥٣٠، ٣٠٩/٥	١
١٤٢/٣، ٥٧٠، ٤٠٦		٥١٧/١	٢
٥١٢/٥، ٥٧٩، ٤٥٧		٢١٩/٥، ٢٨٦/٢	٤
٤١٠/٤، ٢٧٣/٣	٧	٤٦٧/٢	٨
٢١٤/٤، ٣١٩/٣، ٥٣٥/٢	٨	١٢/٥	١٠
٤٤٩/٥، ٥٥٩		﴿سورة الصف﴾	
٢٢٨/٢	٩	١٨٨، ٥٠/١	٣
٣٥٥/٥، ٥٤٤، ١٦٧/٢	١٤	١٣٠، ١٢٨/٢، ٢٢٣/١	٥
٣٥٦		٥٤، ٣٩/٤	
٢٢١/٢، ٣٥١/١	١٦	٥٧٧، ٥٧٦/٥، ٣٦٥/٣	٨
﴿سورة الطلاق﴾		٣٤٢، ١٧٤/٤، ٦١٧/٣	١١-١٠
٤٨٦/١	١	٨٦/٣	١٢-١٠
٦٣٠، ٦٢٩، ٤٠٥/٣	٣-٢	٢٨٩/٥	١٤
٤١٠/٤		﴿سورة الجمعة﴾	
١٣١/٣، ٤٣٢، ٣٦٩/٢	٢	٣٧٠/٣، ٥٧٣، ٥٧١/٢	١
٥٦٨/٤		٢٤/٤	
١٦٢/٥	٣	٩٢/٣	٢
١٧٩/٣، ٥٤٠، ٥٦/٢	٤	٤٣٦/٣	٥
٤٠٥		٤٥٥/٥، ٥٧٤/٢، ٢٧٢/١	١١
٤٤/٣	١٠-٨	٦٠٥	
١١٣/٢، ٥٥٩، ١٥٢/١	١١	﴿سورة المنافقون﴾	
٩٢/٣، ٢١٤		٥٣، ٣٩/٤	٣
		٢٢٠، ١٩٥/١	٤

٤٤٦، ١١٣/٤	١٩	﴿سورة التحريم﴾	
٢٩٥، ٢٩٤/٢	٤٣-٤٢	١٦٢، ١٦١/٣، ٤٨٦/١	١
٤٩٥/١	٤٦	١٦٤، ١٦١/٣، ٤٨٦/١	٢
٤٦٣/١	٤٨	٢٥/٤، ٣٦٩/٣، ٥٧٥/٢	٣
﴿سورة الحاقة﴾		٥٥٨، ١٥٤/٢، ٢٦٩/١	٤
٤٩٨/٣	٧-٦	١٠/٥	
١٨٨/٣	٦	١٥٢/٥، ١١٦/٣	٦
٤٢٨/٢	٨-٧	٥٤١، ٣٩٨/٥، ٣٤٧/١	٨
٢٤/٢	٧	٢٢١/٥	٩
٣٧٥/٤، ١٣٠/٢	١١	٥٦٥، ٤٦٢/٣	١٠
٥٣/١	١٨	٦٢٠/٥	١٢
٢٠٠/٢، ٥٢/١	٢٠	﴿سورة الملك﴾	
٢٦٤/٤	٣٧-٣٦	٢٥٥، ١٩٣/٢، ٣٩٤/١	٢
﴿سورة المعارج﴾		٤٠٩، ٤٠٨، ٦٦/٣	
٥٨٢/٤	٢-١	٢٠٠، ٦٨/٥، ٢٦٥/٤	
٢٧٧/٢	٥-٤	٣٦، ٣٥/٢، ٤١٠/١	٤-٣
٢٧٧/٢	٤	٥٥٥/١	٥
٥٦١/٣	٣٠-٢٩	٢٨٩، ٢٨٣، ٢٨١/٢	٩-٨
٥٦١/٣	٣٠	٣١٢/٤	
﴿سورة نوح﴾		٣٢/٣، ١٦١/١	١٠
٥٩/٣	٧-٥	٢٢١/٣، ٢٧٤/٢	١١
٤٦٦/٣	١٠-٥	٣٧٠/٣	١٢
٤٥٧/٤	٧	٢٦٦/٤، ١٩١/٢، ٥٥٤/١	١٤
٦٢٤/٣	٩-٧	٣٠٤/٢، ٥٤١، ٥٣٥/١	١٩
٦٣٠، ٤٠٥/٣	١٢-١٠	٥٨٠/٥	٣٠
٤٤، ٩/٢	١٤-١٣	﴿سورة القلم﴾	
٤٥/٢	١٤	٨/٣	١
٢٦٨/٢	١٦-١٥	٣٦٧/٤	٢
٤٤٦/٣، ٤٥٣/١	٢٤-٢٣	٣٥٣/٥، ٢٥٩/٣، ٢٧/٢	١٧

١٥/٢	٤٠-٣٧
﴿سورة الإنسان﴾	
٤٥٤/٤	٣-٢
٣٧٥، ٣٦٦/٣، ٥٦٧/٢	٢
٢٠/٤	
٢٨/٤، ١٩٢/١	٣
٢٦٤/٣	٦
٥٢٠/٢	٧
١٠٦/٢	٢٠
١٤٧/٥، ٤٣٩، ١٧١/٢	٢٤
١٩٠/٥، ٣٠٥، ٤٤/٢	٢٨
٨٣/٢، ٢٢٩، ٢٢٨/١	٣٠
٤٢١، ٤٢٠، ٤١٩، ٤١٥	
٣٣٢، ٣٧/٤	
﴿سورة المرسلات﴾	
٧٥/١	٤
٢٢/٤، ٣٦٨/٣	١٧-١٦
٢٩/٤	١٨-١٦
٩٣/٣، ١٣/٢	٢٦-٢٥
٢٤٦/٣، ١٢٩/١	٣٣-٣٢
١٥٢/٥	٤٨
﴿سورة النبأ﴾	
٣٨٣/٤	٥-٤
٣٧١/٤	١٢
٣٩٠/٣	١٣
٣٨٠/٤	٢٠
٢٥٢/٢	٢٦-٢٣

٥١٢/٤	٢٧-٢٦
١٧٩/٥، ٤٦١/٣	٢٦
٤٦١/٣	٢٧
﴿سورة الجن﴾	
٢٧٠/٢	٥
٢٨٧/٣، ٢٤٤/٢	٦
٢٧٤/٥	٩
٢٧٠/٢	١١
٥١٦/٢	١٥
٥٥٩، ١٩٧/٤	١٧-١٦
٥٥٩، ١٩٧/٤	١٧
٣٣٥/٣، ٣٩٢، ٣٩١/١	٢٧-٢٦
﴿سورة المزمل﴾	
٣٨٠/٤	١٤
٤٥١/٣	١٨-١٧
٢٧٣/٢	١٧
﴿سورة المدثر﴾	
٦٩/٤	٣
٢٧٨/٢	١٠-٩
٦٨/٢	٢٦-١٨
٣٣٢، ٣٣١/١	٣١-٣٠
٤٧٨/٤	٣١
٣٠٨، ٦٥/١	٤٨
﴿سورة القيامة﴾	
٦٢/٢	١٥-١٤
٥٦، ٥٤، ٥٣، ٤٧/٢	٢٣-٢٢
١٥٢، ١٥١، ١٥٠/٤	
٥٥٧/٢	٣١
٤٩٨/١	٣٨-٣٦

﴿سورة التكوين﴾		٢٣ ، ٢٤٦/٢ ، ٢٥٠ ، ٢٥١
٢٢٠ ، ٢١٩ ، ٢١١ ، ٢١٠ / ١	٥	٢٠٣/٣ ، ٢٠٥ ، ٦٠٨/٥ -
٦١/٣	٩-٨	٦١٠
﴿سورة الانفطار﴾		٢٥-٢٤ ٢١٠/٥ ، ٢٠٥/٣
١٠٧/٣	٨-٦	٢٦ ٦١١/٥ ، ٢٠٧/٣
٤٨٤/٢	١٢-١٠	٣٠ ٣٢٩/٥ ، ٢٤٩/٢
٥٦٨/٢	١٢	﴿سورة النازعات﴾
﴿سورة المطففين﴾		٥ ١١٢/٥ ، ٢٩٤/١
٥١٤/٢	٢-١	٧-٦ ٦٠٨/٣
٥٨٦/٣ ، ٥١٥/٢	٦-١	١٤-١٣ ٤٢٥/٣
١٧٢/٣	٦-٤	١٣ ١٩٧/٤
٢٩٠/٤	٦	٢٤ ٣٧٨/١ ، ٣٤٣/٣ ، ٩٩/٤
١٢٨/٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٢/١	١٤	١٢٥/٥
٤٠/٤ ، ١٣٠		٢٩-٢٧ ١٤١/٣
٤٠/٤ ، ٥٦ ، ٥٤ ، ٤٧/٢	١٥	٣٢-٢٧ ١٦/٢
٦١٨/٥ ، ٢٤٨/٣ ، ٣٥٨/١	٢٩	٢٨ ٣٧١/٤
٣٠٧/٣	٣١-٣٠	٤١-٤٠ ٣٤٤/١
٣١٢/٣ ، ٣٢٨/١	٣٠	٤٤-٤٢ ٣٨٣/٤ ، ٣٨٥/١
﴿سورة البروج﴾		٤٥ ١٧٢/٣ ، ٣٢/٢ ، ٥٥٧/١
٩٤/٤	٨	٣٠٠/٥ ، ١٩٠/٤ ، ٤٣٨
٥٥٩ ، ١٩٧/٤ ، ٣٢٥/١	١٠	﴿سورة عبس﴾
٢١٧/١٠		٣ ١٢٤/٢
٤٨/٣	١٢	١٤-١١ ٥٢٨/٢
٣٦٥/٣	١٦	١٤-١٣ ٣١٦/٣
٩/٣ ، ٥٢٨/٢ ، ٢١٤/١	٢٢-٢١	١٥-١٣ ٩/٣ ، ٢١٤/١
٤٣٠/٤ ، ٣١٦		١٦-١٣ ٤٣٠/٤
﴿سورة الطارق﴾		٢٠ ٥٠٥/٥ ، ٢٧٩/٣ ، ٥١٠/١
٢٨٥/٤	٤	٢٥-٢٤ ٥٣٢/١
٢٧٨/٣	٦-٥	٢٤ ٤٢٢/٣ ، ١٨/٢ ، ٥٣١/١

﴿سورة الضحى﴾		٥٠٣/٥	٥
٥٤٢/١	٢	﴿سورة الأعلى﴾	
٣٣٩/٤، ١٩٧/٢، ٢٣١/١	٧	٤٠٤/٥، ٤٤٢/٢، ٨٩/١	٤-١
﴿سورة الشرح﴾		٢٩٢	
٣٠٢، ١٦٧/٤، ٢٦٥/٢	١	٢١١/٢	٩
٦٠٦/٥		﴿سورة الغاشية﴾	
٥٨٥/٥	٨-٧	٣٨٩/٣	٢٠
﴿سورة التين﴾		٨٥/٢	٢٢-٢١
١٥/٢	٤-١	﴿سورة الفجر﴾	
١١٤/٣، ١٢٠/٢	٣	٤٧٥/٣	٨-٦
٦٠٠-٥٩٩/٢	٦-٥	٤٨٥/٣	٧
١٥/٢	٧	٢٧٤/٥	١٤
﴿سورة العلق﴾		٥٥٨، ١٤٣/٢، ٢٦٩/١	٢٢
٢٦٤/٤	١٦	٥٦٢	
﴿سورة البينة﴾		١٢١، ١٠٣/٥، ٢٨٦/١	٢٦-٢٥
٥٢٨/٢	٣-١	﴿سورة البلد﴾	
٤٠٥، ٢٦٩/٥	١	١١٤/٣، ١٢٠/٢	١
٩/٣	٣-٢	٣٠٢، ١٦٧/٤، ٢٦٥/٢	٨
٣١٩/٤	٤	٦٠٦/٥	
٥٧٠/٥، ٢٥٣/٣، ٣٥٢/١	٥	١٠٨/٣	١٧-١١
٤٠٥، ٢٧٠/٥	٦	٥٢/٥	١٦-١٤
٣٤٥/٥	٨	٥٨٨/٥	١٦
﴿سورة الزلزلة﴾		﴿سورة الشمس﴾	
٦٢/٣، ١٠٥-١٠٤/٢	٥-١	٥١٧/٣	١٤-١١
٥٠٦/٥، ٢٨١/٣، ٥١٠/١	٦	٥٤٢/٥	١٢
١٣٠/٣، ٣٦٩/٢	٨-٧	٥٨٥/٤	١٤
﴿سورة العاديات﴾		﴿سورة الليل﴾	
٥٤١، ٥٣٥/١	٤-١	٢٠٢/٢	١٠-٥
٣٢٧/٥، ٢٧٥/٢	٧-٦	٤٣٤/١	٢٠-١٩

﴿سورة قريش﴾		٣١٠/٤	٧
٤٨٤/٤	٢	﴿سورة القارعة﴾	
﴿سورة الماعون﴾		٣٨٠/٤	٥
٥٠٥-٥٠٤/٢	٢-١	٧٦/٣	١١-٤
٥١/١	٥-٤	﴿سورة التكاثر﴾	
﴿سورة الكوثر﴾		٥٠٦/٥ ، ٢٨٠/٣	٢-١
٦٢٧/٢	٢	٥٨٦ ، ١١٥/٥	٥
﴿سورة المسد﴾		﴿سورة العصر﴾	
٤٢٧/٢	٣	٦٢٠ ، ٦١٩ ، ٦١٦ ، ٨٥/٣	٣-١
﴿سورة الإخلاص﴾		٣٤٠ ، ١٧٣/٤	
٥٠ ، ٤٩/٢ ، ٣١٦/١	٤	﴿سورة الهمزة﴾	
٣٥٢ ، ٣٤٩/٣ ، ٥٦٤		٥٨٣/٥	١
١٦٢ ، ١٠/٤		٢٨٦/١	٧
﴿سورة الفلق﴾		١٠٦/٢	٩-٨
٤٢٠/٢	٢-١		

• • •